

هذه النسخة الإلكترونية هي النسخة
القانونية الوحيدة لرواية "ترانزيت -
كريم عدلى" بتصريح من الناشر، وتمت
إتاحتها مجاناً للقراء عبر الإنترنت
بتاريخ ١ أغسطس ٢٠١٧ من خلال
موقع مكتبة العدل.

Dear reader,

We kindly ask you to respect the
efforts we made to present this
copy to you freely.

We encourage you to let us know
if you paid any charges to get this
copy, or if you downloaded it from
any sites other than

"ADL-islamicstore.com"



غلاف الرواية



ترانزيت

رواية

عدلى، كريم
ترانزيت: رواية / كريم عدلى -. القاهرة: العدل للتوزيع، ٢٠١٥
٥٦٠ ص ؛ ٢٠ سم.
١- القصص العربية
أ- العنوان ٨١٣

ترانزيت

كريم عدلى

تصنيف الكتاب: أدب / رواية

رقم الإيداع: ٢٢٨٣١ / ٢٠١٥

تاريخ الطبعة الأولى: ديسمبر / ٢٠١٥

ISBN: 978-977-85240-0-0

رؤية وتنفيذ الغلاف: كريم عدلى

© العدل للتوزيع الإعلامى

٤ ش إسماعيل رأفت - ميدان سفير - مصر الجديدة - القاهرة

ت: +202 22901636 (39\40\41) 510 3 201010

www.Facebook.com/ADLforMediaDistribution

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة، ولا يجوز - بأى صورة من الصور -
(النقل المباشر أو غير المباشر - الكلى أو الجزئى) لأى مما ورد فى هذا
المصنف، ولا يجوز نسخه أو تصويره أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه،
أو إتاحتة عبر شبكة الإنترنت.. إلا بإذن كتابى مسبق من الجهة مالكة الحقوق.

كريم عدلى

 ترانزيت
رواية

العدل للتوزيع الإعلامى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء وعرّفان

أبى وأمى..

قدّمتما أكثر مما يجب أو يمكن تقديمه

حتى فقدت كلمات الشكر معناها.

إليكما الرواية، وكل الحب.

كريم عدلى

الرواية

ألقت (نورا) نظرة تقييم على نفسها فى المرأة، وبدا الرضا مبتسما فى عينيها.. سُرَّتْ بشعورها بأن مظهرها أنيق كعادتها، ولكن أكثر احتشاما.. قرارها ببدء ارتداء الحجاب اليوم ليس وليد اللحظة.. فقد جاء بعد الكثير من أمسيات التسوق وحدها.. لا أحد يعلم بالقرار حتى هذه اللحظة.. ربما لأن أحدا ليس قريب منها بما يكفى للإطلاع على قراراتها الحياتية مسبقا، وربما لأنها لم تستثن أحدا ممن ترغب فى رؤية المفاجأة على وجوههم.

التقطت مفتاح سيارتها الصغيرة من جوار باب شقتها وهى تملأ صدرها بنفس عميق.. فتحت الباب وغادرت المكان منتشية بشعور من الإثارة.. لم تصادف أحدا من جيرانها، ولم يكن حارس العقار موجودا فى موقعه فقررت الصبر حتى تصل لمقر عملها كى تستمتع بنظرات الدهشة على وجوه الجميع.

حماسها لذلك اليوم كان مبررا.. يكفيها أنها تثبت لنفسها وللجميع مدى تفردُها فى إتخاذ قراراتها.. مدى استقلاليتها، وقبضها على زمام حياتها.. كانت تقترب من إنهاء العقد الثالث من عمرها، ولا تتذكر متى كانت آخر مرة انصاعت فيها لرغبة أحد، أو أخذت بنصيحة.

توفى والدها وهى بعد فى الحادية عشر من عمرها، وتزوجت أمها مرة أخرى بعد ذلك بأربع سنوات، وكان هذا تمهيدا لمنحها السيطرة الكاملة على مُجريات حياتها كما تظن هى دائما.. قرار ارتداء الحجاب لم يأت نتيجة سماعها لأحد الدعاة يتحدث عن أهميته، ولا لضعف أو مرض أصاب شعرها بالتأكيد.. لقد ظنَّتْ فقط أنه حان الوقت لذلك.. هل للأمر بعدا روحانيا، أو شئ من هذا القبيل؟ هذا ما يحوطه الشك تماما.

كانت حرة دوما فى اختيار ملابسها، وتخليها عن حريتها بمحض إرادتها يضاعف من أهمية الخطوة كلها فى أعين الآخرين.. بداية.. سيروقها جدا ألا يتعرّفونها إلى أن تستقر خلف مكتبها، وتدير عينيها فى وجوههم.

هل سيلاقي القرار استحسانا من أحد؟! ربما.. قليلون جدا.. الحاجة (ليلى) من إدارة شئون العاملين ستفرح بالتأكيد فهي تحبها، وكثيرا ما كانت تدعو لها بالهداية وهي تحتضنها عقب كل جلسة تحدث فيما بينهما.. (منصور) بك أيضا سيدهش ولكنه سيثنى علي القرار، وربما يصر على منحها أول ورقة مالية يخرجها من جيبه سواء كانت فئة الخمس جنيهات أو المئتين جنيها.. إنه رئيس مجلس الإدارة، والرجل الوحيد الذي تلمس فيه بعض الأبوة في هذا العالم، ومن المواقف التي لا تنساها له أبدا حين طردها من مكتبه يوما عندما دلفت إليه بتنورة لا تكاد تصل لركبتها! كان هذا منذ سنوات، ويقدر ما اغتازت منه يومها وشعرت بجرح في كبرياتها.. إلا أن تصرفه هذا أَرْضَى جزءا من نفسها، ودفعها دفعا لتقدم له اعتذارا في اليوم التالي، وكذا لم تكرر ارتداء هذه التنورة، أو ما يشابهها مرة أخرى.. حسنا.. سوف يكون ذلك العزيم هو أول من تتوجه إليه فور وصولها للشركة.. فطالما أسعدها بأحاديثه ومعاملته لها بشكل راقى.

نظرات الحسد ستطالعهما من أعين نفس أولئك اللاتي كن يحسدنها قبل ارتدائها الحجاب.. فهو - الحجاب - كموروث شعبي يوضع في قائمة الأمور المحببة.. علاوة على أنها تبدو بهية الطلعة بلامحها الرقيقة، والإتجاه الجديد في ملابسها.

سيشكك البعض في قدرتها على الاستمرار في ارتداء الحجاب أو الالتزام به.. الشيخ (إسماعيل) سيفعل بالتأكيد.. هي لم تسمعه - أو يسمعه أحد - يوما يتحدث في أمر من أمور الدين.. لكنه اكتسب لقب شيخ لمجرد أنه لا يهدب لحيته!

ومن الأكيد أن البعض سيشعرون بالحسرة.

أحد أسباب سعادتها هو انتصار - ولو معنويا - تظنُّه آت لا ريب على أمها، وخالتها، وشقيقها.. ثلاثى لجنة النقاد.. تلك اللجنة التي يقتصر نشاطها على انتقاد كل شئ تفعله هي - (نورا) - في حياتها.. يعرفون كل شئ هم، وعلى

الأرجح استقى كل منهم شربة من نهر الحكمة الأبدى فصارت لديهم قدرة على النظر من عليائهم على سائر الكائنات، وقياسهم والحكم عليهم بقسوة، وأحيانا السخرية منهم.. هي لم تسمع عن واحدة من عائلة أمها سبق وأن ارتدت الحجاب.. وهذا فى حد ذاته نصر متميز فى رأيها!

راودها أيضا أنها ستثبت فطرتها السليمة بالتخلى عن ملابسها القديمة! بلى.. نظرة المجتمع لها لم تكن يوما وسطية أو عادلة.. كثيرون يعتقدون أنها بلا مبادئ.. خصوصا هؤلاء الذين يدركون مدى وحدتها.. فى بناية سكنها، والمنتجع السياحى الذى تملك (شاليه) فيه.. معظم المحيطين بها لا يرون فرقا ما بين الحرية، والإنحلال.. ماضيها ملئ بمن اعتقدوها صيدا سواء سهلا أو صعبا وكان مصيرهم مهينا حقا، ورغم أن كل هؤلاء لم يثيروا إهتمامها ذات يوم فلا بأس الآن من أن تتغير نظراتهم المريضة ليعيدوا تقييمها حسب مظهرها الجديد.. ها قد أخفيت شعرى أيها الحمقى.. أنا ملتزمة ولا غبار على سلوكياتى.. خدعتكم طويلا ويبدو أنكم أدمنتم ذلك.

بدأت بحثها اليومى لإيجاد مكانا لانتظار سيارتها.. دارت حول مبنى الشركة مرتين، ولم يهرع السائس الأعرج لمعاونتها كما اعتاد أن يفعل طوال الأشهر الماضية، أو منذ ظهوره فى المنطقة.. ربما لم يتعرفها، وربما لم يعجبه التغيير الذى طالها!

إضطرت للابتعاد قليلا.. هممت بالتوقف أمام البناية التالية شاكرة صغر حجم سيارتها، ولكن الأرض إنشقت عن سائس آخر قصير القامة له مظهر خطير.. تعرفه وإن لم تحبه يوما.. نظراته تخيفها، والجرح القطعى فى جانب وجهه يمثل عامل رهبة بدوره.. كان كثيرا ما يلقي على مسامعها كلاما قذرا وهى تمر أمام منطقة نفوذه إذا ما إضطرت لوضع سيارتها فى ساحة الانتظار الحكومية التى تبعد شارعين عن مقر عملها.

كانت نوافذ سيارتها مغلقة لكنها سمعته يذكر عشر جنينيات كما نعتها بالكلمة الفرنسية الدالة على امرأة متزوجة.. حسنا.. لو كان شخصا آخرا

لأنزلت الزجاج، وأخبرته أن الانتظار فى الساحة القريبة المخصصة يكلف نصف الثمن الذى يطلبه هو نظير أن توقف سيارتها على جانب شارع عمومى، ولكنها هزت رأسها بضيق، وتحركت مواصلة البحث عن مكان تدس سيارتها فيه.. تحدتُها حركة المرور، وكذلك عقرب الدقائق فى ساعتها.. فتعقّدت الأولى، ونشط الثانى بشكل ملحوظ.. ربما يحالفها الحظ وتمكن من إيقاف سيارتها ب (الجراچ) قبل تجاوز الساعة للتاسعة والنصف، وحتما سيكون السير بهذا الحذاء أسرع منه بأحذيتها عالية الكعبين، وسيساعدها ذلك على وضع بصمتها فى جهاز تسجيل الحضور قبل أن يتوقف عن العمل تلقائيا ويضطرّها للجوء إلى (جلال زين) لإثبات حضورها، والحفاظ على جزء من راتب اليوم.. وابتلاع حفنة من الرمال أهون لديها من بدء يومها بالتعامل مع (جلال زين).

رحلة السير إلى مبنى الشركة جعلتها تدرك شيئين جديدين.. شعورها بالحرارة مُضاعف، كما أن الخطى السريعة بهذا الحذاء أشعرتها بأنها فوق آلة الركض التى تضعها فى غرفة معيشتها.. خلت مشيتها من الأنوثة، وهذا شئ لم تعنده أبدا.. بالإضافة إلى أن الرؤوس لم تعد تدور لدى مرورها! طاقم الأمن عند بوابة الشركة استغرق ثوانى ليتعرفها، وجدد هذا ابتسامتها، كما بدأت تلاحظ نظرات التشبيه فى أعين البعض.. فتومئ لهم برأسها، ولسان حالها يقول: بلى.. أنا هى!

طابق عملها مُقسّم كمكاتب بلا جدران.. فاستبعدت المرور به أولا.. استقلّت المصعد إلى القمة مباشرة.. ستلقى التحية على (منصور) بك سواء أكان وحده، أو كان مكتبه مزدحما.

عبرت قاعة السكرتارية المؤدية لغرفة الرئيس كما يدعوه الموظفون.

- إيه ده؟ دهج (نورا)!! إسنج يا (نورا).

حاولت إحدى السكرتيرات أن تستوقفها فور تعرّفها لكن (نورا) أشارت لها باسمه، ثم طرقت الباب الخشبي المطعم بالنحاس، ودلفت إلى الغرفة.. وكانت تلك - لسعادتها - خالية من الزوار.

مقعد المدير ذو الظهر الجلدي الضخم كان معكوسا، وقد زحزحه صاحبه ليواجه النافذة.

قررت مبادرته قبل أن يتعرف عليها دون أن يستدير..

- الرئيس بناعنا مشغول في إيه بآتره؟

استغرق المقعد ثوانى قبل أن يبدأ فى الدوران فشدتّ هى تنورتها الطويلة الفضفاضة من الجانبين قليلا ثانية إحدى ركبتيها منحنية بحركة مسرحية مصدره المؤثر الصوتى الذى ارتأته مناسبا لهذه اللحظة.

تسمرت لثوانى مبهوتة قبل أن تندفع الدماء فى رأسها وتعتدل..

- إيه ده! إحم.. مين حضرتك؟

ازدردت لعابها، ثم تنحنت للتغلب على حرجها.. فقد كان من يجلس على مقعد الرئيس شاب ثلاثينى له شعر فاحم وكتفين عريضتين.

كان حاجباه متقاربين، وأطل من نظرتة مزيج من الاستنكار والغضب.. أشار بيده إلى صدره قائلا:

- مين حضرته؟! تدخله مكتبي بالطريقة ده، وتساألني أنا مين!

- أنا أسفح جدا.. أنا.. هو فين (منصور) ييه؟

كانت تحاول التماسك شاعرة لأول مرة منذ زمن بأنها حمقاء.. بينما لم يكن تلعثهما وإحمرار وجنتيها شفيعين لها لدى الشاب الذى اخترقتها نظراته، ورمقها من أسفل إلى أعلى وقد لاح على فمه الامتعاض الآن.

ظل صامتا، فإضطرت أن تقول:

- أنا (نورا السويق) من إدارة التسويج.. منتهيألي حضرتك ابن (منصور) ييه.

التوى فمه بشبه ابتسامة قاسية، ورد بلهجة لاذعة:

- أنا إفتكرتك من إدارة العروض المسرحية.

تضاعفت خفقات قلبها، وبدأ شعور الحرج يتحول لإحساس بالدونية..
ثَبَّتْ عينيها على عينيهِ السوداوين واستجمعت شجاعته لتقول:
- إْحْنَا مَاعَنْدُنَاشْ إِدَارَة عَرُوضْ مَسْرُحِيَّة.. أَنَا أَسْفَهَ مَرَّةً تَانِيَه، وَمَا كُنْتُنْشْ
أَعْرِفُ إِذْ حَضَرْتِكَ الْمَلِيحَ قَاعِدَ هُنَا.

بدا لها أنفه حادا، أو ربما فضَّلتْ هي عدم التركيز على عينيهِ النافذتين.
ربما هو حقا يملك سطوة ذكورية غاشمة لم تصادف مثلها قبلا، وربما تشعر
هي بالضآلة لأنها دخلت من باب الغرفة منذ ثوانى لتعلن له عن حماقتها.
(أحمد منصور) هو الابن الوحيد لرئيسها، وهو الذى سافر إلى (الولايات
المتحدة الأمريكية) عقب تخرُّجُه، وما تعرفه هو أنه يدير شركته بنجاح
هناك.

ارتفع أحد حاجبيه وغادرت الكلمات جوفه كالرصاصات:

- مَشْ فَاهِم مَعْنَى الْمَلِيحِ إِذْ نَبِيْ عَمَلِيَّتِي.. وَالْمَعْرُوضِ أَصْلًا إِنَّكَ دَاخِلَهُ مَلْتَبِ
مَدِيرِكَ.. مَعْرِفَتِي طَبِيعَةً عِلَاقَتِكَ بِ (مَنْصُور) بِيَه.. بَسْ أَكْبِدْ حَ أَعْتَبْ عَلَيْهِ لَوْ
دَه نَوْعِ الْمَوْظُفِينِ الْمَلِيحِ بِيَعْتَمِدْ عَلَيْهِمْ هُنَا.

شعرت أنه سحقها.. لم تكن يوما قادرة على احتمال الهجومية.. دمرَّ حالة
سلامها النفسى وألهب صدرها بمزيج من الحنق والكراهية.. لهجته
السلطوية كانت تعبر عن رجل اعتاد إطاعة الآخرين له دون مناقشة.. لقد
كرر إهانتها، وفى نفس الوقت هو ابن رئيس مجلس الإدارة!
استجمعت شتاتها، ولم تلاحظ أنها تقف أمامه متصلبة كقطة فى مواجهة
نمر.

- النَوْعِ دَه مِنْ الْمَوْظُفِينِ بِيَسْتَعْمَلْ هُنَا مِنْ ٨ سَنِينِ، وَمَا سَاكْ كُلِّ مَلْفَانِ حَمَلَاتِ
السُّوقِ الْمَحَلِيِّ، وَإِتَّكْرَمَ ٣ مَرَاتِ.

ضم ذراعيه، ثم أسندهما إلى المكتب فضاقت أكمام قميصه على تقسيم
عضلى بارز، وبدأت سَحْبُ التَّجَهُمِ على وجهه ملائمة لعمق نظراته، والسمت
العسكري لفكه، والذى بالكاد تحرك وهو يقول ضاغطا حروف كلماته:

- وده بؤكر رأيي بأهمية إعادة النظر في عناصر الشركة دى.
رفعت كتفها اليمنى ومطت شففتها السفلى قائلة، وهى تبث كلماتها أكبر قدر من اللامبالاة:

- مشن عارفه أقول لحضرتك إيه.. بس إنت ابن صاحب الشركة. وده مجيبك
تتخلم فينا كئنا.

- خدنى بالك من كلامك يا مدام.

كانت قد اختارت مواجهته بكل قوتها.. طالما اختار التصعيد ومعاملتها بهذا التسلسل، فهى لن تقف أمامه محرجة إلى الأبد.

- أنا بجاول أخد بالي من كلامي قد ما أقدر يا افندم. سيادتك اللي مشن مدبني
فرصة.

لم تلحظ أن قبضتيها مضمومتان دلالة سلوكها الدفاعى.

كانت تبذل جهدا خارقا لمغادرة هذه الغرفة مرفوعة الرأس.

- بعد إذن حضرتك.. أنا ع أروح مكنتي، وهذا لله على السلامة.

وهزت رأسها بابتسامة بالغة الاصطناع واستدارت تغادر الغرفة بخطوات آلية. شعرت أنها تريد أن تطلق العنان لساقها فور إغلاقها للباب خلفها.. لكن إلتفاف الموظفين حولها لتهنئتها منعها من ذلك.. ردت أسئلتهم باقتضاب، ولم تستمتع، أو حتى تنتبه لطبيعة نظراتهم.

بعد تلك المعركة التى خاضتها على حين غره.. هى فقط تحتاج للجلوس وإعادة التفكير فيما دار.. وعلى الأرجح الجلوس حتى تخطرها الحاجة (ليلى) بأنه قد تم التخلي عن خدماتها هنا!

شكرتهن، وانسحبت.. فكرت وهى فى انتظار المصعد أن تستقله إلى الطابق الأرضى، وتغادر المكان.. لكن هذا بدا طفوليا جدا.. لن يفسد ذلك السخيف يومها المميز.

فى الطابق الذى يضم إدارتها توجهت لقسمها دون أن تنتهج أى سلوك استعراضى.. لكن التغيير الذى طالها صنع وحده ضجة مميزة.. كانت لتبهجها لو أن يومها قد بدأ بشكل مختلف.

راقبت اقتراب (سلمى) منها بضيق، وهى تشعر بعدم رغبة فى خوض المزيد من المعارك.

كانت (سلمى) زميلتها بقسم التسويق المحلى.. هى جميلة بقدر ما.. تجتهد فى محاولات مضاعفته، فتنجح أحيانا، وتفشل فى أخرى.. لكنها لم تكن تتخلى عن الزينة الصارخة والملابس الضيقة، ووصلات الشعر الصناعى الإضافية.

- ما الذى فعلته بنفسك يا (نورا)؟ يا إلهى!! لم أتعرفك بحق.
قالت "يا إلهى!" بالإنجليزية لبيان مدى استنكارها للفعل.. لكنها بيّنت ركاكة إنجليزيتها أيضا.

- (سلمى) حبيبتى.. **أولا هى** "Oh my god" .. (GAD) ده مطعم فول وطعمية،
وباريت بقدري بعمل زرع قريب.. وثانيا بغي سببني في حال لو سهكتي.
- ليس قبل أن أخبرك عنه.

بدت لهجة (سلمى) واعدة.

- من هو؟!

- (أحمد منصور).. ابن (منصور) بك الذى كان يعيش بالخارج.

- ماذا عنه؟!

كان سؤال (نورا) حادا منزعجا.

- لايمكننى الوصف يا (نورا).. له تأثير مفرع.

وجدت (نورا) نفسها تسأل بإهتمام حقيقى:

- أهو وسيم؟

- لن أقول أكثر من أنه ساحر.. إياك أن تعتقدى أنه يعقص شعره خلف

رأسه.. لو لم أعرف هويته لاعتقدته ضابطا بالجيش.

كانت (نورا) تعلم عن هوس زميلتها بهؤلاء لكنها شردت بعيدا..
إنه وسيم إذن.. متعجرف وسيم.. تأثيره طال الآخرين أيضا.. لكن مهلا.. هي
شعرت به فقط.. لم يوقعها تحت أى تأثير.. بل أنها واجهته بكل قوتها.
رفعت يدها لفمها غريزيا.. يا إلهي! هل كانت وقحة معه؟ استعادت مجريات
الحوار وشعرت أنها تحدت ابن رب عملها بقوة غير مبررة.. انقضت معدتها
مع تفكيرها فى خسارة وظيفتها.. جعلها الاحتمال تفكر فيما حققته على
الصعيد العاطفى فى حياتها.. والذى لا تكفى بقاياها لملء علبه ثقاب.

شعرت بحاجة ماسة للتحدث مع أحد.. نهضت، واتخذت طريقها إلى مكتب
السيدة (ليلي)، والتي فور أن رأتها حتى ماجت مشاعر المرأة الخمسينية،
وتهللت أساريرها وكأن أحد أحلامها قد تحقق.. أخذت تعانق (نورا)، وتمايل
بها ولسانها يلهج بالدعاء لها، ووجدت (نورا) نفسها تضحك بغبطة.. ومن لا
يسعده أن يشعر بحب الآخرين خالصا دون مصالح، أو منغصات دنيوية!!

أصرت السيدة - والتي لفت استقبالها لـ (نورا) انتباه الجميع من حولهما - أن
تطلب الحلوى بهذه المناسبة فضحكت (نورا) مجددا..

- **إسْتَيْ بسن يا حاجَة (لولا).. فافيش داعى (والله).**

كانت تعلم أن (ليلي) تواجه أعباء مالية مؤخرا، وأن كرمها الزائد هذا طالما
أوقعها فى مآزق سابقا.

انهالت التهائم مجددا من المحيطين، وفاجأ (نورا) أن بعض ممن لم تكلف
نفسها يوما عناء إلقاء التحية عليهن قد هرعن إليها، وشعرت بصدق
سعادتهن حقا.. بل وأهدتها إحداهن مصحفا صغيرا لتضعه فى حقيبتها!

حين استقرت أخيرا أمام مكتب (ليلي) قالت لها:

- **دايما أنبسط لما أجى لك.. مع إني كنت مكثبة.**

- **ليه يا حبيبتي؟ بعد الشر عليكى من الإكتئاب.**

- **اللى اسم (أحمد منصور) ده فقل لى اليوم بجر.**

- **ليه بسن؟ إيه اللي حصل؟**

- ما كنتش عارفه إن سيادته موجود.. كنت داخله ل (منصور) بيه. ولقيت الأَخ الطاووس ده قاعد مكانه.
 - طب ليه زعلك.. هو شكله مش سهل.. بس أنا حسيته مهبز أوي.
 - مهبز!! ده شكله نفسيته تعبانه وحي يعرفنا.. هو إيه اللي جابه أصلاً!
 - اجتمع إمبراخ مع مديرين العموم، وقال إن (منصور) بيه طلب منه يبجي علشان يعيد ترتيب أوراخ الشركة.. هو فالها كده بالظبط.
- عاود (نورا) توترها..

- يا سلام!! جى دلوقتي برّتب!! بعد كل السنين دى!
 - لأ وشكله جد أوي.. طلب النهارده تقارير عن كل الموظفين في الشركة.
- صمتت (نورا) لثواني متوترة، ثم تسائلت:

- وفين (منصور) بيه؟
- و(الله) ما عارف.

قضت (نورا) بقية النهار شاردة تتخبّطها الأفكار، وجاهدت لتبدو طبيعية في يوم كانت فيه محط أنظار الجميع بشكل استثنائي.

معرفة أن الشخص الذي أخبرته بمنتهى الخيال أنها في انتظار إعادته للنظر في عناصر الشركة قد جاء خصيصاً من الجانب الآخر من الكوكب ليعيد النظر بالفعل.. لهو أمر كارثي.. أما معرفة أن مكتبه يحمل الآن تقارير عن الموظفين فهذا يوحي بأن الأمر منتهى.

تذكّرت أنها لم تثبت حضورها اليوم إلى العمل رسمياً.. تذكرت ذلك في الرابعة عصراً.. قبل انتهاء الدوام بساعة!

حطم ذلك البقية الباقية من معنوياتها.. فحملت حقيبتها، وانصرفت بجبين مقطب.

قادت سيارتها بتثاقل، وهي تشعر بصداق قاسى يكتنف رأسها.

لو عادت مباشرة إلى المنزل فقد انتهى يومها.

قررت التوجُّه إلى حي (الزمالك).. لن تأكل في مطعمها المفضَّل لكنها ستأخذ منه طعاما معها إلى المنزل.. الكثير من الطعام في الواقع.. كما ستشتري من متجر المستحضرات الشهير آخر منتجاتهم للعناية بالجسم.. ستدلل نفسها وهي تدرك أنها قد تكون المرة الأخيرة.. فإمضاء صغير من الابن المدلل سينهى مسيرتها الوظيفية، ويحطم حياتها، ويدعها تبدأ من الصفر، وسيؤثر هذا على استقلاليتها حتما.

زفرت بسخط، وتركت طعامها على الطاولة بغرفة المعيشة، وأطفأت (التلفزيون) وتمددت على أريكتها المفضَّلة تحديق بالسقف وهي تراجع حوارها مع الطاووس للمرة الألف.

كانت تغلف كلماتها بال رسمية.. لم توجَّه إليه إهانات.. فى حين أنه إتهمها بالهزلية والابتذال، وبأن الاعتماد على أمثالها أمر خاطئ يرتكبه والده.. نعم..

قال ذلك صراحة بعدما أعلن جهله بطبيعة علاقتها بأبيه.. ماذا!!!

هل قال "لا أعلم بالضبط طبيعة علاقتك ب (منصور) بك!"

هبت من رقادها، وعلى وجهها استنكار شديد.

ذلك الوغد صوبَ رصاصاته لما هو أكبر كثيرا من كفايتها بالعمل.

حدقت فى اللاشئ غير مصدقة أنها لم تنتبه للمعنى الضمنى لعبارته سوى الآن.. لو قالها غيره لربما افترضت أنه يقصد علاقة قرابة ما.. ولكنه ابن الرجل.. بحق (الله)!! لقد رماها وأباه بتهمة قاسية أثناء جلوسه باردا مزهوا ببذلته أمريكية الصنع.

بدأت تدور فى الغرفة وهي تجز على أسنانها.. لا تلاحظ أن الصداع قد عاد ليدق رأسها بقوة.

حسنا.. هذا يتناسب مع ما يفترضه العقل عن شاب مثله هاجر إلى بلاد العم (سام) فور تخرجه مباشرة، وأنشأ هناك شركة وبدأ يديرها.. سوق العمل فى (الولايات المتحدة الأمريكية) لن يرحم شخصا مثله حتما.. كما أن المجتمع

سيقضى على تقاليده وقيمه إذا ما كان يمتلك أيها يوما.. حتما لم يقض وقتا هناك فى البحث عن مسجد قريب من منزله!

الرجل الذى يفترض أن أباه يقيم علاقات مع موظفاته هو حتما يفعل الأمر نفسه.

لو كان عقلها الغبى قد التقط الإتهام الشائن فى حينه لثارت، وأُخبرت الشاب برأيها فيه بمنتهى الصراحة، ولتركت العمل بإرادتها التامة أيضا.. لكن.. هل فات أوان ذلك؟ هو بالتأكيد يدرك مغزى قوله، وهى لم تُرد فى حينها سوى لتدافع عن كفاءتها العملية.. إنه يراها الآن بنظرة مختلفة حتما.

موظفة شابة تم إتهامها بأنها حثالة ولم ترد.

هكذا إذن.. كلا.. المعركة لم تنته بعد.

من يظن نفسه بحق (الله)؟ كانت (نورا) الآن ثائرة.. دمائها تغلى فى عروقها لو جاز التعبير.. عاشت ليلة طويلة.. بائسة جدا.. ستترك عملها وتُنهى الأمر حتى لو طالبها هو بالبقاء.

تأوهت متعبة مع هذه الفكرة وتقلبت ببطء فى فراشها الضخم.. من هى ليطالبها بالبقاء؟ سيكون الأمر رائعا لو منحها فرصة لتفرغ ما بجعبتها قبل أن يطردها.

ألقت نظرة يائسة على الساعة المعلقة على الجدار.. لا يزال هناك ساعتين قبل موعد استيقاظها المعتاد.. ولكنها لم تذق الراحة حقا.

نهضت شاعرة أن عظامها قد تعرّضت لدق عنيف.. جرّت قدميها لغسل وجهها، ثم أعدت قدح القهوة الصباحى المعتاد من دون حليب.. فهى تريد أن تتنبه تماما لمواجهتها مع (أحمد منصور).. لن يطول الوقت كثيرا.. ستنهى المسألة وتعود للنوم.. لو أرادت ذلك حقا فعليها أن تحقق نصرا ساحقا على غريمها.. هزت رأسها بضيق وهى تعود لغرفة نومها.

كادت تبدأ بتفحص هاتفها، ورسائلها وحسابها الإلكتروني.. لكن فكرة اختيار ملابسها جعلتها تلقى الهاتف على الفراش وتفتح خزانة الملابس بقلق.

لم تعرف لماذا شعرت أن كل ملابسها الجديدة غير صالحة لليوم!! لماذا اليوم بالذات؟ هذا أيضا لم تواجه نفسها به.. لكنها حتما أرادت أن تتحلّى بكل ثقتها بنفسها فى هذا النهار.. نظرت إلى حيث تكوّمت ملابسها القديمة شاعرة بأنها تسرعت بارتداء الحجاب أمس!

تعلّق بصرها بـ (چينز) أزرق داكن، و(بلوزة) وردية اللون.. أحسّت أنهما يناسبها اليوم جدا.. أخرجتهما لتلقى بهما على الفراش وتخلع منامتها..

حسنا.. السروال يضيق عند أردافها، ويبرز خطورة ثنايا فخذها، وهذا (التوب) الرقيق يضيق عند صدرها كما يكشف عن عنقها العاجى وذراعها الناعمين.. ستضيف إليهما حذاء ورديا على الكعبين فيصبح مظهرها كاملا.

لم تكذ تندس فى البنطال حتى شعرت بكُرة من الأشواك فى حلقها، ولكنها لم تنتبه إلى أن دماغها حبيسا التمتع فى عينيها.

تلوم أو تستنكر شعورها هذا فى مجتمع كهذا! فأنت مخبول حتما.. هذا المجتمع المتشدّد بذكوريته يمكن الحصول فيه على كل شئ بتنورة قصيرة، أو مشدّات صدر معدّلة خصيصا لذلك!

وضعت يديها على وجهها متممة بدعاء ما، ثم خلعت (الچينز) بحركات آية، وشرعت فى ارتداء أحد أطقمها الجديدة، والتي قامت بتعليق (الإيشارپ) المناسب فى (جونلة) كل منهم.

لو كان ذلك السخيف يعتقد أنها ستحيد عن شئ لأجله.. فهو واهم تماما.

لم تضيف لمسة تجميل لوجهها.. التقطت نفس حقيبة الأمس، ثم مفتاح السيارة وصدفت باب الشقة خلفها بعنف.

وصلت فى موعد جيد اليوم لكن هذا لم يمنع اكتمال صفوف الانتظار على الجانبين، وعلى مدى النظر.

لم تراودها فكرة إيقاف سيارتها فى الصف الثانى إلا حين صارت فى نطاق نفوذ القصير الذى ترهبه نوعا.. نظرت حولها فلم تره.. حسنا.. هى لن تتأخر.. وستعلن عن ذلك بترك مصابيح الانتظار تومض حتى تعود.

استحسنتم الفكرة وهي تقترب من مبنى الشركة.. لم تكن ترتدى ساعتها ففتحت حقيبتها لتبحث عن هاتفها.. لم تجده، وتذكرت موقعه على الفرائش.. لم تدع هذا يثبط من عزيمتها.. الساعة الضخمة فى مدخل الشركة كانت تشير لتمام التاسعة حين استقلت هى المصعد إلى القمة مباشرة.

تسارعت دقات قلبها وهى تدنو من مكتبه.. ظلت ناظرة للباب وهى تتقدم منه ولم تستوقفها نداءات إحدى السكرتيرات.. طرقت الباب مرتين وفتحته مباشرة مستعدة لإطلاق كل ما تختزنه من غضب على رأس (أحمد منصور).

نظرت بدهشة لصف الواقفين بمحاذاة جدار الغرفة وتعرفت بعضهم.. بينما كان (أحمد) نفسه يقف فى مواجهتهم.. تلاقت النظرات عندها فتوترت.

- أنا كنت

قاطعها مشيرا بيده إلى المقاعد أمام مكتبه:

- **معلش ح نسيين دقيقتي**.. "ll be with you within moments".

هزت رأسها بخفوت متقدمة من أقرب المقاعد إليها.. حسنا.. أهانها دون شهود، ومن حقه أن ترد له الإهانة دون شهود أيضا.. على الأقل ليس أمام كل سائقي، وعمال قسم التركيبات بالشركة.

- **إيه يا رجاله؟ ما سمعش قراركم النهائي؟**

قال ذلك بصوت قوى واثق كما أن وقفته بدت لها متحفزة نوعا.

تدرك الآن أنه طويل القامة وممشوق للغاية.. لم يرث الطول عن والده بكل تأكيد.. يقف بحلة رمادية كاملة، وحذاء أسود ما من ذرة غبار عليه.

بدأ السائقون والعمال - والمعروف أنهم أقوى قطاعات العاملين بالشركة - يعلنون عن استسلامهم، ورضاهم التام بما يراه (أحمد) بك، ويعلنون له أنهم جميعا تحت أمره وتصرفه.

هز رأسه بإعتداد قبل أن يعلنهم أن كل منهم سيوقّع على القرار.

استدار فخفضت بصرها عنه بسرعة لكنه ناداها:

- **من فضلك.. هاتي الورقة اللي هناك دمي وقلم، واقعدى تاني.**

تلاقت أعينهما.. عيناه السوداوتان عميقتا النظرات، وعيناها الزرقاوتان ذاتا الأهداب الطبيعية الطويلة.

بدا من سلوكه أن مسألة مخالفة أحد لأوامره هو شئ مستحيل وغير وارد من وجهة نظره.

تأففت - داخليا - وهي تنفذ ما قال بحذافيره.

- ع مَضُّوا عِنْدَ الْأَنْسَةِ وَاحِدٍ وَاحِدٍ.

تذكرت الآن أنه خاطبها أمس بالسيدة.

قال جملته الأخيرة للرجال، وتحرك ليستقر على مقعده.. يتحرك برشاقة عكس والده الذى كان يدق الأرض بقدميه بقوة.

لم ترفع بصرها نحوه حتى انتهى ثلاثة عشر رجلا من التوقيع على ورقة القرار الذى لم تحاول حتى معرفة فحواه.

استأذنه كبيرهم فى الانصراف فأشار له سامحا بذلك.. غادر الرجال الغرفة تاركين المسكينة وكأنها تغرق.

إندست فى مقعدها بتحفُّز مستعدة لبدء معركتها.. لم يكن ينظر إليها.. كان يراجع نص القرار، أو توقيعات الرجال بنظرة خاوية عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول.

لم تستطع الجزم بأن عينيه التمعتا بابتسامة حين تبين المتصل لكنه نظر إليها فى اللحظة التالية قائلا:

- معلش.. مَلِكُنْ تَسْتَبِينِ بَرَّةً دَقِيقَةً؟

حدقت لثانية فى يده اليمنى التى يستقر فى خنصرها خاتم خطبة، ثم قالت:

- أنا أصلا كنت....

- أنسة (نورا).. من فضلك.. دقائق وادخلنى تانى.

كانت المرة الأولى التى ينطق فيها باسمها.. ما أجفلها بشكل ما.

حاول التوضيح أنها لن تضطر لانتظاره طويلا، ولكن لهجته لم تنشئ بأى نوع من أنواع الاعتذار.

نهضت مضطربة.. ألا تكفى هالة السلطة من حوله؟ الإتصالات أيضا تسانده أمامها.

خرجت دون كلمة، وصفقت الباب خلفها لتعلنه اعتراضها ربما، أو لتفرغ توترها الزائد.. كان معدّل هجوميتها الآن قد هبط لأدنى مستوياته، وحلقها جاف بشدة.

قررت أن تستغل الدقائق التالية لصالحها.. ستنتعش بعبوة عصير، وقطعة شيكولاتة.. استقلت المصعد إلى الطابق الأرضي.. لكن (جلال زين) رآها عند المدخل..

- صباح الخير يا (نورا).. إيه ال (Look) الجديد ده؟!

أى عينين مدهنتين يملك هذا الرجل بحق (الله)!

- إيه؟ مالك؟ فافشه من إيه كره؟!

- لأ ما فيش حاجة.. معلش يا (ميستر) (جلال).. أنا سايبه عربيتي صفة تاني.

- طيب أنا بس كنت عايز أقول لك إن (أحمد) ابن (منصور) بيه طلب مني أخصم لك ٣ أيام.

- إيه؟ هو طلب منك كره!!

- إوعى تزعلي مني يا (نورا).. أنا لقيتك كمان مش مسجلة حضور إمبراخ.. أنا علشان خاطر كملن أوصي الحاجه (ليلج) تشيك يوم.

تركته، وغادرت المبنى بخطى مضطربة، وعبرت الطريق إلى المتجر الصغير.. ابتاعت زجاجة مياه فقط، وأرادت أن تسكبها على رأسها حقا.

ارتشفت منها القليل وسارت لتطمئن على سيارتها علّ إحدى السيارتين الملاصقتين للإفريز تحاول التحرر.. حين تبينت خلفية سيارتها هرعت نحوها وعبرت الطريق شاعرة بعشرات الأشواك تنغرس فى فروة رأسها.

كان المصباح الخلفي الأيسر مهشما، ومتناثرا على الأسفلت.

الأم معدتها تصاعدت مع شعورها بالحرارة.. السائس المشبوه يجلس على درجات متجر لم يفتح أبوابه بعد، ويدخن سيجارته ناظرا لها بلا اكتراث.

سالت دموعها بصمت تام وهي تستقل السيارة وتحرك بها حتى أوقفتها فى ساحة الانتظار الحكومية.. وهناك أجهشت ببكاء حار.. لم تكن قد بكت منذ زمن.. لكنها أيضا لم تكن قد شعرت بكل هذا الضياع منذ مولدها.. اللحظات الفارقة فى عمر الأنثى هى تلك التى تشعر فيها بأن لا أحد يحميها.. هى يتيمة الاب منذ الطفولة، وتتظاهر بالصلابة منذ تركتها أمها وتزوجت.. شقيقها لم يكن يوما داعما أو يشعرها بوجود خط دفاعى كامن.. ولذلك إحساسها بالضياع الآن كان موجعا.. ظلت تتهانف برقة حتى بدأت تستكين.. كان الأخرى بها العودة لمنزلها، لكنها فضلت ألا تترك الأمور مُعلّقة ليوم آخر.. قد تنهار، أو يجن جنونها.. كما أن بكائها الآن أراحها نوعا.. مسحت وجهها، وتنشقت.. مطت نفسها لترى عينيها فى المرآة الداخلية للسيارة.. عدم النوم، والبكاء الآن جعلها منهنجا جمرتين حراوتين.. فتحت درج (التابلوه) والتقطت نظارتها السوداء وارتدتها بحسم، وغادرت السيارة.

دقائق وكانت أمام مكتب الرئيس.. سألت هذه المرة إن كان برفقته أحد فأجابتها السكرتيرة ناهضة من مكانها:

- لا يا (نورا).. هو وحده، ولكن انتظري أرجوك لأنه غضب من دخولك أمس عنده مباشرة.

أشارت لها (نورا) بيديها تستوقفها، وأمالت رأسها وقد طفح الكيل.. لم تطرق الباب هذه المرة.. اقتحمت الغرفة بطاقة غضب كافية لصعق الرجل.. والذي كان يجلس على مقعده متصفحاً ملف ما.

- أولاً.. لا أعلم من تظن نفسك، ولا يهمنى أن أعلم أيضا.. ولكن عليك أنت معرفة أننى لا أسمح لأحد أن يحدثنى كما فعلت بالأمس، وحتى لو كان هذا الشخص يملك فصلى من العمل أو حتى قتلى.

قام بإنزال الملف بيده على المكتب ببطء، ودل حاجباه المعقودان، وتلاعب عضلة بجانب فكه أنه ليس ممن يردون الهجوم بالدفاع فقط.

- ثانياً، وهو الأهم.. رؤيتك أننى غير كفؤة، ولا أصلح للعمل هنا لا تشكل فارقا بالنسبة لى.. ولكن أن تتهمنى بشئ يمس أخلاقى فقد تخطيت كل حدودك.. وما قلته يندرج تحت بند الوقاحة.

كانت ترتعد خارجيا وتنتفض داخليا.. نهض هو واقفا بنسق حركى بطى، وسألها وكأنه يستهين بكل ما تقوله مستحاثا لها أن تواصل وتفرغ ما لديها:

- وثالثا يا آنسة! هل هناك شئ آخر؟

لهثت كطفلة وهى تجيبه:

- نعم.. فكرتك عن إدارة الناس من خلال تحكُّمك فى أرزاقهم هى الفكرة الأكثر وضاعة فى تاريخ العمل منذ العبودية، وبدلاً من أن تتسلى بتوزيع قرارات الخصم على ملفى ما بين حين وآخر.. أنا مستقيلة، ولا أريد الاستمرار هنا.

- بالتأكيد.. يبدو أنك لا تحتاجين العمل هنا فى المطلق.. كنتِ تشغلين وقتك لا أكثر.. هه!!

قال هذا وهو يدور حول مكتبه ما جعلها تخشى الأسوأ.. هل يمكن أن؟ ارتعبت حين تحرك نحو باب الغرفة، وأغلقه قبل أن يستدير متقدماً نحوها. لو تركت الحكم لشعورها لوقفت مطمئنة.. هذا الرجل لا يبدو حقيراً أبداً، ولا يمكن أن يتصرف بوضاعة.. أما لو حكمت منطق الدنيا.. فقد اقتحمت مكتبه وصرخت فيه ووجهت إليه الإهانات.

وقف فى مواجهتها مُحترماً مساحتها الشخصية ليؤكد لها بذكاء أنه لن يرتكب حماقات مهما كانت رغبته فى ذلك.

ردت، وعلقها يؤلمها بشدة:

- ربما يكون العمل مهماً بالنسبة لى، ولكننى لا أسمح بالمساس بكرامتى.

- هل بإمكانك الاستماع أيضاً أم أن هذه الخاصية غير متاحة؟

كانت نبراته قاسية رغم تهكُّم كلماته.

لو رآه شخص يعرفه لانهش من ردة فعله.. لطالما كان عملياً أكثر من أى شئ آخر.. لطالما رأى الرفق، ومحاولة احتواء المرؤوسين أو الناس عموماً ما هما إلا مجرد هراء.

- اجلسى.

كانت فى أشد الحاجة لذلك لكن تفوهه بها كأمر صارم جعلها تتسمر مكانها. سمعته يهمهم بشئ بالإنجليزية.. بدا وكأنه يزمجر متأففاً، ثم أشار إليها بيده قائلاً:

- بحق (الله).. تجعلين الأمور صعبة جداً هنا.. هلاً تفضلت بالجلوس؟
(Please).

قال كلمته الأخيرة بالإنجليزية على نحو ممطوط فجلست.
مرت ثوانى من الصمت قبل أن يستند بكفه للمكتب قائلاً:
- أولاً.. لك أن تعرفى أننى لم أقصد توجيه إهانات شخصية، وليس هذا من طبعى.. نعم.. هناك عبارة تنطوى على حماقة قيلت لك بأمس.. ولكنها غير مُتعمدة على الإطلاق.. بعكس قولك لى الآن وبصراحة مطلقة أننى وقح، وماذا؟ وضع.

ارتبكت قليلاً فواصل:

- لا أحاول خداعك هنا، ولا أطلب اعتذاراً.

- لن أعتذر لك، ويبدو لى هذا عادلاً.. تعرف جيداً بم إتهمتنى.

صمت محققاً بلامحها الجميلة، ثم ضحك.

أطلق ضحكة جذابة خافتة تاركا أسنانه البيضاء تظهر لتمنحه بُعداً إنسانياً لطيفاً.

شعرت وكأنه صب الماء المثلج فوق حمم غضبها دون أن يدرى. وبغثة تحولت أصعب مواجهة فى حياتها العملية إلى أمتع شئ فى حياتها منذ زمن بعيد.
بهتت الضحكة بسرعة إلا أن ابتسامه ظلت مطلة من عينيه وهو يقول وكأنه لم يسمعها:

- وثانياً.. لم أحاول التحكم فى أرزاق الناس، أو إرهابهم.. أنا هنا فى مهمة.. أريد إنجازها والرحيل.. سواء كانت تتلائم ونفوس المحيطين بى أم لا.
- لا تنتظر منهم أن يحبوك، وأنت تعاملهم ك....
- مهلا لحظة.. لست هنا لكسب ودهم، ولا يشكّل حبهم لى أى قيمة.
- لن يقدموا لك ما تنتظره إذا ما اقتصرت رؤيتك لهم كمجرد تروس فى الآتِك.
- وفى هذه الحالة سأُنهي خدمتهم فوراً.
- تنهى خدمتهم!!
- وبلا تردد.. تتحدثون عن النموذج الغربى وكأنه أسطورة لن تصلوا إليها قط، ولا تنجحوا إلا فى أخذ القشور والتفاهات منه، ثم تعترضوا حين يتم تطبيق أول مبادؤُه!!
- لست بصدد مناقشة سياساتك لإدارة الشركة.
- ليس لك الحق فى ذلك أصلاً.
- هزت رأسها متأوهة بفهم..
- آه.. حسناً.
- ثم همّت بالنهوض فى نفس لحظة انحنائُه نحوها فعادت لتَهوى على المقعد بصمت.
- ولتعلمى أننى لن أقبل دخولك من هذا الباب، والصراخ مجدداً.. لو لم أكن أذكر العبارة التى تفوهت بها تحديداً لإِتخذت الأمور منى آخر تماماً.
- حدقت فيه، وقد بلغ عطره أنفها وكيانها.
- تعجبت قدرتها منذ قليل على مهاجمة هذه السطوة المطلقة!
- بدا وقد استعاد شخصيته الحقيقية كاملة، وإن لم تختف التماعه عبث من عينيه.

مد يديه بغتة وسحب نظارتها عن وجهها فالتقت نظراتهما..

- هكذا أفضل بالنسبة لى.

بللت شفيتها الجافتين بلسانها متممة:

- وما معنى هذا؟!

- ربما لا تعلمين أننى لست راضيا عمًا دار هنا الآن، ومعرفة أنك كنت

تبكين بسببى تُعوضنى نوعا ما.

انتزعت نظارتها من يده..

- ماذا؟ لم أكن أبكى بسببك بالتأكيد.. إنه ذلك السائس الـ يالك من

متسلط!! لا أصدق أنك قلت هذا حقا!

صمتت مغتاضة، ولم تفهم إن كان ما أطل من عينيه لثوانى هو إهتمام، أم

غضب لنعتهأ له بالمتسلط.

قالت كاذبة بعد ثوانى من الصمت:

- أنا فقط لم أنم بشكل كافى بأمس.. هل يمكننى أن أنهض الآن

وأنصرف؟

تراجع ببطء متمما:

- بالتأكيد.

نهضت وهى لا تعرف ما يمكنها قوله.. قال هو قبل أن تتحرك نحو باب

الغرفة.

- بخصوص عدم كفاءتك.. سنجرى غداً مراجعة لكل ملفات التسويق

خلال العام الماضى.. أمل أن يكون عملك بنفس مستوى.. صراخك.

حطّم بكلمته الأخيرة أحلاما عدة راودتها بخصوص إنهاء عبارته، ولكنها رغم

ذلك ابتسمت له دون أن تدرى، وهمت بالانصراف لولا أن استوقفها مرة

أخرى.

- سأخبرك بأمر إضافى لتعرفى كم أنا عادل.. الخصم كان لعدم وجودك

خلف مكتبك عندما مررت فى جولة بالرابعة والنصف.

غمرها الارتفاع حتى أن قشعريرة شملت أوصالها.. لو أنه سيوقفها هكذا طوال اليوم، ويتحدث بنظرته تلك.. فهي مستعدة للمبيت هنا.

خروجها من المكتب بدا مريرا جدا بالنسبة لها.

- يا آنسة.. أمر أخير.

استدارت له معترفة بداخلها أن تأثيره طال الأنسة بشكل بالغ.. ستقع إذا ما مر بجوارها أحد الآن.. فهي لا تلامس الأرض تقريبا.

- أنا.. أبدا.. لا أنسى الإهانات.

هبطت أرضا مع سبابته المرفوعة، وإعلانه الواثق.

إنه يخبرها أنها ليست آمنة تماما.. وأدت نظراتها العاطفية، وارتدت نظراتها مجيبة بهزة من كتفها وتمدد في شفيتها السفلى وكأن الأمر لا يعينها.

وغادرت مكتبه هذه المرة.

بلغت مكتبها بعد دقائق بصدر مثلج.. لا تريد لأحد أن يحدثها حتى لا يزول ذلك الخدر اللذيذ في أوصالها.

سألته إحدى زميلاتها عما إذا أرادت أن تأكل.. ونبَّهها ذلك إلى أنها تتضور جوعا، وإلى أنها لم تأكل شيئا منذ يومين تقريبا.. فطلبت طعام مع زميلاتها، وقبل أن يصل ظهر (أيمن رشدي).

(أيمن) أحد موظفي قسمها، ولكنه لا يستقر في المبنى كثيرا.. التسويق الخارجي هو مهمته، وما يجيده أيضا.

أبدى انجذابا للتغيير الذي شملها، وأطل من عينيه تعبيرا كان ليهجها في وقت آخر.. إنه مهذب بمقاييس العصر.. على الأقل يعرف حدوده جيدا.

استند على المكتب نصف جالسا، وبدأ يقص عليها، و(سلمى) نتائج آخر مقابلاته مع أصحاب الشركات.. كان يوليها إهتماما أكبر لكنها لم تكن تستمع إليه بانتباه.. كانت تسترجع أحداث صدامها مع (أحمد منصور).. هل كان هذا صداما حقا؟! هل ما دار منذ قليل كان تعبيرا عن ثورتها العارمة على شخص تجاوز حدوده معها؟ كيف سار الأمر على هذا النحو!!

أخذت تستعيد كل لحظة، وخصوصا حين خلع عنها نظارتها.
أليس هذا فعل ينطوى على الحميمية بشكل ما!! ما من أحد يمكنه فعل ذلك
إلا مع صديق، أو

"إيه الابتسامة الجميلة ده؟"

نبهها (أيمن) إلى أنها ابتسمت كالحالمة، فتعلّلت بتذكُّرها شيئا ما.
أرادت أن تطلب منه تأجيل حكاياته لوقت آخر، ولكن وصول الطعام رفع عنها
ذلك الحرج.. بدأت تأكل بنفس سرودها.. ربما يكون ما دار فى مكتب (أحمد
منصور) منذ قليل ليس بأمر عادى.

لقد هاجمته، وكان يدرك أنه يستحق هذا الهجوم فلم يرد بمثله.. أكّد لها فى
المقابل ما يبدو واضحا.. وهو أنه شخص لا يقبل الهزيمة بسهولة.. والعجيب
حقا أن يعتبر ما حدث هزيمة له، فهو لم يقابل ثورتها سوى بتبرير بسيط..
هو حتى لم يقدم اعتذارا صريحا.. لقد إمتص غضبها بخبرة، ومن الواضح
أنه لم يعان كثيرا فى التأثير عليها.. فقد تركته لتتوجه إلى مكتبها بعدما
كانت تنوى الخروج من عنده، والتوجه إلى منزلها، وعدم العودة مرة أخرى.
لو صحّت توقعاتها فمواجهتها معه لم تنته بعد.. ستلتقيه غدا لتناقش عملها،
واختياره للغد موعدا لذلك يجعله يمارس سلطته عليها كمدير مستعيدا كل
ما فقده من هيبة فى مواجهتهما منذ قليل.

تنبّهت على مناداة (سلمى) لـ (أيمن) بخفوت حذر.

كانت (سلمى) تلفت انتباه (أيمن) لخطر يحدق به من خلفه.

كان (أحمد منصور) يقف على بعد أمتار، وكأنه نشأ من العدم.. يمناه فى جيب
سترته، وعلى وجهه تعابير لا تنذر بخير.

قام بسؤال (أيمن) عن اسمه، وهو يرمقه بنظرة قاسية، ثم أشار له كى
ينصرف من أمامه إلى حيث يفترض أن يكون.

ازدردت ما بفمها من طعام تاركة شطيرتها على المكتب.. لماذا بدا - ودون
سابق إنذار وكأن الشرر يتطاير من عينيه؟!

- غير مسموح بتناول الطعام أثناء الدوام يا آنسة.
- أرادت (نورا) أن تنظر حولها كى تعلم إذا ما كانت الوحيدة المقصودة أم لا.. لكنها وجدت نفسها تومئ برأسها بألية.. فظل هو يرمقها بنظراته المتسلطة لثوانى، ثم استدار منصرفا مخلفًا وراءه صمت كئيب.
- احتملت (نورا) انقضاء الساعات بعد ذلك وهى تقاوم نعاسها، وأحست بالتعب وعدم التركيز فلم تنجح فى ترتيب الكثير من ملفات عملها استعدادا للمراجعة المرتقبة غدا.. وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة عصرا حين استدعاها (أحمد منصور) إلى مكتبه..
- أعلم أننا سنجرى عملية التدقيق غدا، ولكننى أردت سؤالك عنّ يمكن أن يفيد تواجدهم فى هذا الأمر.
- هل حاول تبرير استدعاؤه لها؟ لقد تحدّث بنبرات جافة، ودون أن يرفع عينيه عن شاشة (الكمبيوتر) الخاص به.
- حسنا.. سيادتك لو أردت مراجعة جميع الحالات، أو الملفات أقصد.. فسيتطلب هذا وجود (سلمى)، و(أيمن).
- وأنت؟!
 - لم تفهم سؤاله مباشرة..
 - آه.. بلى.. وأنا بالتأكيد.
- لاذ بالصمت لثوانى، وبدا وكأنه أنهى نص رسالة كان يكتبه ببرود على لوحة مفاتيح كمبيوتره.. ضغط زر الإدخال، وعاد بظهره فى المقعد.
- بدا لها متعبا رغم جمود ملامحه، ولمحت ضمادة طبية تغطى جزءا من كفه اليمنى.
- (أيمن) هو ذلك الذى كان يعتلى مكتبك، وكأنكما فى نزهة خلوية.
- أنا.. هو.. لم يكن
- حسنا.. و(سلمى) هى تلك التى تحاول جذب الأنظار إليها بأى طريقة.. لا تبدوا الأمور مُبشّرة.

تعجبت كيف يُصدر أحكامه بصوت مرتفع وبهذه الأريحية.. بينما يبدو ناعسا لامباليا!

لم تحب تقيمه لفريقها، أو ربما لها ضمن فريقها على هذا النحو.
- (سلمى) تولت عددا من الملفات الناجحة جدا فى تعاملات الشركة مؤخرا.

قالت ما ارتأته حق زميلتها عليها.. فرفع عينيه ناظرا إلى وجهها لثوانى..
- أخبريهما بضرورة تواجدهما هنا فى تمام التاسعة.
أومأت برأسها إيجابا، فنهض ليصبح مثلها.. لكن هذا أشعرها بضآلتها بدلا من أن يشعرها بالمساواة.

- أخبرينى من فضلك.. إذا ما خصصنا ساعة من الدوام للراحة.. فهل سيرحمنى هذا من رائحة الطعام فى المصعد، ومشاهدة أفواه الموظفين مملوءة بالشطائر والفطائر؟

لم تبد لهجته هجومية رغم أن الأرجح أنه يقصدها.. استعدت لحشد أسلحتها للدفاع، لكنه استطرد وهو يحرك أحد كتفيه العريضتين:

- طبيعة الموظفين هنا تدفعنى للحيرة.. لا أعلم كيف يمكنكم العمل مع كل هذه الفوضى.
- لا تبدولى الأمور بهذا السوء.
- هذا فقط لأنك جزء منها.

كيف لذلك المتعجرف أن يوجّه الإهانات، وهو يقف هادئا واثقا هكذا!! لم يكن حتى يمنحها فرصة الاشتباك معه.

حاولت إظهار كل ثباتها وإعتدادها وهى تقول:

- حسنا.. بإمكان سيادتك وضع الضوابط التى تراها.. حتى لو لم تناسبهم.. فسيسعون لتطبيقها بقدر إمكانهم.
- ولماذا سيفعلون؟
- لأنهم يتفاضون رواتبهم نظير ذلك فى المقام الأول.

- وأنتِ؟!
- أنا ماذا؟!
- لم لا تعدّين نفسك منهم؟ تتحدثين كما لو كنتِ أعلى منهم قدرا. تنهدت بخفوت وعمق محافظة على هدوئها أمام عينيه الفاحصتين.
- أنا مثلهم تماما - كموظفة فى هذه الشركة - وهذا لا يقلُّ من شأنى بأى قدر.

لدعة السخرية تألقت الآن فى نظرتة، وعلى طرف فمه..

- حسنا.. رد ذكى جدا.

- شعرت أن إنهاؤها الحوار سيبدو كنوع من القوة..
- هل من أوامر أخرى؟ هل يمكننى الانصراف؟
- لماذا يصر على التصرف بهذا التعالى! رجل مثله لا يحتاجها لإثبات سطوته من حين لآخر.

- كلا.. بإمكانك الانصراف، والنوم جيدا.. فهيتك مزرية. جزت على أسنانها بعد تلقى صاعقته الأخيرة..
- حسنا.. شكرا جزيلا يا سيد (أحمد).

هز لها رأسه بأجمل ابتسامة بغیضة رأتها، وخرجت من عنده تمنى خنقه. قضت البقية الباقية من الدوام تترنخ تقريبا وهى تحاول ترتيب الملفات التى ستقوم بعرضها غدا على المدير السخيف، وحدقت بلا فهم فى بطاقة صغيرة قدّمها لها أحد رجال أمن المبنى..

- إيه ده؟
- ده تصريح انتظار فى (جراج) الشركة يا أستاذة.
- أبوه.. أنا شايغة.. إنت بتدبّهلولى ليه؟
- عشان العقيد (إبراهيم) أمرنى أسلمه لسعادتك.

ظلت متعجبة تصرف عقيد القوات المسلحة المتقاعد الذى يتولى الأمن بالشركة، وأجهزت البطاقة الصغيرة على البقية الباقية من تركيزها، فلملمت

حاجياتها القليلة، وأخذت بعض الملفات متخذة قرارا بمراجعتها فى المنزل، وانصرفت مباشرة.

حين دلفت إلى شقتها كان الهاتف الأرضى يطلق رنينه منبئاً أن محاولات الوصول إليها مستمرة منذ الصباح.

أجابت الإتصال لتتلقى من أمها سيلا من الصراخ، والإتهام بالبرود.

- ما الذى حدث يا أمى لكل ذلك؟
- ألا تعلمين أن زوجة اخيك على وشك الولادة؟ يجب أن تذهبي إليها وتكونى معها.
- هل وضعت مولودها؟!
- إنها فى المستشفى، ولن أذهب إليها قبل الحادية عشرة مساءً.. اذهبي لتبقى بجوارها.
- لم أذق النوم منذ أمس.
- كفاك أنانية.. تعيشين لنفسك فقط.
- تعلمين بخطأ هذا.. كما أن من تريدينى أن أذهب لرعايتها لم تتصل بى يوماً، ولو عن طريق الخطأ.
- أنت لا تكثرئين سوى لـ (نورا).. زينتك، وأحذيتك، ومزاجك، وعملك، وسيارتك.
- لقد ارتديت الحجاب يا أمى، وتحتاج سيارتى لصيانة فورية، وكلمة مزاجى تلك توحى بأننى أعافر الخمر مثلاً.. ماذا أيضاً؟ كنت سأترك عملى اليوم.
- ارتديت الحجاب!! دون إخبارى!! هلى تعتبرينى ميتة؟
- أردت أن تكون مفاجأة.
- مفاجأة!! أنا بالفعل لم أنجح فى تربيتك.
- الآننى ارتديت الحجاب!!!!
- لا تندهشى من قلة أصدقائك.. فأنت إنسانة مُنْغرة.

- شكرا يا أمى.

أنهت أمها الإتصال، فأعادت السماعة إلى مكانها متنهدة بعمق. خلعت حجابها، ووقفت تغسل وجهها بالماء فى حمّامها الأنيق، وطالعت انعكاس صورتها فى المرآة بانفعالات مكتومة.

كانت تنوى الخلود إلى الفراش، والاستيقاظ فجرا.. ستضطر الآن للتوجه إلى الجانب الآخر من العاصمة لإبداء إهتمامها بزوجة شقيقها.. حسنا.. هى مهممة فعليا بدرجة ما.. كانت تتصل بهما كل بضعة أيام للاطمئنان على الحمل، واشترت لـ (منى) رداء يليق بفترة ما قبل الوضع.

ارتمت على فراشها شاعرة بالإرهاق.. وجدت هاتفها وقد فرغت بطاريته، ففردت ذراعيها بجوارها محدقة إلى سقف الغرفة.

لو كانت لا تهتم سوى لنفسها حقا لاستسلمت لنوم عميق الآن.. لكنها كانت تعلم أن هذا لا يناسبها.. لن تستطيع النوم، وسيتفاقم لديها شعور بالذنب يؤرقها لفترة.

نهضت بتناقل، وأوصلت هاتفها بشاحنه.. قامت بتشغيل جهاز التكييف، و (التليفزيون).. ذلك الأخير ونيس جيد إذا ما نجحت فى الابتعاد عن تلك الإعلانات الرديئة المنتشرة فيه كالطاعون.. ضبطته على قناة تهتم بالطهى والمطبخ، وبدأت تعد القهوة الأمريكية بالماكينه التى اشترتها مؤخرا.. شغلت هاتفها وقد استقرت على أنها لن تستطيع القيادة هذه الليلة.. طلبت شركة سيارات الأجرة التى لجأت إليها بضع مرات من قبل، ووعدوها بأن تصلها سيارة فى أقل من ساعة.

لم تنجح فى متابعة الوصفة على الشاشة رغم جلوسها أمام التلفاز فى الردهة.. أخذها عقلها إلى التفكير فى أمها قليلا.. معادلة إرضاء هذه المرأة عسيرة لدرجة الاستحالة.. ما يجعلها - (نورا) - أحيانا لا تحاول تحقيقها. راوغها عقلها ليستحضر صورة (أحمد منصور) - ابن رئيسها، أو هو رئيسها الفعلى الآن.

لماذا هو وسيم؟ ولماذا يحتفظ بهذا المظهر الرجولى الأسر؟ والده ليس رجلا وسيمًا.. وقد كان هو فى (الولايات المتحدة الأمريكية).. فلماذا لم يحاول التفرنج! أو حتى عدم الحفاظ على لياقته إلى هذه الدرجة! حتما رجل مثله لم يعان يوما فى الحصول على النساء.. على الأرجح سيكون موضع تهافت كبير.. رغم أنه حين يرتدى قناع الجدية يبدو وقورا بشكل واضح.

أحنقها أن يشغل عدوها تفكيرها على هذا النحو، مع تأكدها أنها لا تشغله بأى قدر.

سيدير باكرا جلسة عمل جدية، وسيحلل أدائها منذ إنضمامها للشركة، وإن لم يعجبه فسيقوم بطردها فورا.. فمن الواضح أنه يؤمن بالمال أكثر من أى شئ آخر.

نهضت لتعتمر ما يخفى شعرها وتعد نفسها للنزول.. كانت شاحبة جدا، ولديها انتفاخين أسفل جفניה.. بدت مزرية.. تماما كما أخبرها (أحمد) منذ ساعات قليلة.

- وإنه مالك يا غلس؟!

تمتت بذلك وهى تمط شفيتها الممتلئين إلى الأمام بضيق.

إتصل بها حارس العقار ليخبرها بوصول السيارة.

فتحت الدرج السفلى فى وحدة الأثاث الرئيسية بغرفة معيشتها.. حيث تحتفظ بكل مدخراتها.. لن يفوتها التعبير عن فرحتها بالمولود الجديد بمنح الوالد مظروفا به مبلغ من المال.. حسنا.. شقيقها (شريف) يقدر المال كثيرا.. كما أنها ليست فى حالة تساعد على التسوق من أجل الطفل.. تقديمها هدية نقدية على سبيل التهئة يناسب كليهما أكثر.

لاحظت أن المبلغ المتبقى بالدرج ضئيل.. ما يعنى أن مصباح السيارة المهشم لن يتم إبداله فى القريب.. إنها تنفق على نفسها ببذخ.. تدلل نفسها بشدة.. عزائها الوحيد فى ذلك أنها لا ترتبط بأى نوع من الديون أو الأقساط.. كما أنها راضية عن حياتها.. نعم.. هى كذلك.. إلى حد ما.

أطفأت أجهزتها والأضواء، وغادرت لتبدأ رحلتها.. لم تنس هاتفها هذه المرة..
كان نصف مشحونا لكنه متصل ب (الإنترنت).. ما سيسلّيها حتما فى الطريق.
استقرت فى السيارة التى إتخذت طريقها إلى المستشفى بحى (النزهة).
حين بدأت تفحص حساباتها الإلكترونية عبر الهاتف وجدت رسائل جديدة فى
الـ (Inbox).

كان (أيمن) يخبرها كم هى جميلة، وأن مظهرها الجديد ملائكى، وملابسها
تروق له أكثر من أى وقت مضى.

- إيه الكلام الجميل ده كله!!

كان متصلا وموجودا.. رد صادقا:

- ماجيش حاجه جنب اللج لسه ما إتقالش.

- ربنا بستر من اللج ما إتقالش ده.

كانت دائما ما تمزح فى مواجهة محاولاته إسباغ الدفاء على حواراتهما.

- اسمعى.. إيه رأيك تتفدى بكرة مع بعض بعد الاجتماع الرئيس؟

وجدت تسميته لـ (أحمد) بالرئيس منتقدة نوعا.. لكنها تناسب شخصيته

كثيرا.. فلن يعرب عن ضيقه منه، أو يطلق عليه اسما كـ (هولاكو) مثلا.

- ماشى.. لو الدنيا مشيت كوبس.. ناخذ (سلمى) ونخرج شويه.

- خلاص تمام.. ولو إننا مش ح تبقى عابزة ششى أكيد.

- إيه ده؟ ليه بعنى؟!

- إنتج عارفة (سلمى) بقى.. ح تلاقبها بتظبط نفسها للاجتماع من ساعة

ماروحت النهارده.

كانت تعرف (سلمى) بالفعل، وبإمكانها تصور هيئتها غدا.. على الأرجح

ستسعى لإبهار الرجل، وليس فقط لفت انتباهه.

- (أبحن).. معلش.. مضطرة أقفل دلوقتى.

أنهت المحادثة وأعدت الهاتف لحقيبتها، وبدأت تراقب المشاهد من النافذة.

تذكرت إعلان (أحمد) عن رأيه ب (سلمى)، وابتسمت.. ثم عاد وجهها للتجهم.. من الطبيعي أن يضايقها الأمر.. تصرفات (سلمى) عادة لا تروقها، وتصورُ أن تدلف تلك غدا إلى غرفة (أحمد منصور) ساعية لحبس أنفاسه أشعرها بالغثيان.

استعادت رغما عنها تلك الفرحة فى ملامح (سلمى) حين رأتها لأول مرة بالحجاب أمس.. على الأرجح شعرت تلك المسكينة بأن الساحة قد خلت تماما من أجلها الآن.

تململت (نورا) فى جلستها بالسيارة.. أعادت رأسها للخلف، وأغلقت عينيها. لم تصح من غفوتها إلا مع نداء السائق، ولم تستطع السيطرة على نبضات قلبها المحمومة وهى تشكره بصوت خرج مرتجفا رغما عنها. شعرت أن العيون مصوبة نحوها وهى تغادر السيارة وتعديل من هندامها بحركات رشيقة.

دلفت إلى مبنى المستشفى، والتقت (لمياء) عند المصاعد.. (لمياء) ابنة عمها.. وممن ظلُّ على علاقة جيدة بها وب (شريف) بعد وفاة والدهما.. لا تظهر سوى فى المناسبات، ولكنها ودود، ولا تعاتب أحدا.. تعلم أن لكل ما يشغله.. متزوجة، ولم يرزقها (الله) بأطفال بعد.

- تبدين كالملائكة يا حبيبة قلبى و(الله).

أشادت بحجاب (نورا)، وعيناها فرحتان..

- من الذى نجح فى معاونتك على خطوة كتلك؟ قولى أنه شاب وسيم نقتله الغيرة.

ضحكت (نورا)..

- لا يا (لمياء).. قرار ذاتى دون أى معاونة خارجية.

أخذت (لمياء) تدعو لها.. وهزت (نورا) رأسها راضية جدا.. (لمياء) لم ترتد الحجاب سوى بعد زواجها، وتعلم بالتأكيد بصعوبة القرار.

حين وصلنا للغرفة كانت (منى) لا تزال فيها، ومعها (شريف) الذي اقترب من شقيقته بعد انتهاء تحية اللقاء، وسألها همسا:

- وده نزوة، ولأ على طول يا حاجة (نورا)؟
- قول لي حاجة واحدة عملتها كانت نزوة، ورجعت فيها.
- وأمك عارفه بقى؟!
- أه عارفه.. هو إنتو عندك مشكله مع الحجاب؟
- وإنتي وشك أصغر ليه بقى كده؟ زي ما تكون (طبا) كانت بتقول لك سر الهرم الأكبر؟
- لأ أنا مش نايمه كويس بس.. مش ملاحظ أن أسنلتك كثير أومي؟

وأشاحت عنه منهية الحوار، فتحرك ليتحدث مع (لمياء).

لو علم سبب اضطرابها لكانت فضيحة كبرى.. شقيقته لا تزال أحلام المراهقات تراودها.. لو كانت تعلم أن غفوتها القصيرة ستؤدى لذلك لما غفت أبدا.

- سأذهب لشراء بعض العصائر.

استوقفها (شريف) حاسما:

- المبرد ملئ بالعصائر.. خذي ما تشائين.

كانت ترغب فى التحرر من الرفقة، بخلاف رغبتها فى ما يربط حلقتها الجاف. مرت الدقائق بطيئة، وقد إتخذت مجلسها بين (شريف) و(لمياء) مجبرة على أن تكون جزءا من حوارهما بصوت خفيض عن ذكريات الطفولة، واختلاف الحياة، وشعور (شريف) كأب مرتقب.

كانت الساعة قد جاوزت التاسعة بقليل حين تلقت (لمياء) إتصالا من زوجها، فنهضت لتستقبله عند المصعد، ورافقها (شريف)، فنهضت (نورا) لتقف عند النافذة متطلعة إلى الشارع الهادئ.

- من أنت؟

سمعت (منى) تسألها، فاستدارت لها باسمه:

- أنا يا (منى).. (نورا) يا عزيزتى.
- (نورا).. يا إلهى! مظهرك غريب جدا.. اختلاف تام.
- أليس هكذا أفضل؟
- بالتأكيد لا.. عم تتحدثين؟ تبدو هيئتك بشعة مقارنة بالسابق.
- المهم الآن أن نطمئن عليك.. كيف حالك؟
- متعبة جدا، أكاد أجن.. لو علمت بقدر المعاناة لما قررت الإنجاب قط..
- أين (شريف)؟
- إنه يحضر (وائل) زوج (لمياء) ابنة عمى من الأسفل.
- وصل (شريف) بعد ثوانى، فسألته زوجته عن الطبيب، بينما أثرت (نورا) الانسحاب بهدوء.
- كنت أخبر (وائل) عن هذه المفاجأة.
- صاحت بها (لمياء) عند باب الغرفة، واستقبلت وزوجها (نورا) بابتسامتين واسعتين.
- كان (وائل) ممتلئا قليلا، وله لحية خفيفة.. كان لطيفا وعلى سجيته، والعجيب أنه تحدث كما لو كان قد مر بتجربة الحجاب مسبقا!!
- قد تواجهين انتقادات، وتعانين نفسيا لفترة.. كلنا نحب إرضاء غورونا، والرغبة فى إعجاب الآخرين غريزة أنثوية على الأرجح، وستفاجئين بأن المعجبين ينفضوا عنك.. كل هذا زيف، واصطناع.. لا تثقى سوى بمن يحترم (نورا) لشخصها.. أيا كانت ملابسها، وأيا كان مظهرها.
- عَقَبَت (لمياء) ضاحكة، وهى تتأبط ذراع زوجها..
- لقد عانت شقيقته كثيرا فى الجامعة بعد ارتداء الحجاب.
- واستمر (وائل):
- لن تنجى فى التصدى للضغوط لو لم يكن لديك القناعة الكافية..
- صدقيني.. لا تستهينى بالأمر.. لو لم تملكين الإيمان التام بأنك على صواب.. فستخلعينه بعد قليل، وستُقبلين حينها على ملابسك القديمة

إقبالا مضاعفا.. من الرائع أن فعلت ذلك قبل زواجك.. فهذا يدل على عدم تعرضك لضغوط من أى نوع.. لكن لن أقول لك سوى شئ واحد.. تحلى بالصبر.

لم تتمكن (نورا) حينها من الحكم على كلامه بشكل كامل.. هل يبالغ؟ أم أنه محق بدرجة كبيرة؟ لم تستطع الجزم.
حاولت زوجته إيقافه ضاحكة:

- كفاك يا (وائل).. تشعرها وكأنها ستصاب بالجنون فى نهاية الأسبوع.
- أحاول دعمها فقط.. أدمم كل من يحاول السير ضد التيار.
سألته (نورا) وقد لفت تعبيره انتباهها:

- هل تشعر أن ارتداء الحجاب سيرا ضد التيار؟
- حسنا.. سأكون صادقا معك يا (نورا).. أعرفك منذ أربع سنوات، وزوجتى تحبك جدا.. أنت تعيشين وحدك، وترتدين كل ما ترغبى به من ملابس تساير الموضة، وما من أحد ينصحك بشئ أو ينهاك عن شئ.. ونحن فى ذلك الزمن الذى أقف فيه بسيارتى فى زحام أثناء الليل، وأكتشف أن سببه هو مرور شابة ترتدى تنورة قصيرة.. عذرا لابتذال المثال.. لكن هذا هو واقعنا، وهناك مئات بل آلاف الأمثلة.. تلك الراقصة التى تعد من أكثر الموضوعات التى يتحدث عنها شعبنا.. هى غير مصرية، ولكنها جاءت لمعرفتها بأنها ستنجح هنا وتصبح حديث الساعة لمجرد أنها بالغت فى تعرية جسدها، وحين أجد من يتحدثى كل تلك الظروف وحيدا فمن واجبى أن أشجعه.. بعيدا عن مسائل تشريعية وفقهية.. فالعرى فى حد ذاته فيه رخص للمرأة.
- (وائل) حبيبي.. لقد أصبتها بصداق نصفى فى جانبي رأسها.

ضحكت (نورا)، وقالت صادقة:

- لا والله.. لقد أسعدنى حديثه.

كان (وائل) لا يزال محتفظا بتعابير وجهه التى تُشعرك وكأنه فى مهمة ما..

- لو رغبت يوما فى بعض العون النفسى.. أعرف شيئا جليلا سيسعده ذلك.
- هزت رأسها ممتنة لصدقه، ورغبته فى مساندتها، ثم أعلنت زوجته:
- زوجة عمى حضرت.
- كانت والدة (نورا) قادمة من عند المصعد، وعلى وجهها نظرة متفحصة.. فكرت (نورا).. حتى لو لم يعجب مظهرها أمها.. على تلك الأخيرة عدم إعلان ذلك أمام أحد.
- صافحت الأم (لمياء)، و(وائل)، ثم أشارت نحو (نورا) بجبين مقطب:
- **مين الفلأحة دى؟!**
- حاولت (نورا) الابتسام لتجاوز حرجها.. لكن (وائل) قال:
- سأدخل للاطمئنان على (منى).
- تقدمته الأم إلى داخل الغرفة قائلة:
- خذنى معك.
- التفت الرجل إلى (نورا)، ومنحها نظرة مواسية مشجعة، فابتسمت له، وهزت رأسها.
- رافقته (لمياء) إلى الداخل لأنها لم تعلم ما يمكنها قوله لابنة عمها فى موقف كهذا.
- تسمرت (نورا) كتمثال.. تنظر إلى أرضية الرواق بجمود.
- بللت شفثيها بلسانها بعد قليل، ثم ولجت الغرفة..
- سأضطر للانصراف الآن يا جماعة.. سأتصل بك صباحا للاطمئنان يا (شريف).
- لم تخطف وتعلن عدم وجود سيارتها معها.. لو فعلت لما أفلتت من عرض (وائل)، و(لمياء) توصيلها، وسيورطهما ذلك فى رحلة قد تتجاوز الساعة.
- حيث الجميع، وختمت بأمها:
- تصبحين على خير يا أمى.

- انتظري.
- رافقتها أمها للخارج، وتصلبت وكأنها تخوض معركة..
- ما قصة الحجاب تلك؟
- ماذا عنه؟ لا قصة أو شئ.. أردته، وشعرت بميل لارتدائه ففعلت.
- لفترة؟ أم بشكل دائم؟
- لن أخلعه بإذن (الله).. لماذا يزعجك؟
- تزوجى أولاً.
- وما الفارق؟ هل سيحبني لشعري؟
- لا أريد تفلسفا.
- امى.. لم تعترضى حين ارتديت لباس بحر من قطعتين.. توقعت أن تتفاجئى، ولكن ليس عليك خوض معارك خاسرة لتغيير الأمر.
- أغربى عن وجهى إذن.
- كنت فى طريقى للانصراف بالفعل.. طابت ليلتك يا امى.
- هنأت (نورا) نفسها وهى فى طريقها للمصعد.. لم يرتفع صوتها بمقدار ديسيبيل واحد.. لم تنتابها ذرة من العصبية أثناء الحوار القصير.
- ورغم عدم بلوغ الساعة للحادية عشرة إلا أنها وجدت السائق قد حضر، واستغرق فى النوم على مقعده.
- طرقت له على الزجاج، وصعدت إلى السيارة مشتاقة لبيتها بشكل عميق.
- لم تنم فى الطريق رغم تعبها، وحركة السيارة.. ظلت تفكر فيما قاله (وائل)، وفى ردة فعل امها.
- بخصوص ما قاله (وائل).. فكله لا بأس به، ولكنها أقوى من ذلك.. حسنا..
- تعتقد أنها أقوى كثيرا من أن تعانى معاناة فتاة الجامعة شقيقته.. لقد حصلت على نظرات إعجاب تكفيها لعمرها كله، وشعرت بأنوثتها حتى أصيبت بالملل، ومن غير المعقول أن

تذكرت بغتة ما فعلته صباح أمس - أم أنه كان اليوم؟ - حين أرادت بشكل مرضى أن ترتدى أحد أطقمها القديمة.. وَمَصَّت الذكري فى رأسها لتشعرها بارتباك شديد.. لقد دفعها (أحمد منصور) لهذا التفكير ولو بطريق غير مباشر، وشعرت بضيق جارف منه، والأحرى أن تكرهه كما تكره كل ما يشعرها بالضعف.

حين وصلت منزلها أضائت الردهة، والمطبخ، وغرفتها كما هى عاداتها.. لكنها أُلقت حقيبتها على الفراش، ووقفت تطالع صورتها وهيئتها فى المرآة.. لم تعلن عيناها شيئا، لكن عقلها كان يعمل بنشاط.

خلعت ملابسها، وارتدت منامة وردية اللون.. أعدت كوبا من اللبن الدافئ، وألقت نفسها على أريكتها الضخمة أمام التلفاز.. أفضل ما فى هذه الأريكة أنها تشعرها وكأنها تحتضنها.

ورغم اقتراب الساعة من الواحدة بعد منتصف الليل لم تشعر بالنعاس الذى كاد يلتهمها فى السادسة من مساء أمس.

أخذت تتنقل ما بين المحطات التليفزيونية بنشاط.. بضعة أفلام شاهدتها عشرات المرات من قبل، وبعض الإعلانات المطولة عن مروحة، وطاقم أطباق بشع، وثمة شاب رث الثياب يتقافز ويصرخ أمام الكاميرا داعيا المشاهدين للإتصال به لحل مسابقته والفوز بعشرة آلاف دولار.. بجواره صورة لـ (عادل إمام)، وسؤال الجائزة عن هوية صاحب الصورة.

- لا يا صاحج.. عش (منى زكى).. بُصن للصورة كويس. وحاول مرة ثانية.

انفجرت ضاحكة دون سابق إنذار حين شعرت أن ذلك الشاب، وفريق عمله يظنونها ساذجة إلى هذه الدرجة، أو ربما يخاطب البرنامج المخابيل فقط بحيث يعتقد أحدهم أن صورة لـ (عادل إمام) هى صورة لـ (منى زكى)!!
كان الخدر قد بدأ يذب فى أوصالها عندما تذكرت اللحم الذى روادها فى طريقها إلى المستشفى، فتسارعت ضربات قلبها، وتنبهت أعصابها بتوتر. ظلت على الأريكة وإن نقلت جلسرتها عدة مرات من جانب إلى آخر.

لم تعرف متى نامت، ولكنها استيقظت قرابة السادسة صباحا.. فنهضت
بآلية، وأطفأت (التليفزيون)، والأضواء.. جرعت قدح من الماء فى المطبخ،
وحاولت عدم التفكير فى أى شئ كى لا تستفيق كليا.
قامت بتشغيل جهاز التكيف فى غرفتها، واستلقت فى الفراش بتعب واضح.
تذكرت الاجتماع الذى ينتظرها اليوم فبدأت تتقلب كالمحمومة حتى أقلت
وساداتها إلى آخر الغرفة بسخط، ونهضت بهمة اعتراض.
حصلت على دُش بارد، وأعدت إبريقا من القهوة الأمريكية، وجلبت الملفات
من على الطاولة بجوار الباب.. الملفات التى أحضرتها معها من الشركة
لتعمل على مراجعتها، وتدوين حقائقها الرقمية فى ورقة واحدة.
عكفت على ذلك - شاعرة بأنها تشدح أسلحة للدفاع عن نفسها، ولم تنته
سوى قرابة الثامنة، فأسرعت إلى المطبخ متلهفة لفظور تعدده لنفسها يُحسِّن
من حالتها المزاجية.. لكن الوقت كان يمضى سريعا، وإضطرها ذلك لوضع
البيض فى شطيرة، وتناولها على نحو متقطع أثناء ارتداء ملابسها.. فلم تكن
تريد التأخر عن موعد التاسعة فى مكتب (أحمد منصور) ولو لدقائق.
ارتدت (جونلة) بيضاء طويلة، و(بلوزة) بلون كحلى تعلوها سترة قطنية
بيضاء طويلة الأكمام.
إتخذت وهى تغادر المنزل قرارا بالأ تستقل سيارتها.. ربما لسبب واقعى..
وهو لئلا يعاندها الزحام، أو الوقت وتوتر، وربما لسبب معنوى وهو عدم
رغبتها فى قيادة السيارة بمصباحها المهشم.
وجدت سيارة أجرة بشكل سريع فحاولت الاسترخاء، وهى تُجهز على الباقي
من شطيرة البيض.. تقضم قضمات صغيرة فى الخفاء كطفلة، وتسترق
النظر فى المرأة الداخية إلى السائق، وكأنه سيطالها بنصيبه لو رآها.
عاندها اختناق مرورى غير مبرر فى منتصف الشارع الذى يضم الشركة..
فأخذت الدقائق تمضى، و(نورا) تشعر بقرب هدفها، وبعده فى ذات الوقت.. لو

كانت الأجواء شتوية لغادرت السيارة وأسرعت الخطى إلى المبنى المنشود..
لكن الحرارة كانت شديدة.

انتهى بها الأمر تطرق باب غرفة الرئيس فى التاسعة، وعشرين دقيقة
متمنية أن تكون أول من وصل من أطراف الاجتماع.. لكن كعادة تلك
المواقف.. كان (أيمن)، و(سلمى) على طاولة الاجتماعات ينظران إليها بتوبيخ..
بينما يجلس هو على رأس الطاولة حليقا أنيقا بحلة سوداء.. مسيطرا مؤثرا
كعادته، وينظر نحوها بملامح يعلوها قناع من الجمود.
أغلقت الباب محاولة الابتسام..

- أنا آسفة جدا.

تقدمت منهم، وكادت تتعثر حين شعرت به يتابعها بعينين لا ترمشان.
جلست بجوار (أيمن) الذى كان يجلس على يسار (أحمد) متممة بتحية
الصباح.. رد زميلاها بينما ظل (أحمد) صامتا.
بدأت تخرج الملفات من حقيبة قماشية وهى تتفادى النظر إليه.. فى حين
شرح لها (أيمن) بحماس:

- الرئيس لديه خطة تسويقية جديدة يريد وضعها حيز التنفيذ، ولكن
بعد إغلاق كل الملفات المفتوحة حاليا لإدراج الخطة فى سنة مالية
جديدة.

- وبصفتك حاصلة على دورات معتمدة فى التسويق، والتسويق
الإلكترونى يسعدنى سماع رأيك ببرنامجى.

قال (أحمد) ذلك بلهجة محايدة تماما.. لم تشعر أنه يعلى من قدرها.. كانت
أكثر ميلا إلى أنه يسخر منها.

- سيسعدنى ذلك.

قالتها بثقة، وكأنها كبيرة خبراء التسويق على الكوكب.
تراجع (أحمد) فى مقعده قائلا بحسم:

- فليكن.. دعونا نبدأ مناقشة ملفات عملكم فى الفترة الماضية.. إبدئى يا (سلمى) من فضلك.

استحضرت (سلمى) أكثر طبقات صوتها رقة، وبدأت فى التحدث.. حاولت أن تبدو طريقة عرضها وتلخيصها أنيقة، ففضحها الاصطناع، وعابتها الإطالة. انتبهت (نورا) إلى أن (سلمى) بالغت كثيرا فى التحضر للاجتماع بالفعل. هزت رأسها بمزيج من عدم الرضا، والحسرة وهى ترى أكوام الطلاء على وجه زميلتها.. بالإضافة إلى أن قميصها المفتوح كان يكشف جزءا من صدرها.

كان (أحمد منصور) مستمعا جيدا كما يبدو.. يعتصر محاوره بنظراته فقط.. لن تنظر إليه وهى تناقش إنجازاتها مؤخرا.. ستلتئم على الأرجح إذا ما واجهت نظراته النافذة العميقة تلك.

- ما رأيك فى هذا الأمر؟!

كان ينظر إليها متسائلا، ولم تكن تعرف ما يردها أن تبدى رأيها فيه. وبدا كمن أزاح عن صدرها حجرا حين قرن سؤاله بأخر توضيحى.

- أن نكتفى بتسويق اسمنا عبر مواقع التواصل الإجتماعى فى الوقت الحالى!!

- آه.. حسنا.. لدينا حسابات باسم الشركة على معظم تلك المواقع، ونقوم بالإعلان فيها عن نشاطنا بشكل رسمى.. لكن لدى فكرة بسيطة نملك تنفيذها فى الوقت الحالى، وبسهولة.. نصنع فقرات (فيديو).. (3D) أو حتى (2D) نسجلها كملكية فكرية، ونقدم فيها رسالة سريعة هادفة.. محاولة للتأثير فى المجتمع فى هذه الفترة، ويظهر اسم الشركة فى نهاية كل فقرة بطريقة "إهداء من"، ولدينا فى قسم التطوير من يجيدون برامج الـ (Animation) والـ (3D) بشكل رائع.. لن نحتاج حتى للتعاقد مع مكتب أو (Studio) متخصص.. هذه فكرة

لتطوير الدعاية عبر هذه المواقع.. لكن أن نقصر دعايتنا عليها فهذا سيكون رهان غير مأمون العواقب.. فجمهورها - هذه المواقع - رغم إتساعه، وتنوعه الأيدولوجى.. قد لا يضم جمهورنا المستهدف من موظفى الصف الأول، أو الثانى فى المؤسسات التجارية المصرية، والذين تزيد أعمارهم - فى الغالب - عن ستين عام، وهؤلاء لا يهتمون بمواقع التواصل الإجتماعى بشكل كبير.. على الأقل حتى اليوم.

حين انتهت كان هو متراجعا فى مقعده يعبث بقلم بين أصابعه.. بدا شاردا

لثوانى قبل أن ينظر إلى (سلمى) قائلا:

- إذن فكرتك مرفوضة يا (سلمى).

- ولكن استخدام هذه المواقع يشبه الحمى الآن، ويجب أن

استوقف (سلمى) بإشارة من كفه، وعاود الالتفات إلى (نورا)..

- ماذا عن الرسائل التى تتضمنها الفقرات؟

- لدينا الكثير من القضايا التى يمكننا طرحها فى المحتوى.. عدم إلقاء

القمامة.. مساعدة كبار السن.. الالتزام بقواعد المرور.. عدم التدخين

فى الأماكن العامة.

- والتحرش الجنسى.

أضافت (سلمى) القضية الأخيرة، فالتفتوا إليها.

تابعت:

- لم أعد قادرة على السير فى الشارع دون الاستماع لعبارات قذرة..

أقصد خادشة للحياء.

- سنرى ذلك.. (نورا).. هل بإمكانك إعداد تصورا كاملا مكتوبا للفكرة.

- بالتأكيد.

ردت (نورا) بسرعة، وهى تشعر لأول مرة بأن اسمها يُنطق بطريقة لطيفة.

دوّنت مُذكرة صغيرة فى مُفكرتها.. فى حين طالب (أحمد) (سلمى) بأن تواصل مناقشة الملفات التى تولت مسئوليتها. حاولت (نورا) ألا تصرف انتباهها عن الحديث العملى، ولكنها لم تنجح فى منع نفسها من النظر إلى جانب وجه (أحمد) بين لحظة وأخرى. وطال الاجتماع جدا.. أشارت الساعة إلى الوحدة ظهرا، ولم تكن (سلمى) قد انتهت بعد.

- هذا الملف الأخير لشركة إنشاءات كويتية، وعقدهم معنا بعشرة ملايين، وعملنا أنا و(أيمن) عليه معا.
- حسنا.. سنناقشه بعد استراحة قصيرة.. سأطلب شاى وقهوة لنا جميعا. نهض.. ففعل (أيمن) مثله سائلا (نورا):
- ألن تأت معى إلى المقصف؟
- كلا.
- ماذا بك؟ هل أنتِ على ما يرام؟
- أنا بخير يا (أيمن).. حمدا لله.
- هل أحضر لك شيئا؟
- لا.. لا.. شكرا لك.
- حسنا.. لا تنس أننا سنتناول الغداء معا اليوم.

ظلت على الطاولة وحدها، وإن استرخت فى جلستها.. لاحظت أن (سلمى) تتبع (أحمد) كظله، وأنها ترتدى تنورة تكشف عن ساقها، وتنتعل حذاء تكاد لا تستطيع السير به لارتفاع كعبه.

هزت رأسها بضيق، وهى تتابع سلوك (سلمى) المنتقد، وكادت تشهق حين رأت تلك الأخيرة تنحنى عند مكتب (أحمد)، وتستند إليه - المكتب - بمرفقيها.. ما الذى تفعله تلك المخبولة بالضبط!! على الأرجح يرى (أحمد) الجالس فى مقعده الآن.. كل شئ تقريبا.

أنهى (أحمد) إتصاله بـ (البوفيه)، وانهمك فى فحص الخطابات التى وضعتها السكرتيرة على مكتبه باكر .

- عذرا يا (سلمى) .. أتركينى قليلا من فضلك.

عادت (سلمى) أدراجها إلى مقعدها عند الطاولة.

- ما الذى تفعلينه بالضبط؟

لم تنجح (نورا) فى كبح السؤال الذى خرج منها شبه متفززا.

- ماذا يا (نورا)؟ ما الذى يزعجك الآن؟!

- ما يُزعجنى هو ذلك القالب الذى تقدمين نفسك فيه.. بحق (الله)..

لماذا تبالغين إلى هذا الحد؟! لو كان (منصور) بك هنا لحولك للتحقيق.

- حسنا، وهو ليس هنا.. وابنه متفتح، وكان يعيش فى (أمريكا).. ولو

كنت رأيت كيف كان ينظر إلى حين رآنى فى الصباح.. لكنت.. أ..

سعدت من أجلى.

عاودت (نورا) هز رأسها غير راضية، وأثرت إغلاق فمها.

هبت (سلمى) من مقعدها وابتسمت بخبث حين ناداها (أحمد).

- تحت أمرك يا رئيس.

طلب منها تصوير بعض المستندات فهرعت لتنفيذ أمره، وظل هو منغمسا فى قراءة بضع أوراق لدقيقة أو يزيد، وأبعدت (نورا) نظرها عنه حين نهض من مكانه.

عاد ليشغل مقعده على رأس طاولة الاجتماعات.. وضع (الكمبيوتر) المحمول الخاص به أمامه مفتوحا، وبدأ يكتب أشياء ما على لوحة مفاتيحه.. مستعملا يسراه فقط.

- قد نتأخر قليلا اليوم فى العودة لمنازلنا.

لم يرفع عينيه إليها.. لكن نبرته أجبرتها على أن تجيب:

- لا مشكلة فى ذلك.

رفع عينيه عن شاشة جهازه حين كانت تحقق فى يده اليمنى التى لا يستعملها.. ويرخيها مفرودة على الطاولة.
كانت تنظر لخاتم الخطبة.. لكن الضمادة الطبية التى تغلوه بسنتمتر كانت تضمن غطاء جيدا..

- سلامتك!

قالتها باندفاع بعد صمت.. فخرجت خفيضة أقرب للحشجة.
رفع كفه، وضم أصابعه كأنه يثبت قدرته على تحريكها، وقال ساخرا:
- هذا لاشئ.. كنت أفرغ بعض الطاقة فى وجه أحدهم.

ابتسمت لابتسامته، ولتحريكه يده كأنما يلکم الهواء.
تخيلته يصارع أحدهم حقا، واعترفت أن حُله الكاملة لا تنجح فى إخفاء بنيته العضلية التى تلاقى إهتماما ملحوظا منذ سنوات على الأرجح.

- كنت أعتقد مثلکم أن الأمور ستمضى بشكل أسرع.. عذرا لو أن عملنا هنا سيُفسد خروجك، وأيمن) للغداء.

لم يكن يعتذر حقا.. كانتا نبرته، ولهجته تؤكدان لامبالاته التامة بالأمر..
لكنها أصرت على التمسك بحقها فى قبول الاعتذار..

- لا عليك.. سنفعل فى يوم آخر.

نظر فى عينيها مباشرة.. لو علمت بعد ذلك أنه يملك قدرات عقلية خاصة فلن تستغرب ذلك.. وجدت نفسها لا تشيح عنه، ولا ترمش.. حتى أنها جفلت نوعا، وموظف (البوفيه) يضع صينيته قربها.. متى طرق الباب ودخل؟ لم تكن تعلم.. لكنه سأل (أحمد) إذا ما أراد شيئا آخرا، وانسحب سريعا.

ساد الصمت لثوانى.. شعرت أن من الذوق أن تسأله عما يشرب، وإن كان رفضه سيُمسى محل إمتنان حقيقى.. كانت واثقة من أنه لن يرفض.. بل وربما يطالبها بمزيج من الشاي والقهوة، وحبذا لو أضافت سكرًا أمريكيا لراغبي الحمية غير متوافر بالصيديات المصرية.

- أنت غير مضطرة لذلك.. سأفعل هذا بنفسى.

- فاجأها بجوابه حين سألته، وأنهاى قوله ناهضا، وهو يردف:
- حين يسألنى بعض الناس عما أشرب.. أفكر فى أنهم يريدون وضع السم فى كوب واحد فقط.
 - ماذا!؟
- نهضت شاعرة برغبة فى الدفاع عن نفسها أمام فكرته المتطرفة.
- التوى ثغره بابتسامة وهو يتفادى مقعدها ليمر من خلفه، ثم قال ببساطة:
- لا عليك.. يمكننى تفهم ذلك.
- وضعت ذراعها كحائل لئلا يصل للصينية، وقالت بإصرار أدهشها شخصا:
- أنا لا.. سأعد لك ما تريد.
- كادت تقول له "أنا لا أكرهك إلى هذه الدرجة" لكنها حادت عن العبارة فى اللحظات الأخيرة.. التفتت إليه مكررة بألية، وبلهجة أكثر ليانا:
- سأعد لك ما تريد.
- انتبهت كم هو قريب منها.. بل إن صدره يلامس ذراعها تقريبا.. أرخت ذراعها وقالت محاولة التعتيم على حالة من الوهن المباغت أصابتها:
- ولا أحمل أى نوع من السموم.
- بدا لها وكأنما مضى دهرا، وكأنما عطره هو هوائها منذ مولدها قبل أن يقول متراجعا:
- حسنا.. قهوة.. ملعقة سكر واحدة.. من فضلك..
- ازدردت لعابها وهى تصب قدحا من أول إبريق لامسته.. لم تنتبه لكونه شايا سوى قبل أن تقدمه له.. حاولت التعتيم على نفسها مجددا..
- (سلمى)، و(أيمن) تأخرا.
- علمت أنه يفحصها بنظراته، وهو يجلس فى مقعده مرة أخرى، ثم سمعته يقول:
- يمكنك الذهاب لرؤيته.

لم تنتبه للضمير الذى استعمله.. قدمت له قهوته بعدما أحاطت الكوب الورقى بمحرمة ورقية.. شكرها فى نفس لحظة طرق الباب، ودخول (سلمى) و(أيمن) منه.. نحى (أحمد) الورق الذى أحضرته (سلمى) جانبا ليواصل الاجتماع المغلق.

فاجأ (نورا) أنه طالب (أيمن) باستعراض ملفاته بعد ما فرغوا من مناقشة الملف الذى يجمع بين (سلمى)، و(أيمن).. لكنها لم تُبدِ اعتراضا.. لم تجتهد لإبداء آرائها من حين لآخر، لكن (أحمد) كان يسألها فى بعض النقاط فتجيبه ببساطة.

منذ سنوات طويلة.. تحديدا عشر سنوات.. لم تشعر بالرغبة فى النظر لوجه رجل ما.. هذا إذا كان (هشام) حبيبها الأول والأخير كان يُعد رجلا وهما فى الجامعة.. لقد عبث بمشاعرها لعامين متتاليين، ثم هجرها وكأنها مريضة جذام.

على الأرجح صار فراغها العاطفى يسيطر على كيانها كله ويحوّلها لمراهقة مجددا دون أن تدرى.. مراهقة تغفو لتحلم بمديرها الجديد يعانقها بحرارة وشغف فائقين.

سعلت حين ضلت جرعة من القهوة طريقها لحلقها.. حاولت الابتعاد بمقعدها قليلا كيلا تعيق الحديث.. لكن هذا توقف، والتفت الجميع إليها.
- أنا أسفة.

قالتها بوجه محتقن، وعينين دامعتين.
أسرع (أيمن) يفتح لها زجاجة مياه معبأة صغيرة، ويقدمها لها.. جرعت منها محاولة استعادة أنفاسها.

- حسنا.. هل تريدين الانصراف؟
- سألها (أحمد)، وبدا كمن يريد لها أن تنصرف.
- أنا فقط.. ابتلعت بشكل خاطئ.
- حسنا.. تابع كلامك يا (أيمن).

- تواصل الاجتماع لنصف ساعة أخرى، وحتى قطعه (أحمد) ناهضاً..
- سأستميحك لعشر دقائق فقط.. إبقوا هنا لو أردتم.. لن أتاخر.
- ورحل عن الطاولة، ثم عن الغرفة كلها.
- نهضت (سلمى) لتقف أمام المكتبة الضخمة التي تشغل جزءاً كبيراً من الحائط بمحاذاة طاولة الاجتماعات، وأخذت تعبث في الكتب والملفات، وكأنها تعرف عنها شيئاً.. في حين تراجع (أيمن) بمقعده مبدياً تطلعه لانتهاه الدوام كي يتحرروا من هذا الاجتماع الطويل.. قالت (نورا) له:
- لا أعتقد أنه سينهى الاجتماع في الخامسة.
- ماذا؟ لن يستبقينا حتى المساء بالتأكيد.
- هزت (نورا) كتفيها، وكأن الأمر لا يعنيها، ثم نهضت لتحريك عظامها قبل أن تقرر الذهاب إلى (التواليت) كي تغسل وجهها عليها تنتعش قليلاً.
- عادت بعد دقائق لتجد (أحمد) قد عاد قبلها.. لاحظت أن (سلمى) تكاد تجلس فوق كتفه وهو يطالع شيئاً ما قدمته له.. حين اقتربت (نورا) وجدته دفترها للصور كان السيد (منصور) يحتفظ به في مكتبته حيث يجمع صورته مع الكثير من الموظفين في حفلات كانوا يعدونها له بشكل مفاجئ في ذكرى مولده.
- اندفعت الدماء في رأس (نورا) حين أدركت أن صورها في هذه الحفلات رهن تفحصُ تينك العينين المتألفتين.
- هذه (نورا).. حقبة ما قبل الحجاب.. أيام الشقاوة.
- كانت (سلمى) تشرح ضاحكة بخبث، وكأنها تكشف الستار عن فضيحة ما.
- وجدت (نورا) أن الأنسب هو عدم تدخلها في الحوار بأي شكل رغم شعورها بمزيج من الغضب والغيظ.
- لم يبد (أحمد) مهتماً، و(سلمى) تُقلِّب صفحات الدفتر أمامه بأظافرهما الصناعية الطويلة.
- حسناً.. عودي للجلوس يا (سلمى).. علينا المواصلة.

انهارت أحلام (أيمن) مع بلوغ الساعة الخامسة والنصف، و(أحمد) لم يتوقف عن محاصرته بالأسئلة بعد.. لم يُقطع الاجتماع سوى بدخول إحدى السكرتيرات عند الخامسة، وسؤالها عما إذا أراد (أحمد) شيئاً فبادرها مطالباً بإياها والجميع بالانصراف وواصل حديث العمل ببساطة.

كان على (نورا) الإقرار بأن جمجمة (أحمد منصور) تضم عقلاً عملياً شديد الذكاء.. كان يكوّن الأفكار، ويجمّعها ويفنّدها بسرعة حتى أشعرهم أنه قرأ كل الملفات قبل ذلك.

لم يكن شديد الرضا عما يستعرضونه من نتائج وأرباح.. لكنه كان يحاول عدم إبداء ذلك لهم حتى لا يُعتبر انتقاداً لإدارة الشركة سابقاً.. والتي كانت تتم بواسطة والده.

نهض وترك الاجتماع مرة أخرى فى السادسة.. نهضت (نورا) وأضائت أنوار الغرفة، وأخذت تتحرك فى أرجائها ببطء.. كانت متعبة.. جائعة، وتريد أن تنام ليومين متتاليين.

مرّت بجوار مكتب الرئيس، ووقفت تنظر من النافذة إلى الشوارع الخلفية.. والتي لم تُضاء فيها أعمدة الإنارة بعد فبدأت على وشك الإظلام التام مع مغيب الشمس.

استدارت إلى المكتب، ولمحت عليه ملفات عدد من العاملين، وكان هناك ورقة تبرز من بينهم عليها بضعة أسماء.. ارتفع حاجبها، وشعرت بانزعاج حين أدركت أن تلك الورقة تحوى تقييمات بقلم (أحمد) بعد تفحصه بعض الملفات.. وكان من الأسماء التى وضع عليها علامة (x) اسم (إيلى عبد الحميد إبراهيم) من إدارة شؤون العاملين.

- يا إلهى!! يا إلهى!!

رددتها بخفوت، وهى تتبين عدد العلامات المشابهة أمام أسماء أخرى عديدة.

لو كانت العلامة توضع أمام أسماء ينوى تسريحها.. فهناك مذبحه وظيفية مرتقبة هنا.. أعادت الورقة بين الملفات وقد تنبته مشاعرها، وأعصابها تماما.

رجعت إلى مقعدها قبيل عودته بثوانى.. عاد (أحمد) بكامل طاقته، وكأنه وصل للتو.. لاحظت أن شعره، وربطة عنقه مبللين.. خلع سترته هذه المرة قبل أن يجلس، وأرخى ربطة عنقه قليلا.

كان أمامه الآن الكثير من الأوراق المدون بها حقائق رقمية.. لا أحد يعرف ما يقوم هو بتسجيله على الكمبيوتر بيسراه، وهو يتحدث.. لكن أصابعه كانت تتحرك عند رقعة الأرقام إلى يمين لوحة المفاتيح كثيرا.

كان الصداق قد بدأ يكتنف رأسها.. تجرعت قرصين من قاتل الألم التقليدي الذى لا يفارق حقيبتها، وبدا لها جنونيا أن ينتظر منها أن تبدأ شرح، ومناقشة ملفاتها بعدما ينتهى (أيمن) .. يوشك هذا الاجتماع أن يتم ساعته العاشرة.

- حسنا.. لقد أزعجتكم كثيرا اليوم.. لقد انتهينا مؤقتا.. لدى اجتماع غدا مع فريق التسويق الدولى.. لذا قد نتابع حديثنا بعد غد، أو مطلع الأسبوع المقبل.. سأخبركم قبلها.. أشكركم.. ويمكنكم الانصراف.

أنهى الاجتماع وكأنه مدرس يصرف تلاميذه، ووضع كل تركيزه فى جهاز (الكمبيوتر) الخاص به، وكأنهم لم يعودوا موجودين فى محيط الغرفة.

لملمت (نورا) أوراقها ساخطة على رجل الأرقام هذا.. قضت برفقته بضع ساعات، وها هى تشعر أنها تبغض الأرقام، والحسابات، وما يتعلق بهما.

وبرغم أن (أحمد) راعى ختام الاجتماع بعبارات ذوقية.. بل وقال أنه أزعجهم بالفعل شعرت هى أنه فخور بنفسه بدرجة مقبولة.. يجلس محتفظا بكامل هدوئه، وتكبره بينما يستعد لإنهاء مسيرة أناس متواجدون بهذه الشركة منذ افتتاحها والده.. أى قبل مولده هو.. ورغم ذلك لم يجعلهم العمل هنا أثرياء أو حتى ميسورى الحال تماما، والآن يكافئهم ذلك الوسيم بوضع علامات (x) أمام أسمائهم بدم بارد.

- أَلن تغادر سيادتك؟!
- سألته (سلمى) بدلال، وقد منحت نظرتها كل مخزون الحنان لديها.
- سأنهى تنظيم وثيقة اجتماعنا أولاً.
- أجابها بلهجة جافة، وكأن إفصاحه عما سيفعل لا يروق له.
- قالت (نورا) لا مبالية بكل هذا:
- إلى اللقاء.
- قالتها لهم جميعاً دون أن تخص أحداً بنظراتها، وهمت بالاستدارة للانصراف..
- لكن (أحمد) استوقفها بحزم:
- (نورا).. انتظري من فضلك.
- نظرت له بحذر فنهض، وأشار بإتجاه مكتبه قائلاً:
- أريدك لثوانى فقط.
- تبعته، وقد حارت فى تفسير ما يحدث لها فى مجاله.. وكأنه يحيط نفسه بهالة ما أن تقترب منها حتى تشعر أنها ليست على ما يرام.
- استدار يواجهها أمام مكتبه.. المكان الذى شهد إمتصاصه لغضبها من قبل وكأنه يقوم بذلك يومياً..
- أمال رأسه وسألها:
- سؤال غريب نوعاً، ولكنه ضرورى.. فى الجزء الأخير من الاجتماع.. كنتَ تنظرين نحوى وكأنك تخفين سكيناً أسفل الطاولة، وتريدين غرسها فى عنقى.
- اضطرابها وضح تماماً مع ضحكة مجهدة غادرتها، وهو يتابع دون أن يبتسم:
- هل أنتِ غاضبة لأننا لم نناقش ملفاتك اليوم؟!
- هزت رأسها، وقد اعترأها شجن مفاجئ.. لو علم ذلك الرجل أن المراعاة فى سؤاله الآن هى أرق ما سمعته منذ زمن.. لوجدتها مثيرة للشفقة.
- شعرت بغصة فى حلقها، ونطقت همساً حتى لا تفضح تهديج صوتها:
- لا.. بالتأكيد لا.

- إذن !!
- لا شيء.. لقد أسأت قراءة نظراتى فحسب.
- بدا غير مصدقا، وبان من حركة من عنقه أنه غير راضى أيضا.
- حسنا.
- قالها كما لو كانت جزءا من جملة مبتورة، وصمت.
- لو أرادت الآن تعزيز نظرتها إليه كرجل فظا.. فعليتها أن تبذل مجهودا خارقا، وعلى الأرجح.. لن يكون هذا مجديا.
- ابتسمت له دون أن تدري أنها أجمل ابتساماتها على الإطلاق.. التماعه عينها، وظهورها بهذا الضعف الأنثوى سمرا الموقف تماما.
- تنحنح هو هارشا مؤخرة رأسه قائلا:
- فلننصرف جميعا.
- كان (أيمن) و(سلمى) يقفان قرب طاولة الاجتماعات، وأبدت الثانية استحسانها للفكرة..
- لقد أجهدت نفسك اليوم كثيرا يا رئيس.
- لم يهتم بإيقاف برامج جهازه.. أغلقه كما اللعبة، ووضعها فى حقيبته الجلدية، وعلّقها على كتفه.
- ألقى نظرة على المكتب، وكأنه يستوثق من عدم احتياجه لأخذ شئ من فوقه، وهمّ بالسير نحو باب الغرفة لولا أن قالت (سلمى) كأنها اكتشفت مصيبة:
- هاتفك يا رئيس.. كنت ستنسى هاتفك.
- وأسرعت تحضر له هاتفه الخاص.. تناوله منها شاكرا، ووقف ليكون آخر المغادرين، وأطفأ الأضواء مغلقا الباب خلفه.
- Oh my gaad!
- عاودت (سلمى) الصياح، ولكن بإنجليزيتها التى تحتاج لإعادة ترميم.
- المكان مظلم جدا هنا.

لم يكن هذا صحيحا بالتأكيد.. فثمة مصباح قرب المصعد يجعل كل الموجودات مرئية بحيث لن يصطدم أحدهم بمكتب، أو مقعد إلا إذا كان يعانى خطبا فى عينيه.

بدت الشركة كئيبة وخواوية.. ولكن (نورا) كانت قد شهدتها كذلك بضع مرات من قبل.

سألها (أيمن) فى المصعد عن تناول الطعام فى مكان ما، فاعتذرت له متعللة بتعبها، وصداعها.. استسلم سريعا وابتأس نوعا رغم عدم غرابة رفضها عما يحدث عادة.

غادروا المصعد فى الطابق الأرضى حيث كان فرد الأمن الليلي قد بدأ مناوبته منذ حوالى ساعة.

حيثه (نورا) ببساطة، ثم ذكّرتَه بفصل مفتاح أجهزة التكييف فى صندوق مفاتيح الكهرباء فرد عليها مخاطبا إياها بـ "يا أستاذة" .. بينما أدى ما يشبه التحية العسكرية بيده لـ (أحمد منصور).

فور خروجهم من باب الشركة ألقى (أحمد) التحية على الثلاثة، وتحرك نحو سيارته الواقفة وحدها فى ساحة الانتظار أمام الشركة، وحذت (سلمى) حذوه فى الانصراف السريع، وكأن التواجد بعد زهابه لا يهمها.

بادرت (نورا) (أيمن) بسؤاله عن مكان سيارته، وكذبت بإدعائها أن سيارتها فى الإتجاه الآخر.

- **طَبِّحْ عِ أَوْصَلْكَ لِيهَا.**

- (أبجن).. **معلش.. عابزه أمشع لوحيد شويع، وهي قريبه مشن بعيدة.**

لو كانت تكثرث لأمره لسائها جدا أن أطاعها وإتخذ طريقه إلى سيارته. لو كانت تكثرث لأمره لأرادت ألا يسمح لها بمناقشته فى أمر كهذا.. فالليل قد أسدل أستاره.. كما يوجد على بعد أمتار ذلك السائس الذى يشبه مسجلى الخطر لدى الشرطة.. إن لم يكن واحدا منهم بالفعل.

الحقيقة أنها تحتاج لثلا تكون (نورا) كى تكثرث لأمر (أيمن) بأى قدر أكثر من كونه زميلها فى العمل.

لقد كذبت بشأن سيارتها كيلا يعرض توصيلها بسيارته، فترفض، فيُلق، فتضطر لفعل ما يسيئها هى، أو قول ما يسيؤه هو.. هكذا أسلم.

سارت على الإفريز شاعرة بنوع من الغربة.. لو كانت تلك ليلة شتوية لبكت على الفور.. ليالى الشتاء دائما ما تحتويها، وتمتص أحزانها.. لو رأيت (نورا) تسير تحت المطر فهى تبكى.. كانت تفعل ذلك فى طفولتها.. تعتقد أن قطرات المطر تخفى دموعها فلا يلمس أحد ضعفها، أو يحسه، وتعتقد أيضا أن السماء تبكى وتدفعها للبكاء معها.

تمنت أن يسرع (أيمن) فى المرور بسيارته كى توقف سيارة أجرة، وتعود لمنزلها سريعا.

لمحت السيارة الفضية ذات الفئة الرياضية - ثنائية الأبواب - من طراز (مرسيدس) تتوقف قربها فتوترت رغما عنها.

رأت (أحمد منصور) يغادر السيارة، ويدور حولها متسائلا:

- إنج فين عربيتك؟

يخاطبها هى حتما.. ما من داعى لتتلفت حولها بقدر من الحماسة.

- أنا.. حاجتش بيها النهارده.

- ورايحه فين كده؟

سألها باندهاش حقيقى ثم تابع:

- مش قصدي أنطفل عليكى.. بس التمشية لوحدك دلوقتى.. بعنى.. مش فكرة

حلوه.

- لأ.. ما فيش تطعل ولا حاجة.

- خلاص.. ع أطلب منك إثبات.

قالها بابتسامه واسعه ملوحا بيده مقلوبة إلى جانبه.

سألته بشئ من الحذر، وهى تشعر بروعة ابتسامته:

- إثبات إزائي؟!

- طيّب.. نشوف.. مشن ع أحد فلوسك أكبر.

ضحكت، وهو يردف:

- بسن ع أعرض عليكى توصيلة لأى حدتة تعوز بها.

لم يبدا واثقا بقدر ما كان يحاول أن يبدو مرحا.. تركها تقيس الأمور لثوانى.. هو ليس على يقين من أنها سترافقه فى سيارته، وفى ذات الوقت هى ليست على يقين من ردة فعله إذا ما رفضت.. عليها أن تجد تفسيراً جيداً إذا ما أرادت الإفلات من قضاء دقائقها القادمة أسيرة لهالته المثيرة.. للتوتر.. بل وقريبة منه جدا داخل حيز السيارة الصغيرة.

لم تكن واثقة مما يجب قوله.. إشعار رجل مثله بأنها لن ترافقه فى سيارته لأنها لا تعرفه لن يبدو مبررا بقدر ما سيبدو خطأ من قدره، وذكر البعد الأخلاقى للأمر سيهينها هى قبل أن يهينه.

- إيه ده! ثوانى.. (نورا).. اوضوع مشن مستاهل البؤس ده كله.. أنا (أحمد) زملك فى الشغل مؤقتا، واطفروض إننى راجل محترم بعنى.

نجح فى انتزاع ضحكة منها مجددا.. ضحكة أفرغت بها توتراها.. لم تعرف أنها بدت بائسة وهى تبحث عن مفر.

- لأ (والله) أنا عارفه.. بسن.. مكن أقول لك حاجة؟

سألته، فهز كتفيه، ومال يستند إلى مقدمة سيارته قائلا:

- أنا فاضى.. قولى كل اللج إنتى عابراه.

إما أنه ليس متعجلا فعلا، وإما أنه سيسايرها حتى تنفذ ما يريد.

حاولت إخفاء ابتسامتها الآن.. كانت سعيدة.. تبا.. كانت فى قمة السعادة لو تحرينا الدقة.

- طيّب.. هو أنا مشن بركب العربيه مع حد.. مشن علشان حاجة.. بسن بعنى ما

إتعودتسن.. مكن تحسن اوضوع غربى بسن أنا فعلا

- غريب!! إنه الغريب فيه؟ كلام محترم.. واحد من مبادئك.. أنا فخور بيلكي..
علشان كده مصمم أروحك.

ضحكت بغبطة لم تنجح فى مواراتها.. تابع هو باسمه بدوره:

- بذقك يعنى اطغروضن أسبيلك وأعشى.. أصلا اللي فلتيه ده مجليني أبان هنا.

- مش عارفه أقول لك إنه مجرد! إنت بتهرج.. صح؟

كان يضحكها بحديثه، وطريقته، وحتى إيماءاته.

فكرت أنه لو استمر فى سلوكه الودود هذا، فسينتهى بها الأمر لحبه!

مال نحوها، وأقر بحسم:

- أنا مستعد أعمل أى حاجة علشان التوصيلك دى.

ضحكت متطلعة حولها باحثة عن مخرج..

- أنا ع أوقفك (تاكسى).. وأصلا مش ساكنه بعيد أوى يعنى.

رفع حاجبيه، وكتفه الأيمن، ومط شفتيه، وكأنه يعلنها أن كل ما تقوله لا
يعنيه.

وقفت لثوانى، ثم هزت رأسها وضحكت مجددا.

حين تحركت نحو السيارة أسرع ليفتح لها الباب بحركة كلاسيكية أشعرتها أنها
تكاد تطير.

جلست على المقعد الجلدى بلون النييد، وتابعته وهو يدور حول السيارة
بعدها أغلق الباب متمتمة فى أعماقها:

- يا ابني إبعد عنى يا ابني!

كانت السيارة معبقة برائحة تفاح أخضر تفوح من معطر مثبت على فتحات
التكييف مزوجة بعطر (أحمد) الخاص.

استقر على مقعد القيادة، ولم ينجح فى إخفاء الجذل فى عينيه، وهو ينطلق
بالسيارة.. قررت أن تشكره بعد ثوانى:

- (ميرسى) يا (ميستر) (أحمد).

- بصراحه ماكانش بيفع أفوت فرصه الإنفراد ده.

قالها فارتبكت.. على الأرجح كان يعنى عدم تفويت الفرصة ليحقق انتصارا ذكوريا سخيفا.. بينما تمنى هي أن يقول ما يشعرها بقيمتها.. لا بقيمة قبولها توصيلته.

كانت السيارة تنطلق بنعومة فائقة.. سألتها بعد ثوانى إذا كانت درجة برودة المكيف تضايقها بأى شكل.

بعد دقائق قليلة ضغط زر أضواء الانتظار فى منتصف التابلوه وتوقف إلى جانب الطريق.

لم تشعر بذرة من الجزع.

نظرت إليه فسألها:

- إنى متأخرة عن حاجه؟

- يعنى.. مشن أوجع.. بس.. إيه سبب السؤال؟!

- لأ ما تشغليش بالك.

عاود التحرك بالسيارة دون منحها جوابا شافيا.. لم يحد عن الطريق الذى وصفته له، لكنه هدأ من سرعته فى بقعة معينة، وتوقف بمحاذاة صفوف الانتظار بالشارع.

ترك وميض الانتظار، وترك محرك السيارة يدور، واستئذنها لدقائق.

لاحظت أنه أغلق أقفال الأبواب فى السيارة، وراقها ذلك بشكل ما، وخفق قلبها وهى تتابعه يسرع إلى مطعم أنيق، ويصعد درجات مدخله برشاقة.

وقف يتحدث مع (المتردوتيل) الذى استقبله قرب الباب.. استمع له الرجل وأسرع ينقل تعليماته لآخر.

استغرقت هى الدقائق تحاول تهدئة اضطراب قلبها.. إحساس مختلف جدا..

ربما يصور لها فراغها العاطفى أن شيئا مميذا يحدث.. لكن الحقيقى أنها كانت سعيدة بشكل فائق.. حتى لو انتهى هذا بعد دقائق دون أن يعنى شيئا

فى النهاية.

التفت إليها من داخل المطعم، ولم تُحد نظرها عنه، وعَبَّرَ الزجاج.. ظلًا على تلك النظرة الطويلة.. كان متجهما.. تبدو عيناه أخطر وأعمق منهما حين يبتسم، وكانت هي تكاد ترتجف من فرط الانفعال.. هي.. (نورا).. التي لم يغيِّرها الزمن، ولم تشوِّهها الظروف.. بجمالها الأخاذ، وبرائتها، وتمسُّكها بآمال الطفولة عن الحب، والدفء، والفراس، والحواد الأبيض.

"توقف.. أنا حتى لا أعرفك.. إصبعك يحمل خاتم خطبة، وقضيت معظم شبابك فى (الولايات المتحدة الأمريكية).. توقف ب (الله) عليك، وأدر رأسك عنى.

قطع النظرة وحبل أفكارها ذلك الصبى المشرد الذى وقف بنافذتها فجأة.. كان يستعطفها بنظراته، ويشير بيده ما يدل على الطعام.. فتحت النافذة، ومنحته ورقة نقدية فدعا لها وهو يبتعد.. رأت (أحمد) وقد بلغ باب المطعم.. أشاح عنها حين رآته.. لو صحَّت قرائتها للموقف فقد أزعجه أن يحوم الصبى عندها وفضل أن يقترب قلقا.

حسنا.. لو أنها تملك رجلا بحجمه لحمايتها لما خشت الصبية، أو حتى ذلك الوغد الذى هشم لها مصباح سيارتها لأنها أوقفتها فى منطقة نفوذه دون أن يسمح لها بذلك.

عاد (أحمد) بعد قليل بحقيبتين ورقيتين تفوح منهما الأبخرة مع رائحة طعام. بادرها فور استقراره بجوارها..

- **إنتي ما أكلتِش حاجة من الصبح.. يارب بعجيك.**

هزت رأسها برفق وهى تسرى ببصرها على حنجرته وعضلات عنقه البارزة، ثم ذقنه التى بدت شعيراتنا نامية قليلا.. لم تنجح فى الرد فلاذت بالصمت.

بساطة محببة.. شرح لها وهو يعاود القيادة:

- **فكّرت أقترح ناكل جوّه بسن خفّعت تطلبي لى (البوليس).**

ضحكت بنعومة، وكادت ألا تعلق.. لكنها قالت بخفوت:

- **أنا كرهه ما كنتش جاهزة لده.**

- إيه ده! يعني كان ممكن توافقي؟
 - بجلن.. بصراحه إنت ليك أسلوب كده.. مُقنع أوى.
 - إيه ده؟! إنتي لحقتي خدتي بالك!
- أفلتت ضحكاتها مجددا مومئة برأسها بصمت فرجع حاجبيه، وبدا راضيا..
- ثانية واحدة.. إيه حوار ما كنتيش جاهزة ده؟!
 - يعني.. لبسي وكده.
 - لبسك وكده!! إنتي زعي القمر على فكرة!
- فتحت فمها، ثم أغلقتها، وانكملت في مقعدها راغبة ألا يصل لمنزلها أبدا.
كان إطراؤه رغم بساطته مطلوباً بدرجة لا تُصدق..
لو كانت فقط تعرفه أكثر لطلبت منه أن يسترسل ولا يتوقف.
- ممكن نغف في محطة البنزين اللي جايه دى؟ عاوزة أشتري حاجة.
 - حاضر.
- توقف بالسيارة قرب باب المتجر المُلحِق بالمحطة، وراقب اندفاع رفيقته الرقيقة وإتبعها بإهتمام.
- ابتاعت عبوات من البسكويت، وألواح من الشيكولاتة، ورفضت دون كلمة عرضه الأنيق بأن يدفع.. رجته بنظراتها فقط ألا يضايقها فتراجع مباشرة.
- قسّمت ما ابتاعت على حقيبتين عند خزينة الدفع، وعادت لتستقر في السيارة سعيدة كطفلة..
- ده مش رد عزومه طبعاً.. بس دى حاجات حلوة بحبها، ولازم تحطها في التلّاجه.
- كان واثقاً أنها لم تقصد شيئاً سخيفاً.. فشكرها.
- كادت تُفوّت صعود الكوبرى عامدة.. لكنها لم تُرد أن تعذّبها معها.. أرشدته فتبع إرشاداتها بصمت لبعض الوقت.
- على فكرة بالنسبة لأدائك في الشركة.. اسهل لي أهتلي.
- شكرته باقتضاب، ثم سألته:
- هو فين (منصور) بيه؟

نظر إليها قبل أن يقول:

- في (الإساعيلية).. أجازة.

وصمت لبعض الوقت قبل أن يسألها عن إتجاهه عند منعطف، ثم أعلن بشئ من الضيق:

- أنا عابره برجع أكثر منكم.. إستعملوني شويّة والدينا نتطبط.

قاومت رغبتها في التحدث عن العمل.. ستزوره في مكتبه، وتسأله عن كل ما تريد معرفته، بل وستناقشه أيضا.

لم تنتبه لأنانية تفكيرها إلا بعد ذلك.. لقد فضّلت أن تحتفظ بذكرى الدقائق التي قضتها معه دافئة دون التحدّث عن مصائر آخرين مُهددين بمعاش إجبارى مبكر.

هبط من السيارة أمام بناية سكنها، وغادرت هي قبل أن تجعله يفتح لها الباب.. كانت تمسك بحقيبة طعام، وحقيبة حلوى في يدها، وكانت باسمه.

شكرته بإمتنان حقيقى فهز رأسه مبتسما بدوره.

لم يحاول إظهار تردده لكنه مد يده لها فى النهاية.

رفعت كفها لتصافحه، وتمنت لو يطيل الأمر.

لم يفعل.. ضغط كفها الرقيقة بأصابعه برفق، وأغلق باب السيارة.

تحركت هي نحو باب بنايتها، والتفتت حين بلغته.

رفعت كفها لتشير للشباب بيدها بإمتنان.. هز لها رأسه، واستقل سيارته منصرفا.

صعدت إلى شقتها شاعرة وكأنها تعيش حلما.. لا تريد أن تستفيق منه.

وضعت الطعام والحلوى فى المطبخ إلى اليمين وأسرعت إلى غرفتها.. ألقت

بجسدها على الفراش متطلعة إلى سقف الغرفة بجمود مستعيدة كل لحظة

وكل كلمة.

لم تكن تلك مجرد توصيلة بالتأكيد.. لقد شعرت بتلك الذبذبات الخطيرة تحوم فى أجواء السيارة، وبدا لها مَنْ كان طوال اليوم باردا وكريها.. أكثر دفئا مما يمكنها تخيله.

هبت من رقادها لتنظر لانعكاس صورتها فى المرآة.. كيف أعاد شحن بطاريات ثققتها بنفسها بجملة قالها؟! شعرت أنها تبدو جميلة فعلا.. ما ضاعف من بهجتها.

بدلت ملابسها، وهى تغنى، وبعدها تناولت طعامها على أريكتها المفضلة أمام (التليفزيون).. واستمتعت بالطعام مع فكرة أنه من اختاره، وأحضره لها.. شردت طويلا ولم تنتبه لأحداث الفيلم التى تنظر إليها ولا تراها.

لم تفارق الأريكة حين انتهت من الأكل.. تمددت محتضنة وسادة صغيرة شاعرة أن الحياة تتغير من حولها.. إلى الأفضل.. لأول مرة منذ سنوات لا تذكر عددها.

نامت بعمق، وراحة، واستيقظت مبكرا.. قامت بتنظيف وترتيب الردهة، ثم المطبخ..

استحمت، وارتدت ملابسها، واستقلت سيارتها إلى الشركة لتصل فى تمام التاسعة.

تذكرت تصريح الانتظار فى الساحة المخصصة للشركة فاستفادت منه، وألقت نظرة منتعشة على (المرسيدس) الفضية الواقفة على بعد أمتار، وقاومت الصعود لمقابلة صاحبها مباشرة.. حاولت ذلك فى منتصف النهار، ولكنه كان فى الاجتماع الذى أخبرهم عنه أمس.. تمنى أن يخرج فتلقى عليه التحية فقط.. لكنه لم يفعل.

عاودت المحاولة فى الخامسة قبل انتهاء الدوام بدقائق، فلم تفلح أيضا. ودون وعى منها ظلت جالسة فى سيارتها تنتظر، وهى تراقب انصراف الجميع من حولها.

لم يتبق من سيارات سوى واحدة بخلاف (المرسيدس)، واضطرت للانصراف فى النهاية تقاوم إحساسا بخيبة الأمل كاد يفتك بمعنوياتها.

عادت لمنزلها مباشرة لتقضى الساعات المتبقية من الليل فى القراءة، ومشاهدة التلفاز.

فكرت كثيرا.. كثيرا جدا فى الواقع.. صوت بداخلها أخذ يلومها ويحذرهما.. يلومها أن منحت توصيلة بالسيارة أهمية قصوى، ويحذرهما من التعلق بسراب قد يؤدي بها إلى ما خشت على نفسها منه طوال عمرها.. العذاب! كانت وحدها تعلم كم هى هشة سهلة الكسر.. وتعلم أن ما انتظرته طويلا هو شئ نادر، أو ربما غير موجود.

كل ما هى متأكدة منه.. أن الظروف ساقتها إلى ذلك الموقف.. كانت مرافقتها لـ (أحمد) فى سيارته أمرا مقدراً تماما.. وأيضا توقيت مجيئه - (أحمد) - وظروف تعارفهما.. فكرت أنها لو لم تكن ترتدى الحجاب لما وافقت على توصيلته تلك قط.. لعاملته ككل من رغبوا فيها، وأرادوا التقرب منها.. لكنها فى لحظة قبولها تلك كانت أضعف كثيرا من أن ترفض.. تسائلت ما إذا كانت تشعر نحو (أحمد منصور) بشئ مختلف من قبل ذلك! واستوقفتها الفكرة، واستنفرت ذاكرتها بشكل كبير.. كانت تكرهه فى الاجتماع.. مهلا.. من تحاول أن تخدع؟! لم تكن تكرهه.. بل على الأرجح أن عقلها كان يحاول إقناعها بذلك.. إذن فحين إمتص (أحمد) غضبها فى اليوم السابق كان قد محا قدرتها على بغضه.. لكن هل كانت تبغضه حقا حين اندفعت إلى غرفته وأطلقت نيرانها فى وجهه!!!

تأوهت حين أجهدها التفكير فى أمر ذلك الرجل..

فى الواحدة بعد منتصف الليل أطفأت الأضواء، وإنسلت إلى فراشها عازمة على لقاء (أحمد) صباحا بأى طريقة.

استغرقت قرابة الساعة لتبدأ نوبات من النوم المتقطع انتهت بعد السادسة بدقائق.

أعدت القهوة، وخرجت إلى الشرفة.. ضايقها الذباب بعد قليل فعادت إلى الداخل.

جلست تقرأ قليلا فى مجلتها المفضلة.. مجلة مصورة للأطفال.. ساعدتها أن تتذكر أن زوجة شقيقها أنجبت طفلا، وهى لم تسأل عنهم منذ غادرت المستشفى.

شعرت بالذنب يثقل كاهلها.. لم تكن تحب أن تخطئ فى حق أحد.. رغم أن (منى) لا تُبد نحوها أى مودة.. ولكن يظل الواجب واجبا.. ستزورها اليوم سواء أكانا بالمستشفى، أو عادا لمنزلهما.. نقلت مطروف هدية المولود إلى الحقيبة التى ستحملها اليوم، وقررت النزول مبكرا عن موعدها المعتاد. وصلت إلى الشركة قبل موعدها بنصف ساعة، وحاولت إنجاز بعضا من عملها قبل ازدحام المكان وصخبه.

(سلمى) كانت أول الواصلين من أصحاب المكاتب قربها.

- (نورا) .. لن تصدقى مع من تناولت الغداء أمس.

- مممم.. ليس مع الفتيات بالتأكيد.. فهذا لن يسعدك إلى هذه الدرجة.

كانتا تخرجان من حين لآخر مع عدد من الموظفات بالشركة لتناول الطعام.

- بالتأكيد لا.. (أحمد منصور) دعانى على الغداء أمس فى مطعم أنيق، وليس بعيدا عن هنا.

بدا وكأنها سكبت فوق رأس (نورا) سطلا من الماء المثلج.

- أحقا!!

- أقسم لك.. إنه رجل غير عادى.. هل رأيته بالأمس؟

- كلا.. لم أره.

- كان تاركا لحيته نامية نوعا.. كاد يفقدنى صوابى.

هزت (نورا) رأسها بألية، وصدمة تسيطر على أحاسيسها.

ظلت صامتة و(سلمى) تسترسل فى إبداء انبهارها ب (أحمد)، ووصل (أيمن) بعد قليل ليعلن بلهجة خطيرة:

- أتعرفان ماذا حدث بأمس؟ (جلال زين) ترك الشركة.
- بالتأكيد تمزح.. كيف حدث ذلك؟
- يقال أن (أحمد منصور) استدعاه لمكتبه، ودارت بينهما مشادة، وأخبر الرجل أن الشركة تستغنى عن خدماته.
- أين سمعت ذلك؟
- من أفراد الأمن.. وهم سعداء بالخبر جدا.. (سلمى) .. هل معك شطائر؟
- بالتأكيد.
- جبن بالزيتون؟!!
- من أجلك فقط.
- إذن.. دعينا نأكل قبل أن نجد عشرات الأعين مصوبة نحونا.
- وقفا عند مكتب (سلمى) يقسمان بعض الشطائر، وقدمًا نصفًا لـ (نورا) التي لم تمسه.. جلس (أيمن) على طرف مكتبها، وسألها:
- لم أرك أمس (أون لاين)؟!!
- لم أتواجد بالفعل.
- ماذا بك؟ أنت مختلفة نوعا منذ بضعة أيام.
- أشعر ببعض الملل فقط.
- ألن تذهبي للساحل الشمالي؟
- أفكر فى ذلك جديا.. رصيد إجازاتي يسمح.. لكن سأحتاج لإجراء بعض الإصلاحات فى السيارة قبل السفر.
- ماذا بها؟
- تحتاج مصباحا خلفيا.. بالإضافة لعمل الصيانة الدورية.
- هل ستأكلين هذا؟
- كلا.. خذه.

سألها عن نصف الشطيرة الموضوع قربها فوق المنديل، وفرد جسده كما لو كان لاعبا للأكروبات ليأخذه.. ضحكت (سلمى) وقالت شيئا عن السيرك، ثم إشرابت بعنقها قبل أن تهب واقفة..

- (أحمد) بك.

التفتت (نورا) فلمحت ظهر (أحمد) فقط.. كان من الواضح أنه ألقى نظرة على الطابق قبل أن يواصل صعوده على الدرج.

سأل (أيمن) (سلمى) المسرعة فى أعقاب (أحمد):

- هل رآنى؟!

- يبدو ذلك.

- ألم يجد لحظة سوى تلك بحق (الله)؟!

رمقته (نورا) بحنق، وهو يهبط عن مكتبها متوجها لمكتبه.. ثم قالت له بحدة:

- ألا يمكنك التوقف عن الصعود فوق مكتبى كقرء.

- ما بك (نورا)؟! أتقصدىنى بالقرء؟

- بالتأكد أقصدك.. كنت تأكل مع (سلمى).. لماذا اعتليت مكتبى أنا؟

- فليكن يا (نورا) هانم.. القرد يعتذر.

نهضت وسارت مندفة إلى المصعد.. استقلته إلى القمة وتوجهت إلى مكتب الرئيس مباشرة.. طرقت بابه مرتين، ودلفت دون انتظار دعوة.

- عذرا للمقاطعة.. كنت أريد التحدث إليك فى أمر ما يا (ميستر) (أحمد).

كانت (سلمى) تقف بجوار المكتب، وإحدى السكرتيرات أمامه.

رمقتها (سلمى) باستنكار فى حين ارتبكت السكرتيرة ونقلت بصرها بين (أحمد) و(نورا) نفسها.

- هل من خطب يا آنسة؟ إنها ليست المرة الأولى التى تقتمى فيها مكتبى على هذا النحو.

كان باردا جافا، وضع فمه ينبئ بعدم ودية غير مشكوك فيها.

- أنا أسفة.. أردت لقاء سيادتك أمس لأمر هام، ولم أتمكن من ذلك.. فضلت المجئ قبل أن تنشغل طوال اليوم.
- كانت نظراته المصوبة نحوها كالسياط، ولم تكن هي متماسكة حقا كما حاولت أن تبدو.
- تجاهلها تماما وسأل السكرتيرة عن خطاب ما بينما حدثت (سلمى) زميلتها بنظرة على غرار "أيصح هذا؟ هل جنتت؟"
- لم تعرفها (نورا) إهتماما.. ما الذى لا يصح على أى حال؟ لقد طرقت الباب وطلبت التحدث إلى رئيسها.. لم ترتكب جرم ما.
- تقدمت من المكتب غير راضية عن تجاهله لها على هذا النحو..
- أريد أن
- انتظرى يا أنسة.. انتظرى.
- كان صارما بدرجة أخافتها نوعا.
- ذيل ورقة ما بتوقيعه وشكر الشابة التى انصرفت بسرعة، فالتفت هو إلى (سلمى) قائلا:
- يمكنك العودة إلى مكتبك يا (سلمى).
- كان الرفق يغلف لهجته هذه المرة، وانصاعت (سلمى) بعد أن قالت:
- لا تنس وعدك يا رئيس.
- مط شفتيه حين انغلق الباب، ثم قال بجفاء:
- سبق وأن حذرتك من اقتحام المكتب بسلوكك الهجومى هذا.. ما الذى تريدنيه الآن بالضبط؟
- أنا لم أقتحم مكتبك.. لقد طرقت الباب و
- كان يجب أن ترى نفسك وأنت تعبرين هذا الباب إذن.
- تراجع فى مقعده عاقدا ساعديه أمام صدره.. صدمها إلى أقصى حد.
- شعرت أن ساقها لن تقويا على حملها لكنها قالت:
- بشأن حركة التغييرات التى تعتزم إجرائها فى هيكل الشركة

- لا أعتقد أننى أخبرتك عن هذا، وما شأنك بها؟ ستحتفظين بوظيفتك كما كان يبدو.
- بعض الموظفين الذين تنوى إقصائهم خدموا الشركة بمنتهى الإخلاص منذ افتتاحها (منصور) بك... والرد على إخلاصهم بذلك سيكون
- ابتلعت بقية عبارتها حين انتفض واقفا، ولوح بكفيه..
- أنت تتجاوزين حدودك حقا يا آنسة.
- أنا فقط أحاول لفت انتباهك إلى
- لأجل (الله).. لا أعلم من أين أتتك الثقة كى تتحدثى عن هذا، ويبدو الأمر أمام الجميع وكأننى اعتديت عليك مثلا.
- ربما أكون قد أخطأت بأسلوبى.. أعتذر.
- دفع مقعده فدار حول نفسه واستدار هو يتطلع من النافذة بصمت، وعضلة ما تختلج فى جانب فكه.
- كانت هى ترغب فى البكاء بشدة.. نادمة على كل شئ فعلته وقالته.. ليس اليوم.. بل ليلة منحته ثقتها وإهتمامها.. وها هى تشعر بأنه خانها بينما هو لم يقدم لها سوى توصيلة، وطعام أسعده تناوله مع زميلتها فى الليلة التالية.
- لو كانت سياساتك هى تقليل الموظفين.. فسأطالبك فقط بإقصاء من يستطيع تدبر أموره بعد خروجه من هنا.. هذا كل شئ.
- وأنت تستطيعين.. هه!!
- ذُهلّت لاستمراره فى الهجوم، وكأنها ندا.. حاولت التماسك قدر إمكانها..
- نعم.. أنا أستطيع.
- بدا لها قاسيا جدا.. ازدردت لعابها وأردفت مغالبة غصة:
- اعتبرنى مستقيلة.
- استدار وعلى وجهه استنكار..
- لستِ طبيعية.

- أعرف ذلك.. ولو كان جزء العمل لقراءة الأربعين عام هنا هو التسريح.. فهذا المكان لا يناسبني.

- هل بإمكانك التوقف عن الكلام؟ أرجوك.

ارتجفت شففتها، وكانت قريبة جدا من الانفجار باكية. غلفهما الصمت لثوانى ثقيلة..

لم يعرف ما يجب قوله.. أعجزته كليا عن اختيار ما يصلح للنطق. استدارت مجروحة.. جرح لا يفهمه، أو يعرف له سببا.. وانصرفت بسرعة دخولها.

لم ترد على (سلمى) حين حاولت التحدث معها.. انتزعت حقيبتها، وانطلقت تريد التحرر من ثقل المكان. غادرت الشركة، واستقلت سيارتها، واندفعت بها فكادت تتسبب فى حادث.

لم تكن الأمور واضحة فى ذهنها.. لم تكن تعي تماما أنها قلبت طاولة غير موجودة فى الحقيقة!!

لكن.. رغم الجنون.. كان جزء منها راضيا.. فمنذ ظهور ذلك المدعو (أحمد منصور) وهى ليست على ما يرام.. صارت تفكر فيه فى نومها وصحوها.. فأن يكون شابا آخر عابثا.. يريد أن يقضى أوقاتا لطيفة.. لا.. فليفعل بعيدا عنها.. إنها لم تخطئ فى شئ.. ربما أوجت لغة جسدها، وإيماءاتها أثناء دخولها مكتبه أنها تكاد تنفجر غيظا.. لكن كان هذا خارجا عن إرادتها.. فقد كانت كذلك بالفعل.

أجرت إتصالا بشقيقها (شريف)، وإطمأنت أن (منى) وضعت مولودها سليما بفضل (الله).. اعتذرت له عن عدم إتصالها، أو ظهورها أمس وأخبرته أنها تتوجه إلى منزله الآن.. أنهت الإتصال، ولم تفتح المذياع.. لفها صمت عميق.

فكرت أن المنطق قد يعارض فكرة أنها أحبت (أحمد).. لكن الواقع أن لا شئ فى هذه الدنيا يخضع للمنطق.. لقد أحبت الرجل بالفعل.. فاضت مشاعرها المختزنة منذ سنوات، وكأنه ساحر حرر أحاسيسها كلها، وامتلك عليها قلبها.

(نورا) ليست إنسانة سطحية بالمرّة، ولم تنجذب لرجل منذ تجاوزت مراهقتها مبكرا.

كان ما تمر به مختلفا.. مختلفا تماما.

ماذا فعلت فى ذلك اليوم؟ زارت (شريف) و(منى)، وحملت الطفل، وبكت.. كانت سعيدة جدا، وأكثر مما كانت تتوقع بكثير.. إنه ليس طفلا عاديا.. كان ابن (شريف) فى النهاية.. وعدم استقرار علاقتها به لم يمنع ابتهاجها البالغ بـ (نور الدين).. الطفل الذى كان ينتظره شقيقها بفارغ الصبر.

ضمت الرضيع، وفعلت ما وجدت بداخلها ميلا إليه.. أخذت تدور به فى أرجاء الشقة وهى تردد ما تحفظه من القرآن همسا.

منحت (شريف) المظروف، وقبّلت (منى) وانصرفت.. متفاجئة من السكينة التى انتابتها.. لا رغبة لديها فى البكاء.. بل شعرت براحة غير مفسرة. عادت لمنزلها مباشرة، ولم تغادره لثلاثة أيام.. انتهى الأسبوع، وبدأ آخر.. إتصلت بأمرها، وأجرت محادثات عبر (الإنترنت)..

اعتذرت لـ (أيمن)، ولم تقل سوى أنها متعبة قليلا وأنها ستسافر على الأرجح خلال هذا الأسبوع.. كانت تطلب الطعام ولا تأكله.. تمارس الركض على الآلة الرياضية، وتقضى وقتا طويلا فى المنزل، ويوم السبت قررت الذهاب إلى النادى الذى تدفع اشتراكه ولا تقترب من بواباته أبدا.. مارست العدو البطئ، وقرأت الصحف، وتناولت غدائها أيضا، ثم عادت إلى منزلها ونامت حتى فجر الأحد.

حين استيقظت من نوم متقطع وغير مريح شعرت أن عملها بالشركة كان مرحلة مضت، وأن عليها بدء مرحلة جديدة لإلهاء نفسها.

ذهبت إلى الجامعة للسؤال عن مواصلة الدراسة، وطلبت منها الموظفة أن تحضر عدة أوراق هامة وتعود فى الأسبوع القادم..

توقفت فى طريق عودتها عند مكتبها المفضلة، واشترت كتابين.. خصيصا لرحلتها المرتقبة.. فاضلت ما بين الجلوس فى المقهى الأنيق وما بين العودة

مباشرة للمنزل، وشعرت فى تلك اللحظة أن لا رغبة حقيقية لديها لفعل شئ.. حتى السفر.. للأسف.

وبضراوة.. هاجم (أحمد) تفكيرها فى ذلك اليوم.. استلقت على أريكتها لا تتابع (التليفزيون) المفتوح، ولا تقرأ الكتاب فى يدها، ولا تشرب القهوة التى أعدتها.. لا تفعل شيئاً سوى استحضار صورة الرجل، وكأن قسماته أوحشتها. طلبت طعاما فى التاسعة والنصف تقريبا، وجلست تنتظر بفارغ الصبر رغم أنها غير جائعة.. نهضت تنظر فى المرأة إلى شحوب وجهها، وشعرها المنكوش.. لقد حولها ذلك المتغطرس الوسيم إلى مجنونة على الأرجح.. كشرت عن أنيابها وأطلقت ضحكة بدأتها مصنعة، وختمتها طبيعية تماما.

- أنت تتجاوزين حدودك يا آنسة.

قالتها بصرامة وتجهم وسبابة مرفوعة، ثم بدأت الذبول بغتة.. ذاب أثر الضحك عن وجهها، وتجمعت دموع حبيسة فى مقلتيها.

فكرت أنها لو كانت تُقبل على أى من المكيفات لعاقرتة بهوس فى هذه الأيام.. لم تدخن فى حياتها، ولم تقرب الخمر.. لكنها تنوق الآن لسيجارة وكأس بحق.

كانت قد جلست أرضا أمام المرأة، فنهضت لتعتمر طرحة حين تعالى رنين جرس بابها، ولم تنتبه إلى أن الوقت منذ طلبها الطعام لا يكفى لوصوله.

فتحت الباب حوالى ثلاثين سنتيمترا كعادتها.. لكن الواقف أمامه لم يكن مندوبا للتوصيل.

تم العبث بمؤشر ضربات قلبها فتسارعت بجنون، وهى تحدد فى الوسيم الذى يكتسى وجهه بقناع من البرود والغضب، وكأنه يستعد لخوض معركة.. كان يرتدى قميصا أبيضاً وسروالا كحلى اللون، وكان يشمرُّ أكمام قميصه كاشفا ذراعين مفتولين.

- إيه ده! إنت إيه اللج جابك هنا؟

مال جانب واحد من ثغره ليعطى انطباع السخرية دون قدرة على الابتسام الحقيقي..

- **إنتج ذوق أومي على فكره.**

وفحصها بنظرة وكأنه يقيّمها، ثم استطرد بحسم:

- **عابر أنلكم معاكى شوبه.**

قال هذا، وبدا متخذا قراره بالدخول فتحرك خطوة، ثم سألها شاعرا باستفزاز:

- **مشن ح نقولج إنفضل؟!**

كانت فى الحقيقة وكأنها تعرضت لصاعقة.. هل هو ببابها حقا؟! بهذه الوسامة والخطورة، والمظهر الجذاب!! كانت عيناه مجهدتين، ومنحه ذلك الغضب المشع منهما مظهرا بدائيا نوعا ما.

تشبثت بالمقبض بكل قوتها هامسة فى أعماقها **تفضّل فين!! إنت مجنون!!**

- **لأ مشن ح أقول لك إنفضل علسان أنا عابسه هنا لوحدي.**

لاح بريق فى عينيه لجزء من الثانية.. بريق لم تفهمه، وهز كتفيه لا مباليا..

- **طب وإيه المشكله! خايغه منى بعنى وأنا إيه!**

بلى.. كانت تخشاه كثيرا.. الحميمية التى ستشمل الأجواء حولهما إذا ما دلف ذلك الطويل وجلس على أريكتها مثلا.. قد تودى بعقلها على الأرجح.

- **أنا غيرت مبدأ كنت عابسه بيه قبل كده، ومشن ناويه أعملها تاني.**

لاحظت أن وضعيته الآن تمنعها من إغلاق الباب حتى ولو حاولت بكل قوتها.. بل وربما لو جلبت حارس العقار ليساعدها.

نظرته الآن اكتسبت بُعدا عابثا لا شك فيه..

السنتمرات القليلة الفاصلة بينهما، وحقيقة أن هذا الباب الخشبى لا يشكل له عائق بأى حال.. جعلها تفكر.. هل يجب أن تجزع؟!

كانت تثق فى نظرتها وحكمها دائما.. لكن الأمور تختلف مع هذا الرجل.

سألها، وعيناه تشكلان عامل إغواء مرعب:

- **طلب وأسلوبى اطفئ أوى!!**

هذا السخيف يتذكر كلامها جيدا.. للحظة.. بدا لها الوضع عبثيا.. طفوليتها هى التى تجعل أمثاله يطمعون بها، وإمساكها بالباب على هذا النحو يؤكد أنها مجرد طفلة لا تستطيع حماية نفسها.. وهذا المغرور أعلن لها سابقا عن رضاه التام لمجرد أنه ظن.. مجرد ظن أنها بكت بسببه.
تركت الباب تماما فانفتح تدريجيا ببطء، وصرير خافت.

- **على فكرة أنا مش خايفه منك.**

هو لم يأت للتهجم عليها على كل حال.. أعجبها أن شئ من عدم الفهم غزا نظراته.. تابعت:

- **القصة كلها إن ده بيت، وأنا اللي بخطط القوانين هنا، واحد منهم بيقول إن حضرتك ما بنفعش تدخل.. بس.**

قالت ذلك بثبات أشعرها بالفخر.. لو كان يظن أن بإمكانه فرض سلطاته عليها فى بيتها أيضا.. فهو واهم تماما.. لكن جيدا لو لم يطل النظر فى عينيها بهذا الشكل.. فلقدراتها حدود أيضا.

- **ع أسئلكي تحت.. ما تتأخرين.**

بدا كأسد مهزوم، وهو يهم بالانصراف.. لكنها استوقفته مستحضرة مخزونها من البرود كاملا:

- **ميسر (أحمد).. هو حضرتك عايز تتكلم معايا في إيه بالطيط؟**

تسمر.. التفت إليها بحدة، ثم التقط نفسا أخرجه من منخاريه كما لو كان تينا غاضبا.. أشاح وجهه عنها، وأدار رأسه بحركة كاملة، ثم عاود النظر إليها..

- **عارف؟! يمكن أكون ما أعرفكيش من زمان.. بس كونت فكرة كاملة عن شخصيتك.. غير الاندفاع، والعناد.. عندك قدرة غريبة على استغراز اللي قدملك.**

- **والا.. إيه ده؟ دى فكرة كاملة عنى مجرد.**

قالت لها له لترد على إهاناته.. توارى غضبها بطبقة سخرية.. لا تعرف أنها تعادو الظهور كطفلة.. وبمنتهى القوة.. خصوصا مع منامتها التي تحمل نقشا لـ (وينى) الدبodob، وخفها المنزلى المنتفخ.

تقدم منها، واقترب حتى كادت تفقد توازنها.

- على فكرة أنا جاول أفضل هادى قد ما أقدر.. بلاش أسلوب العيان الصغيرة ده.

كانت متراجعة برأسها.. أشار بإبهامه لما خلفه مردفاً:

- ع أسنأكى تحت.

واستدار مبتعدا بخطى سريعة وهبط الدرج دون أن يلتفت إليها مجددا.

أغلقت الباب، ووضعت يدها على صدرها.

كان قلبها يخفق بسرعة محمومة.. لا فائدة من محاولات تهدئته أو السيطرة عليه.

- طيب.. ع أنزل له.. ع أسمع بس مش ع أتكلم.. بيا إنجز وقول عاوز إيه.. أنا مندفع وعنيدة ومستغزة.. الأحسن ما تتكلمش معايا كثير.. وأنا فتمسكت باستغالى.. لأ.. لو إحابلت علما شو به مكن أرجع فى كلامى.. بس سببى أفكر.

حين غادرت البناية كان يقف أمامها مباشرة.. على الجانب الآخر.. مستندا إلى سيارته يراقبها بعينى صقر.. عبرت الطريق إليه فاعتدل فى وقفته.

كانت قد ارتدت عباءة حريرية سوداء، وصندلا نسائيا.. بينما أحاطت رأسها بوشاح مرصع بدا أكثر أناقة من الموقف كله.. كانت العباءة ملتصقة بالمنامة أسفلها.. خصوصا مع إحكام (نورا) لطرفيها بكفيها أسفل صدرها.. وكانت تمسك مفاتيح منزلها بين أصابعها، والمفارقة أن (وينى) الدبodob نفسه كان هو.. علاقة مفاتيحها.

لقد أخبرها منذ لحظات أنها مجرد طفلة.. وإظهاره لأى تأثر بمظهرها سيجعل منه أحمقا تماما.

لاحظ أنها تتصرف بطبيعية تماما.. هى لم تحاول أن تبدو بمظهر معين، ولم ترد أن تؤثر فيه بأى شكل.. وهذه هى قمة الجاذبية.

- حسنا.. فى البداية.. وكى لا نواصل المهاترات.. استقالتك السخيفة تلك مرفوضة تماما.. بل وسأعتبر أننى لم اسمع عنها من الأصل.
- أنا

- فضلا.. إنسى هذا الأمر تماما.. أنا فى غنى عن رحيل الكفاءات أيضا.
كان هناك شابان يسيران على جانب الطريق.. لم يرفعا أعينهما عن (نورا)، ثم هدأ قائد دراجة بخارية من سرعته ليتفحص صاحبة العباءة عن كثب.
- أفضل أن نجلس بالسيارة.. على الأقل أنت.

كان يبدأ أمرا، ثم يخشى أن تعترض.. فيلين نبراته بجملة إضافية.
لكنها لم تعترض.. تحركت فدار معها حول السيارة، وفتح الباب إلى أقصى ما سمحت به المسافة بين سيارته والسيارة المجاورة.. والتي استند عليها عاقدا ساعديه أمام صدره.

- فى الحقيقة.. لم أفهم تصرفك تماما لفترة.. لم أجد منطقيًا.. تستقيلين فى مشادة كلامية لا تعنى شيئا، ثم واتتنى فكرة أن تكونى إطلعت على ورقة كشف كنت قد قمت بوضعه أثناء دراسة ملفات وأوضاع موظفى الشركة، ورغم أن هذا الافتراض بدأ يمنح تصرفك بعدا من المنطقية.. إلا أننى ظللت مرتبكا بدرجة ما.. هل بإمكانك جلب هذا الملف؟!

كان هناك (فولدر) أسود من الجلد يستقر على مقعده.. ناولته له بصمت.. فتحه وسحب الورقة الأولى وقدمها لها..

- لقد رأيت هذه الورقة.. أليس كذلك؟

كانت نفس الورقة بالفعل.. الكشف وعلامات القبول والرفض تلك.
هزت رأسها إيجابا فطلب منها:

- انظرى للاسم رقم ثمانية وعشرين من فضلك.

هبطت بعينيتها قليلا لترى اسمها هـى؁ وأمامه علامة (×) بدوره.. أرتج عليها؁
ورفعت إلى (أحمد) عينين مشدوهتين..

- إذن فأنا أيضا !....!

قاطعها حاسما؁ وإن لم يحاول إبداء ذرة سخرية منها:

- هذا الكشف المبدئى لقياس تناسب دخول الموظفين مع مدى إفادتهم
للشركة؁ والسنوات التى قضوها فيها.. علامة (×) موضوعة أمام
الأفراد الذين لا يحصلون على مقابل عادل لمساهماتهم وسنوات
عطائهم بالشركة.

- يا إلهى !! لقد اعتقدت أن !....!

- أفهم ما اعتقدته.

هزتها المفاجأة بالفعل؁ وشعرت بمدى اندفاعها وحماعتها.

أخذ الورقة منها وأعادها للملف؁ وألقى هذا على سطح السيارة دون إهتمام.

قالت شاعرة بالذنب:

- علمى بطردك لـ (جلال زين) أكد لى أن.. أوهمنى أن.. الأمور قد بدأت
بالفعل.

هز رأسه ببطء؁ وبدا أن صدره ينوء بحمل ثقيل..

- هذه قصة أخرى.

غلفهما الصمت لثوانى ليست قليلة.. كان واجما؁ والتعب يبدو محفورا على
قسماته.. تقاربُ حاجبيه قليلا؁ وحركة شفثيه؁ وشروء نظراته بعيدا أبدا أنه
ليس على ما يرام.. والعجيب أنها شعرت بالمسؤولية؁ والجزع نحوه؁ وكأنها
أمه.

- هل هناك ما يزعجك؟ بخلافى بالتأكد.

شبح الابتسامة الحزينة الذى انعكس على فمه وعينيه وهو ينظر إليها جعلها
تشعر بدوار..

- نعم.. أنت مصدر إزعاج كبير بالفعل.

- لم تقو سوى على الغوص فى عينيه والابتسام بدورها..
- أه.. اسمعى.. كنت قد ذكرتِ عَرَضًا أن لى أسلوب مميز بشكل ما..
حسنا.. لنصبح متعادلين.. فقط لنصبح متعادلين.. لديك أعذب
ابتسامة رأيتها فى حياتى.
- ذابت الابتسامة بالتأكيد.. وحدقت المسكينة فى وجهه، وقد ماج صدرها
بالكثير.. وكان يواصل بلا رحمة:
- بها شئ ما.. يشبه الصاعقة الكهربائية ربما.. أنا.. لم أجرب أن أصعق
من قبل.. لكن.. إنها شئ كهذا.
- ختم عبارته المذهلة، وهز رأسه وعاود النظر إلى الجانب الآخر من الطريق..
بينما ألجم الموقف لسانها تماما..
- أكنتِ قد طلبتِ طعاما؟!
- سألها، وقرن سؤاله باسم المطعم الشهير، فالتفتت إلى بناية سكنها، ووجدت
مندوب التوصيل يقف مع حارس البناية الذى يشير إلى السيارة.. كانت قد
نست الأمر.. كما لم تجلب نقودا معها.
- لقد
- قطعت عبارتها حين التفتت لـ(أحمد) ولم تجده بجوارها.. أشار لعامل
التوصيل، واستلم منه الحقيبة الورقية للطلب ونقده حسابه، وعاد إليها يقدم
لها طلبها.
- عذرا.. لم أتذكر الأمر و....
- هل يستحق الأمر إحمرار وجنتيك هذا؟
- كان مبتسما لها، فكافأته بأن حذت حذوه.
- كانت الآن لا تجلس بشكل كامل فى السيارة.. قدميها على الطريق.. وضعت
الحقيبة فى دواسة مقعدها، ثم سألت (أحمد) بإهتمام واضح:
- لماذا تبدو حزينا، أو بشكل أدق محبطا؟!
- عاود عقد ساعديه أمام صدره، وأجاب بصوت هادئ:

- لقد اكتشفت أن الأمور بالشركة ليست كما ظننت.. هناك مشكلة قديمة مع الضرائب.. تحولت لقضية.. تم إهمالها تماما من قِبَل الشركة، وصدر حكم بالحجز على حسابات الشركة بالبنوك، وحسابات أبى بصفته رئيسا لمجلس الإدارة.
- يا إلهى!
- لم تقدر مع سماعها لحجم مشكلته أن تظل جالسة.. نهضت لإشعاره بالدعم ربما.
- نعم.. حين سألت (جلال) عن هذا بدا وكأنه يتذكر الأمر.. لقد ورطنا فى كل ذلك.. متابعة القضية كانت لتجنّبنا هذا الحكم، وكانت فرصة التصالح قائمة بشكل أفضل كثيرا.
- وماذا ستفعل؟!!
- اجتمعت اليوم بقسم الشئون القانونية لدراسة الموقف.. سنبدأ إجراءات الطعن على الحكم، ولكن الكارثة فى أن رفع الحجز قد يستغرق سنوات ليتم.
- شعرت بأنها مستعدة لمساندته بكل كيائها.. الرجل القوى يواجه مشاكل كبيرة وحده.. ومفاجأة ساحقة كتلك كفيلة بهزيمته.. الأموال التى سعى لتطوير الأمور بها كلها مجمدة.
- وهل علم (منصور) بك عن الأمر؟!!
- تنهد (أحمد) تنهيدة كادت تفتت قلبها، ومط شفثيه للأمام قبل أن يطرق برأسه..
- الرجل العجوز مريض.. السرطان يهاجم رئتيه بشراسة.. مرحلة متأخرة.
- يا إلهى! يا إلهى!!
- هذه المرة تقلصت ملامحها وسالت دموعها مباشرة.. وضعت يدها على فمها، وصدر منها نحيبا قصيرا.

- لا.. لا.. (نورا).. من فضلك.. تمالكى نفسك.. أرجوك.

انهيارها هذا فاجؤه.. كرة شوك فى حلقه ابت أن تتزحزح مع محاولة جهيدة ليزدردها. كان آخر ما يريده أن تنهار تلك الأنثى فى البكاء بجواره.. شعر بالوهن، ولم يكن يكره فى حياته أكثر من ذلك الشعور.. دار حول السيارة وأخرج منها علبة مناديل، وعاد ليضعها على السقف بجوار (نورا).
تحرك مبتعدا بعد أن رجاها مرة أخرى:

- تماسكى أرجوك.

قالها بحشرجة، وسار إلى الإفريز وأخذ يسير بلا هدف.. من حقها أن تحزن.. فقد قضت ثمانى سنوات مع الرجل، وكان يقع لديها بمنزلة والدها، ومن حقها أن يفسح لها مجالا لإفراغ مشاعرها.
وقف مغمض العينين لثوانى.. حين التفت وجدها قادمة نحوه.. فاتنة هى.. مضطربة وتجاهد للتماسك.

كان الأمر يحتاج منه أيضا لجهد مضمئى.. ليطمأنك بدوره.

- أنا آسفة جدا.. لا أعرف كيف أعتذر لك.. أنا آسفة.

كانت تعتذر له عن إزعاجها له.. إسائتها الظن به.. والإثقال عليه.. وكانت لهجتها تقطر دموعا، وفى يديها مناديل مبللة، وثمة ارتجافة فى شفرتها السفلى.

- لم أكن أعلم بكل ذلك.. أنا آسفة.. لم أكن أعلم.

- حسنا.. حسنا.. لست غاضبا منك بأى قدر.. ما من داعى لاعتذارائك..
إهدئى.

المجال المغناطيسى بينهما كان يموج بالكثير الآن.. لو لم تكن واعية لارتكبت فعلا تحرقت إليه بشدة.. فعلا قد يعد فاضحا فى الطريق العام.

- تعالى.

وضع يده على ظهرها لثوانى، ثم سحبها وهو يقود الشابة للعودة إلى السيارة مرة أخرى.. حيث عادت الجلوس، وعاد هو للاستناد إلى السيارة المجاورة.

- أريد رؤيته.
- لقد طلب منى عدم إخبار أحد.. الطبيب أكد أهمية عدم تعريضه للغضب، أو الانفعال.
- حتى لو زرته بشكل طبيعى تماما؟
- لقد رفض أى نوع من العلاج.. توجّه زوجته إلى (الإسماعيلية)، ويقولون أن التعب إشتد عليه.. سيفيده دعاؤك فقط.
- رأى دموعها تسيل، وأدرك مدى إخلاصها للرجل العجوز.. كانت تقاوم نهضة ما جعلها تنتفض ثم تدفن وجهها فى كفيها.
- مد كفيه وسحب معصمها بعيدا عن وجهها برفق.
- حين رآته من بين دموعها كان مثنى الركبتين أمامها مباشرة، وحدقت فيه حين أمسك رأسها بين كفيه، ومسح دموعها بأصابعه.
- رمشت بعينيها بضعف.. كانت تائهة تماما، وكان هو يميل نحوها بجذعه ببطء، وتوقف قلبها عن الخفقان، وتسمر الكون من حولها.
- توقف، وعاد برأسه قائلاً:
- أنا من يجب أن يعتذر.. لقد أفسدت ليلتك، وملأتك بالكآبة.
- لم يفهم نظرتها الآن.. كانت تحتاج للدراسة والشرح..
- كانت ممتنة له أن توقف، ولكنها تعكس توقفا شديدا.
- لم تكن ستوقفه.. لكنها كانت ستندم.. ولذلك قدرته هو على التوقف كانت محل إمتنان عميق ها هنا.
- أتريدين هذا الطعام؟
- هزت رأسها نفيا بقوة، فجاهد ليمنحها ابتسامة وهو يتناول حقيبة الطعام من جوارها، ويعتدل واقفا متحنحا بقوة.

أخرج علبة بها شطيرة (برجر) وضعها على فخذ (نورا)، وأخرج عبوة بطاطس مقلية، وفتيرة تفاح.

- لا تقلقى.. سنتناول هذا، ونحضر لك بدلا منه فورا.

ابتسمت له بشحوب وهى تقدم له علبة الشطيرة مرة أخرى.

- لن أكل وحدى بالتأكيد.. إقسميها.

دعته ليأكل، وبدأت راغبة فى أن يفعل.. لكنه أصر فاقتطعت جزءا من الشطيرة بيدها لنفسها، وتناولت شريحتي بطاطس حين دعاها لذلك. كان ينظر بعيدا حين طالبها بتعديل وضع وشاحها.. أسرع برفع يدها إلى جبهتها لكن شعرها كان مختفيا.. المشكلة كانت فى عنقها، والزر الأول للنامة.

لم يكن هو قد أكل شيئا منذ ليلة امس.. لكن هل كان جائعا لدرجة أن يتناول عشاء تلك الجميلة الحزينة؟! ربما بدا ما فعله إلهاءا مناسباً كان يجب إيجاد مثله.

أعاد لها فتيرة التفاح الصغيرة باسمها فمدت يدها الرقيقة، وأخذتها بصمت.. فى حين جمع هو ما يجب التخلص منه فى الحقيبة الورقية، وظل ممسكا بها..

- (نورا) .. أتمنى ألا أكون قد سببت لك ألما بأى شكل.. سامحيني أن صارحتك بالأمر.

هزت رأسها نفيا، ثم همست تقريبا:

- لا تقل ذلك.

- سأتركك الآن لأن الليل شارف على الانتصاف، ولديك عمل فى الصباح لا يجب أن تتأخرى عنه.

عاودتها البسمة الشاحبة وهى تومئ له برأسها.

لم يصارحها بالأهمية الملحة لانصرافه الآن.. فضل الهديان عن ذلك. نهضت واقفة فهز لها رأسه مشجعا.

قالت بصدق بالغ:

- ستسير امور الشركة على ما يرام بإذن (الله) .. أريدك فقط ألا تتردد فى طلب أى شئ منى.. هذه الشركة لها أفضال كثيرة على فى حياتى.. وأريد مساندها فى هذه الأزمة.
- سنتجاوز ذلك بإذن (الله) .
- أعجبتها الجماعية فى جملة، وردت:
- سنفعل بإذن (الله) .
- حسنا.. سأتركك تصعدين لو وعدتيني بأمر واحد.
- أرادت أن تصارحه بأنها مستعدة للوقوف هنا حتى الشهر القادم..
- وما هو؟!
- ألا تبكين مرة أخرى.. على الأقل الليلة.. والغد أيضا.. ربما لنهاية الأسبوع.
- ابتسمت وهى تشبع عينيها من طلعه البهية، وهزت له رأسها.
- أوما لها بدوره، ثم قال:
- حسنا.. تصبحين على خير.
- جاوبته، ثم أشارت له بيدها وداعا، وعبرت الطريق، واختفت داخل بناية سكنها.
- فتح هو مؤخرة السيارة، وتناول منها زجاجة مياه صغيرة.. أحنى رأسه، وسكبها فوقه كاملة..
- مسح وجهه وشعره، ثم استقل السيارة متنهدا بعمق.
- توجه إلى فرع المطعم القريب، وكرر طلب (نورا)، وأضاف إليه شطيرة أخرى.
- بحث قليلا عن أقرب محطة وقود تحوى متجرا مماثلا لما توقفا عنده منذ لىالى قليلة.
- ابتاع لها كمية ضخمة من الحلوى التى تحبها، وكان يذكرها جيدا.

أوقف السيارة أمام البناية التى تضم شقتها، ولكن بابها الحديدى كان مغلقا، وما من مقبض من الخارج.
وقف حائرا ينظر لأزرار الإتصال بالشقق، ثم تبين اسم والد (نورا) على أحدهم.

- نعم.
- مرحبا يا آنسة (نورا).. أنا عامل التوصيل.
- تمزح بالتأكيد.. هل ذهبت لتحضر لى طعاما؟ لم يكن عليك ذلك أبدا.
- هل ستفتحين لى الباب، أم أن لديك تلك السلة المصرية القديمة..
أيمكنك إنزالها الآن؟

ضحكت قائلة:

- لا.. ليس لى هذا.. سأفتح الباب فورا.
- صعد، وهو لا ينتوى الإطالة.. كان يتمنى وضع ما أحضره أمام الباب، ودق الجرس، والرحيل.
البوابة الحديدية المغلقة غيرت خطته، وجعلته يجد صاحبة الشقة واقفة ببابها بتلك العبء السوداء، ولكن بطرحتها التى فتحت له الباب بها منذ سويغات.

ناولها ما أحضره مبتسما.. شهقت مع حقيبتى الحلوى الإضافيتين..

- ما كل هذا؟ يا إلهى!! ما كل هذا؟!
 - تصبحين على خير.
- استدار من فوره وعاود هبوط الدرج، وتركها مسمرة، ولديها مخزون حلوى يكفيها لشهور.

فى اليوم التالى عادت (نورا) إلى عملها.. لم تفكر كثيرا، ولم يكن عقلها متطلبا لتفسيرات إضافية.. لم تكن ترى سوى أن عليها مساندة هذا الرجل قدر إمكانها.

العائق الوحيد الذى وقف بينها وبين الاستسلام لرغبتها فى التواجد قربه هو ألا يبدأ التغامز حولهما.. (على).. الفرائش العجوز هو من أدخل للرئيس (صندوق الغداء) الذى أعدته هى له.. بدأت تنجز عملها المتأخر، وأخبرتها (ليلي) أن ابتسامتها صارت أجمل لسبب ما.

طلبها (أحمد) لتصعد إليه مع (سلمى) و(أيمن).. انتبهت فى المصعد إلى أن (سلمى) محتشمة تماما.. ربما أكثر من اللازم، وضايقتها فكرة أن يكون (أحمد) هو من تحدث إليها عن ذلك.

فى مكتبه استقبلها، أو هو استقبلهم جميعا.. بابتسامة بادية التعب.. إهتمت بالبحث عن علبة الطعام البلاستيكية التى أرسلتها له، وأثلج صدرها وضوح أنه تناول من الطعام بالفعل.

اجتمعوا على الطاولة الكبيرة لكنه طالبها بالجلوس قربه لأنها من ستناقش ملفاتها اليوم.. وأسعدها ذلك بالإضافة لملاحظتها أن (سلمى) تبدو كمن تعرف حدودها جيدا اليوم.

أصر (أحمد) على إنهاء الاجتماع قبل الخامسة بقليل، وتمنت (نورا) أن يطالبها بالانتظار قليلا.. حتى لو كان سيجعلها تجلس أمام مكتبه وهو ينهى أوراقه.. لم تحاول أن تقول شيئا بعينها.. إتخذت طريقها إلى الباب.. لكنه ما لبث أن قال:

- (سلمى).. انتظري لحظة.

التفتت إليه بشئ من الاستنكار.. هل قال (سلمى)؟! لم يكن ينظر إليها.. خرجت شاعرة بالغضب، وقررت الانتظار خلف مكتبها حتى لو مضى موعد الانصراف.. وقد حدث.. كانت فى الخامسة والنصف تجلس فى الطابق وحدها مع حقيبة (سلمى)، والتى عادت منتعشة وإن كانت محمرة العينين.

ورغم أنها إتخذت قرارا مسبقا بعدم سؤال (سلمى) أبدا.. وجدت نفسها تقول:

- ما الذى أحرّك هكذا؟ لم أرد الانصراف قبل مجيئك.

- (نورا).. أشعر أن شيئاً مميزاً يحدث لى.. (أحمد) يهتم بى منذ أيام، وأشعر معه بتلك الـ.. الأجواء الدافئة.. تفهمين ما أقصد.. أليس كذلك؟
- أوه.. تماما.. أكثر مما تتخيلين.
- اسمعى.. لا تخبرى أحدا حتى لا يفسد الأمر، ولكن قومى بالدعاء لى.
- يا حبيبى!! داعية لك يا (سلمى).. وأنا عنديم أغلى منك؟!

كانت تجيب (سلمى) ساخرة، وهى تريد قتله.. نعم.. قتله هو.. ف (سلمى) لم تكن تترك شابا وسيما، أو أنيقا يدخل هذه الشركة إلا وحاولت خلق تلك الأجواء "الدافئة" معه.. ولكنها لم تنجح فى الإقرار بأنها تعيش حقا - تلك الأجواء - سوى مع قليلين.. فلماذا يكون (أحمد) واحدا منهم بحق (الله)!!

تذكرت أيضا وهى فى طريقها للمغادرة أنه مازح إحدى سكرتيراته اليوم.. إنه الرجل اللطيف مع الجميع إذن.

ولدت الفكرة اضطرابا فى معدتها.. لو لم يكن لقائهما أمس هو أنسب تعريف للأجواء الدافئة.. فهى مخبولة وتتهم أشياء..

حاولت صرف تفكيرها عن الأمر برتمته، واستقلت سيارتها وتوجهت بها إلى (الزمالك).. رحبوا بها فى مطعمها المفضل، ووفروا لها أجواء لطيفة مبهجة.. جعلتها تكتب بشدة لعدم وجود من يشاركها فيها!

لم تأكل كثيرا.. أخذت بقية ما طلبته معها، وقررت فى طريق عودتها أن تتصل ب (علا).. و(علا) هى صديقتها الأقرب عبر سنون حياتها.. ذكرياتهما معا كثيرة جدا.. بدءا من المدرسة الثانوية مرورا بكلية التجارة - لغة إنجليزية، وانتهاء بسنوات ما قبل زواج (علا)، وسفرها إلى (الكويت).

بكت (نورا) كثيرا عند الفراق، وظلت تتصل بصديقتها كثيرا، وتحاول التعامل وكأنها لا تزال هنا، ثم حدث ما أوقفها تماما.. علمت أن (علا) عادت إلى (مصر) فى زيارة قصيرة، ولم تحاول رؤيتها أو الإتصال بها، ورغم أن ذلك ربما قد حدث فى ظروف خارجة عن إرادة (علا) نفسها، ولكن الأمر أشعر (نورا) أنها قد أمست صفحة مطوية لدى أحدهم.. وهذا الشعور ألمها بشدة.

لم ترد (علا) الإتصال فى هذه اللحظات، وهو ما ضاعف من إحساس (نورا) بحاجتها لرفقة.

بحثت بعينها على الجانبين حين وصلت لشارع مسكنها.. تفتش عن سيارة ما.. (مرسيدس) فضية ربما.

صعدت إلى منزلها، ومشاعرها تتلاطم داخلها بشكل عجيب.. لم تكن تبالغ حين أقرت أن ظهور (أحمد منصور) يدفعها للجنون.. الحزن الفائق الذى خلّفه أمس كان ممزوجا بفرحة تكاد تكون هستيرية.. لو استعادت التفاصيل الصغيرة فى لقاءهما أمس.. بعض كلماته.. شراؤه الحلوى لها.. ونظراته.. ويا لتلك الأخيرة.. والتي تحديدا تسببت فى اضطراب كبير لها اليوم.. أتراها تتوهم ما يجعلها تستبِق الأحداث نوعا، أو تمنحها أهمية إضافية؟ أتراه أمس لم يكن يشعر بأى شئ إضافى ذى قيمة؟!

استقرت على أريكتها بعد قليل، وهى تقاوم رغبتها الملحة فى التحدث مع أحد، وقررت الهدوء وإعادة ترتيب أفكارها.. وهو ما كان سيناسبه سفرها بشكل كبير.. لكنها الآن مقيدة هنا بشعور من المسؤولية.. كان أمتع كثيرا عند الظهيرة!

تلك المعادلة الصعبة ما بين إحساسها نحوه - والذى لم تختبره مسبقا - وما بين رغبتها الغريزية فى حماية نفسها - والتي تلازمها منذ طفولتها تقريبا، وتجعلها كقط شرس مستعد للدفاع عن نفسه حتى لو كان ذلك سيؤدى به.. تلك المعادلة هى الأصعب حقا.. نعم.. أحبك.. بل أعشقتك، ولكننى لن أقبل الوقوف فى صف مرديك.. لا.. لا يمكن لهذا أن يحدث.. ليس تجبرا أو تكبرا، ولكننى أختلف.. ستنجح إذا ما أدركت ذلك وأشعرتنى به.. إن لم تغلح فقدّر (الله) وما شاء فعل.

هل تهم الإشارة إلى انتفاضها حين دق جرس الباب وتسلسلها فى خفة نحوه لإلقاء نظرة من ثقبه، وقلبا ينتفض بدوره؟! كان حارس العقار يريد إعطائها خطاب وصلها اليوم من البنك.. ألقته بلا اكتراث على الطاولة قرب

الباب.. هذا كشف حسابها الشبه خاوى منذ سنوات.. هو مفتوح فقط لتلقى فيه راتبها من الشركة، فتسحب في اليوم التالى على الأكثر. راودتها الرغبة فى النوم خارج فراشها.. وهى رغبة ليست جديدة عليها.. طفولية على الأرجح، ولكنها تحتفظ بحشوة إسفنجية خاصة لإرضاء تلك الرغبة التى تشعرها فيما يبدو ببعض التغيير.. المعيشة وحدك تخلق لديك نزوات غريبة نوعا.

أغلقت الستائر لمزيد من الخصوصية والإظلام، وسحبت الحشوة من خلف الأريكة، وأحضرت وسائدها وافترشت الأرض أمام (التليفزيون).. لو فكّرت فى أمر (منصور) قليلا فستبكى مجددا.. لقد جعلتها ردة فعلها حين علمت بمرضه تدرك كم هى هشة، أو كم صارت هشة تجاه فقدان الأجزاء. أغلقت التلفاز فعم الظلام أرجاء الردهة.. الساعة تدنو من التاسعة لكنها تأمل فى نوم عميق حتى الفجر على الأقل.

إهتمامها المعتاد بمتابعة حساباتها فى مواقع التواصل عبر الإنترنت خفت مؤخرا بشكل كبير.. لم تكن تحب تحول تلك المواقع لمرتع لكل طفل يحسب نفسه سياسيا محنكا، وكانت فى الأعوام الأخيرة تنفر من نزعة التطرف الواضحة فى كل ما يقال من آراء وتعليقات.. لكنها كانت - على الأرجح - مُتمسكة بما يشعرها بأن لديها أصدقاء يمكنها التحدث معهم، أو حتى المزاح على الأقل.. بشأن تفاهات فى أكثر الأحيان.. لكنه نوع من الإحساس بالألفة والصحة البشرية بلا شك.

نامت، ولكن حتى منتصف الليل تقريبا.. استيقظت لتجد نفسها متكومة على بعد متر من الحشوة المفترض أن تنام فوقها.. أطلقت آه ضيق حين تبينت التوقيت فى هاتفها، ونهضت تشعر بالإرهاق أكثر مما قبل نومها. الاستحمام هو ما فكرت فيه.. ليس استحماما عاديا.. سيستغرق قرابة الساعتين، وستستعمل فيه سوائل ومرطبات، ومستحضرات للشعر.. لتجعله أقرب إلى حمام ملكى.

حين غادرته شعرت برغبة فى تجاهل مناماتها زاهية الألوان، والتي عادة ما تحمل رسوم أبطال (ديزنى).. ارتدت قميص نوم إشتهرته مؤخرا يمنحها الشعور بأنها مذهلة، وحين وقفت تتأمل نفسها بالمرآة ذهب تفكيرها فورا إلى (أحمد)، ونبهها ذلك إلى أنها المرة الأولى التى يستحضر فيها ذهنها رجلا ما، وهى تشعر بأنوثتها إلى هذا الحد.. إدراكها أنها تتمناه ألمها رغما عنها.. مرة أخرى الشعور بالضعف، والوهن.. مرة أخرى الشعور بأنها تعد نفسها للأذى بأفضل مما سيفعل عدو لها إن وُجد.

إذن.. هو الرجل الأول والوحيد الذى يجذبها من هذه الناحية أيضا.. كانت فى مراهقتها تحب (توم كروز) بشدة.. لم تكن مهووسة به لكن وسامته بدت لها كاملة يوما.

رفعت أحد حاجبيها ولوت شفيتها..

- فليكن يا (ميستر) (أحمد) .. أحدهم لا يدرك ما يفوته هنا.

أشعلت أضواء الردهة والمطبخ، ولم تخاطر بفتح الستائر بالتأكد.. أعدت عصير المانجو وفتحت (الكمبيوتر) الخاص بها وتربعت على الأريكة الضخمة.. قامت بتشغيل التلفاز - رفيق لياليها - وضبطته على قناة الطهى الأثيرة.

حين قامت بفتح حسابها فى موقع (فيس بوك) وجدت طلبى إضافة جدد، ورسالة من (أيمن).. لم تشعر برغبة فى قراءة الأخيرة بينما فكرت لثوانى أنها لا تعرف أى من مرسلى طلبات الصداقة الجدد.. كان أحدهما ذكرا.. صورته تقول أنه يجلس فى مقهى شهير ويملك سيارة فارهة، وهاتف حديث، ونظارة غالية الثمن!!! بلى كانت الصورة تقول كل ذلك.. حتى إنك قد تتعجب لماذا لم يضع صندوق مجوهرات امه على الطاولة أمامه أيضا قبل أن يقوم بتصوير ذاته! رفضت طلبه مباشرة فى حين تسائلت:

- من (نهى السهل)؟

دققت النظر فى الوجه قليلا..

- آه.. (نهى) حسابات.

(نهى) هى من أهدتها المصحف الصغير يوم أن ارتدت الحجاب.. قبلت الطلب بالتأكيد، وأرسلت لها تشكرها أيضا، ثم فعلت ما اعتادت عليه مع كل صديقاتها المتزوجات، ومن تملكن أطفالا.. تصفحت الصور الخاصة لتبدى إعجابها بالتي تضم (نهى) مع زوجها، أو تضم طفلها الذى لا يتجاوز عمره الخمس سنوات.. هذا أكثر ما يسعد الناس.. أن تبدى إعجابك بأطفالهم حتى لو كان هؤلاء أشبه بقردة صغيرة.

فوجئت بعد ثوانى بـ (نهى) ترد على رسالتها.. سألتها (نورا) عن سبب استيقاظها حتى الآن فأجابتها أن حرارة (هيثم) مرتفعة، وأنها لا تستطيع النوم.. (هيثم) قطعاً هو قر.. إبنها الصغير.

بدأت تتحدثان، ولاحظت (نورا) أن الطرف الآخر يمنحها جل إهتمامه.. فلم تشأ عدم مبادلته بالمثل.. (نورا) سألت عن أحوال الزواج، والطفل الوحيد.. (نهى) سألت عن الحجاب، والأحوال العاطفية.. كانت (نورا) تكتب جملا عربية بحروف إنجليزية! بينما تكتب (نهى) بالعربية.

وجدت (نورا) نفسها سعيدة بتبادل الرسائل مع هذه الزميلة التى لم تكن تلمحها تقريبا من قبل.. وأبدت (نهى) إهتماما لا فضولا.. كما أخذت تشيد بقرار الحجاب، وتثنى على أناقة (نورا) وذوقها فى اختيار ملابسها.. بعد قرابة الساعة كان السؤال..

- أنا صريحة يا (نورا) .. أشعر أنك تعيشين قصة حب هذه الأيام.. هل هذا صحيح؟

- وما الذى أشعرك بذلك بالضبط؟

- هذه الأمور تكون واضحة تماما.. ليس وجوما وشرودا فقط بالتأكيد..

أحيانا الفرحة، ثم أيام غيابك عن الشركة.

- واضحة تماما لمن؟ الجميع؟

- تقريبا.. لكننى لم أتحدث مع أحد عن ذلك و(الله).. أسألك وأتمنى أن تكون أمورك على خير ما يرام.
- حسنا.. وما علاقة غيايى عن الشركة بالأمر؟
- ربما لا توجد علاقة على الإطلاق، وربما هى علاقة وثيقة.
- حسنا.. وما رأيك أنت؟
- بسم (الله) الرحمن الرحيم.. الإجابة رقم (٢).. علاقة وثيقة.
- يا إلهى! أى مسابقة تلك.
- أرسلت (نهى) وجوها ضاحكة، وتوقفت المحادثة لثوانى.. حتى سألتها (نورا):
- من الواضح أنك قمت بتكوين فكرة عن الأمر.
- ربما.. إلى حد ما.
- حقا!! وما تلك الفكرة؟
- ترقيت (نورا) الجواب متحفزة.. تمنى أن تكون فكرة (نهى) حول (أيمن)، أو حتى عم (على) العجوز.. لكن الرد جاء صادما لها..
- (أحمد منصور).
- هبت واقفة، ووضعت راحتها على جبهتها متممة:
- يا إلهى! يا إلهى!!
- دارت حول الطاولة مبهورته نوعا.. ثم ضحكت كما لو كانت مصابة بالعتة.. صدمت كأس العصير وهى تعود للجلوس فانسكب بعضه على السطح الزجاجى للطاولة، فلم تهتم بتنظيفه، وهى تثب لتمسك ب (الكمبيوتر) مجددا.. كانت (نهى) قد قالت أمام صمت (نورا) فى رسالتين:
- (نورا) .. إذا لم ترغبى فى التحدث عن الأمر فيمكننى احترام ذلك تماما.. وإذا أردت الحديث فتأكدى أن أحدا لن يعرف كلمة منه، أو عنه.
- كتبت (نورا):
- لكن كيف أمكنك معرفة ذلك؟ هذه كارثة.

- لا.. لا.. ليست كارثة أو شيء.. مكتبي قريب منك.. أراك وأنا جالسة طوال اليوم تقريبا، وهذا مجرد تخمين.. رغم أن تخميناتي دائما ما تصيب.
- حسنا.. (نهى) .. يجب أن تعرفى أن الأمر من ناحيتى فقط.. هو لم يقل كلمة أو يلمح إلى شيء.. وهو لا يعرف عن الأمر.. على الأقل حسبما أتمنى.
- أنت رائعة و(الله).. ما الذى تريدين قوله؟! وفيم دفاعك عنه؟ لن أتحدث مع أحد عن هذا.. أقسم لك.. لكن "لم يلْمَحْ لشيء" تلك أعتقد أنها خاطئة تماما.
- وكيف ذلك؟
- أول يوم جئت فيه بالحجاب.. وكان أول يوم تلتقينه.. حين جاء فجأة وكنت أنت و(أيمن) و(سلمى) تأكلون.. بدا عليه تأثر كبير، ثم قام بتوبيخك أنت فقط، وكأنه يعبر عن غيرته.
- ماذا؟ هذا جنون.
- حسنا.. وماذا عن التصريح الانتظار لسيارتك؟
- وما شأنه هو بذلك؟!
- لا تقولى أنك لا تعلمين بأنه استدعى العقيد (إبراهيم)، وطالبه بالسماح لسيارتك بالانتظار بالساحة بدلا من (ماجد) - متخصص تكنولوجيا المعلومات.
- هو فعل ذلك!! و(الله) لا أعلم.. ولماذا؟!
- إسألنى نفسك يا عزيزتى.
- (نهى).. (نهى).. ما تقولينه غير منطقي بالمره.. اليوم الذى حدث فيه الأمرين هو أول يوم يرانى فيه، ولن أخفى عليك أنه عاملنى بمنتهى السوء، وطرردنى من مكتبه تقريبا.

- حسنا.. لا أريد أن أؤكد الأمر بشكل مبالغ فيه.. ولكننى سأقول لك أنه ليس سهلا.. فلا تدعيه يخدعك.

- ماذا؟

- لا.. لا.. لم أقصد أنه ليس سهلا بهذا المعنى.. أقصد أنه ذكى جدا.. فلا تدعى تظاهره بالقسوة يقنعك أنه لا يشعر نحوك بشئ.. بل ربما قسوته معك هى خير دليل على مشاعره نحوك.. اسمعى يا (نورا).. لا تتعجلى الأمور، ولا أقصد تعذيبك بالكثير من الآمال.. دعينا ندعو أن يكون نصيبك فيه لو كان سيسعدك.

- يارب!

قالتها (نورا) بحرارة، ولم تكتبها.. استأذنتها (نهى) كى تتمكن من النوم قليلا قبل موعد الاستيقاظ للعمل.. شكرتها (نورا) بصدق، وأنها المحادثة بودية. هل تُجدى الإشارة هنا أن (نورا) لم تذق النوم حتى موعد عملها؟ لا.. يبدو هذا جليا واضحا بالفعل.

وصلت إلى الشركة فى ذلك اليوم وهى تشعر برهبة حقيقية.. كما لو كانت ستخوض اختبارا صعبا.. حاولت جاهدة طرد فكرة أن الجميع يتابعونها، ويعلمون أنها تهيم بالرئيس.. وشعرت أنها فاشلة كمثلة لأنها كانت سريعة التجهم، والوجوم.. أحزنها أنها عُرِضى لقول أكثر قسوة من: "إنها تحب الرئيس".. من السئ أن يقال ذلك، ولكن من المُهين أن يقال "إنها قد ظنت أن الرئيس يمكن أن يحبها".

لقاؤها ب (نهى) كان أكثر لطفا عنه طوال السنين السابقة.. وتوجهت (نورا) إليها فى العاشرة..

- هل يمكن أن أسألك عن أمر ما؟

- بالتأكيد يا عزيزتى.

- ماذا عن خاتم الخطبة فى يده؟

- ابتسمت (نهى) قبل أن تجيب:

- مجرد خاتم.. حلقة معدنية تحيط إصبعه.
- وماذا يعنى هذا؟!
- يعنى أنه غير متزوج.. يمكنه اختيارك.. هل هى أمريكية؟! فلتنذهب إلى الجحيم.. لن تأخذه من أطفاله مثلا، ويكون عليك الشعور بالذنب حيال ذلك.
- وماذا عن أنه يبتسم للجميع؟ والكل يجدونه لطيفا.. و(سلمى) تقول أنه يتقربُ منها.
- ب (الله) عليك يا (نورا).. تعرفين (سلمى).. عموما لو أنه سيختار ما بينك وبين (سلمى) فيمكنك التفكير فى موعد حفل زفافك من الآن. أجفل التعبير الأخير (نورا)، وحدقت فى وجه (نهى) التى ما لبثت أن ربتت على ذراعى زميلتها، وأردفت:
- لماذا أنت منزعة؟ دعى الأمور تسير كما هو مقدرٌ لها..
- منزعة لأن الناس علموا عن الأمر.
- ليس كل الناس بالتأكيد.. بالإضافة أن لا ذنب لك فى هذا.. الكل هنا يترقبون مثل هذه الأمور.. يحبون أجواء القيل والقال تلك.. لكن كل هذا بدأ بقصة تصريح السيارة، وهو ما لا دخل لك فيه أبدا.
- هزت (نورا) رأسها نصف مقتنعة، ولم يزايلها الانزعاج.. (سلمى) كانت تتغيب عن مكتبها كثيرا، وليس من الصعب معرفة مكانها.. وصلها استدعاء (أحمد) فى الواحدة، وكانت جاهزة، وقد أتمت دراسة كاملة عن الفكرة التى قدمتها له مسبقا بشأن فقرات (الفيديو).. حين دلفت إلى مكتبه كان (أيمن) يرافقها بينما (سلمى) تقف أمام صاحب المكتب ضاحكة على سخافة ما.
- نهض وأوما لها بابتسامة، فردت إيمائه.. بدأ اجتماعه بهم مباشرة، وكانت هى المطالبة بالحديث والشرح اليوم أيضا.. لقرابة الساعة وليس أكثر.

حين صممت كان هو الآن يعرف بكل ملفات وإنجازات التسويق لفترة سابقة ليست بقصيرة.. اعتدل، واقترب بمقعده من الطاولة، وقام بتوزيع ورقة مطبوعة على ثلاثهم معلنا:

- هاكم قراراتى بشأن الملفات التى لا تزال مفتوحة.
وضعت (نورا) تركيزها فى الكلمات القليلة بخطه لتعرف أى الملفات سيغلقها تماما بينما قالت (سلمى) متظاهرة بالحزن:

- وأين تقييماتك لعملنا يا رئيس؟ ألم تعدنى بإخبارنا رأيك فى إنجازاتنا؟

- بلى يا (سلمى).. وكلكم رائعون.

- فلنتناول الغداء معا اليوم إذن.

- سيسعدنى ذلك.. لكن دعينا ننهى ما لدينا أولا.. هل لديكم ملاحظات على الورقة معكم؟

سألته (نورا) بلهجة محايدة تماما:

- هل ستوقف تعاملنا مع الحاج (لاشين)؟ نتعامل مع مصنعه منذ بدأنا العمل فى لافتات الطرق السريعة.

هز رأسه موافقا، وقال بإهتمام:

- راجعت أسعار التوريد فى السنوات الأخيرة، ووجدت قفزة مفزعة فى سعر الخام.. قفزة غير مبررة.

- منذ عامين تقريبا؟!

- بلى.. هذا صحيح.

- حسنا.. أعرف عن هذا، وقد قلته من قبل لـ (منصور) بك.. وأقر بالاستمرار معهم.

- وهل تعرفين سبب ذلك؟!

- نعم.. الرجل نفسه.. الحاج (لاشين) توفى فى هذا الوقت، وآلت الإدارة لأبنائه، والذين قاموا برفع الأسعار على هذا النحو.. لكن (منصور) بك

كان يختزن رصيد من الحب للرجل المتوفى، ورفض أن يوقف التعامل مع مصنعه بعد رحيله.

كان يولى (نورا) إهتماما كاملا أثناء تحدثها، وكانت هى هادئة تماما. تدخلت (سلمى) فى الحوار قائلة بضيق:

- أنا غير مقتنعة بهذا، وأؤيد قرار الرئيس بإيقاف التعامل مع المصنع. لم يلتفت (أحمد) إليها حتى.. ظل ينظر لوجه (نورا)، وفور أن شعر أن لديها المزيد قال:

- هل تودين الإدلاء برأيك عن الأمر؟

- نعم.. المصنع من أفضل مصانع المنشآت المعدنية فى (مصر).. كما حدثت بالسوق المصرية قفزة جديدة مؤخرا بسبب ارتفاع سعر المحروقات، ولم يوافينا أبناء (الاشين) بما يفيد رفع أسعارهم، أو تغييرها.. بالإضافة إلى التزامهم الدائم فى مواعيد التسليم حتى أنهم ذات مرة تكفلوا بنقل لافتات حملة كاملة على طريق (الإسكندرية) الصحراوى دون أن يكلفوننا جنيها إضافيا.. أرى أن كل ما علينا هو طلب عروض أسعار من مصانع أخرى منافسة، وتحدث مع أحد الأبناء عن الأمر.. الأكبر يدعى (حسين)، وهو من يدير المصنع كله حاليا.

هز لها رأسه، ثم سحب من يدها الورقة، وشطب قرار الإيقاف قائلا:

- إفعلى ذلك من فضلك.

سجلت مذكرة لنفسها بطلبه، وأعاد إليها الورقة قائلا:

- حسنا.. هل من ملاحظات أخرى يا شباب؟

جاهدت (سلمى) لقول ملاحظة ما.. من الرائع أنها لم تبد رأيها فى خط (أحمد) مثلا.. بينما هزت (نورا) رأسها نغيا بثقة، وقد فحصت الورقة كاملة قبل أن تتحدث فى النقطة الوحيدة التى أثارت حفيظتها.

نهض هو قائلا:

- حسنا يا شباب.. سعدت باجتماعاتنا، وأشكركم على مجهوداتكم.. (نورا).. سأتغيب لدقائق.. أرجو أن تستدعى شباب قسم التطوير الذين أخبرتينا عنهم من قبل لأناقش معهم فكرتك.
- تحت أمرك يا (ميستر) (أحمد).
- تعجبت (نورا) أن (سلمى) تركت (أحمد) يخرج بلا مطاردة.. وخرج (أيمن) أيضا.. فى حين تحركت (نورا) إلى المكتب لتتصل بقسم التطوير من (التليفون).. وهناك استوقفتها (سلمى) بلهجة بها نبرة لا تحبها (نورا) أبدا..
- (نورا) .. إذا ما طلبت منك أمرا.. هل ستفعلينه من أجلى؟!
- حسنا.. ليس هذا أكيدا يا عزيزتى.
- من أجلى.. وهو لن يضيرك شيئا.
- وما هو؟
- حين يعود (أحمد) الآن سأطالبه مجددا بمكافئتنا بدعوة غداء.. وافقى مبدئيا على الأمر، ثم قومى بالاعتذار عند انصرافنا.
- ما قصة دعوة الغداء تلك؟ إذا كنت تحتاجين نقودا لتأكلى فقولى لى فقط.
- أرجوك يا (نورا).. ما الصعب فى ذلك؟!
- لدى فكرة أفضل.
- وما هى؟!
- لماذا لا تلقين بنفسك أمام سيارته عند الانصراف؟ ولكن حاولى اختيار سرعة عالية.
- يا (نورا) أرجوك.. لن أنسى لك هذا الجميل أبدا.
- أرجوك أنت يا (سلمى).. لا تحمىنى فى أمورك العجيبة تلك.
- ولماذا وافق (أيمن) فورا إذن؟!
- كانت (نورا) تمسك سماعة الهاتف وتتصل بقسم التطوير بالفعل.. طلبت من اثنين من زملائهم الحضور، وأنهت الإتصال ثم قالت لـ (سلمى):

- لو عُرض الأمر أمامى فسأعتذر مباشرة.. من أجلك.. ولكن لن أقبل ثم
أعتذر فى اللحظة الأخيرة وكل هذا الهراء.
أطلقت (سلمى) آهة ملل..

- حسنا.. حسنا.. أشكرك يا (نورا).

ووقفت قرب باب الغرفة كضبع ينتظر فريسته.. لو لم يكن (أحمد) يعنى لها
شيئا لشاهدت (نورا) ما يحدث كما تشاهد مسرحية..

صرفت تفكيرها عن زميلتها، وبحثت بعينها عن صندوق الغداء ذى اللون
الوردى الذى أرسلته لـ (أحمد) أمس.. تمنى أن تجده وقد وضعه فى مكان
مميز مثلا، أو شيئا تافها كهذا.. لكن هذا لم يحدث.. الدرج الوحيد المفتوح إلى
حد ما كان به سلسلة مفاتيح (المرسيدس)، ورأت جزءا من زجاجة عطر.. لم
تقاوم.. سحبت بضعة مناديل من علبة خشبية على المكتب وانحنى لتضغط
قمة زجاجة العطر مرتين، وتتنشق المناديل وتسرع مبتعدة عن المكتب.

من الرائع أن الغرفة غير مراقبة بالكاميرات، وإلا لأمسك بها رجال الأمن،
وأودعوها مصحة عقلية على الأرجح.

عاودت تنشق المناديل مرة أخرى قبل وصولها لطاولة الاجتماعات.. جرعة
وحيدة وها هى تصير مدمنة بدرجة ميئوس من علاجها.

استقرت بمقعدها بملامح ملاك برئ، ووصل زميلاها فدعتهما للجلوس،
وأكدت لهما أن الرئيس لن يتأخر.

سألها أحدهما:

- أهو متغطرس، وصعب المراس؟!!

- لا.. لا.. مطلقا.. إن.. هو.. إلى حد ما.. ليس..

هل كانت تصيغ أحد أسئلة إعادة ترتيب الجملة لتلاميذ الحضانة؟ العجيب أن
زميلها هزأ رأسيهما، ولاذا بالصمت التام.

لو كان مزاجها حسنا لبادرتهما:

- ماذا فهمتما مما قلته بالضبط؟

لكنها أثرت الصمت بدورها.

حين وصل (أحمد) تصيّدته (سلمى)، وأخذ صوتها يصل مسامع (نورا) كهمهمات بلهجة دلال مصطنعة سخيفة.. لو وُجِدَت (سلمى) وقد تم إلقائها من الطابق الأخير فستتهم (نورا) نفسها بالتأكيد.. هي تملك الدافع القوى للجريمة.

إنضم (أحمد) إليهم حول الطاولة بعد ثواني، وأخذت هي تتابعه، وهي تشعر بولّه حقيقى.. من الجنون أن تشعر نحوه بكل هذا التضارب.. تشعر بالأمان فى قربه، وتخشاه.. تلمس مدى قوته، وترغب فى حمايته.
كان زميلاها يمنحانه آرائهما فى فكرتها، وهما متحمّسان جدا.. وبدا هو جادا ومؤثرا.

حين وصل مع الشابين إلى صياغة جيدة أنهى الجلسة، وطالبهما بموافاته بإنجازهما بعد أسبوع.

انصرفا فلملمت أوراها، واحتضنت ملفاتها متحضرة للانصراف بدورها.
سألته إن أراد شيئا، وبدا مترددا قبل أن يشكرها بلهجة محايدة.. كان يقف وقد استند إلى ظهر الكرسي الذى كان يجلس عليه.
سألته دون أن تتحرك:

- أهنالك جديد بشأن القضية؟

- لا.. ليس بعد.. هل أنت بخير؟

"ليس تماما بالتأكيد.. أعتقد أننى فى طريقى للجنون"

هزت رأسها، وردت بحمد (الله)، وعلى ثغرها ابتسامة ناعمة.

لم يبادلها الابتسام.. هز رأسه بدوره، ثم تحرك نحو مكتبه منهي الأمر.
غادرت وقد أوثرتها مشاعرها الملتهبة نحوه همّا لا قبل لها به.. لو قاست حرارة جسدها الآن لوجدتها مرتفعة جدا.

قبل الخامسة بقليل غادرت (سلمى) مكتبها، وتسابق الموظفون فى الانصراف بينما ظلّت هى جالسة، وقد أضاف الطابق شبه الخالى من شعورها بالوحشة.

جاءت (نهى) إليها وجلست على مقعد سحبتة من مكان ما وقالت بلهجة توحى بالأهمية:

- (نورا).. حبيبتي.. (محمد) زوجى كان زميلا لابنة عمى فى الدراسة.. كانت تحبه وتريده أن يبادلها شعورها.. التقيتهما صدفة فى أحد أروقة الكلية.. أحببته من أول نظرة.. لن أقول لك أنه أعجبنى، ثم استلطفته، ثم حلمت به.. لا.. كل هذا حدث فى يوم واحد.. لكننى بطبيعة الحال لم أشعره بهذا، ويبدو أننى بالغت نوعا حتى ظن بابى مغلقا تماما.. فصار كل ما يفعله هو النظرات.. قال لى بعدها أننى أشعرته وكأنه لو تقافز أمامى وأدى شقلبة هوائية فلن أعره إهتماما. ضحكت (نورا) بطفولية، وقد أعجبها شأن الشقلبة هذا، ورددت المصطلح.

- من فضلك.. نتحدث بشأن هام هنا.

- ماذا أفعل يا (نهى)؟

- ألا تريدينه؟!

- أريده أن يقاتل من أجلي.

- يا (نورا).. الرجل الذى يعتز بكرامته لا يحب خوض معارك خاسرة.

- ليست خاسرة.. لقد ربحتها منذ وقعت عيناي عليه (والله).

- هو لايعرف بذلك.. ثلاثة أرباع طاقم السكرتارية يهمن به بالفعل..

(سلمى) تحاصره على مدار اليوم.. وأنت!! ماذا تفعلين؟ (أيمى) نفذ

خطة (سلمى)، وانصرف مبكرا ليخلو لها الجو.. وأنت جالسة هنا

كالبؤساء!

- تعرفين عن ذلك أيضا؟

- هى أخبرتنا بخطتها تلك.. بدأت توحى للجميع أنها الفائزة المرتقبة.. أسلوب سخيف وفج.
- ظهرت (سلمى) قادمة من عند المصاعد منادية (نورا) بصوت خفيض وهى تسرع الخطى نحوها.
- نظرت (نهى) لـ (نورا)، وهى تنهض، وقالت لها:
- إياك أن تضحى من أجل من لن يفعل ذلك لك أبدا.. هذا رجلك.. لا تركيه لأحد.
- كانت (سلمى) قد بدأت تهتف، وهى تركض نحوهما تقريبا:
- (نورا) .. (نورا) .. هيا انصرفى بسرعة.. لماذا أنت هنا؟! سألت (نورا) (نهى) التى تهتم بالرحيل:
- وكيف انتهت قصتك مع (محمد)؟
- حدقت (نهى) فى وجهها، ثم لوت فمها وقالت:
- لن أرد أصلا.. أنا مخطئة بقدمى للتحدث معك.
- صحيح.. صحيح.. أنا آسفة.. يا لغبانى!!
- قالت (سلمى) لـ (نهى):
- انتظرى.. خذى (نورا) معك.
- (نورا) لن تذهب لبيتها الآن.
- بلغت (سلمى) (نورا) فحثتها:
- لقد سألتنى عنك، وقلت له أنك إضطررتى للانصراف.. فهيا أرجوك.. إنه يستعمل الدرج، وسيكون هنا بين لحظة وأخرى.
- رفعت (نورا) قلما أمام عينيها، وقلبتة بين أصابعها بترأخى، وهى تنظر إليه متذكرة نصيحة (نهى) لها.. "هذا رجلك.. لا تركيه لأحد"
- لقد فكرت، ووجدت أننى لا أريد العودة إلى المنزل الآن.. بالإضافة إلى أننى جائعة.
- انترعت (سلمى) حقيبتها من على مكتبها، وهى تتسائل حانقة:

- ألم تعدينى بعدم القدوم؟

شعرت (نورا) بالذنب حقا.. لو لم تتحدث (نهى) إليها لما فعلت ذلك أبدا.
- يا (سلمى).. وعدتك بالاعتذار عند عرض الأمر أمامى.. وها أنت تعرضينه، وها أنا أعتذر لك.. أنا أسفة لأننى أريد القدوم، والحصول على غداء مجانى نظير مجهوداتى فى العمل فى السنوات الماضية.
أرادت (سلمى) أن تسبها بغیظ، أو تطیح بحقیبتها فى وجهها.. لكن (نورا) كانت من ذلك النوع الذى یحفظ لنفسه درجة من الهیبة لدى الآخرين.
انطلقت (سلمى) تعدو تقریبا نحو الدرج، وبدا مهما لها جدا أن تكون مع (أحمد) وحدها.

نهضت (نورا) شاعرة بالضيق، وإتخذت طریقها لتصرف.. ستثیر حقیقة تواجد (سلمى) وحدها مع (أحمد) جنونها، ولكن جلوسها معهما كدخلية تشاهد تحرشات (سلمى) به ستصیبها بالغثیان.

لم تشأ انتظار المصعد فأشارت بالتحية لـ (سلمى) وهبطت الدرج.
لاحظت أثناء هبوطها أن صوت (أحمد) یتردد فیه.. كان یتحدث إلى أحد ما فوقها بطابقین على الأكثر..

هاتف بداخلها یقول أسرعى الخطى لأجل (سلمى)، والآخر یحثها على التباطؤ.. لم تعرف إن كانت تحاول أخذ ما لیس لها!! لكن (سلمى) نجحت تماما فى إشعارها بعدم الراحة.

توجهت إلى سيارتها، ودست نفسها فیه، ویشهد (الله) أنها أدارتها مباشرة، ولم تحاول حتى إحكام الحزام قبل التحرك.

كادت تغادر ساحة الانتظار حین استوقفها أحد أفراد الأمن منادیا.. أوقفت السيارة فقال لها لاهثا:

- الربّس عایزك یا أستاذة.

ما من حركة تذكّر فى ساحة الانتظار.. فترکت السيارة حیت هی وغادرتها.

سارت نحو (أحمد) بخطى ثابتة، وجذبتة من عنقه قائلة "أحبك"، وألقت نفسها بين ذراعيه، وعانقته بإحساس لا يوصف.

- يا آنسة (نورا).. الرئيس عايزك.
 - وإنت عايز إيه يا (عبد الحميد)؟ حاضر ع أروح له.
 - لأ أصلي لقبك سعادتك وفتحك فجأة كده.
 - طيب أنا أسففة أومي يا (عبد الحميد).
- تراجع الرجل ضاحكا منتفخ الأوداج.. فى حين تمتمت هى لنفسها وهى تتخذ طريقها نحو (أحمد)، وتجمعُ بعض الأفراد حوله:
- الواحدة ما تعرفش حلم شوبيه فى الشركه دى!!
 - فاجأها بأن ترك الجميع، وتقدم نحوها بدوره.. همست محذرة:
 - ما تهرجش.. و(اللهم) أعمالها وتبقى فضيحة.
- بادرها..

- (سلمى) قالت إنك مشيت بدمى.. حصلك حاجة ولأ إيه؟
 - لأ خالص.. بلان ما كنتش على مكتبي بس.. أنا أصلا مش متعوده أمشي بدمى.
 - طيب وليه ماشية أصلا؟ مش ع تتغدى مع بعض؟
 - ما إتفتوش على حاجة فدمى.. ما عرفتش ع تعملوا إيه بالطيب.. وبصراحة.. ما عجبتنيش طريقه (سلمى) فى توريط حضرتك من غير ما تعرف لو كنت مشغول أو وراك حاجة بعني!
 - سيبك من (سلمى).. هج ليها طريقته.. اظلم إني إتصلت ب (أمجن) وح يعالنا فى المكان.. الحجز لأربع أفراد.. وما ينفعش ما تحيش.
- بدا انه دمر كل ما سعت (سلمى) لبنائه طوال عمرها.
- سيب عربيتك هنا.. وح أرجعك بالليل.
- هل كانت تملك القدرة على الرفض؟ كلا بالتأكيد.

تركها تعود إلى سيارتها وتوجه إلى (المرسيدس).. إتخذ مقعد قيادتها، فاندست (سلمى) بجواره.. تحرك مقتربا من (نورا) مرة أخرى، والتي أوقفت

سيارتها بشكل مناسب وغادرتها ممسكة بحقيبتها مرتدية نظارة داكنة أنيقة.

أسرعت (سلمى) تهبط من سيارة الرئيس، وتحاول سحب مقعدها للأمام لتجلس (نورا) فى الأريكة الخلفية.. مد (أحمد) يده ليزيح المقعد بسهولة فضحكت (سلمى) وقالت شئ عن عدم فهمها فى السيارات بشكل كبير.. إندست (نورا) فى السيارة وهى تشعر وكأن قبضة حديدية تعتصر قلبها.. لو كانت فكرت قليلا، وألمت بالوضع لأثرت أن تذهب فى سيارتها.. هى! هى تجلس فى الخلف، و(سلمى) تجلس بجواره!! ولا يمكنها أن تبدى أى اعتراض.. جلست صامتا شاعرة بضيق حقيقى فى حين رفعت (سلمى) صوتها لتحكى:

- بابى عاوزنى أنعم السواقى علشان يجيب لى عرببة.. بس فامى رافضة.. عارفة إن البلد إبتيرت، وأنا أصلا مشن

لظمت بالمقعد ساقى (نورا) التى حرصت على عدم التأوه بصوت رغم ألمها، وضمت ساقها متأففة.

- أنا خطبتك يا (نورا)؟ متأسفة.. كنت بقول إتنى مشن بعرف أنصرف فى المشاكل.. لو شتمنى سواقى (موكروباصن) مثلا ح أوقف العرببة وأقعد أعيط.

كان طرف شفة (نورا) العلوى المرتفع، والتقرز على ملامحها يوحيان بحالتها المزاجية تماما.. بدأت تُصرف انتباهها عن حديث (سلمى) عن نفسها، وتتخيل ما يخفف عنها.. الحوار الخيالى بين (سلمى) ووالديها كان كفيلا بإضحакها فى موقف آخر مختلف.

رأت أن أفضل ما يمكن لـ (سلمى) فعله هو أن تمتطى حمارا.. حمارة تدعى (ظريفة) وتركها (سلمى) بـ (جراج) الشركة كل يوم.

افتراض اسم الحمار جاء وفقا لراسب فكرى من مجلة أطفال قديمة. تنهدت بعمق، وحاولت عدم النظر إلى (أحمد).. السيارة سريعة وأنيقة لكن حبذا لو أضافوا لها سدادات أذن.. أو كمادات للراكبات للثرارات السخيفات.

- (نورا).. عطرك رائع.
- قالها (أحمد) ببساطة، وهو يلقي نظراته على وجه (نورا) فى المرآة الداخلية للسيارة.
- نظرت وكأنها لم تسمعه، ثم ابتسمت بخفوت وشكرته.. هذه فائدة ترك زجاجة عطر فى السيارة إذن.. سيتبخر بعضه، ولكن النتيجة جيدة.
- والنظارة أيضا شديدة الأناقة.
- نجح العبقرى فى خلق ابتسامتها الواسعة على وجهها بالقليل من الحروف والكلمات.
- "حسنا أيها الوسيم.. أنت من يريد أن يُصعق".
- شكرته مفكرة أنها لو تمنى أن يحدث ما يخفف عنها.. فلن تتمنى أكثر من إطرائين متتاليين منه.
- كانت (سلمى) من الغباء بحيث التفتت لترى نظارة (نورا)، ثم أعلنت:
- لدى واحدة مثلها.
- رأت (نورا) (أحمد) يمد سبابته ليشغل (كاسيت) السيارة - مشغل إسطوانات تحديدا.. لقد انقرض (الكاسيت) منذ سنوات.
- فاجأها، وأسعدها أنه يستمع لموسيقى (الجاز).
- فور أن بدأ المغنى ينطق كلماته.. سألته بإهتمام:
- أهذا (لويس أرمسترونج)؟
- دُهل تقريبا..
- كيف عرفت ذلك؟
- هزت رأسها بغبطة، وأعلنت بفخر:
- أنا أيضا كلاسيكية.
- لا أصدق أنك عرفته.. بمجرد سماع صوته.. هذا الرجل مات منذ أكثر من أربعين عام.
- أومأت بحماس.. فهز رأسه متعجبا دون أن يرخى حاجبيه المرفوعين وقال:

- منذ وصلت إلى هنا، وأنا أجد الناس يستمعون إلى رداءات.. هذا النوع المصرى من الأغاني الحديثة الصاخبة.. إنحطاط مفزع فى الذوق العام.. وأنت.. تعرفين (لويس أرمسترونج)!!
- للرداءات أهلها يا رئيس.. هل تعرف (راى تشارلز)؟
- بالتأكيد.

- أعشق أغنية.. (Always a friend).. لو تعرفها.

- أعرفها.

أقر، وهو يبدو مبتهجا، وكأنها تعرف أصدقائه القدامى.
حرّك مؤشرا دائريا قرب يده لينتقل بين (التراكس) على الإسطوانة.. وكانت شاشة صغيرة فى منتصف (التابلوه) تعرض له محتويات الإسطوانة.. توقف

عند أغنية تدعى "When you smile" وقام بتشغيلها.

قالت (سلمى) وكأن الأمر غير هام:

- أنا لا أعرف مغنون (الجاز) بشكل جيد.

كانت متضايقه.. ولم تكن تعرف مغنون (الجاز) بأى شكل على الإطلاق.
لم ينظر (أحمد) إلى (نورا) أثناء دوران الأغنية سوى مرة واحدة.. لكنهما بديا وقد طردا (سلمى) من السيارة تماما.. كانت كلمات المقطع الرئيسى تقول:
"عندما تبتسمين.. العالم كله يبتسم معك.. عندما تضحكين.. تشرق الشمس.. ولكن عندما تبكين تجلبين المطر.. لذا توقفى عن التنهيد وكونى سعيدة مجددا.. واصلى الابتسام لأنك.. عندما تبتسمين.. العالم كله يبتسم معك."

شعرت (نورا) بعد انتهاء الأغنية أنها ستحلق خارج السيارة.. أضافت كلماتها إلى موضوع الصدمة الكهربائية هذا، وشعرت بالتميز.. بل إنها صارت مستعدة لدخول مسابقة أجمل نساء الأرض الآن.. إذا كانت هناك واحدة لا تحتاج لأن ترتدى فيها (البيكينى) بالتأكيد.

توقف بسيارته أخيرا بمحاذاة (النيل).. لو لاحظ أحد معرفته - (أحمد) - للطرق
لما صدق أنه عاد منذ وقت قليل جدا من (الولايات المتحدة الأمريكية).
كان المطعم الذي حجز فيه - ولا تعرف متى فعل - هو باخرة سياحية تقدم
الطعام فى بوفيه مفتوح مع رحلة نيلية لمدة ساعتين.

لم تشأ أن تهرع سعيدة إلى سور الباخرة حتى لا تبدو بلهاء.. لكنها ستنتهز
الفرصة حتما إن لاحت لها وتنسحب لتنظر إلى صفحة الماء عن قرب.

إنضم (أيمن) إليهم أثناء انتظارهم فى ساحة صغيرة قبيل الصعود على متن
الباخرة، وأدركت من ترحاب (المتردوتيل) أن (أحمد) سبق وأن جاء إلى هنا فى
الأيام الماضية.. ترى مع من فعل؟!!

رغم أن (أحمد) يبدو كشخص جاد إذا ما صنفته دون التعامل معه.. إلا أنه بدا
بسيطا جدا الآن، وكأنه تحرر من أجواء العمل، وجلس بجوار (أيمن)، ونظراته
تعلن أنه يحب النيل مثلها، وأكثر.. كانت الشمس تبدأ فى المغيب فرفعت
(نورا) نظارتها إلى مقدمة رأسها لتستمتع بالمشهد.. ثم انتهزت فرصة صمت
(سلمى)، واستأذنت منهم النهوض لدقائق.. كان نسيم عليل لن تجده فى
مكان آخر يهب ليداعب جونلتها وطرف حجابها.. استنشقت الهواء بعمق،
واستندت إلى السور تنظر إلى المياه تارة، وإلى الشمس الراحلة تارة أخرى..
كان معظم الرواد واقفين أيضا.. نادتها (سلمى) وناولتها هاتفها الخاص
تطالبها بتصويرها مع (أحمد)، ولكن ذلك الأخير أشار بيده بحسم..

- عذرا.. إن كان الأمر ضروريا فسنطلب من أحد أن يقوم بتصويرنا نحن
الأربعة معا.. وسيكون هذا مرة واحدة يا (سلمى).

أعدت (نورا) هاتف (سلمى) إلى تلك الأخيرة شامته بدرجة ما.. حمى التصوير
التي تجتاح البعض فى الأماكن العامة مؤخرا كانت تزعجها.. البعض يضع
فى حسابه ب (فيس بوك) ملفا كاملا لكل مرة خرج فيها من منزله.. وقد تجد
أكثر من عشرين صورة له وأصدقائه جالسون على الطاولة فى مطعم..

نفس الطاولة فى العشرين صورة، ونفس المطعم.. نفس أماكن جلوسهم، وملابسهم وتصنيفات شعرهم.. بل ونفس تعبيرات وجوههم أيضا.. أعجبا أن (أحمد) رغم تبسطه يضع حدودا.. تحب من ينجحون فى ذلك.. لقد عاشت على هذا النحو طوال عمرها.. قديما تعلّمت أن إزالة الحدود لا يجلب سوى المتاعب.

وقف قربها واستند بمرفقيه على السور متطلعا إلى الماء.. أخفت ابتسامه الإعجاب عن ملامحها حين التفت إليها قائلا:

- قضيت خمسة عشر عاما هناك.. لم أفقد شيئا هنا بقدر هذا النهر.. إنه روح هذا البلد بحق.

هزت رأسها برفق.. تكلم عن نفسك أكثر أرجوك.. شجعته..

- خمسة عشر عام، ولكنك لازلت تحفظ شوارع (القاهرة) جيدا.
- كنت آتى إلى هنا فى الصغر.. عندما أمتلك المال أستأجر قاربا صغيرا، وأراقب مجرى النهر كما لو كنت ملأحا عتيدا.

رأى دهشتها مع جملته الثانية، فأوضح بصوت خفيض نوعا:

- لم أكن الابن الوحيد لـ (منصور عبد الله)، ولم أكن المفضل كذلك.
أنهى قوله فى نفس لحظة هجوم (سلمى) من الخلف..

- **ميسر (أحمد).. مجرد مرسى.. أنا ببسوطه أوى.**

رد على (سلمى)، وانقطع استرسال حديثه الخاص مع (نورا) التى ازدردت لعابها تودع قرص الشمس الذى غاص فى بقعة ما وغاب عن الأنظار.. لامت نفسها على ما صار يراود مخيلتها مؤخرا.. كما أن نزعة أنانية واضحة فى ميولها.. فليس من المنطقى أن يقف هو ليخرج بعضا من مكنوناته بشجن، ولا تفكر هى سوى فى أن يحتضنها.

عادت إلى مقعدها بعد ثوانى، وتم فتح (البوفيه) بعد قليل، وبدأت (سلمى) فى محاصرة (أحمد) بالأسئلة.. وكأنها اعترمت ألا يتحدث لغيرها.

على صف المأكولات.. منح هو لـ (نورا) سعادة خالصة حين كان ورائها مباشرة فأخذت تضع له الطعام فى صحنه مستمتعة بفكرة اعتنائها به، وفكرت أنها طوال عمرها لم تحب أن تفعل ذلك لأحد.. حتى لو طُلب منها. عاودها شعورها بالتميز وهما يعودان معا إلى الطاولة.. لكن الصمت كان يلفهما كثيرا.. وكأن شيئا ما يعقد لسانيهما. لم تأكل (نورا) كثيرا رغم أن الطعام أعجبها.. بعض الأصناف على الأقل. لم يتحدث (أحمد) عن نفسه طويلا.. قال أنه كان يعيش فى (سان دييجو) بـ (كاليفورنيا)، وأنه عمل لفترة بعدد من وكالات الإعلان هناك، واقتحم عالم تجارة السيارات لفترة أخرى قبل أن يؤسس شركته الخاصة للدعاية والإعلان، و(المالتي ميديا).

- لم يسبق لك الزواج يا رئيس.. أليس كذلك؟!

- كلا.

- وخطيبتك؟ هل هى أمريكية؟

أسئلة (سلمى) التى تشبه طلاقات المدفع الرشاش لم تكن تشعره بالراحه أبدا..

- نعم.. هى أمريكية بالفعل.

ولم يكن لدى الشابة مخزونا كافيا من الكياسة لتطبق فمها..

- وهل تحبها؟

رغم دهشتها.. توقف قلب (نورا) ترقبا للجواب.. نظرتة صارت نارية الآن نحو (سلمى)..

- بالتأكيد أحبها.. لمَ خطبتها إذن؟!!

يا للهول!! لثوانى لم تستوعب (نورا) شيئا.. هل قال ذلك حقا؟! وبهذه القسوة؟ وكأنما يغضبه أن يشكك أحد فى حبه لإمرأته الأمريكية السخيفة.

انقباض فى معدتها.. واضطراب فى ذلك الجزء المدعو ب (القولون) فى جهازها الهضمى.. شعرت برغبة مبالغتة فى إفراغ ما بجوفها، ورغبة ثانية فى منح (سلمى) صفعه مدوية، أو إلقائها فى النهر..
لم تقل شيئا.. توجهت إلى (التواليت) بعد قليل وهى تمسك بمعدتها بالفعل..
لم تتقيأ ولكنها كادت، ورد الفعل القينى من أعماقها أنهكها وأدمع عينيها
وأسال أنفها.. غادرت تترنح تقريبا.. استندت إلى أقرب بقعة إليها من السور،
وكانت تصارع إحساسا مريرا بالإحباط..
تماسكت قدر إمكانها، وعدلت من وضع حجابها، وعادت إلى الجمع.

- هل أنت بخير؟!

- نعم.. أنا بخير.

ردت سؤال (أيمن) بحدة، وفتحت حقيبتها مخرجة منها منديلا رفعته لتمسح به أسفل عينيها، ثم ألقته وكأنه ملئ بالفيروس.. وكان قريبا من ذلك بدرجة ما بالنسبة لها.. كان مليئا برائحة الخائن.. عاشق الأمريكية.. السخيف.. الأحمق.. الغبى.. يجب أن أهدأ.. يجب أن أهدأ.. لم يحدث شيئا.. كل ما هنالك أنه ركل المقعد الذى كانت تقف عليه بينما عنقها محاطا بأنشطة قاسية..
وكم هو غريب عقلها حقا!! بدأت تفكر فى الابتعاد عنه تماما، وترك الشركة إلى الأبد.. نهاية الشهر اقتربت.. ستتقدم بطلب الرحيل غدا إلى الحاجة (ليلى)، وستلجأ لاعتماد (خطة خروج) قصيرة.. سنتنقل كل مسؤولياتها إلى (سلمى)، و(أيمن) بصفتها فريقها.

عم تحكى (سلمى) الآن بحق (الله)؟ وفيم تثرثر؟!

كانت تلك تختم قصة عن آخر تجاربها العاطفية، وهى تتظاهر بحزن وتأثر بالغبين، ومنحها رئيسها العطوف بضع جمل سابقة التجهيز لمثل هذه الأمور،
ثم التفت إلى (نورا) وقال:

- الآن.. جاء دورك.. ماذا عن حياتك العاطفية؟

أجواء (إحك لنا حدوتة) تلك كانت دائما ما تحنقها.. ثم ألم يقل منذ أيام معدودة أنه لا يهتم بحب رؤسياه له.. ما باله تحول للصديق الدافئ المراعى، ويسألهم عن حياتهم العاطفية!

فكرت أن حياتها العاطفية ما هى إلا خواء فظيع.. صفحة بيضاء لم تكتب فيها كلمة سوى منذ أيام، وأحدهم سكب المحبرة عليها منذ دقائق ملوثا كل شئ.. لن تذكر كلمة عن هذا بالتأكيد.. كلا.. لست أنا تلك الفاشلة المثيرة للشفقة.. أنا لم أدر نفسي، وأخترن مشاعري كل هذه السنوات لأفجرها فى وجه أجمل متعجرف أراه.

- لا أريد أن أبدو فظة، ولكننى لا أحب مناقشة حياتى الخاصة على الملأ.
صمت الثلاثة، واعتلى ملامحهم أثر مفاجأة.
أمال (أحمد) رأسه، وسأل بشئ من الخشونة:

- وهذا يعنى أن لديك حياة خاصة بالفعل.. أليس كذلك؟!
لو كنت ستستعيد طبيعتك المتعالية معى أنا.. فستجد نمره شرسة، ومستعدة للقتال..

- بالتأكيد.. أنا فى الثامنة والعشرين.. ومن غير المعقول أن أهب حياتى للعمل فقط.
صاحت (سلمى) بخبث:

- آه.. يالك من داهية يا (نورا).. لا أحد يعرف عنك شيئا تقريبا.
- وربما لست أنا السبب فى ذلك.
ساد الصمت بعد عبارة (نورا) تلك، ثم مدت يدها لتحسسى شربة من كأس الماء أمامها ثم قالت:

- لقد تلقيت رسالة أزعجتنى قليلا.. لو لم نكن فى باخرة لغادرت.
لم تكن تعتذر.. كانت تبرر بصوت محايد أبعد ما يكون عن الإحساس بالذنب.
- بالتأكيد يا أنسة.. المشكلة فى الباخرة بالفعل.. دعونا نلقى اللوم على الباخرة.

التماعة عيني (أحمد) كانت ساخرة.. لو لاحظت انقباض فمه لأدركت أنه غاضب كذلك.

رفعت هي رأسها باعتداد وقالت متحدية:

- لم تكن فكرة جيدة بالفعل.. ماذا لو طرأ ظرف ما؟
تدخلت (سلمى)..

- (نورا).. ماذا دهالك؟ (أحمد) بك أراد إسعادنا.

ضحكت (نورا) بعصبية..

- ماذا دهانى أنا؟! لم أقاتل للحصول على دعوة غداء كمكافأة إجابة فى العمل!

شهقت (سلمى) بذهول، وبدا التوتر ملموسا جدا فى الأجواء الآن.

نهضت (نورا)، ولانذت إلى سور الباخرة التى كانت قريبة من الرسو فى موقعها مرة أخرى.

حاول (أيمن) التحدث إليها وهم يغادرون المكان، وسألها عما هنالك فأجابته كاذبة أن مشكلة عائلية تؤرقها.

حين وصلوا إلى الشارع عبرت هى الطريق لإيقاف سيارة أجرة مباشرة بينما سارت (سلمى) بجوار (أحمد) إلى سيارته، وخضع (أيمن) لمطالبة (نورا) له بالانصراف، وتركها مضطربة بشدة.. لم ترد بالتأكيد أن تنفجر على هذا النحو.. لكنها كانت متعبة جدا من القصة كلها.. من الغريب أن (أحمد) هذا لم يظهر فى حياتها سوى منذ أيام.. الإحساس بداخلها كان أقوى منها.. أقوى بكثير.

تمنت لو لم تمض الأمور على هذا النحو.. تمنى لو شكرته فقط، وألقت التحية على (سلمى) حتى لأسباب ذوقية بحتة..

تنهدت، وسارت نحو (المرسيدس) التى أدارها (أحمد) وأشعل أضوائها.

صعدت إلى الإفريز، وانحنى عند نافذة (سلمى).

- أشكرك جدا يا (ميستر) (أحمد).. إلى اللقاء يا (سلمى).

ردت (سلمى):

- إلى اللقاء يا (نورا).

هدر محرك (المرسيدس)، وكأن قائدها يعتصر دواصة الوقود بقدمه
اعتصارا.

ربت (نورا) على ذراع (سلمى)، واعتدلت لتمضى، ولم تنتبه إلى (أحمد) الذى
غادر سيارته بعد ثوانى، واندفع نحوها، وجذبها من ذراعها ليديرها إليه
فشهقت مجفلة.

- لم أتصور أن تكون شخصيتك متعالية ومتكبرة إلى هذا الحد.. يعتقد
المرء أنه يرى إنسانة رقيقة، ويفاجأ بطباع ذكورية جافة.. ما أنت؟!
المرأة الحديدية!!!

حاولت فى البداية تحرير يدها، ثم بدا كلامه أكثر أهمية من محاولتها
الفاشلة.. طباع ذكورية!! هى!! المرأة الحديدية؟! عمن يتكلم بالضبط.

واصل إطلاق النار بصرامة آمرة، وعيناه تقدحان شررا بحق..

- ستستقلى السيارة معنا، وسأعيدك إلى سيارتك.. هيا.

جذبها من ذراعها مجددا بجفاء، وسار بها عدة خطوات قبل أن يقول لـ (سلمى)
حاسما:

- (سلمى) .. اجلسى بالخلف.

كانت تلك لتناقشه.. لولا شئ فى نظره ونبراته.. غادرت السيارة وسحبت
المقعد ودست نفسها فى الخلف فالتفت هو إلى (نورا)، ثم دفع المقعد بعنف
ليعود قائما.

أشاحت (نورا) عنه عينين كسيرتين، وتحركت صاعدة إلى السيارة بصمت..
إغلاقه للباب بقوة مفرطة كان خارجا عن إرادته حقا.. دار وإتخذ مقعده،
وتحرك بالسيارة متجاهلا السائس الذى كان يتابع الموقف بفضول.

سأل (سلمى) عن مسكنها، وقصده أولا دون استشارة أحد.

قاد بسرعة حتى إن (نورا) كانت تتشبث بمقعدها، وتدهس بقدمها مكابح وهمية في دواستها!

شيئا فشيئا لانت ملامحه، وكأن القيادة - أو السرعة ربما - قد إمتصت غضبه.. مما شجع (سلمى) على سؤاله عن الفارق بين القيادة في (مصر)، وبينها في (الولايات المتحدة الأمريكية)، وأجابها باسمها بهدوء، وكرر الابتسام لها، وهي تغادر السيارة عند منزلها، وإتخذ طريقه إلى الشركة براكبته الوحيدة التي ذرفت بضع دموع في الدقائق الماضية ومسحتها سريعا، وإن لم تنجح في إيقافها تماما.. لو تحدث لن ترد عليه.. هكذا فكرت.. لو استدرجها لأى حوار، وهاجمها مجددا فقد تنفجر باكية كطفلة، وهذا آخر ما تريد أن تفعله أمامه.

ولم ينطق هو طوال الطريق.. قاد على نحو أكثر هدوءا، وحين اقترب من وجهته مد يده لتشغيل المذياع.. بعض موسيقى آلات النفخ، ثم:

- عندما تبتسمين.. العالم كله يبتسم معك.. عندما

وهنا مدت هى يدها تطفئ الجهاز.. التفت إليها، لكنها كانت تدفن وجهها فى زجاج النافذة وتتخذ وضعا متحفزا لمغادرة السيارة فور توقفها. عاودته العصبية، وأخذ يجز على أسنانه متوترا.. بدا وهو يوقف السيارة بمحاذاة ساحة الانتظار الخاصة بالشركة، وكأنه إتخذ قراره بفعل ذلك بعد كثير من التردد والأفكار، وازداد انقباض أصابعه على المقود حين غادرت مرافقه السيارة دون أن تنطق بكلمة.

اندفعت إلى سيارتها، وألقت بنفسها فيها، وبدأ بكائها بهزة حسرة من رأسها. فرد الأمن الليلي جاء بخطى مسرعة، وحيها قبل أن ينتبه لوجود (أحمد) فرفع له يده محييا إياه بدوره.. لم ينزل (أحمد) زجاج سيارته، ولم يتحرك بها. فتح رجل الأمن البوابة المعدنية لـ (نورا) فمرت من أسفلها، واندفعت إلى الطريق على نحو كان ليسبب كارثة لو كان الشارع مزدحما.

عادت إلى منزلها، ولم تشعل الأضواء كلها هذه المرة.. اندفعت إلى غرفتها، وألقت حقيبتها على المقعد.. خلعت حذاءها بإهمال ووقفت تنزع حجابها أمام الميزنة بحركات شبه متشنجة، ولم يكن هناك مفر من خدش مقدمة إصبعها، فاندفعت منه قطرة دم نظرت هي إليها بتجهم، ثم أخذت تعنصر إصبعها فسال خيط من الدماء عليه.. لم تتجه إلى الحوض.. فتحت حقيبتها وأحاطت إصبعها بمنديل منها، وألقت بجسدها على الفراش.. والعجيب أنها نامت حتى موعد استيقاظها تقريبا.

فتحت عينها ثم تقلبت متأوهة.. كانت وكأن قطيعا من الجياد قد مر فوقها.. بياضات الفراش المتكومة، والمتدلية إلى الأرض كانت تؤيد نظرية الجياد تلك.. كان العرق يغمر جبهتها وعنقها ويبلل ملابسها.. لقد نست تشغيل المكيف، وكذا نست فتح النوافذ.. من المدهش أنها نامت فى هذا الجو الخانق لعدد من الساعات.. نظرت إلى إصبعها فرأت خدشا بسيطا غير داميا ولكنه أحمر اللون، وكان يؤلمها نوعا بالإضافة لألم فى ذراعها يُستغرب أن يكون هذا الخدش هو مرسله.

لثوانى شعرت أن الغرفة تموج برائحة (أحمد منصور).. عطره الذى تريد أن تطرده من أنفها إلى الأبد.. كان المنديل الذى أحاطت إصبعها به أحد المناديل التى قامت بالرش من زجاجة العطر عليهم.. مدت يدها إليه وفردته لتطالع قطرات الدماء عليه.. تشمته وأدركت أن الرائحة لا تزال عالقة به.. منحتها قطرات الدماء إحياءا بانتهاء هذه القصة، وانكسار قلبها.. وكان الأخرى أن تكره تلك الرائحة بشدة.. لكنها، ودون أن تعي وضعت المنديل على أنفها واستنشقت بعمق، ثم نهضت ببطء.. خلعت ملابسها، وهى تتذكر ما يسبب لها ألم ذراعها.. كانت تلك أصابع (أحمد) القاسية، والتى لا تستبعد أن تجد آثارها مطبوعة على بشرتها البيضاء.

وقفت أمام المرأة تنظر إلى ذراعها مستعيدة الموقف كاملا.. توبيخ (أحمد) لها.. نظرته النارية، وجذبه لها بهذا التملك المفزع.. حسنا.. لقد أجبرها على

إطاعته مستغلا قوته.. وهذا يزيد من عمق كرهاها له.. سيزيد من عمق كرهاها له.. ربما.

حدقت فى انعكاس صورتها فى المرآة مبهوتة.. مستفيقة على حقيقة أنها لا تكره الرجل الذى يحب أخرى.. وكان هذا ينذر بألم وعذاب قادمين لا محالة. غمرتها حالة من الهشاشة الروحية - لو جاز التعبير.. النعومة بدت فى تحركاتها حتى، وإن لم تبك.. استحمت سريعا، وتوجهت إلى المطبخ لتعد القهوة متخذة قرارها بأنها لن تغادر المنزل اليوم.. لن تتصل لتخبر أحدا بالشركة أنها لن تحضر.. وليذهب رصيد إجازاتها إلى الجحيم.. إنها تعتبر نفسها غير مقيدة على قوة الشركة من الآن.. ربما يستبقوها لشهر آخر لكنها أيضا ستفاوضهم فى ذلك.. أسبوعان يكفیان جدا.. اريد الرحيل بأسرع ما يمكن.. تأكدت أن الستائر مغلقة فى الردهة وخرجت إليها.. كانت تحيط جسما بمنشفة فقط.. ربما إمعانا فى الشعور بالحرية!!

قامت بتشغيل التلفاز، والتكييف، والكمبيوتر.. وعلى الأخير أخذت تصنع قائمة أغانى لتسمعه.. أغانى كئيبة بالتأكيد.. الهجر والغدر والفراق كانوا جميعا قواسم مشتركة بينها..

شعرت برغبة فى الطهى اليوم فبدأت تعد ورقة بما تحتاجه من السوق.. ستعد صنف دجاج شاهدت طريقة إعداده منذ لىالى قليلة جدا، وستحضر سلطة بالمعرونة أيضا.

إتصلت بحارس العقار ليصعد إليها.. ارتدت عباءة وطرحة بالتأكيد قبل أن تفتح له.. لقد عانت كثيرا لتكسب احترام الجميع عند استئجارها لهذه الشقة.. لم تبذل جهودا فى اصطناع شيئا ليس من طباعها.. لكنها قاتلت بحق للتصدى لجموع من الطامعين فيها.. والذين كانوا لا يستسيغون فكرة أن شابة جميلة مثلها تعيش وحدها، وفى ذات الوقت ليست منحلة! مهلا.. أنت تخدعينا حتما.. ألا يمكننا حتى التحدث هاتفيا ليلا؟! أنا جارك بالمناسبة، وأعيش مع زوجتى وأطفالى على بعد أمتار قليلة منك!!

حسنا.. استغرق ذلك وقتا، وتطلب بعض المعاناة، وردود الأفعال القوية – والتي ليست من طباعها – ولكنهم فى النهاية يعرفون أن ابنة (مصطفى السيوفى) شابة لا غبار على أخلاقها.. بالإضافة إلى أنها تدفع ما يطلبه مجلس إدارة العقار دون نقاش أو إبطاء.. حتى صيانة المصعد الذى لا يتوقف فى طابق سكنها من الأصل!

طلبت من الحارس أن يحضر لها الصحف أيضا.. وأخبرته أن يفعل يوميا.. لو أرادت البحث عن عمل جديد فهذا طريق لا بأس به.

قضت معظم النهار فى الطهى، وهى تستمع إلى الأغانى، وبعض تلك الأخيرة دفعها إلى الرقص قليلا.. كانت تجيد ذلك منذ صغرها، وإن لم تفعله سوى وحدها.. كان يخرج بعضا من طاقتها بالتأكيد.. رقصت وحزنها يبدو على حركاتها وتمايلها.

تركت الدجاج بالفرن وبدأت تتفحص الجرائد وهى جالسة أرضا فى الردهة.. كعادتها تفرش الجريدة أرضا وكأنها ستأكل فوقها وتتحرك من حولها لقراءة ما يجذبها.

وضعت علامات على إعلانات الوظائف التى تحتوى بريدا إلكترونيا.. المكالمات بدت لها الآن أمرا سخيلا لا يجد لديها قبولا.. قليلة هى الشركات التى تعلن عن وظائف شاغرة فى تخصصها.. وأدركت أن عليها إعداد ملفا شخصيا تدرج فيه كل إمكاناتها وخبراتها من السنوات الثماني الماضية.. أى من بعد تخرجها مباشرة.. جعلها ذلك تتذكر يوم تقدمها للوظيفة.. وملابسات حصولها عليها.. و(منصور) بك.. الرجل الذى علمها الكثير بكل تأكيد، ويرقد الآن فى فراش ينتظر أجله.

تنهدت بعمق وحرارة، وهى تعود إلى المطبخ لإخراج صنف الدجاج من الموقد.. كانت رائحته طيبة.. لكنها رغم ذلك لم تشعر برغبة فى تذوقه.. تركته على الحاجز الرخامى الفاصل بين مطبخها والردهة على الطريقة الأمريكية، وأعدت المزيد من القهوة.

بحثت عن هاتفها، وكان لا يزال فى حقيبة الأمس فارغ الشحن.. أوصلته لتعيده إلى الحياة، وقررت الخروج إلى الشرفة لتقرأ.. ارتدت جلبابا نسائيا فضفاضا وطرحة صلاة باكستانية الصنع، وقررت أن تأخذ معها بعضا من السلطة.. وكان الكتاب مجموعة قصصية لأحد عمالقة الأدب المصرى فى السابق.. لم يكن مزاجها يشجعها على بدء رواية طويلة.. ستقرأ قصة أو اثنتين وتعود إلى الداخل.. حين فعلت قامت بتشغيل هاتفها.. ستتصل بمهندس الصيانة بوكيل النوع الخاص بسيارتها لتسأله عن تكلفة الصيانة الدورية والمصباح الجديد.

فور تشغيلها للهاتف تلقت رسائل بمن حاولوا الإتصال بها.. امها مرة، وسكرتارية الشركة ست مرات.. آخرها منذ قليل. وبطبيعة الحال جاءت المرة السابعة بعد ثوانى.. بعد السؤال عن سبب تغيبها وإجابتها بأنها متعبة قليلا أعلنت لها السكرتيرة:

- (ميستر) (أحمد) يريدك اليوم فى تمام الثامنة لحضور لقائه بالسيد (حسين لاشين).. وسيكون هذا بفندق (مينا هاوس) يا (نورا).

- لماذا مساءً؟ ولماذا (مينا هاوس)؟

- الأولى لا أعرفها.. ربما لانشغال (حسين لاشين) هذا.. مصنعهم خارج (القاهرة) كما تعرفين، والفندق هو محل إقامة (ميستر) (أحمد) منذ

وصوله.. هذا كل شئ.. هل أخبره أنك ستتواجدين بالموعد المحدد؟

فكرت لثوانى قبل أن تجيب أن "نعم"، وأنهت المحادثة وقد هاجمها التوتر بسبب هذا اللقاء الذ لم تعد له عدة، ولم تنجح فى التملص منه.. فى النهاية - ورغما عنها - تشعر أنها جزء من الشركة، وأن الشركة شئت هى أم ايت قد ساهمت فى بناء الكثير من شخصيتها وكيانها.. وإنكار الفضل لم يكن من طباعها أبدا.

دعت لـ (منصور) بالشفاء، وهى تتحرك بتوتر لانتقاء الملابس المناسبة للقاء - أو عشاء - العمل هذا.. اختارت بذلة نسائية كاملة سوداء اللون، و(توب)

رمادى، و(سكارف) يجمع الأسود والفضى.. ستكون تلك المرة الأولى التى ترتدى فيها بنطالا منذ صارت محببة.. لكن الحلة أنيقة، وفى نفس الوقت تصلح لسهرة من دون إهدار للمظهر الرسمى.

مر الوقت بطيئا، ثم - برغم هذا - شعرت بمفاجأة حين دقت الساعة السادسة، وبدأت فى التحضر لموعدها فى الثامنة.. الفندق فى موقع شديد التميز قرب الأهرامات.. هى تعرفه جيدا، وتملك فيه ذكريات طفولة منذ زمن بعيد.. قبل وفاة والدها.. كان يصطحبهم هى وامها و(شريف) لقضاء عطلة هناك.. قادت دراجتها كثيرا فيه، وسقطت ذات مرة وحطمت ذراعها عند منزلق لم تقدّر خطورته يومها.. أو ربما بالغت فى تقدير نفسها كقائدة دراجات.. المهم أنها أنهت لهم العطلة مبكرا، وتذكر أن (شريف) أخذ يبكى أكثر منها حين تبين مدى تأذى ذراعها.

الطريق إلى الفندق لن يستغرق أكثر من ساعة بأى حال لكنها لا تريد التأخر لثانية.. اكتشفت كم هى جائعة، وهى تنهى ارتداء ملابسها.. انتعلت حذاء رماديا على الكعبين، وانتقت حقيبة من اللون نفسه نقلت إليها نقودها، وعبوة المناديل المبللة بسائل مضاد للبكتريا.. سلسلة مفاتيحها، والمصحف الصغير هدية (نهى).. تزينت ببعض مجوهراتها دون مبالغة، ثم تحركت إلى المطبخ فغطت صينية الدجاج برقائق (الألومنيوم)، ووضعتها فى المبرد، وأخذت من الأخير علبة بسكويت كان (أحمد) من ابتاعها لها.

أطفأت الأضواء، والمكيفات، وخرجت.. حين أدارت محرك سيارتها ألفت نظرة على الساعة وبدت راضية أن تلك لم تكن قد تجاوزت السابعة بعد.

قررت الإتصال بمهندس الصيانة بوكيل نوع سيارتها لتسأله عما أرادت.

أجابها بعدما سألها عما تعلنه لها رسالة السيارة بالضبط:

- تلك صيانة العشرين ألف كيلو متر.. لن تزيد عن ألفى جنيها.. والمصباح الخلفى بألفين وخمسمائة جنيها.. بالإضافة للتركيب.. نتحدث عن خمسة آلاف جنيه تقريبا.

- والو.. هذا مبلغ كبير.
- لو أردت إحضار المصباح من مكان آخر.. قد يوفّر لك هذا ألفا من الجنيهات.. المهم أن يحمل شعار النوع.. وستجدينه متوفرا لدى الكثير من تجار قطع الغيار.. ولا تنس التأكد من جهته بالتأكد.. الأيمن أو الأيسر.

- هل ترشح تاجرا بعينه؟

رشح لها واحدا، وأكد لها أن تقول أنه من أرسلها.. شكرته بعدما وصف لها كيفية الوصول، وأنهت الإتصال لتجرى آخر بشقيقتها (شريف).. اطمأنت منه على (نور الدين) ولمست بهجته به.. سألتها أن تزورهم غدا فوعده بذلك.
دلقت بسيارتها من بوابة الفندق بعد السابعة والنصف بدقائق، وبعدها أثار بعض الشبان ذعرها وطاردوا سيارتها ظانين أنها تريد ركوب الخيل.. وكان عملهم أن يتصيدوا الزبائن من هذا المكان.

صقّت سيارتها بساحة مخصصة بعدما حصل رجل الأمن على بيانات السيارة.. سألتها شاب أسمر إن أرادت ركوب سيارة (الجولف) الصغيرة لينقلها إلى الغرف، ولكنها سألته أن يصطحبها إلى مبنى الاستقبال، والمطاعم فرحّب بذلك.. لم تكن المسافة بعيدة لكنها أحببت ركوب السيارة الكهربائية الصغيرة.

"لدىّ موعد مع (ميستر) (احمد منصور) .. أرجو أن تخبره بوصولى إن كان فى غرفته."

أسرع موظف الاستقبال لينفذ ما طلبته، وأبلغ (أحمد) بوصولها بالفعل.

- قال أنه سيأتى فوراً.

- أشكرك.

توجهت للجلوس على أحد أطقم الاستقبال فى البهو.. ونهضت بعد قليل لإلقاء نظرة على متاجر التحف والتذكارات والفضيات، وهى تسترق نظرة إلى

المدخل من حين لآخر.. الغرف فى مبنى مستقل وبعيد عن مبنى الاستقبال،
ولذلك (أحمد) سيدخل من نفس باب دخولها.

فعل بعد قليل، وكان يرتدى سروالا أسودا، وقميصا أبيضاً من دون ربطة
عنق.. تسارعت ضربات قلبها وهى تتقدم منه، ورآها بعد ثوانى فلم يتقدم
منها مخالفا قواعد اللياقة.. لاحظت أنه يتأملها فازدرت لعابها، ووجدت أن
الابتسام لن يكون سهلاً أو ذا قيمة الآن.

حين بلغته قالت:

- مساء الخير يا (مистер) (أحمد).

استدار، وإتخذ طريقه إلى الدرج الصاعد إلى المطاعم قائلاً:

- أشكرك على الحضور فى الموعد.

لم تجبه وهى تسير معه شاعرة بانقباض.. لو أنه سيعاملها طوال الوقت
القادم بهذه النزعة المتعالية فقد تلكمه فى وجهه.

رحب العاملون بالمطعم بهما، واصطحبتهما المضيفة إلى مائدة ترى الهرم
الأكبر بوضوح وأنت جالس عندها، وقامت بإشعال شمعة بينهما وإن كانت
الطاولة لأربعة أشخاص.

- حين إتصلت بـ (حسين) هذا متوقفاً أن يكون رجلاً بسيطاً من الجنوب
وجدته متمدناً جداً، ويعرف الفندق جيداً.. قال لى "شور يا باشا.. أعرف
الـ (ميناهوس)".. ألف ولام التعريف تلك لم ترحنى تماماً.. لكننى لن
أتعجب لو وجدت (حسين لاشين) هذا لديه (تاتو) على ذراعه.

ابتسمت قائلة:

- رغم أن إخوته الأصغر لم يفعلوا.. إلا أن (حسين) هذا خلع الجلباب منذ
زمن، وتبدلى من عنقه سلاسل من الذهب.

مط شفتيه للأمام رافعا حاجبيه، ثم استعاد جمود ملامحه سريعاً..

- إنه يسكن فى قصر بـ (المريوطية) أيضاً كما قال، وهذا يكمل الصورة
نوعاً.

- إنه شخص لطيف فى نهاية الأمر.. تركيبته غريبة لكن مستساغة.
- ترين أن نستمر فى تعاملنا معهم.. أليس كذلك؟!
- إذا ما منحنا عرضا مميزا.. حتى لو فى هيئة تسهيلات فى الدفع.
- وهل سيفعل؟!
- بلى.. أعتقد ذلك.. سأدير الحوار معه، ويمكن لسيادتك مقاطعتى إن لم تشعر أننا نقرب من هدفنا.
- تبدين واثقة من تأثيرك جدا.
- لم يقل واثقة من ذكائك، أو قدرتك على التفاوض مثلا.. استعمل كلمة أشعرتها أنها هنا هنا لإغواء الرجل!
- أنا هنا كمساعدة لك.. سأدير الحوار بالشكل الذى يفيد الشركة.
- مساعدة لى!! ألا تجدى فى ذلك نوع من إشعارى بالعجز عن إجراء حوار قصير؟
- بالتأكيد لا.. ولكننى ملمة بتعاملاتنا مع مصنع (الاشين) منذ سنوات عديدة، والرجل نفسه يسير دوما بصحبته مساعدين وحراس، وهذا لا يقلل منه بأى شكل.
- أليس هو من طلب حضورها؟! لماذا يبدو كما لو كان غاضبا من مجيئها على هذا النحو!!
- صمتت متعجبة، وفضلت مشاهدة المنظر عبر الزجاج، وإن استرقت النظر إلى (أحمد) بعد قليل فأشاح عنها ملقيا نظرة على ساعته مبديا تأفقه.
- دقيقة صمت، ثم أحنقه أن يتركها فى سلام..
- هل أحضرت عروض أسعار أخرى؟ أم أننا سنتحدث كذبا من دون أساس؟
- يا (ميستر) (أحمد) لقد أعددت طلب عرض الأسعار بأمس بعد اجتماعنا، وأرسلته للسكرتارية الخاصة بالموردين، وأررفت معه أسماء ثلاث شركات ومصانع منافسة لـ (الاشين)، وهنا انتهى دورى.

- انتهى دورك!!! ولماذا لم تتابعى الأمر لمعرفة ردود الشركات والمصانع تلك؟
- المفترض أن يتم تمريرها إلى إن وصلت.. ولكننى لم أذهب للشركة اليوم.
- ولماذا لم تذهبي للشركة اليوم؟!
 - كان متسلطا جافا كما لو كانت حشرة تسللت إلى مائدته.
 - تنهدت مدركة أنه غاضب جدا بسبب الأمر.. لو علم الحقيقة لأدرك أنه سبب تحولها المفاجئ فى ليلة كانت تسير بشكل جيد.
 - قررت معاملته كما تعامل طفلا حانقا..
 - أنا آسفة.. كان لدى بعض الظروف الخاصة.
 - ليست صحية كما أرى بوضوح.. لو كانت حياتك الخاصة ستؤثر على عملك فى هذه الايام بالذات.. فهذا يؤكد عدم إخلاصك للشركة أو إهتمامك بالعمل.
 - كان يبدو كما لو كان ساخطا لأنه أخبرها يوما بمشاكله.
 - (ميستر) (أحمد).. أحيانا تدفعنا الظروف لفعل ما لا نريده.. قد نندم بعد ذلك.. لكن ليس فى الموعد المناسب.
 - بدون تفلسف.. لو أننى فى وضعك لما تشدقت بجمل مثل "أفضل الشركة على"، و "أريد مساندة الشركة فى أزمته".
 - عاودت تنظيم أنفاسها محافظة على هدونها.. مبادلة هجوم وحش كهذا بهجوم مثله لهو ضرب من العته.. لو كان شخصا آخرا لالتقطت حقيبتها وانصرفت..
 - معك حق يا (ميستر) (أحمد).
 - أتعرفين! لقد أسأت تقييمك من البداية.. نعم.. أخطأت فى الحكم ليس أكثر.. أخبرتك بأسرار لم أخبر مخلوقا بها.. لا أعلم لم فعلت ذلك حقا!

- هل تنكر علىَّ إخلاصى للشركة، وتأثرى بما أخبرتنى عنه.. لأننى تغيّبت يوماً؟!!
- بل لأننى أعلم ما يدور فى عقلك جيداً.. هل يمكنك القسم أنك لا تفكرين فى ترك الشركة الآن؟ أقسم أنا أنك لا تستطيعين هذا.. عدم إهتمامك بالحضور أمس، ومعاملتك لى ولزملائك وكأننا حشرات تتطفل عليك، ثم غيابك اليوم.. لن أتعجب لو علمت أنك بدأت البحث فى الصحف عن وظيفة جديدة بالفعل.
- كانت الدماء الآن قد فرت من وجهها.. انعقد لسانها وبدت مذهولة.
مال نحوها وقال مواصلاً هجومه الكاسح:
- لقد خالفت تفكيرى وأسلوبى مرة، وسعيت بكل طاقتى كيلا أتركك ترحلين.. لكننى عاهدت نفسى ألا أكرر ذلك أبداً.. مع أى شخص أيا كانت قيمته بالشركة.. ولا بأس لىً بذلك.. فالبعض يفضلُّ الهروب عند علمه بغرق السفينة.
- ضغط حروف (البعض) لينبها للمعنى الذى استبدله.
سالت دموعها رغماً عنها.. مع ختامه لعبارته الأخيرة خاننها قدرتها على الصمود، وسقطت أمام خصم فولاذى لا يرحم.
- التفت هو إلى حيث سمع اسمه يُنطق.. كان (المتردوتيل) يقود رجل ضخم ذو شارب إلى الطاولة.. مسحت هى دموعها بأصابعها بسرعة مستنزفة كل قدرتها على التماسك.
- تعرف الرجلان بشكل سريع، واستدار (حسين لاشين) إليها..
- الأستاذة (نورا) بنفسها.. ده شرف كبير و(الله)!
- التقط كفها، ولثمها بشكل مفاجئ.. فابتسمت له.. لقد صار متفرنجا أكثر من اللازم.
- خالف (الإتيكيت) بأن ألقى بنفسه على المقعد المجاور لها هى، وهو يوليها إهتمامه..

- وشك منور في الحجاب يا أستاذة.

والتفت لـ (أحمد) شارحا :

- و(اللهم) يا (أحمد) بيه.. الحاج (لاشيخ) (اللهم) برحمه كان محب الأستاذة (نورا)

جدا، وهي عارفة قد إيه كان نفسه تكون واحدة من العيلة.. بس النصيب

بقي.. (منصور) بيه عامل إيه؟

أجابه (أحمد) بشيء من الخشونة:

- إنه بخير.

- بلّغهم سلامنا جميعا بـ (اللهم) عليك يا بيه.. رجع فاضلك ما فيش زبّه أبدا.

كان (حسين) تركيبة غريبة بالفعل.. قميص مزركش مفتوح ليبي سلاسل

من الذهب.. سلاسل أقرب لجنازير.. يضع فى أصابعه ثلاثة خواتم.. كما

يطيل إظفر البنصر فى كلتا يديه.. وفى نفس الوقت هناك شارب كثر، وأثر

للسجود فى جبهته، ولا يزال يتكلم بلهجة أهل الصعيد، وإن حدثها بعض

الشئ.

- بس القمر شكله زعلان.. لا مواخذه يا (أحمد) بيه.. أنا مش بعكس

الأستاذة وعهد (اللهم).. بس أصلها غالبية علينا أوى.. الحاج (لاشيخ) ما

كانش يرفض لها طلب.

لم يبد (أحمد) راضيا.. بدا وكأنه يشاهد فيلما رديئا..

حين قدمت المضيفة قوائم الطعام لهم رفضها (حسين) مؤكدا:

- أنا عارفه طلب.

بدأ فى تدخين سيجار أخرجه من جيبه، وفور أن سعلت (نورا) لرائحته النفاذة

اعتذر الرجل، وأطفأه مباشرة.

- (ميستر) (أحمد).. لست جائعة.

قالت (نورا) ذلك وهى لا تلمس قائمة الطعام.

- يجب أن تطلبى شيئا.

قال لها ذلك بحسم، وكأنها طفلته، ثم اقترح عليها صنفا يقدم باردا.. من السلمون المدخن.. وافقت على مفض، فأشار للمضيفة ليبلغها الطلب.. كان ماطلبه (حسين) طبقا من اللحم (الفيليه)، وزجاجة من النبيذ الأحمر. تبادل (أحمد) مع (نورا) النظرات، ثم نهض (حسين) قائلا شئ عن التحدث إلى رجاله.

- هل كنت ستتزوجين هذا الرجل؟!
سألها (أحمد) ذلك، وهو يبدو ممتعضا منها.
- لقد طلبنى للزواج منذ سنوات طويلة.. كان ذلك فى مكتب (منصور) بك.

أجابته باقتضاب، ثم نهضت مستأذنة لدقائق قليلة، لكنه استوقفها..
- ماذا أفعل كى لا أدفع ثمن نبيذه هذا؟!
حدقت فى وجهه لثوانى، ثم أدركت حجم مشكلته، فابتسمت.. سألها بغيظ:
- أيمكنك إخباره ذلك؟ يبدو عاشقا متيما بك.
- بالتأكيد لا.. فنحن نريده أن يمنحنا عرضا جيدا.
- لو إضطرنى الأمر لإغلاق الشركة غدا.. لن أدفع مقابل مزاج ذلك الخريت.

هزت كتفها بمعنى "تصرف بمفردك"، وتركته، ثم عادت بعد قليل لتجده ما يزال وحيدا فى حين كان (حسين) يتحدث فى هاتفه الخاص بصوت مرتفع جدا بحيث يسمعه الجميع داخل المطعم رغم وقوفه عند الدرج.
عادت لمقعدها، ولاذت بالصمت قليلا قبل أن تقول:

- أريد أن أطلب شيئا أشربه أنا أيضا.
نظر إليها، فأضافت :
- أريد عصيرا.

قالتها، ونست أى نوع من العصير تريد.. فقد كان يرمقها بعمق كأنه يحفظ ملامحها.

تلعثمت متسائلة عما هنالك، فقال بحزم:

- عدلى من حجابك.. أى عصير تريدين؟

لم تجد ما تقم بتعديله فى حجابها.. خاصة أنها ضبطت مظهرها للتو..

- مانجو.. من فضلك.

عاد (حسين) إليهما، وتم تقديم الطعام والشراب للجميع.. كان (حسين) يستعمل أدوات الطعام بإجادة.. لكنه يتحدث والطعام بفمه.. بالإضافة لإصداره صوتاً أثناء تجرع النبيذ.. بدأ (أحمد) التحدث فى العمل، وفكرة أن يثمل الرجل تسيطر على عقله.

واستلمت (نورا) زمام الحديث بمرونة، وجعل هذا (حسين) ينفى عن نفسه المغالاة فى أسعاره، وكأنه ينفى تهمة شنعاء، ثم أكد بوضوح تام:

- يا (أحمد) بيه إعتبر اطمينع مصنعك.. لو أهرت ح نورد لسبادتك كل اللج تطلبه، ومن غير ولا مليم.. (منصور) بيه أفضاله مغرقانا.. وإحنا ناس نفهم فى الأصول.. وإنسى كمان الأسعار اللج مش عاجباك.. نغيرها.. إنت بتقول إيه بس يا (أحمد) بيه؟ إيه يا أستاذة ده؟! إنتو مش عارفين غلاوتكم عندنا ولا إيه؟!!!

تمنى (أحمد) ألا يكون الرجل قد ثمل فعلاً.. أراحه الأمر، وبدا كل شئ أسهل كثيراً مما كان يبدو، وصار كل ما يشغل (أحمد) الآن هو زجاجة النبيذ التى أوشك الرجل على إنهاؤها..

أنهوا طعامهم، وفاجأ (حسين) (نورا) بأن أخرج من حافظته صورة لطفل وطفلة بديا غير مصريين..

- شغتي (لاشين) و(نانسى) يا أستاذة؟ مش كان زمانهم دول شبيهك كده وزى القمر؟!

لم تنتبه لجملته الثانية معلنة إعجابها بالطفلين، وعدم تصديقها أنهما له.. لكن أحدهم كان منتبها جداً، ومتحفزاً ككلب صيد.

وكان (حسين) يميل نحو (نورا) موضحاً..

- أفرهم الإنجليزية مصرية.. بس مافيهاش نص جمالك يا أساذتنا و(الله).
- انكمشت (نورا)، ونظرت للرجل حين شعرت بأنفاسه على وجنتها.
- أعاده (أحمد) معتدلا فى جلسته بيد لا تقبل المقاومة..
- أعتقد أننا أنهينا حديثنا هنا.. ستضطر الأنسة (نورا) للانصراف.
- إنت عارف يا (أحمد) بيه.. أنا كان نفسى أجوز الأستاذة.. أنا أصلى راجل بعرف أقدّر قيمة الست كويس. والنعمة دى عرضت عليها مهر خمسة مليون جنيه، ورفضت.. ولو كان معايا أكثر وقتها كنت عرضتهم عليها، وكانت حتر فض برفضو.. عارف ليه يا باشا؟ علشان هى أعلى من فلوس الدنيا.. مافيهاش غلطة زى ما بيقولوا.
- سيد (حسين).. أنت تتمادى كثيرا.. فأطبق فمك هذا.
- كان (أحمد) عصبيا، وهو يشير للمضيقة التى اقتربت بملف جلدى صغير انتزعه منها ووضعها أمام (حسين) قائلا:
- ستضطر لدفع ثمن النبيذ يا سيد (حسين).. وأنت؟ ماذا تنتظرين؟!
- سأل (نورا) بحدة، وهو يسحب (حسين) بمقعده ليتيح لها طريق الخروج، وقال الرجل مخرجا حافظة نقوده مرة أخرى.
- أكيد يا (أحمد) بيه.. كان لازم أسالك قبل ما أطلبه.. بس أنا قلت إنك عشت نص عمرك فى (أمريكا) و هتطلع راجل (لارچ).. ما تأخذنيش يا باشا.
- وضحك بقوة، واهتز جسده كله.
- جز (أحمد) على أسنانه مربتا على كتف الرجل بقوة..
- إتصل برجالك ليصعدوا، ويصحبوك يا (حسين) بك.. سعدت بلقائك.
- وأنا كمان يا بيه.. أهلا وسهلا.
- إتبع (أحمد) (نورا) وهبطا الدرج معا..
- تحضرون لى عريدا، وتقولون ابوك كان يعتر بابيه!!
- انفجرت (نورا) ضاحكة.. ضحكات تضح بالأنوثة والرقعة، وكانت المرة الأولى التى يراها فيها تضحك رغم إنه رآها تبكى أكثر من مرة.

- تضحكين!! معك حق.. كان ينقصه أن يخرج ورقة وقلما ليكتب عنك شعرا.

توقفت عن الضحك بصعوبة، وواصلت سيرها قائلة:

- لم يبد أبدا من ذلك النوع، ولست صاحبة فكرة دعوته فى (مينا هاوس

أوبروى).. كان يكفيه جدا أن يحتسى فنجانا من القهوة أمام مكتبك،

ويقول ما قاله.. يمكن لسيادتك الاعتراف بأنك تعجلت فى ذلك.. أم

إنك تريد إلقاء اللوم علىّ فى هذا أيضا؟!

لم يجبها.. صمت بتجهم، وذابت ضحكتها وهما يغادران المبنى.

كانت تنظر إلى المنزلق الذى انقلبت عليه وهى طفلة.. تتمنى أن تتجول

بالفندق قليلا.. لكن هذا لم يبد ممكنا.. وقفت لتسمح له بإتخاذ طريقه إلى

غرفته سواء على قدميه، أو فى إحدى عربات (الجولف) الصغيرة.

- إسمح لى بالانصراف يا (ميستر) (أحمد).

- سأرافك إلى سيارتك.

قالها، وكأنه سيفعل متضررا.. لكنها لم تحاول الاعتراض.

غلّفهما الصمت حتى اقتربا من سيارتها..

- تريننى فظا بالتأكيد.. وربما وقحا قاسيا.

نظرت إلى جانب وجهه، وكانت الإضاءة خافته جدا..

- لم أقل أى شئ من ذلك.

- لم تقولىه.. لكنك تشعرين به بالتأكيد.

- رغم هجومك الساحق.. وجدت أنك محق فى بعض ما قلته.

نظر إليها بدهشة، فلم تفعل هى..

- لقد تركت حياتى الخاصة تؤثر على عملى بالفعل.. وأيا كانت صعوبة

ما أمر به.. فمن حق الشركة علىّ ألا أهمل أو أقصر فى حقها أبدا..

خاصة وأنا أعلم بما يدور فى كواليسها من أزمات، وهذا ينطبق على

ضرورة إخلاصى التام فى العمل حتى لو كنت أعانى من مشكلة

شخصية معك.. ربما أنت ترانى من الفئران الذين يهجون السفن حين توشك تلك على الغرق.. لكن لا يمكن لومك على هذا.. بالإضافة إلى أنك تركت حياتك العملية والاجتماعية الناجحة فى الجانب الآخر من العالم، وجئت لتواجه كوارث وحدك.. أتعلم؟! لن أستمر فى الشركة سوى لهدف واحد.. ليس لأثبت لك أننى لست من الفئران.. بل لأثبت لك أن السفينة لن تغرق بإذن (الله).

حين أنهت كلامها.. كانا متواجهين بجوار سيارتها.. كان يضع يديه فى جيبي سرواله، ويستمع إليها مطأطئ الرأس، ولكن ينظر إليها.. إلى شفيتها تحديداً..

- طابت ليلتك يا (ميستر) (أحمد).

لم يحرك ساكناً أو ينطق، وهى تستقل سيارتها وتديرها، وتعد حزام مقعدها.

التفتت إليه فاقترب من بابها.. أنزلت النافذة، ونظرت إلى الرجل بدهشة.. هل أراد أن يعتذر؟! هل أراد قول شئ؟ بدا متخبطاً بشكل ما. مد يده ليصافحها، أو هكذا ظنت.. توقف قلبها، والكون من حولها حين رفع كفها إلى فمه ليلثم أعلى أصابعها مرتين متتاليتين.. وليس مرة واحدة. لم تشهق، ولكن برودة مثلجة غزت صدرها، وانبعثت قشعريرة بطول عمودها الفقري.

- طابت ليلتك.

قالها بصوت شبه مختنق، وازدرت هى لعبها لتستفيق وتبتسم له.. من الرائع أنها وضعت ذراع السرعة بشكل صحيح لتنتقل بالسيارة إلى الأمام مقاومة مشاعر ملتبهة تصارعت داخل صدرها.

ضغطت دواسة الوقود لتبتعد عن تأثير مجال (أحمد).. لكنها انصرفت عالمة بأنه لا مفر لها من تأثيره حتى لو لاذت إلى آخر العالم.. إذا كان هناك مكان يدعى كذلك.

ظلت طوال الطريق مبتسمة بذهول، وقلبها يتراقص.. تستعيد تلك اللحظة عشرات المرات غير مصدقة.. هل فعل هذا حقا؟ وبهذا الإحساس؟ ليست قبلة أرستقراطية بالتأكيد، ولم يدفعه (الإنكيت) إليها، وحتما لم يشعر بالغيرة من (حسين لاشين).. فقرر أن يفعل مثله.

- يا إلهي!

كانت تنطقها حقا وهي تهز رأسها.. بعض الأشياء رغم بساطتها يمكن أن تودى بتوازن المرء تماما.. لكن مهلا.. لم تكن تريد أن تفقد توازنها.. بل كانت مستعدة لمجاهدة نفسها كي تستعيد ما فقدته من توازن منذ اقتحم (أحمد) حياتها، ثم أن ما حدث هو مجرد قبلة فى النهاية.

مجرد قبلة! أى تعبير أجوف هذا! ما حدث لا يمكن التقليل من شأنه لدرجة وضع كلمة "مجرد" تلك قبله.. هذه المرة هى ليست أمام جملة عابرة تحتمل معنيين، أو نظرة عميقة يشتهب فى كونها شرودا.. إنها أمام فعل ماضى ملموس.. بالغ الرقة.. غير إضطرارى أبدا، وطبيعتها الأنثوية تُفرِّق تماما ما بين قبلة كتلك لو حدثت بعفوية، وما بينها حين تحمل إحساسا.. ماذا تستطيع القول.. جارفا.

كونها قبلة ثنائية هو ما يكاد يُذهب عقلها.. لقد عنى ذلك.. نظر فى عينيها، وهو يلثم يدها، وعننى ذلك حقا.

أراد أن يبوح بما كاد يخنقه.. تذكُر كيف تملكه الوجود لدقائق قبلها، وبدا مضطربا.. أخذت تسترجع كل كلمة قالها منذ خروجها من الفندق، وحاولت وضع ما فعله تحت بند الاعتذار مثلا.. لكنه لم يتناسب وذلك أبدا.. كان هناك نسبة اعتذار متوارية ربما.. لكن ليس اعتذار مدير لإحدى موظفاته.. مستحيل!!

أوقفت سيارتها عند البيت، وسارت حتى بابه، ثم عادت للسيارة ثلاث مرات.. مرة لإحضار حقيبتها، ومرة لإطفاء الأضواء، ومرة لإغلاق السيارة نفسها!

ضحكت كالمجنونة وهى تصعد درج البناية، ودلفت إلى شقتها مختبرة سعادة لم تشعر بمثلها من قبل قط.

أول ما فعلته هو أن وقفت أمام المرأة بنزعة أنثوية بحتة..

- ده إنت بتخينى بجد بقى!

وأطلقت صيحة غبطة حين شعرت بمدى أناقتها، وتناسق جسدها.

خلعت ملابسها، واعتلت فراشها تتواثب عليه وكأنه (ترامبولين).. وثبتين مبتسمة.. وثبة متفاجئة، ثم وثبة أخيرة واجمة، وألقت بنفسها على الفراش، واحتضنت دمية دب ضخم كان يجلس على طرف الفراش. تذكرت فجأة صديقته الأمريكية.. خطيبته.. التى أعلن أنه يحبها، وبدا صادقا حينها.

كانت المعركة داخل عقلها بين تصريحه اللفظى بحبه لخطيبته الأمريكية، وبين ما فعله معها منذ قليل.. أيهما أصدق؟ أيهما أقوى؟! وهل هما متماثلان فعلا؟ كلاهما تصريحا بالحب!

أم أن تصرفه كان مجرد نزوة لرجل يشعر بالفراغ بدون حبيبته! لكن فى حالة كهذه لم يكن ليختار تقبيل يدها لو اعتبرت أن إحساسها بدفئه مجرد وهم.. فهى لم تتوهم أنه قبلها مرتين وكأنه يرغب فى أن يعلن لها كل ما يجيش به صدره.. لكن إذا ما كان صدره يجيش بالكثير حقا.. فلم لا يصارحها بوضوح؟! رجل مثله لن تنقصه الجرأة ليخبر شابة مثلها بحبه.. حبه!!

راودها إحساس بأنها تبالغ بشدة.. ربما تعجبه مثلا.. لكن هى ستعجبه دوناً عن نساء دولتين!!!

ربما لو أراد تفضية وقتا لطيفا سيجد من توافق على ذلك.. بل وترغب به.. لا تقصد أى من زميلاتها بالشركة.. حاش لله أن تظن بهن ذلك.. لكن إيجاد رفيقة ليس بالأمر الصعب لرجل مثله بالتأكيد.. كما أنه يملك ما يجعلك تظنه رجلا لا ينساق وراء الصغائر بأى حال.. رجل يحترم نفسه بل وربما يكون على قدر من التدين أيضا.. وإلا فلماذا سيرفض أن يدفع مقابل الخمر؟

شئ آخر بعقلها الباطن كان يؤيد فكرة تدين (أحمد)، ولكنها لم تدرکه بالتحديد.

نهضت فارتدت منامتها، وقامت بغسل وجهها، ثم أخرجت الدجاج من المبرد، وتوجهت إلى الكمبيوتر بالردهة.. قامت بتشغيله، وحين إتصلت بـ (فيس بوك) وجدت رسائل عدة من (نهى) تطمئن عليها، وتسألها عن الموعد اليوم.. كل شئ يتم تداوله فى هذه الشركة بسرعة الصاروخ.. تمنى أن تكون (نهى) مستيقظة، وموجودة.. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل، وكانت هى تحتاج لمن تتحدث إليه حقاً.

أسعدها أن قرأت (نهى) أولى رسائلها، وبدأت فى التحاور، ولم تذكر (نورا) شيئاً عما فعله (أحمد)، ولم تلمح حتى إليه.. واكتشفت أن بداخلها نحوه الكثير من المشاعر بخلاف الحب.. حتى لو كانت (نهى) خزينة أسرار موصدة.. فلن تعلم أبداً بتفصيلى شديدة الخصوصية كتلك.. قالت (نورا) فقط أنها متحيرة جداً، ولا تستطيع تحديد شيئاً.. قالت أن (أحمد) لغز كبير بالنسبة لها.. أحياناً يبدو لطيفاً، وأحياناً أخرى يكون فى منتهى القسوة.. وأخبرت (نهى) عن تأكيد حبه لخطيبته، وكان لزميلتها رأياً فى هذا الأمر..

- كان يوصد الباب أمام (سلمى).. أراد أن يصرف تفكيرها عنه.
- لكنه قال ذلك على مسمع منى أنا أيضاً.. بل وبدا غاضباً لمعنى السؤال.

- لا أريد أن أقسم على ذلك.. لكن الرسالة كانت موجهة لـ (سلمى)، وأصابتك خطأً.

- أتمنى يا (نهى) أن أملك نصف ثقتك فقط.
- يجب أن تملكى أضعافها يا (نورا).. أنا أؤكد لك أنه لن يجد مثلك أبداً.
- ليس إلى هذه الدرجة.
- بل هو ذلك.. ودعينا نتخيل أمريكيتة تلك.. إمرأه باردة باهتة اللون، ولا يحمر وجهها خجلاً أبداً.. لا تحبه بصدق.. تسعى فقط وراء ماله.

ضحكت (نورا)، وردت:

- لا أعلم لم أتخيلها قبلة شقراء صارخة الجمال.

قامت (نورا) بتحويل الحديث ليمسى عن (نهى) كى لا تصير صداقتها من جانب واحد..

إهتمت بسؤال زميلتها عن المشاعر ما بعد الزواج، وأزاد من إهتمامها أن (نهى) تزوجت عن قصة حب كما أخبرتها سابقا، وهذا ما يندر نوعا فى هذا المجتمع فى هذا الزمن.. أكثر الجمل التى أثارت إهتمامها كانت تتعلق بأن (نهى) لو لم تكن تحمل المشاعر نحو زوجها (محمد) لانهار زواجهما فى مرحلة مبكرة.

"من الرائع أن تتمسك الواحدة بزوجها لأنها تحبه.. هذا أفضل كثيرا من أن تتمسك به لأجل الأطفال، والمظهر الاجتماعى، والجانب الجسدى فى بعض الأحيان"

العبرة بدت لها واقعية، ومستّ شيئا بداخلها.. إذا ما تحقق شيئا إيجابيا فى قصتها مع (أحمد منصور) فهى واثقة أن كل ما اختبرته من أحاسيس فى الأيام القليلة الأولى لتعارفهما سيكون درعا واقية لحبها.

تناولت من الدجاج قرب الثالثة بعد منتصف الليل، وشاهدت (التليفزيون) وهى لاتفكر سوى ب (أحمد) وتريد أن يأتى موعد العمل لتنتقل لرؤيته.

لم تفلح فى النوم بسهولة أبدا فى تلك الليلة.. عانت من عقلها الذى لم ينجح فى طرد حبيبها، أو إبعاده عن أفكارها، ولكنها رغم ذلك كانت بالشركة فى موعدها بالثانية.

كالعادة.. حين سألت عن (أحمد) باكرا وجدته باجتماع مع إحدى إدارات الشركة. عادت أدرجها خائبة الأمل، وقد بدأت تعتاد نظرات السكرتيرات لها وكأنها شخص غير مرغوب فيه بالمكان.

لم يكن النهار لطيفا بالشركة فقد حدثت مشادة كادت تتطور لعراك بالأيدى بين اثنين من زملائها بالطابق نفسه، وفوجئت أن (أيمن) كان أحدهما، ولأول

مرة بالشركة اخترقت ألفاظ نابية أسمع الجميع بوضوح، ولم تنجح جهود التهدئة فى فض الأمر سوى بعد ربع الساعة تقريبا.

واختار (أيمن) على إثر هذه التهدئة أن ينصرف مغادرا.

لم تكن (نورا) تعلم سبب ما حصل لكنها لاحظت أن هناك حالة من التعاطف مع (أيمن).. ففور رحيله إنفض الجميع إلى أعمالهم فيما عدا الشيخ (إسماعيل).. كان يتحدث مع الطرف الآخر حديثا هامسا وكأنه يهدؤه.. وكان هذا الطرف يدعى (سامح).. شاب يشبه الحارس الشخصى ضخم الجثة حليق الرأس.. على الأرجح لو لم يتدخل (أولاد الحلال) لفض الأمر لاحتاج (أيمن) بجسده النحيل لاستدعاء سيارة إسعاف.

طلبها (أحمد) فى الواحدة، ولم يكن مكتبه خاليا بأى حال.. هو نفسه كان يفتش مع إحدى سكرتيراته عن ملف ما - أو بالأحرى ورقة ما داخل ملف - فى المكتبة الضخمة قرب طاولة الاجتماعات.. بينما كان اثنان من الموظفين يعملان على مجموعة ملفات أمام المكتب.

اعتدل، واقترب منها خطوتين.. كانت مبتسمة بخفوت، ولاحظت مجددا بواذر الإجهاد على وجهه، وكأنها لا تهاجمه سوى داخل هذا المكتب.. تحدث بصوت خفيض نوعا..

- هل تمانعين لو تناولنا الغداء سويا؟!

عينها هما ما ابتسما له.. كان يسألها بإهتمام لا تغالبه أدنى ثقة فى قبولها، فأجابته:

- بالتأكيد لا أمانع.

انفجرت أساريره بوضوح، وكأنه كان يحمل هما انزاح عن كاهله..

- هذا رائع.. لن نحدد موعدا الآن لكننى سأتصل بك، وسأحاول أن أفعل بسرعة.

- تبدو متعباً.

- دعك منى.. صار النوم حلما بعيد المنال.

فكرت أنها لا تريد مغادرة الغرفة، أو الابتعاد عنه، ثم قالت:

- أريد مساعدتك.

- كلا.. إذهبي إلى مكتبك.

كانت ابتسامة جذابة مرتسمة على وجهه، وكادت نظرتة إلى وجهها تُشعرها بالخجل.. كررت كطفلة مُلِحَّة:

- أريد مساعدتك.

من الجيد أنها لم تضرب الأرض بقدميها وهي تقول ذلك.

مال نحوها قائلاً:

- لستِ سكرتيرتى أو مساعدتى.. إذهبي إلى مكتبك.

- لأ أعلم لم يُزعجك جداً أن أكون مساعدتك.. (منصور) بك لم يكن يثق

فى جيش السكرتارية هذا كله كما كان يثق بى.. كما أننى بحثت فى

تلك المكتبة كثيراً من قبل.

بدا متردداً فى القبول.. قال محذراً:

- ولكن فى هذه الحالة قد تتحول دعوة الغداء إلى شطائر على طاولة

الاجتماعات.

- أو تظن هذا سيشكل فارقاً بالنسبة لى؟!

ابتسم قبل أن يهز رأسه نفيًا، فبانّت عليها الهمة..

- إذن إخبرنى بما تبحث عنه.

استسلم لرغبتها، وإن بدت وقد غيرت أسلوب العمل داخل المكتب تماماً..

ببساطتها، ورغبتها الصادقة فى مساعدته.. فكانت تجلس على ركبتيها أرضاً

وتتحرك كما لو كانت جهازاً للتدقيق بالملفات.. أثبتت فعاليتها.. حيث أخرجت

الورقة المطلوبة خلال دقائق قليلة، وكانت تلك وثيقة تأمين مصفرة

الأطراف يعود تاريخها لأكثر من عشر سنوات مضت.. التقطها (أحمد) منها

قبل أن يرفع أحد حاجبيه بإعجاب.

- هيا.. إخبرنى ما قصة الملفات المتراسة على الطاولة تلك.

- أنا حقا لا أريد استغلالك فى هذا.
 - استغلالى!! أنت تمزح بالتأكيد.. المفترض بنا كموظفين هنا أن ندعك تجلس على مقعدك هذا هناك، ولا تقف للبحث عن ملف بنفسك.
 - حسنا.. لم أعتد فكرة المساعدين تلك.
- حدقت فى وجهه الوسيم، وأدركت سر عدم راحته من فكرة مساعدة الآخرين له..

- حسنا.. كنت تقوم بكل شئ بنفسك؟!
 - ليس بالطبط.. ولكننى يجب أن أكون الأكثر دراية بأمرى.
- بدا لها غير راضيا حقا.. قالت بحنان لم تنجح فى مواراته:
- هيا.. من المستحيل أن تعرف كل شئ قى شركة قائمة منذ سبعينيات القرن الماضى وأنت على رأسها منذ أيام معدودة، ثم ما العيب فى أن نعاونك فى هذه الأمور الصغيرة؟ نتقاضى مرتباتنا نظير ذلك بالفعل.
 - لا تتحدثى أنتِ عن هذا بحق (الله).. ليت تلك الرواتب عادلة حتى.
 - أنا راضية جدا براتبى، وأجده مناسبا.

لاحظت أنه يُحمّل نفسه أعباء زائدة.. من خطايا لم يقترفها. طالبت به بأن يشرح لها ما يسع إليه، وكان شينين.. أولهما تجديد سابقة أعمال الشركة قلبا وقالبا، وثانيهما إعداد ملف يتم تقديمه لشركة تأمين الأعمال كى تعوض الشركة عن الأضرار والإتلافات التى طالت لافتاتها بالطرق والشوارع فى أعقاب الثورة المصرية.

طلب من (نورا) أن تستعين بأى من أفراد الطاقم الجالسون بالخارج لكنها رفضت ذلك، واكتفت بالسكرتيرة الموجودة كى لا يزدحم المكان.

تركها وانهمك فى محادثة تليفونية عند مكتبه.. شعرت بابتهاج لأنه يشعرها بأهميتها.. يكفيها أسلوبه وهو يدعوها للغداء، وكأنه البائس الذى يطلب أميرة للخروج، ولا يظن أن ترضى أبدا.. حاولت وضع تركيزها فى إخراج

المستندات التى سيتم إدراجها بسابقة الأعمال كصور ضوئية، وجاهدت كى لا تضيع نصف الوقت فى استراق النظرات إلى (أحمد).

إنضم هو إليها، والشابة الأخرى بعد قرابة الساعة.. وقف قربها، وقال مقرا:

- ليس عليك القيام بهذا.. لا أشعر بالراحة حيال ذلك حقا.

رفعت إليه بصرها، وخفضته مجددا، وهى تسيطر بيدها على أوراق ملف قديم مكتظ..

- ليس لى شئ آخر لأفعله.

صمت قليلا، ثم سحب المقعد بجوارها وجلس عليه قائلا:

- سأساعدك إذن.

نقل إليها بفعلته تلك شعورا بعدم الراحة.. جلوسه قربها أثار توترها بشكل كبير فبدأت عيناها تشخصان كثيرا، وضلت طريقها داخل الملف وإضطرت لإعادة فحصه من بدايته.

كان على الطاولة الآن عدد كبير من الملفات المفتوحة، وقد تم فصل ورقه من كل منهم، واقترحت السكرتيرة الشابة أن تقوم بالمسح الضوئى للأوراق المطلوبة قبل أن تتراكم أكثر.

أخذت تجمع الأوراق من الملفات، وغادرت الغرفة لإتمام مهمتها.

- أنا آسف.

قال (أحمد) ذلك وهو يقلب فى أوراق ملف ما ببطء.. قالها وكأنه لا يقصد أن يوجهها إلى (نورا) التى نظرت إليه، وسألته بعفوية:

- هل قلت شيئا؟

أوما برأسه، ومط شفتيه للأمام، ثم للجانبين قبل أن يكرر بألية:

- أنا آسف.

حدقت فيه، وعاودتها الهواجس.. ازدردت لعابها قبل أن تسأله:

- بشأن ماذا؟!

لم يلتفت إليها.. صوته كان عميقا جدا، ومختلفا..

- بشأن كل شئ.
- لا يوجد ما يستدعى الاعتذار.
- بل يوجد الكثير.. لقد عاملتك بشكل سيئ.. تخليت عن التهذيب، وكنت سخيفا بامتياز.
- سكنت تتطلع إلى جانب وجهه.. ربما لم تجد ما تقوله، وربما انطلقت فى عالم هواجسها الجنونية.
- أحيانا تؤثر تجربة الاغتراب سلبا فى شخصية المرء.. تجعله أكثر جفاء، وربما تهورا.. تعلمين أن هناك مشاكل كبيرة هنا.. أنت الإنسانية الوحيدة التى تحدثت معها عن ذلك.. قضيت الخمس عشرة سنة الأخيرة وأنا أعانى من البشر حولى.. أفقدت ثقتى بهم، وأحشد أسلحتى للدفاع عن وجودى بينهم.
- لقد عانيت كثيرا.
- لم تنتبه لنبرات الحنان الدافئة فى صوتها، وهى تقول ذلك.. لكنه التفت إليها لثانيتين، ثم عاد ينظر للملف أمامه..
- قد يكون هذا صحيحا.. لكننى صرت أفهم الناس بشكل أكثر سرعة وسهولة، ولم أصادف منذ دخولى هذا المبنى سوى خليط عبثى من النفاق، والمهادنة والتملق.. ربما أظلم البعض ممن لم أتعامل معهم بشكل كافى.. لكن حتى هذه اللحظة.. أنت الاستثناء الوحيد.
- ألقى نظرة على وجهها، وواصل:
- ربما لم يكن لقائنا نموذجيا جدا، ولكنك أثرت إهتمامى منذ اللحظة الأولى.. نعم.. أقر بذلك.. أنت مختلفة.
- أدار وجهه هذه المرة نحوها وتطلع إليها مليا، واستطرد:
- أتمنى ألا تفهميننى بشكل خاطئ.. لست معتادا على البوح بما بداخلى لأحد.

كانت يدها اليسرى فى طريقها للتربيت على ظهره عندما أوقفتها فى منتصف الطريق، وأسندتها إلى المقعد.. ذلك الساحر الذى يبدو وكأنه لم يتلق ذرة حنان من أحد منذ مولده كاد يخرجها عن المألوف تماما.

- أفهمك جيدا.
- أنا أخبرك الآن بأننى مجنون تماما.. اكتشفت ذلك لأننى أخذت أتحداك، وأهاجمك كلما سنحت لى الفرصة.. وكأننى أرفض أن تكونى مختلفة، ولا أريد استثنائك، وفى كل ليلة أعود إلى الفندق مهزوما.. فهناك من هدمت النظريات والحصون وأثبتت لى أننى صرت مريضا نفسيا.
- لست مريضا نفسيا.. لا تقل ذلك.
- لم أكن أعلم بأننى قد صرت مجرد مسخ لا يستطيع التواصل مع الناس وإشعارهم بما يكنه لهم من ود واحترام.. لم أكن أعلم حتى قلت أمس جملتك المتعلقة بضرورة إخلاصك فى العمل حتى لو كنت تعانيين من مشكلة شخصية معى.. كانت الجملة كصفحة لأستفيق.. الوحيدة التى تستحق مكانة مختلفة عن الآخرين، وتمنيت أن نصبح قريبين تقول أن لديها مشكلة شخصية معى، وتعانى منها!! هذا جنون حقيقى.
- مقدار صدقه كان أسرا.. يمكنها أن تقسم أنه يجرب البوح بمكنوناته للمرة الأولى منذ سنوات طويلة.. أردف:
- لا أخجل من التصريح بأننى فقدت إتزانى وأنت تتحدثين ب (الجراج) أمس.. حاولت التحدث بدورى، ولم أنجح.. فعلت ما شعرت أنه قد يقول ما لا أستطيع النطق به.. فعلت، ثم شعرت بعد انصرافك كم أننى مثير للشفقة، ولم أصعد إلى الغرفة سوى بعد شروق الشمس.
- هزت رأسها نفيا، وعيناها تلتمعان بتأثر واضح..
- لست مريضا، أو مثيرا للشفقة أو أى شئ من هذا.. أقسم لك.

- كل ما أريدك أن تعرفيه أنه حتى وإن أزعجتك كثيرا.. فأخر شئ أريده هو مشكلة شخصية بيننا.

عادت السكرتيرة إلى الغرفة مع نهاية عبارته، ولم تلحظ الأجواء العاطفية المحيطة بالاثنين..

شرعت تعيد الأوراق إلى الملفات معلنة انتهاءها من عملية المسح الضوئي. كان (أحمد) واجما ينظر إلى اللاشئ.. بينما (نورا) متصلبة تسعى للسيطرة على مشاعرها بأى ثمن، وهى تسترق النظرات إليه.. شاعرة بالألم من أجله. بعدما انتهت السكرتيرة من إعادة كل ورقة إلى ملفها بدأت تعيد الملفات بالترتيب إلى المكتبة.

انتفضت (نورا) واقفة وقالت:

- هل يمكننى التحدث إليك لدقيقة يا (ميستر) (أحمد)؟

نهض بهدوء ظاهرى، وتبعها بإتجاه مكتبه، والسكرتيرة تراقبهما بفضول. قالت (نورا) له دون أن ترتب كلامها مسبقا.

- لا أريدك أن تشعر بالحزن أو الانزعاج.. لا بسببى، ولا بسبب غيرى.. إذا ما كنت قد ألمتنى بأى درجة فى السابق.. فقد أسعدتنى ومنحتنى شرفا كبيرا بكل ما قلته الآن.. أنا لا أستحق أن تقسو على نفسك من أجلي.

- بل تستحقين الكثير.

كيف تُسكته بحق (الله)؟! إنه لا يفهم أن ما يفصلها عن فضيحة كان خيطا واهنا جدا.

- لو كان البديل لتوبيخك لى وهجومينك معى هو اكتئابك هذا.. فأرجوك أطلق النار.

ابتسم لقولها ابتسامه واسعة، ولكن سريعة الانحسار.. سألها:

- أنحن على ما يرام إذن؟

- بالتأكيد.

حذفت "أكثر مما تتصور" كي لا يحار في تفسيرها.

شكرها، وتسمر لثوانى قبل أن يتنحى هو قائلاً:

- سألقى نظرة على البريد الإلكتروني وأوافقك.

هزت رأسها مشجعة، وعادت إلى العمل الذى تركته.. استأذنتها السكرتيرة فى الحصول على بعض الراحة، ووعدها بالعودة إليها بعد نصف الساعة على الأكثر.

حين عاد (أحمد) ليجلس بجوارها قال:

- بما أننا قد صرنا أصدقاء.. فمن حقك معرفة أننى لن أعيد لك صندوق

الغداء وردى اللون الذى يحمل ملصقات تلك القطة الغاتنة.

أسعدها أن يشاكسها وهو يبدو أكثر هدوءاً الآن.. لو أرادها صديقه التى يثق بها ويعتمد عليها فستكون له ذلك دون أدنى اعتراض.

- لا بأس لى بذلك.. لى واحداً آخر، وهو أجمل.. سماوى اللون، ويحمل صورة (سنو وايت).

ضحك على نحو أكد ذهاب همه..

- سأدفع ما تطالبينه مقابل هذا.

- ولا كنوز الدنيا.

لم يعتد أن تنجح أنى فى إضحاكه.. واصل التظاهر بمفاوضتها من أجل الحصول على صندوق الغداء الثانى، واصطنعت هى الحسم التام قبل أن تعاود محاولاتها للتركيز فى العمل المطلوب.

كانت تعلم أنه ينظر إليها.. قال بعد قليل بلهفته العابثة التى صارت محببة لها:

- حسناً.. بما أننا قد صرنا أصدقاء

ضحكت حتى مالت للأمام، ثم عادت تعتدل، وهو يستطرد:

- كنت أنيقة أمس بدرجة تحبس الأنفاس.

لم تلتفت إليه، وحاولت إخفاء سعادتها متسائلة:

- هل يمكننى مواصلة ما أقوم به، أم أنك ستضيف المزيد من التصريحات؟
- امنحني حق الإدلاء بتصريحات اليوم فقط.. أنت صديقتى الوحيدة.
- فليكن.. تفضل.
- حسنا.. أشكرك.. دعيني أرى.. عطرك مذهل.. ابتسامتك ساحرة.. مهلا.. لقد قلت لك هذا من قبل.. أليس كذلك؟! حسنا.. الرجل المخبول المدعو (حسين) هذا نطق بحكمة أمس حين عبر عن رأيه فيك، وقال أنك مميزة فى كل شئ.
- ضحكت بابتهاج فائق قبل أن تقول ووجهها متورد جدا.
- ألا تلاحظ أنك تغازلنى منذ بدأت فى تصريحاتك تلك؟!
- أحقا؟! كلا.. لم ألاحظ ذلك على الإطلاق.. ألسنا نعيش عصر الحرية؟ أنا أعبّر عن آرائى فحسب.
- حسنا.. ولكن إحدّر من إصابتى بالغرور.
- ضحك قبل أن ينهض قائلا:
- سأريحك منى لدقائق.
- ألفت عليه نظرة باسمة قبل أن تقول:
- لا تتأخر.
- أشار بسبابته مطلقا آهة من اكتشاف شيئا..
- أيتها الخبيثة.. تريدين المزيد من التصريحات.. أم أنك ستفتقدينى؟
- لا هذا ولا ذاك.. أريدك فقط أن تنجز شيئا فى هذا الملف المفتوح أمام مقعدك منذ أمس.
- اصطنع الأسى خافضا رأسه مخرجا شفته السفلى قليلا..
- يالك من طاغية!
- ضحكت، وهو يستدير متخذا طريقه للباب فى حزن، واستوقفته.
- حسنا.. لا تتأخر لأن أحد السببين الذين ذكرتهما صحيحا.

استدار لها متهللاً..

- حقا؟!

- بالتأكيد.. أريد المزيد من التصريحات.. ماذا اعتقدت؟!

ضحكت، ولم يبد هو أسعد منذ رأته، وهو يقول بحماس:

- حسنا.. حين أعود سأخبرك برأى فى عينيك.

هزت رأسها بهيام من خلفه، وحين غادر مالت على الطاولة وغطت يديها وجهها، ثم أنفها وفمها فقط.. لو كانت تحلم.. لم يكن اللحم ليكون أجمل مما يدور هنا الآن.

حين عاد بعد قليل كان يرافقه العقيد (إبراهيم) الذى ألقى عليها التحية، وانهمك فى حوار جانبي مع (أحمد) أنهياه وقوفا، وسألها (أحمد) عقب انصراف العقيد عما إذا كانت قد شهدت المشادة التى حدثت.. ردت بالايجاب، وبأنها لاتعرف أى معلومات إضافية.

بدا مزاجه وقد تعكر نوعا، وجعلها ذلك تتسائل بداخلها عن كنه ما أخبره به العقيد من إضافات.

استدارت بمقعدها نحوه لتسأله:

- لماذا تبدو مهموما هكذا؟

- لا.. لست مهموما.. ولكن (إبراهيم) يقول أنها المرة الأولى التى يحدث

فيها شئ كهذا منذ عمله هنا.

نهضت فسألها :

- إلى أين أنت ذاهبة؟

- أعتقد أنه قد حان دورى لإبداء إهتمامى بك قليلا.. بما أننا قد صرنا

أصدقاء.

قالت جملتها الأخيرة بنبرة مختلفة فضحك بخفوت، واستطردت هى:

- سأطلب لك طعاما.. هل تريد أن تأكل شيئا بعينه؟

- هل تجيدين الطهى؟

حدقت فى وجهه لثوانى.. فضحك..

- لماذا جفلت هكذا؟ لن أطالبك بالطهى بالتأكد.. كل ما هنالك أننى أفتقد الطعام المنزلى نوعا.. لكننى سأكل ما تحضرينه، وستأكلين معى بالتأكد.

هزت رأسها بابتسامة، واستوقفها قبل مغادرتها الغرفة..

- (نورا).. لا تتأخرى.

أومات بصمت، وخرجت من عنده شاعرة بأنها تولد من جديد.

طلبت الطعام من هاتفها الخاص، وأعطت (على) - الفراش العجوز - مبلغ الحساب، وطلبت منه أن يحضر الطعام إلى مكتب الرئيس فور وصوله.. كانت تريد العودة إلى (أحمد) مباشرة لكنها رأت (سامح) الضخم يدخل إليه، ففضلت التسكع قليلا فى الطابق لا مبالية بتجاهل الموظفين لها.

- إلى أين أنت ذاهبة يا (نورا)؟

- إلى الاستراحة.

كانت الاستراحة غرفة صغيرة تحتوى طاقم انتظار جلدى وتلفاز، وكانت عديمة الاستخدام والنفع.. لكنها ستفيدها فى تضييع بعض الوقت.

- لم تعد هناك استراحة.. (ميستر) (أحمد) حوّلها إلى مصلى.

حدقت فى وجه من أعلنتها الأمر بشئ من عدم الفهم لثوانى، ثم هزت رأسها واتخذت طريق النزول متوجهة إلى مكتبها.. كان الخبر يفسر ترك (أحمد) للغرفة بشكل منتظم حين تقضى معه وقتا طويلا فى مكتبه.. شعرت أنها تريد أن تعرف المزيد عنه.. تكشف النقاب عن شخصية ذلك الذى عانى الكثير وحيدا.. ذلك الديكتاتور طاغى التأثير الذى تحدّث إليها برقة متناهية، وصارحها بإعجابه وإهتمامه بها.

تمنت لو كان هناك من يعرف بحبها لـ (أحمد) من خارج الشركة.. أرادت التحديث مع أحد، وإخباره بالتطورات المتسارعة لكنها كانت تخشى كثيرا أن يسبب كلامها مع (نهى) حرجا أو مشاكل مستقبلية.. راقها حقا أن لازالت

تحتفظ ببعض التعقل.. (نهى) تصرفت معها بشكل أكثر من رائع تستحق عليه كل الشكر، ولكن يساور (نورا) شك عميق فى أن صديقات (نهى) على دراية تامة بقصتها هى و(أحمد).

لم تفعل شيئاً مفيداً عند مكتبها.. فحصت بريدها الإلكتروني، ثم أطفأت (الكمبيوتر).

سألت عن (سلمى)، وقيل لها أن تلك فى (الكافيتريا) بالطابق الأول.. أشارت لـ (نهى) بيدها من بعيد، وكادت تعود من حيث أتت لولا أن رأت (ليلى) تنظر إليها بعتاب واضح.

أسرعت إليها، وكانت تلك مستاءة من أن (نورا) لم تعد تتحدث إليها، أو تهتم حتى بتحيتها.

وبذلت (نورا) جهداً كبيراً لمصالحتها شاعرة بذنوب حقيقى.. أخذت تداعب السيدة التى تفوق أمها عمراً، وتدللها حتى ولدت ضحكاتهما.. اطمأنت عليها، ووعدتها بأن تجلس معها لبعض الوقت فى الغد.. لاحظت أثناء توجهها إلى الدرج أن (سامح) عاد إلى مكتبه.

اصطدمت فى طريق صعودها بأحد شباب قسم التطوير فدعاها لرؤية ما وصلت إليه فكرتها، وأعجبها فقرة (الفيديو) القصيرة الغير مكتملة، وأخذت تشيد ببراعة الشبان وقدراتهم.

حين وصلت إلى غرفة (أحمد) وجدتها خالية سوى منه.. كادت تقول له شيئاً لولا أن لاحظت السكون التام.

- يا إلهى!!

همست بها أمام الرجل الذى أسند رأسه إلى مقعده وأسبل جفينه، وبدت ملامحه منبسطة تماماً.. لم تعلم لم فجر المشهد عواطفها نحوه بتدفق غير مسبوق رغم أنه لم يبد لها وقد هزمه التعب.. بل بدا وكأنه يحصل على استراحة محارب.

تمنت أن تمسح بيدها على شعره أو تربت كتفه.. تمنى أن تشعره ببعض ما يجيش بداخلها من مشاعر.. حتى لو كانت ستشعره فقط ببعض الدعم. ظلت تنظر إليه حتى سمعت طرقتين خفيفتين على الباب.. أسرعت تأخذ من (على) حقيبة الطعام، وشكرته مغلقة الباب مرة أخرى معاودة التسمر.. لا تدري ما تفعله.

- إنه يحتاج للراحة.

من المذهل أن شئ من أمومتها الفطرية تيقظ في أعماقها نحو رجل لم يمر شهر على رؤيتها له للمرة الأولى، ويفوقها عمرا وحجما. حسمت أمرها بعد قليل.. فمن غير المنطقي أن تمنع دخول الناس عنده ليتمكن من النوم.

منعها حياتها أن توقظه بأى نوع من التلامس، ووجدت نفسها تنادى اسمه مجردا لأول مرة.. برفق ونعومة.

فتح عينيه مع أول نداء، واعتدل في جلسته دون تشنج.. نظر إليها، ثم ابتسم بإجهاد..

- من الرائع أنك من رأى ذلك.. لم أعتد النوم فى مقر عملى.
- لم أعرف كيف أتصرف.. يجب أن أأكل، وتذهب للراحة.
- وأنا لم أعرف أن اسمى يمكن أن يُنطق بهذه العذوبة.
- يجب أن تنام جيدا الليلة.

قالت له هذا، وهى تصرف تفكيرها عن جاذبيته، وكلامه بإخراج الشطائر من الحقيبة.

نهض مقترحا أن يأكلا على طاولة الاجتماعات، وعاونها حتى جلسا فى نفس مكانيهما فى الاجتماعات التى جمعتهم مؤخرا.. بدأت تكشف الغموض عن سنوات اغترابه.. كانت تسأل دون إبداء فضولها، وكان يجيب بأريحية.

علمت أنه يعيش فى بيت إشتهراه منذ حوالى خمس سنوات، ويوظف مدبرة منزل تدعى مسز (جرين).. تقوم بأعمال النظافة والطهى، وتشرف على

(ماكس) أو (ماكسويل) العجوز الذى يحضر لها المشتريات ويقوم بأعمال البستنة بحديقة البيت.

قال أن شركته هناك من طابقيين فقط فى مبنى يحوى أربعين طابقا، ولديه عدد من الموظفين العرب من ذوى الكفاءات.

- لا أعتبر نفسى ناجحا بقدر شعورى بمدى التوفيق الذى لازمى فى أعمالى الكبيرة الأولى.. كانت مجرد مخاطرات حمقاء بمال عانيت كثيرا لجمعه، وكان (الله) يقدر أن تتضاعف المبالغ فى كل مرة.. تزامن هذا مع قربى النسبى من الدين.. كنت أفعل الكثير من الأشياء التى أشعرنى الإقلاع عنها بالراحة.. لم أكن أفعل أمرا بعينه بإفراط لكن يمكنك القول أننى جربت كل شئ فى هذه الحياة تقريبا فى السنوات الأولى من الغربة.. كان لدى الكثير من الأصدقاء.. ظلوا يتساقطون الواحد تلو الآخر فصرت أكثر حزرا.. (چاك) هو الأخير المتبقى.. أمريكى إنجليزى.. لديه الكثير من المال ويحب الحياة.. يمكنك قضاء بعض الوقت معه دون إعطاؤه سرك.. فسيعرفه الجميع عقب كأسين فقط من (المارتينى).. إنه رجل لا يشعر بأنه يتقدم فى السن، ويفعل كل شئ بإفراط.. وهو شريكى أيضا بالمناسبة.

لم تبتلع (نورا) سوى بضع لقيمات.. كانت تستمع إليه بكل جوارحها.. حتى أنها لم تنتبه لدخول أحد سوى حين صار يقف بجوارها.. كانت تلك (سلمى)..

- أنت هنا يا أنسة، وأنا أبحث عنك فى كل مكان!! كيف حالك يا رئيس؟ كانت رغبتهما فى انصرافها واضحة فى ترحيبهما بها.. فقط هز كل منهما رأسه بهدوء.. لكنها جلست قريبا، وبدأت تتحدث عن مدى استيائها من المشادة التى حدثت اليوم، وعن أن (أيمن) لم يجب إتصالاتها بعد انصرافه..

- جرّبى أنت يا (نورا).. سيُجيب إتصالك بالتأكيد.

بدا التحفز على (نورا) لولا أن (أحمد) غمز لها بعينه فى الخفاء، فبدا وكأنه إمتص كل ما هو سلبى بأعماقها.

- دعينا نمنحه بعض الوقت ليهدأ.. سأتصل به صباحا لو لم يحضر.
فاجأ الرد (سلمى) التى كانت تبحث عن مشادة ثانية على الأرجح، وأمال (أحمد) رأسه رافعا حاجبيه مبديا إعجابه بجواب (نورا) قبل أن يقول:
- يبدو لى هذا عادلا.

نقلت (سلمى) بصرها بين الاثنين قبل أن تتراجع بمقعدها، ثم تنهض قائلة
كمن تستسلم:

- حسنا.. هل تريد شيئا يا رئيس؟ سأنصرف الآن.. استرح قليلا الليلة.
- أشكرك يا (سلمى).. سوف أفعل.
غادرت الشابة الغرفة، فلم تنجح (نورا) فى كبح ابتسامتها أكثر.. فحذا (أحمد)
حذوها معقبا:

- هذا أفضل.. أليس كذلك؟ من السهل جدا ألا يمنح المرء الآخرين ما يريدونه.

بدأ يللمم بقايا الطعام أمامه فنهضت هى لتفعل.. فإضطره هذا ليقف بدوره
مردفا:

- كانت تسعى للإيحاء بأن علاقة حميمة تجمعك ب....
- ماذا؟ ما الذى تقوله؟! إحذف حميمة تلك.
انتبه لخطأ اختياره للكلمة مع ردة فعلها.. رغم أنها لم تكن تصرخ به.. إلى حد ما.

- عذرا.. نعم.. قصدت علاقة.. ماذا تسمونها؟
كان يحاول الشرح مقربا كفيه من بعضهما.. فسألته مقترحة بابتساماة:
- ما رأيك فى الاكتفاء ب "علاقة" فقط؟ لا أريد معرفة نوعها بالظبط.

- نعم.. نعم.. معك حق.. أرادت الإيحاء بهذا، ولم تنتبه إلى أمرين مهمين جدا.. أولهما أنني قضيت وقتا كافيا بصحبتكما أنت و(أيمن)، وأدرك تماما أن لا شئ يتجاوز زمالة العمل فيما بينكما.
- هزت (نورا) رأسها..
- حسنا.. هذه ملاحظة ذكية.
- ما رأيك؟
- ضحكت وهى تطوى قمة الحقيبة الورقية مرتين لتغلقها..
- أنا منبهرة.. والأمر الثانى؟
- أننا قد صرنا أصدقاء.. من دون التزامات عاطفية.. أقصد تتجاوز كوننا أصدقاء.
- استمعت إليه بتدقيق، ولكن لم تُبدِ ردة فعل.. ما إضطره ليسألها وهو يأخذ الحقيبة ليلقى بها:
- أليس كذلك؟
- أومأت له برأسها مغمضة عينيها مبتسمة بخفوت.
- هز رأسه مردفا:
- وهذا يعنى أنك ستحكين لى كل شئ.. إن عاجلا أو آجلا.
- بالتأكيد.
- وأن لى حق إلقاء الأسئلة.. أليس كذلك؟
- ابتسمت، وهزت كتفيها..
- لديك حق إلقاءها، وليس الحصول على أجوبة لها.
- ماذا؟ هذا تلاعب خبيث بالألفاظ.
- أحنت رأسها وكأنها تقول "هذا أنا"، وبدا مهتما فلم يضحك..
- هذا غير مشجع على الإطلاق.. هل من مناطق محرمة لا يمكننى دخولها إذن؟

- بالتأكيد.. لا أريد إشعارك بعدم الراحة.. لكنك تعلم بالتأكيد أن الحدود تساعد على إنجاح واستمرار الصداقات.
- ظل ينظر إليها لثوانى قبل أن يقول:
- وعلى أن أرضى بما يتم عرضه لى.
- سكنت تماما لأن سحابة مزعجة كانت تظل عينيه الآن.. طرق الباب وبرزت منه السكرتيرة التى خرجت للحصول على راحة لمدة نصف ساعة.. منذ ساعتين..
- أنا أسفة جدا.. كنت أعانى من مشكلة فى (الكمبيوتر).. يمكننى البقاء لأى وقت لإنهاء العمل.
- سنكمل غدا بإذن (الله).
- كان (أحمد) صارما أكثر من اللازم حتى أنه كرر جملة مرتين حين حاولت الشابة إضافة المزيد، ولم يرد تحيتها حين ألقته عليه و(نورا) قبل أن تغادر.
- قالت (نورا):
- على الانصراف.
- انتظرى هنا.. أريد أن أفهم شيئا.
- أليس من المفترض أنه متعب بحق (الله)؟ لماذا يبدو مستعدا للقتال بهذا الشكل؟!؟
- وقفت فسألها:
- ستملين شروطك لأننى أعلنت إهتمامى بك، وطلبت صداقتك؟
- سار اليوم بشكل رائع.. لماذا تصر على اصطناع معركة الآن؟!
- قالت نافية:
- لم أمل أية شروط عليك.
- وماذا عن وضعك للحدود؟ وقاعدة.. "إسال ولن أجيب" تلك!
- كانت نظرتها إليه الآن تعكس عتابا صامتا.. سألها بحدة:
- ماذا؟!؟

- لم يمض يوماً، وها أنت تندم على مصارحتك لى بإهتمامك.. لم أعتد الصداقات من هذا النوع، وكنت أمل أن تحتلمنى قليلاً.
تحدثت كطفلة، ولكن تأثيرها عليه كان جلياً، وتابعت واضحة التأثير..
- لو كان ما قلته لى سيُشعرك بأى انتقاص من قدرك.. فيمكننى نسيانه تماماً.. لكن هذا ليس ضرورياً على الإطلاق.. لو كنا فى (الولايات المتحدة)، أو ربما لو كنت أنا مختلفة قليلاً لصارحتك بالكثير مما يرضى غرورك.. أريد صداقتك بأكثر مما تريدها.. اعتقدت أن هذا واضحاً.. لكن يبدو أنك لست قوى الملاحظة بشكل كافى.

كان حرى به أن يوقفها ويعتذر.. لكنه تركها تنصرف وهو متسمر كتمثال شاعراً بأنه ملك للحمقى.

حين وصل بسيارته إلى حيث تقطن تفاجأ بعدم وصولها، وتفاجأ أنه قاد إلى هنا كالمجنون دون أن يعلم ببرنامج أمسيته.. ربما لن تعود إلى المنزل مباشرة.. ظل فى مقعد القيادة شاعراً بمزيج من الانزعاج والدهشة.. لم يعتد أبداً أن تملك أنثى مثل هذا التأثير عليه.. عرف الكثيرات فى السابق.. صادقهن، ولم تتجاوز إحداهن أن تكون ثمرة فاكهة يتذوقها، أو عطر يشمه فينتهى الأمر.. حسناً.. هو الآن مختلف كلياً.. لكن هل تختلف هى أيضاً الى هذا الحد؟!

تنهد محاولاً تنظيم أفكاره.. بشكل ما.. لم تعد حياتها الخاصة تشكل الأهمية الأكبر بالنسبة له الآن.. بل صارت طباعه الشخصية هى أكثر ما يشغله.. إنه سريع الملل.. سريع الانجذاب فى بعض الحالات.. لكنه سريع النفور أيضاً.. لربما (نورا) ليست مميزة إلى ذلك الحد.. ربما هى فقط الأفضل فيمن التقاهن هنا منذ عودته.. كما أنه أبعد ما يكون عن توازنه النفسى فى هذه الأيام.. كان يشعر كضيف.. زائر مؤقت ترك كل شئ خلفه.. يخنقه شعور سخيف بأنه ليس فى بلده.. هو مجرد سائح يقيم فى فندق ويستأجر سيارة.. سرعان ما سيمثل التحدى هنا ويعود أدراجه إلى حيث مضى منذ حوالى خمسة

عشر عاما.. نصفه يفضل أن يعود من دون أن يترك خلفه هنا قلبا جريحا، والنصف الآخر منجذب بشكل مرضى لتلك الأنثى التي تلاقى بداخله قبولا وإهتماما لم يراوداه من قبل قط.

ثبت بصره على سيارتها حين رآها قادمة.. لقد عادت لمنزلها مباشرة لكنه هو من قاد (المرسيدس) بسرعة فائقة ليتبعها فسبقها.

حاول تركيز فكره على أنها أنثى عادية تماما.. مثلها ككل من التقاهن هنا.. تبحث عن زوج مناسب لتلقى شباكها حوله.

لم يكد يراها تغادر السيارة حتى عبس بشدة..

إنه يعلم جيدا أنها ارتدت الحجاب مؤخرا.. ويعلم أيضا كم كان مظهرها فاتنا قبل ذلك.. ملابسها لم تكن محتشمة تماما، وكانت قادرة على إدارة رؤوس الرجال بمجرد دخولها لأي مكان، وهاهى تختار تغيير كل ذلك بملابس محتشمة بشكل صارم، وإن لم تتخل أبدا عن أناقتها.. بالإضافة أيضا إلى أنه لا يلمح أى لمسات (ماكياج) فى وجهها تقريبا.

رغم كل ذلك لم يجد أن بإمكانه تصنيفها كأنثى عادية.. بل على العكس.. يشعر وكأنها أكثر جمالا وجاذبية.

غادر سيارته مغمما بلعنة ما، وهى تعبر الطريق نحوه بإحدى ابتساماتها الساحرة.

كان من المفترض أن يسعده ذلك التعبير على وجهها، ولكنه كان يحاول السيطرة على تأثيرها فيه.. قال قبل أن تبادره بشئ:

- مهلا.. لم آت لرؤيتك.

نظرت إليه وهى تحاول قمع مشاعرها المتدفقة نحوه فى نظراتها وابتساماتها.. واصل مستندا إلى سيارته.. ناظرا فى إتجاه آخر:

- لقد طلبت طعاما، وأنا فى انتظاره.

ضحكت، فابتسم، وخلع نظارته السوداء، وسألها:

- هل أعتذر!؟

هزت رأسها نفيا بحماس، فأومأ راضيا، ثم تسائل:

- هل أعطلك عن شيء؟

نظرت إلى ساعتها مجيبة:

- المفترض أن أزور شقيقى.. رُزق منذ أيام بطفل، ودعانى لأزورهم

الليلة، ولكن لا يزال هناك وقتا قبل أن أذهب.

- شقيقك الوحيد؟!

أجابت بصوت من حنجرتها.. بنعمة طفولية نوعا.. فابتسم، وهو يسأل:

- أول مولود له؟!

كررت الصوت نفسه، وهى تبدو جادة.. فضحك، ثم قلدها بصوت مرتفع..

انتبهت، وأخبرته أن مثل هذه الردود تثير جنون امها، واعتذرت بأنها لا تعتمد

ذلك.. أمسك بالخيط الذى ألقته..

- كنت أعتقد أن أمك غير موجودة.. لماذا تعيشين وحدك؟

تنهدت وهو يراقب ملامحها..

- توفى أبى وأنا فى الحادية عشر، فإنحل رباط الأسرة تماما.. أمى لم

تكن كبيرة سنا، واختارت الزواج بعد أربع سنوات.. كنت فى الصف

الثانى الثانوى، و(شريف) فى أوائل مرحلته الجامعية.. كانت أمى

تزورنا وخالتي بالتناوب، وحين أنهيت دراستى الجامعية.. لم أكن أرغب

فى شئ بقدر الخروج من حالة العزلة الجبرية فى شقتنا القديمة.. إلى

عزلة اختيارية أكون أنا السيدة فيها.. (شريف) تعثر نوعا فى كلية

الهندسة، وكان المنزل يشبه المقاهى تارة، والمعسكرات تارة أخرى..

أتحرك فيه بحساب، وألتزم غرفتى معظم الأوقات.. فور أن قبلونى

للعمل بالشركة.. استأجرت هذه الشقة هنا وقمت بتأثيرها تدريجيا..

وهأنذا.

- ولكن.. شابة جميلة، ووحيدة

- أرجوك لا تكمل.. كانت تلك معارك لا تنتهى.. استغرقت وقتنا لأضع للجميع حدودهم.. لكننى الآن على مايرام.
- ومن أصدقائك؟
- تخرجت ولدى أصدقاء كثيرون.
- كلهم من الذكور طبعاً!
- كلا بالتأكيد.. كان لدى (علا).
- ضحك، ثم أغلق فمه قبل أن يقول مجازياً:
- حسناً.. (علا) تكفى على كل حال.
- كانت أيام جميلة.. (علا) الآن تقيم فى (الكويت).
- كنا فى مرحلة الأصدقاء الكثير.
- أه.. نعم.. أنت تعرف الحياة.. تكونون أصدقاء، ثم يحاول أحد الطرفين تحويل الصداقة إلى حب دون سابق إنذار.. يفشل الأمر، وتنتهى الصداقة للأبد.. لم أحضر سوى حفل زفاف واحد من أصل ثمانية كنت أتمنى حضورهم.
- يا (الله).. سبعة شبان فى ريعانهم حاولوا التقرب منك، وأنت رفضت بقسوة.
- التقرب ممن؟! إنهم متخلفون.. لا أحب تذكر ذلك لأننى أحزن فى النهاية.. كنا أصدقاء جداً، وأعرف عنهم كل شئ، وأساعدهم أنا، و(علا) فى البحث عن علاقات جديدة فى العام الأخير من الجامعة، وكلهم فشلوا.
- لأنك كنت بلا حبيب طوال ذلك الوقت!!
- هزت رأسها، ثم حسمت ترددها..
- لأن العلاقة التى كنت أعقد عليها بعض الآمال انهارت فى ذلك الوقت.
- أمر مثير للإهتمام.. هل هجرك حين انتهت الدراسة؟ عقب أعوام من المواعدة؟!

- سأعود فيما بعد لتعبيراتك تلك، ولكن الجواب هو نعم.
 - ماذا بتعبيراتي؟
 - أمريكية جدا.. هجرك، والمواعدة!! تُشعرنى بأننا كنا نقيم معا.
 - بينما أكثر ما فعلتماه معا هو ...
 - **إنّ قلبه الأدب على فكرة.**
- قالت ذلك بتلقائية مذهشة.. تفاعاً، ثم انفجر ضاحكا بينما كانت هى تشيح عنه معقودة الحاجبين والذراعين.
- حسنا.. لا تغضبى هكذا.. أقسم لك أن هذا أول حوار إنسانى أديره باللغة العربية منذ خمسة عشر عاما.. الأمر غير متعلق بك بأى شكل.
 - ولكنك عربى مصرى فى النهاية.
 - وكثير من الأمور تغيرت هنا يا (نورا).. الكثير جدا من الأمور.
 - حسنا.. معك حق.. إلى حد ما.. حسنا.. تحدث أنت قليلا.
- تحدث هو، وليس قليلا.. سألته عن حياته الأسرية، وقال أنه الابن الوحيد من الزيجة الثانية لوالده، والذى تزوج ثلاث مرات، ولديه ابن بخلاف (أحمد)، وأربع من البنات.
- الزيجة الأولى لـ (منصور) كانت من ابنة عمه، وأسفرت عن توأم غير متطابق.. ذكر وأنثى يعانيان من بعض الاضطراب العقلى والضعف البدنى.
- الزيجة الثانية كانت من زميلة له بالعمل.. والدة (أحمد)، والتي توفيت أثناء إنجاب الصغير.. وكان هذا ما وأد فرحة الرجل بالطفل المعافى المنتظر، والذى صار مسئوليته وحده فجأة.
- الزيجة الثالثة كانت من ابنة أحد رجال الأعمال، وتصغر (منصور) بقرابة العشرين عام، ورزق منها بثلاث فتيات.
- عانى (أحمد) فى صغره من محاولات التعايش مع أم ليست أمه، ولم يحب المنزل أبدا وهو صبى.. انزاحت عنه الرقابة مبكرا جدا فكان يخرج، ولا يعود للمنزل إلا بعد أسابيع، وربما شهور.. حاول أبوه -حين إشتد عوده - أن يحمله

على العمل معه لكن الفكرة بدت لـ (أحمد) مريعة فى حين أنه يترقب إنهاء
دراسته الجامعية ليسافر إلى (الولايات المتحدة الأمريكية).
الحلم الأمريكى الذى راود الكثيرين من أبناء أجيال تلك الفترة فى العالم
العربى.

- لم يكن (منصور) راضيا عن سفرى.. توديعه لى كان طردا من المنزل،
وئمن تذكرة الطيران كان مجمعا من مساهمات عدد من أصدقائى،
ولكننى -والحمد لله- تمكنت من رد المبالغ فيما بعد ذلك.
- سافرت وحيدا؟ وبدون مال؟!

- لو كان دراميا فى أسلوب سرده لفجر نافورة بكاء منها بسهولة.
- لم أتجه للتسول يا (نورا).. اندفعت فى قبول أى عمل كقطار سريع،
وبعد عام ونصف العام كنت فى قمة الفشل والضياع.. نعم.. بدأت
الأمر فى التحسن بعد سبعة عشر شهرا بالضبط.

- ولو عدت بالزمن.. هل كنت؟
- أكره هذه الأسئلة.. لا أحد يعود بالزمن، وفى كثير من الأمور تكون
خياراتنا مجرد استكمال لمقدرتنا.

- قصدت تقييمك للتجربة كلها؟
- أه.. إذن قولى.. لو عدت بالزمن.. هل كنت ستختار السفر أم البقاء
هنا؟

- ماذا؟ هل تريد إثارة جنونى؟ هذا ما كنت ...
- تبا.. أنت تتناولين تجربة سفرى بجدية باحثة اجتماعية.. أمازحك يا
صغيرتى.

ضحكت حين أدركت حماقتها، وأعجبتهما ضحكته كالعادة.. تلك التى تظهر فيها
أسنانه.

واصلتا تحدثهما، واستندت هي إلى مؤخرة السيارة بينما وقف هو يتحدث على سجيته، وقد أحاطت بهما هالة آسرة من التوافق لا تحل كثيرا.. ربما تولد بين اثنتين فقط على الكوكب فى كل ليلة.

لم تشعر (نورا) بإجهاد عضلات ساقها، وهى تعتمد كل عدة دقائق على إحداها، ورغم أنه يبدو مجهدا منذ الصباح الباكر.. إلا أنه كان يقف موفورا، والإهتمام يظل عينيه.. كانت الساعة تشير إلى ما بعد التاسعة، وكان (شريف) قد إتصل ب (نورا) فاكتفت بإسكات الرنين، وإعادة الهاتف إلى حقيبتها.

لم تفهم ما ينتوى (أحمد) فعله إلا وهو يحملها من خصرها بيديه بیسر ليضعها جالسة على الصندوق الخلفى لـ (مرسيدس) قائلا:
- هكذا أفضل.

لكن اندفاع الدماء فى رأسها، واضطراب نبضها، وتجمد نظراتها كلهم نفوا إدعاؤه.

ورغم وضوح انزعاجها.. ارتسمت ابتسامة عابثة على وجهه وهو يسأل:

- ماذا؟ هل تجاوزت إحدى قواعدك، وأستحق إنذارا ما؟!

- أنت مجنون على فكرة.. أنا مش مصدق إنك عملت كره مجرد!!

كل خلية من جسدها كانت متنبهة الآن، وبدا كما لو أن قلبها فى الطريق لموضعه مرة أخرى.

إن الواقف أمامها يتجاوز القواعد والحدود باستهتار، ويبدو مستمتعا بهذا، ثم لماذا حملها بذلك اليسر؟ وكأنها هى تحمل (نور الدين)!!

- اسمع.. لا أحب أن يخترق أحد مساحتى الشخصية.

قالت ذلك بغضب، وبسبابة مرفوعة.. بينما كان غضبها من نفسها أشد من غضبها من (أحمد).. لماذا؟ لأنها ليست غاضبة فعليا بالشكل الكافى.. فكرت

أن رجلا غيره لو فعل شئ كهذا لنال صفقة مباشرة على وجهه.

رد بتكاسل مثير للأعصاب:

- فعلت ذلك بنية طيبة.. فكرى فى أنك الآن غير مضطرة للوقوف حتى أنصرف.
- هل يعتقد أنها مرتاحة الآن حقا؟! ذلك الأحمق!
- (أحمد).. من فضلك.. هل بإمكانك إظهار بعض المراعاة؟
- أحب مناداتك لى باسمى على هذا النحو.
- لو لم تكن رئيسى لحطمت أنفك.
- وأحب أيضا نبرتك الاندفاعية تلك.. لطالما أحببت النساء اللائى يتكلمن، ثم يفكرن.
- كانت تنظر إليه الآن بغضب مصطنع.. اللعنة! هذا الرجل يتصرف بحرية، ولا يعترف بالقوانين على الإطلاق.
- أكرهك.
- هيا يا (نورا).. ألا تبالغين قليلا؟ لم أعانقك مثلا.. أولسنا أصدقاء؟! كاد غضبها منه يتصاعد مجددا، فاستوقفها رافعا يديه:
- إهدئى.. أعدك بعدم تكرار ذلك.
- بدأ يفقد استمتاعه تماما حين أدرك يقينا أنه أول رجل يلامسها.. لم تكن ردة فعلها مصطنعة بأى حال.. تأثرها الفائق لحركته السريعة كان شديد الوضوح.. كما أن إعلانه عن حبه لأسلوبها ونطقها لاسمه لم يكن كذبا محضا بأى حال، ومن الرائع أن كبح إضافته بأنه أحب الاستدارة عند خصرها النحيل.. رغم أن الحركة لم تستغرق ثانية.
- حسنا.. هل يمكن أن تحكى لى عن (علا) قليلا؟
- ماذا تريد أن تعرف؟! ضحكك لتحفزها الطفولى..
- حسنا.. احك لى عن والدتك.
- عادة يتحدثان، و(نورا) تلاحظ أنها لا تهتم بالعيون التى تنظر إليها بغضول من حين لآخر.. كان بعض جيرانها ممن مروا خلال الساعات الأخيرة قد

تفحصوا (أحمد) ملياً، ولم تعجبها أبداً لا مبالاتها حيال ذلك.. إذا ما نجح فى أيام قليلة فى هدم عدد من مبادئها.. فكيف يمكن أن يصير الحال بعد فترة؟! سيضفى هذا لعلاقتها به بعداً مخيفاً على الأرجح.

- هل تعلم أننا هنا منذ ست ساعات؟
- آه.. بلى.. وأذان الفجر سيرُفع خلال خمس دقائق.
- لم يأخذ قولها على محمل الجد، فضحكت بعمق، وهى تمد له يدها ليرى ساعة معصمها.. ذُهل أن الساعة قد اقتربت من الحادية عشرة والنصف، وقال شيئاً غيبياً عن زيارتها لشقيقها فعادت الضحك..
- لو طرقت بابهما الآن.. لن يفتحا لى أبداً.
- أمل ألا أكون قد خلقت مشكلة بإفساد مخططاتك على هذا النحو.
- على الإطلاق.. كانت زيارة عادية.. سأقوم بها غداً بإذن (الله).. أنت من كان يجب أن يخلد إلى الفراش فى التاسعة على الأكثر.
- يجب أن تصعدى الآن.. أليس كذلك؟
- هذا صحيح.. لقد تأخرت بالفعل.
- لم ينجح فى مواراة ضيقه، ولم يكن هذا خافياً عليها.
- هرش مؤخرة رأسه، وسألها وهى تهتم بالنزول:
- هل أساعدك؟
- هزت رأسها بعجب وهى تستقر على قدميها أرضاً، فابتسم ثم قال:
- كنت أنوى اقتراح دعوتك على العشاء.. اعتقدت أن الوقت لا يزال مبكراً.
- حاول أن تأكل شيئاً خفيفاً، وتنام جيداً.
- هز رأسه بملامح جامدة بينما كانت تهتم بتوديعه.. توقفت ثم سألتها بنعومة:
- أتريد قول شيئاً؟
- شيئان فى الواقع.
- ابتسمت شاعرة أنها أمام أطف رجل على الأرض..
- قل ماشئت.

- حسنا.. هل بإمكانى التعامل معك بشكل طبيعى بالشركة؟ لا أعلم كيف يفكرون، ولا أستبعد الدناءة لدى البعض.
- صمتت قليلا، ثم سألته:
- والشئ الآخر؟!
- ماذا؟ ما معنى هذا؟ لم أحصل على جواب لسؤالى!
- سؤالك أجاب نفسه يا (أحمد).. أنت تخشى أن تؤذنى حتى بطريق غير مباشر، وهذا يوصمنى بالندالة لو لم أقدم توضيحات تافهة فى المقابل من أجل الاحتفاظ بصدافتك.
- حسنا.. لم تبتدين حزينة فجأة؟
- لست حزينة على الإطلاق.. حمدا لله.. قل الشئ الثانى.
- بدت لثوانى وكأن دموعها ستسيل منها بصمت، وأزعجه هذا بوخزات كالإبر فى قلبه..
- لا.. ماذا بك حقا؟
- وبخته بنظرتها.. على نحو أنثوى بحت.. ربما تنهيه عن مواصلة إلحاحه، وربما تلومه على عدم فهمه.
- وكان هو يفهم أنها تأثرت بمراعاته لها، وخوفه عليها.. تعود مجددا لتحيى أسطورة الأنثى الملائكية فى خيالاته القديمة.. بوفاة والدها، وعلاقة ليست وطيدة بشقيقها.. هذه الشابة تفتقد كثيرا أن يحيطها أحد بإهتمامه، أو يرغب فى حمايتها.. رغم ظهورها متماسكة فى معظم الأحيان، ورغم إنه لا يعلم حتى الآن كنه حياتها الخاصة التى زعمت وجودها من قبل.
- سألته بخفوت:
- ماذا عن الشئ الثانى؟
- هز كتفيه العريضتين، ولوى فمه، ثم صرّخ:

- حسنا.. أنت رائعة.. هذا هو الشئ الثانى.. أردت تهنتك فقط على كونك أنت.. بمبادئك، وقواعدك، وكل سخافاتك.. لو أن أخرى تعيش حياتك لحوّلت شقتك إلى ملهى ليلي.
- أسعدها تصريحه كالعادة.. سألته ضاحكة:
- ومن أدراك أننى لا أفعل ذلك فى نهاية الأسبوع؟
- لو كان ذلك فسأبيت هنا من الليلة؟
- ذابت ضحكاتها، وتبادلا نظرة صامتة طويلة، ثم تمت له ليلة طيبة.. لكنه هز رأسه نفيًا..
- كلا.. انتظرى يا آنسة.. لن ننهى الليلة بهذه الملاحظة.. قولى شيئاً رائعاً عنى.
- ضحكت من قلبها لتفاهة قوله..
- لا شئ رائع فيما يتعلق بك يا (ميستر) (أحمد).
- انتبهى لكلامك يا آنستى.. فلا تزال لدى الطاقة لحملك ووضعك فوق السيارة.
- واصلت الضحك لثوانى..
- حسنا.. دعنى أرى.. لا أعرف ما معنى المطالبة بالمديح تحت تهديد السلاح تلك!!
- كان المرح باديا على ملامحه، وهو يكاد لا يصدق أنه يدير حوارا بهذه الأريحية مع كائن حى.
- تظاهرت هى بالتفكير بصوت مرتفع، وأحب هو الابتسامه على شفيتها.
- متعطرس.. مغرور، وحين تغضب تلقى بكلام كالحجارة.. تحب أن يبكى الآخرون بسببك، ولا تُقم لمشاعرهم وزنا.
- رفع يديه مستسلما، وتحرك ليستقل سيارته، فانفجرت مقهقهة بصوت مرتفع حتى نجحت فى السيطرة على نفسها..
- انتظرى يا (أحمد).. سأجد شيئاً.

- دُورِي عَلَى هَلِك.. أَنَا رَابِع أَنَام.
- حسنا.. وجدت شيئا.. اسمع.. هذا جدِّي تماما.
- كانت تمسك بباب سيارته تمنعه من غلقه.. أدار هو المحرك، وأحنى رأسه نحوها كي يستمع لما ستصرِّح به أخيرا.
- من الرائع أن حوَّلت الاستراحة إلى مصلى.. أحببت ذلك جدا.. أنت أيضا.. لو عاش آخر حياتك لمأ هذه السيارة الصغيرة بالجميلات كل ليلة.
- صمت لثواني، ثم أشار برأسه..
- إنهن ينتظرننى عند الفندق.
- إذن.. إحضرهم إلى هنا ليلة الخميس.. الدور الأول.. الشقة إلى اليسار.
- نظر إليها ضاحكا، فأغلقت الباب قائلة:
- وقت النوم يا (ميستر) (أحمد).. هيا.
- وتراجعت خطوة لتتابعه يرحل، لكنه أشار لها إلى بناية سكنها بإبهامه..
- اصعدى.
- منحته ابتسامة تفيض عذوبة، وأشارت له وداعا، وتحركت لتغيب عند مدخل البناية.
- تحرك هو بسيارته مذهولا لحلول منتصف الليل.
- فى الطريق إلى الفندق كانت أغانى (لويس أرميسترونج) تدور بصوت خفيض، و(أحمد) لا يستمع إليها.. لو تابعه أحد عن كثب للاحظ حركة خافتة من رأسه بين الحين والآخر.. يمنا ويسرة.. وكأنه ينفى شيئا أو يتحسر عليه.
- توقف الآن.. هذا غير عادل بالمرة.. أى صداقة تلك!! وإلام تقود؟! كنت تفكر بنفس المنطق القديم.. تراهن نفسك أن لا براءة كتلك فى هذا العالم، واليوم.. خسرت الرهان، وفى طريقك لخسارة المزيد.. حسنا.. أنت تغيرت بالفعل.. ابتعدت عن الكبائر، وصرت أكثر نقاء.. لكنك فى

نفس الوقت لا تبحث عن الارتباط العاطفى.. لا تبحث عن الالتزام، ولا تريده.. بل وتخيفك الفكرة من الأساس.. كنت تريد رفقة تضى بعض الحرارة لأيامك الكئيبة هنا، وجذبتك هى بشكل جديد ومختلف، وحلمت أنت بعناق ولمسات دافئة، وأيام مميزة.. تُفرغ فيها بعض مشاعرك، ثم تلقى كلمة وداع، وترحل.. تعود من حيث أتيت! إنها لا تستحق ذلك.. فتوقف.. لأنه من الممكن جدا أن يأتى وقت لا تستطيع فيه التوقف.

ضرب المقود براحة كفه، وهو يشعر بصداق مفاجئ يكاد يفجر دماغه. فى هذا الوقت كانت (نورا) تتناول طبقا من رقائق الذرة.. متربعة على الأريكة العملاقة.. شاردة على إتساع عينيها، وعلى ملامحها بسمه باهته.. ستحفظ تاريخ اليوم بالتأكيد.. فهو من أجمل أيام حياتها.. إن لم يكن الأجمل على الإطلاق.

رغم سعادتها كان يراودها قدر من الحيرة.. أجزاء لم تفهمها فى شخصية الرجل وأسلوبه معها، ومناطق لم يتطرق إليها حديثهما اليوم. ظلت على الأريكة لساعة كاملة تفكر وتستعيد أحداث، وكلمات من يومها، وحين نهضت لم تغسل الطبق.. وضعته على رخام المجلى، وأطفأت الأضواء بالردهة والمطبخ.. قامت بتفريش أسنانها وأوت إلى الفراش. غرقت فى نوم عميق استيقظت منه فى موعدها، وقبل أن تغادر منزلها هذا الصباح أخذت المبلغ المتبقى بدرج مدخراتها بغرفة المعيشة.. ستشتري مصباح سيارتها اليوم إذا ما سحت الفرصة، أو بشكل أدق إذا ما ظل (أحمد) منشغلا طوال النهار.

حاولت رؤيته باكرا، ولم يتسنى لها ذلك.. لكنها فوجئت به بجوار مكتبها بعد انتصاف النهار بقليل.. نهضت بارتباك، فألقى عليها التحية بهدوء، ثم قال:

- لدى موعده فى الواحدة.. هل يمكننى اصطحابك لغداء سريع؟
- يا نهار أبيض.. اطغروطن أخذ شنطتي وأجج معاك كرة! بالبساطه دى!!

كانت تسأله بصوت خفيض، ومن بين أسنانها، وبلهجة آلية نوعا.. تدرك أن عشرات الأزواج من العيون مسمرة عليهما الآن.
هز كتفيه، وتقدم من المكتب، وانحنى يلتقط هو حقيبتها..

- أنا أخدمها أهو.. إيه الصعب في كده!!

ابتسمت بصدمة، ولمحت (سلمى) تراقبها بنظرات حادة.. بينما أشار هو لها بذراعه لتتقدمه فغالبت اضطرابها لتأخذ حقيبتها منه، وتسير أمامه.. لم تلتفت إليه، ولم تلحظ أنه يلوك قطعة من العلك ببطء ورتابة، ويصوب نظرة خطيرة مألئى بالتحدى فى إتجاه شخص فى الطابق.

سار (أحمد) إلى جوارها عندما هبطا للطابق الأرضى، ومر معها من الباب الذى فتحه أحد رجال الأمن.. قال لها وهما يستقبلان حرارة الجو بالخارج:
- ليس لدينا متسعا من الوقت.. هناك مطعم قريب.. ليس شديد الأناقة، ولكنه يبدو نظيفا.. هل تجربيه؟

أومأت له برأسها، فسألها:

- هل تمانعين السير قليلا؟

- كلا.. مطلقا.

بدا متعكر المزاج، فسألته مباشرة عما هنالك.. أجابها باقتضاب:

- أنت تعرفين.. الوضع دقيق.. لا بشائر.

- إدارة التعاقدات تبدو نشيطة جدا اليوم.. يقولون أن مناقصة وزارة

الإتصالات تلك هى الأضخم فى

- لا أريد التحدث عن العمل.

- حسنا.. حسنا.. آسفة.

اعتذرت بصدق، ثم بحثت عن موضوع تثيره..

- أتعلم؟ حين سألتنى عن التعامل بشكل طبيعى أمام الجميع.. لم أتوقع

هذا ال.... أتفهم ما أقصد؟ أن تمنحنى هذه الأهمية!

- عليك اعتياد هذا.. على الأقل خلال وجودى هنا.

- انقبضت معدتها مع جملته الأخيرة.. لكنها تجاهلتها قائلة:
- ليس عليك هذا.. أنت لا تدري قدر الإحباط الذى سيسببه ذلك لجميلات المبنى.
 - كانا يسيران على الإفريز، وقد صارا خلف مبنى الشركة.. قال لها:
 - دعك من هذا الهراء.. سأدير الأمر كما يجب.
 - أى أمر؟
 - صداقتنا.. لن أخفيها أبدا.. سيتحدثُ الخبثاء والمرضى فى أى الحالات، والسرية تُوَجِّحُ خيالاتهم.
 - صمتت لثوانى، ثم سألته عن أمور تافهة.. تناول العشاء بأمس.. النوم بشكل جيد.
 - كان المطعم شهيرا إلى حد ما.. متخصصا فى تقديم الأطعمة الإيطالية.. طلبا الطعام من على الطاولة الوحيدة الخالية، ولاحظت هى مدى اختلافه.. بدا وكأنه ملئ بالطاقة.. طاقة غضب على الأرجح.. لكنها لا تريد أن يعرب عن ملله إذا ما سألته مرة أخرى عن وجود خطب ما.
 - سأتصل بـ (شريف) اليوم لأعتذر عن عدم زهابى إليهم أمس.. سأطلب منه أن يدبر لقاء لى مع أمى.. لم أرها منذ عدة أيام.
 - أو ليست الأمور على ما يرام بينكما؟
 - (رغدة)!! إنها صعبة المراس.. عادة ما أثير جنونها لكنها حبيبتى.
 - التوى ثغره ببسمة غير خالصة..
 - (رغدة)!! هل تعمل؟
 - أصدرت (نورا) نغمة الإيجاب من حنجرتها، ثم انتبهت فاستدركت بسرعة:
 - أسفة.. نعم.. تعمل فى سفارة إحدى دول الخليج.
 - تطلّع نحوها، وقد حضرته ابتسامة أشد وضوحا.. فتسائلت وكأنها كانت تنتظرها:
 - ما الذى يضايقك؟ أخبرنى أرجوك.

نظر إليها بعمق.. طرق سطح الطاولة بأصابعه برتابة.. ذلك الإهتمام المطل من عينيها الزرقاوين كان مؤثرا جدا.. صادقا بشكل مرعب.

- غدا أول الشهر.. أسعى لإيقاف التحويلات البنكية إلى حساب الشركة.. تلك التحويلات التي تتم بشكل آلى من عملائنا القدامى أو المستديمين.. لقاء الواحدة مع مندوب البنك.. لا نريد أن يزداد رصيدنا المحجوز عليه أساسا من قبل الدولة.. نحتاج لبعض السيولة أثناء السعى لحل الأزمة، وتعرفين التزامات الأول من الشهر.

لو كان بإمكانها إتيان شئ لطرد الهم من وجدانه إلى الأبد لفعلت بلا تردد.. اجتهدت لتشجيعه والتسرية عنه.. وكانت تملك بعض الحكايات عن مواقف مضحكة تصلح لحالات كتلك، وساهمت روعة الطعام فى إراحته أيضا.. وحين غادرا المطعم قبل الواحدة بقليل كان (أحمد) يبدو منفرج الأسارير.. بل وبدت فى عينيه نظرة التسلية تلك حين منح (نورا) الخيار ما بين السير بسرعة، أو أن يحملها فبدت على استعداد للتسابق معه إلى باب الشركة.

أخبرها وهما يقتربان من المبنى:

- لقد سجلت رقم هاتفى عندك.
- فى هاتفى؟ متى فعلت؟
- كنت تحكين عن ذلك الطفل الذى وقعت بجواره فسكبت فوقه قدحا من المياه الغازية المثلجة، وباللندالة.. ركضت مبتعدة قبل أن تعود امه.

- و(الله) شعرت بأننى أخطأت بحكى ذلك لك.
- واطمئنى.. لم أتصفح صندوق الرسائل، أو أشاهد الصور مثلا.
كانت تمسك بهاتفها فرفعته تعبت بشاشته قليلا..

- ليس هناك ما يزعجنى فى أن
لم تتم عبارتها.. انتزع الهاتف منها، فتوقفا وحدقت فى عينيه بحذر.. قال:
- طالما أن ليس هناك ما يزعجك.. فسألنى نظرة على ملف الصور.

حاولت استعادة هاتفها، وبدت على استعداد لخوض المعارك لمنع (أحمد) مما ينتوى..

- لا يا (أحمد).. لا يمكنك مشاهدة الصور.. هناك الكثير من صوري دون الحجاب.

وضع الهاتف خلف ظهره، وهز كتفيه..

- وماذا فى ذلك؟ لقد شاهدت الكثير من صورك دون الحجاب بالفعل.

- حسنا.. لم أتمكن من منعك حينها.. أعطنى الهاتف.. الآن.

- كنت أعرف أن شعرك شديد السواد بالمناسبة.

- حسنا.. كل المصريات تقريبا شعرهن أسود.. أعطنى الهاتف.

أعطاه لها فهدأت.. ضحك، وهما يواصلان السير..

- أردت أن أخبرك أن عدساتك الزرقاء لم تدعنى لأظنك شقراء فاتنة.

ردت بتلقائية:

- أنا لا ارتدى عدسات.

ضحك، فسألته مزمجرة:

- هل يمكنك السكوت قليلا؟ ألا يكفيك أن خطوتى نصف خطوتك؟!

ضحك عابثا..

- لا تغضبى.. هناك حكمة بالتأكيد فى كونك شديدة القصر.

- لست شديدة ال...! أتعرف؟ أنا سعيدة أننى تسلّمتك من هذا المبنى

وأنت تبدو وكأنك ترغب فى قتل أحدهم.. وها أنا أعيذك وقد قضيت

طريق العودة كله تسخر منى.

هز رأسه ناظرا إلى ملامحها الغاضبة بطفولية، ثم قال وهما يدنوان من

المبنى:

- على الاعتراف بأن لديك قدرة مدهشة على نشر البهجة.

ذاب غضبها كقالب من الثلج فى مقلاة..

- ماشى.. إحنا بسن مشن عايزينك نكتّيب يا (أحمد) بيه.

ابتسم لها.. قالت وهما يعبران الباب:

- سأأنصرف مبكرا اليوم.. هل تريد منى القيام بشئ بخصوص سابقة الأعمال؟
- طلبت منهم تصميمًا جديدًا لها.. لماذا ستنصرفين مبكرا؟ راقها قطعًا أن بدا مهتمًا.
- سأذهب لشراء شيئًا ما.
- توقف ملتفتًا إليها، وكاد يقول شيئًا ما، ثم أطبق فمه.. وقف ينتظر المصعد معها رغم أنه لن يستقله.. لم تجد هي ما تقوله.. لكنه قال بعد ثوانى:
- سوف أتصل بك مساءً بإذن (الله).. اعتنى بنفسك.
- أومأت له بحماسها الطفولي، فأشار لها بيده، وهز رأسه وقد عكست نظرتة بعض الإمتنان.
- حين سعدت إلى طابق عملها فوجئت بـ (نهى) تحتضنها، وتهمس في أذنها:
- قلت لك أن تخميناتى تصيب دائما.
- ليس الأمر كما تظنين.
- كيف هو إذن؟ هل ستقولين أن هذا الرجل الذى اصطحبك من هنا منذ قليل ليس مغرما بك؟!
- هو بالفعل ليس كذلك.. صرنا أصدقاء فقط و(الله).
- واجهت نظرات الشك فى عيني (نهى) بصلاية..
- لم يأت على ذكر كلمة عن الحب.. أقسم لك.
- بدت (نهى) خائبة الأمل نوعا ما.. أرادت أن تستوثق ما إذا كانت الأمور تسير بشكل مبشّر، وأحست (نورا) أنها لا تستطيع حتى الآن طمأننة نفسها فى هذا الشأن، وليس طمأننة الآخرين.
- عادت إلى مكتبها شاعرة ببعض الحيرة.. معاهدتها لنفسها بالأ تستبق الأمور ضغطت أعصابها بشكل ما.. تساؤلات (نهى) أشعرتها أن الوضع مربك

للغاية.. إذا ما حاولت الحكم بحدسها الأنثوى.. فهي فى لحظة تشعر أن (أحمد) يحبها، وفى لحظة أخرى تشعر بأن الأمور عادية جداً.
فحصت بريدها الإلكتروني، ولمّا لم تجد ما تفعله توجهت إلى مكتب (ليلى)،
والتي بادرتها قبل التحية هامسة:

- **بارب يا (نورا) بكون من قسمتك ونصيبك.**

ضحكت (نورا) بحياء.. فبدأت (ليلى) تسألها بتلهف عن التفاصيل، وكانت الأجوبة مثبّطة لحماس المرأة بشكل كبير.
تحدثت السيدة قليلاً، وأشارت لأزمته المالية الخانقة، وشعرت (نورا) بالأسف عليها.

لو علمت أنها كانت فى طريقها لنيل زيادة فى الراتب، ثم تعثرت الأمور..
لازدادت إحباطاً.

- **بالتأكيد (منصور) بك هو من قرّب بينكما.. أليس كذلك؟**

- **لم أره، أو أتحدث إليه منذ جاء (أحمد).**

- **لطالما قال أنك "أجمل روح" التقاها فى حياته.**

جذب التعبير، والموضوع برمته انتباه (نورا).. كررت التعبير بفرحة ما لبثت
وأن امتزجت بالأسى على حال صاحبه الآن.. تنهدت بعمق..

- **على الذهاب لشراء بعض الأغراض يا (لولاً).. إلى اللقاء يا عزيزتى.**

سجّلت انصرافها المبكر، وغادرت المبنى لتتخذ طريقها إلى تاجر قطع غيار
السيارات الذى وصفه لها مهندس الصيانة بالتوكيل.

بعد ذلك بقليل نهض (أحمد) مصافحاً مندوب البنك منها لقاؤه به.. النتيجة
مرضية إلى حد ما.. سيساند البنك الشركة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

فور انصراف زائرته دلفت إحدى السكرتيرات التنفيذيات إليه تطالبه بتوقيع
قرار ممرّر إليه من إدارة شئون الموظفين، ويحمل توقيع (ليلى عبد الحميد).

فور أن إطلّع على فحوى القرار حتى مر بقلمه على الورقة طولياً بشكل
مائل، وكتب بالأسفل "لاغى"، ووقّع بلا إهتمام..

- قومی بإخطار السيدة (ليلی) بإلغاء القرار فوراً.
- لقد تم تثبيت ورقة بنص القرار فى اللوحات التوضيحية فى مداخل الطوابق بالفعل ياسيدى.
- انتفض واقفا..
- ماذا يعنى هذا؟ لم ترسلوه لى إذن طالما بدأت فى تطبيقه بالفعل..
- يتم تمزيق هذه الورقة.. تابعى هذا بنفسك، وأرسلى السيدة (ليلی) إلى فوراً.
- نجح فى السيطرة على أعصابه بشكل كبير حتى دلفت (ليلی) إلى مكتبه..
- كانت مرتبكة، وحاولت التفسير..
- لم أتوقع أبدا أن سيادتكم قد تعارض القرار بعدما طالبت العقيد (إبراهيم) بعمل استقصاء للموظفين الذين شهدوا الواقعة، وكلهم أفادوا أن السلوك العدوانى، والسباب بدرا من (أيمن) أولاً.
- لست هنا كأحد لوازم الديكور يا سيدتى.. كان المفترض موافاتى بنتيجة هذا الاستقصاء قبل إتخاذ أى قرارات.
- ربما أن الفراغ الموجود على قمة الإدارة القانونية هو ما سبب هذا الارتباك.
- فضلا.. لا تلق باللوم على ظروف طارئة يا سيدة (ليلی).. فكرة الاستقصاء كانت لتفادى هذا الفراغ بالفعل علما بأنه سيتم ملؤه بدءا من الغد.. وهذا قرار آخر أريد اعتماده اليوم قبل موعد الانصراف.
- بالتأكيد يا (أحمد) بك.. هل سنقوم بإرقاء السيد (سمير) إلى منصب مدير الشؤون القانونية؟
- ولماذا (سمير) تحديدا؟
- لأن.. لأنه الأقدم، والأقوايل دارت بهذا فى الأيام الماضية.
- الأقوايل!! حسنا.. فلتذهب كل الأقوايل إلى الجحيم.. يتم إرقاء الأنسة (ياسمين عبید) إلى المنصب الشاغر.. قومی بتحضير عرض بالوظيفة

لتقوم بتوقيعه غدا صباحا.. عرض لائق يا سيدة (ليلي)، ويتم إلغاء أى عقوبة قمت باستصدارها بحق (أيمن رشدى) دون الرجوع إلى.. هل هذا واضح؟

- بالتأكيد يا (أحمد) بك.

استوقفها حين همّت بالانصراف، ونهض واقفا..

- سيدة (ليلي).. أنت تعملين هنا منذ حوالى خمسة وثلاثين عاما.. هل تشعرين بالرضا الوظيفى التام؟!

- بالتأكيد يا (أحمد) بك.. أفضال والدك تغرقنى، و....

- عذرا.. دعك من هذه الأمور العاطفية.. أتحدث هنا عن مديرة بشركة قوية للدعاية والإعلان، ولديها ملفين اقتراض تقوم بتسويتهما بالاستقطاعات الشهرية من راتبها، وأذكر أن التسوية لن تتم خلال العام القادم حتى.

كانت السيدة مرتبكة أكثر من اللازم.. لا تفهم إلام يمكن أن تؤدى هذه المحادثة.. كادت تقول شيئا لولا تعالى رنين هاتف (أحمد) الخاص فقال لها حين تبين هوية المتصل:

- تفضلى يا سيدتى.. سنتحدث غدا بشكل أكثر استفاضة.

شعرت هى أن حجرا انزاح عن صدرها، وهى تغادر الغرفة بينما أجاب هو المحادثة..

- (نورا).. كيف حالك؟

جاؤه صوتها خفيضا مكتوما:

- هل أنهيت اجتماع مندوب البنك؟

- منذ قليل.. ماذا بك؟ هل أنت بخير؟!

- لقد سرقت منى حقيبتى، وبها مفاتيح السيارة وكل شئ.. هل يمكنك أن تأتى لاصطحابى؟

- ياإلهى!! هل أنت بخير؟ أين أنت بالضبط؟

سؤاله الأخير ألقاه، وهو يلتقط مفتاح سيارته من درج إلى يمينه، ويندفع مغادرا الغرفة.

- أنا بخير، ولكن (شريف) لم يجب إتصالاتي.. أنا آسفة جدا.
- اعتذارها الأخير كان باكيا، وكان هو مستعدا جدا للانفجار..
- أصمتى وأخبريني بمكانك لأجل (الله).

- سأعطى الهاتف لمن يصف لك المكان بالضبط.

ثوانى، وجاؤه صوت ذكورى أجش ليصف له الطريق.. قال (أحمد) بعدما أدرك مكان (نورا) تقريبا، وكان محدثه صبورا ومراعيًا:

- هل هى بخير؟ من فضلك انتظر معها حتى وصولى.
 - **ماتَعَلَّشْ يا باشا.. اطرام فاعدة في المحل عندى، وفي عينينا ماتَعَلَّشْ.**
- شكر (أحمد) الرجل، وهو ينطلق بالسيارة مسترجعا كل ما لديه عن مناطق (القاهرة)، وجسده متوتر بدرجة كانت تؤلم إبطيه بشكل حاد لم يجد له تفسيرًا.

حين وصل إلى المكان، وتبين المتجر الذى وصفه له الرجل.. وثب من السيارة بقميص غمره العرق، وأعصاب شبه كاملة الاحتراق.

كان المتجر بسيطا ككل المتاجر المحيطة به.. منطقة مليئة بورش السيارات، ومتاجر قطع الغيار المستعملة والمستوردة من الخارج.. كانت سيارة (نورا) متوقفة أمامه.

حين ولج (أحمد) الدكان الصغير وجد الشابة تجلس على مقعد بلاستيكي أمام خزانة مليئة بقطع الغيار المشحمة.. رائحة الزيت والصدأ شبه خانقة، و(نورا) منكمشة كطفلة وتثبت بيديها جزءا ثنته من تنورتها المتسخة.. لتخفى تمزقا فيها عند ركبتها على الأرجح.

وقف قريبا وصاح سائلا الرجل الذى نهض من وراء مكتب معدنى صغير:

- من فعل هذا!؟!

وكأن الرجل سيخبره ببيانات السارق مثلا..

- إهدرا يا باشا.. الحمد لله إن الأستاذة بخير.. واد ابن حرام على مكنة شد
شنتطنها، والظاهر هي فغشتك فيها.. وقعت على الأرض.. أنا قلت لها
فراكي.. سليمة إن شاء (الله).

بدا الرجل محترما.. بجوار مقعد (نورا) كان يستقر صندوق خشبي.. فوقه
زجاجتي مياه معدنية، ومياه غازية لم تمسهما.. لاحظ (أحمد) أنها لم تنظر
فى عينيه، وأنها تبدو منهارة.. أكثر حتى من المفترض.

انحنى عندها، وقال ونبراته لاتزال ترتجف:

- اطمئنى يا (نورا).. أنا هنا معك الآن.

لم تؤت حركة سوى انكماش فى ملامحها.. فى طريقها لمزيد من البكاء.
لمح بقعة دماء صغيرة عند المرفق فى ملابسها، وأخرى أكبر عند ركبته
اليمنى.

قالت شيئا بصوت خفيض، وكاد قلبه ينفطر حين تبين أنها تشكره لمجيئه.
خلع سترته، وألقاها على ركبتي (نورا)، وانحنى يحمل الشابة على ذراعيه،
ويهرع ليضعها برفق داخل سيارته.

لملم تنورتها ليغلق الباب، وعاد إلى المتجر، وهو يخرج من جيبه ورقتين
ماليتين دسهما فى يد صاحب المتجر وهو يصافحه شاكرا.

- وعزة جلال (الله) ما آخذ منك مليم.. إنت بتشتمنى يا باشا ولا إيه؟ ده إحنا
الله لازم نعتذر لك ع الله حصل.

لم يبد (أحمد) واثقا من شئ.. الأخبار التى كانت ترده عن (مصر) طوال
الأعوام الماضية، وحتى الأفلام والمسلسلات المصرية الخالصة كانت كلها
تؤكد انتهاء عصر (الجدعنة) فى هذا المجتمع.. الشعب الوحيد الذى يبذل
المال والجهد ليُصدر مسأوه للعالم.. نفاخر بتقديم أنفسنا فى أسوأ صورة
من خلال نصف انتاجنا الفنى تقريبا.. نحن نتمتع ببذاءة فطرية.. شوارعنا -
وخصوصا المناطق المتواضعة- ما هى إلا غابة ملأى بالوحوش والضباع..
نحن نعبد المال.. شهوانيون كالكلاب.. نتعاطى المكيفات بإفراط.. نساؤنا

بذيئات سليطات اللسان.. ناهيك عن أن لدينا قطاعات كبيرة من الشواد والمنحرفين جنسيا.

- لا يمكن إلا أحاول رد جميلك.
- جميل إيه يا باشا بس!! إنت والأستاذة على راسنا و(الله).. عيب.. إحنا مصريين جدعان، وربنا بزيغ البلا عننا.. أنا بييجلى هستريا من نزول اطران عندي لوحدها في الأيام السودا دى يا باشا.. بس الواحد بيسيبها على (الله)، ولا مؤاخذه الناس الأصبلة اللي زى سعادتك كده.. توكّل على (الله) يا بيه وحد الأستاذة واطمن عليها، وعريبتها في أمان حد ما تبجي تاخدها.

أخلى (أحمد) يده من المال، وعاود مصافحة الرجل بإمتنان شاكرا. استوقفه الرجل ليعطيه هاتف (نورا) قبل انصرافه، وحين استقر (أحمد) بجوار الجميلة المنهارة قال بحنان حقيقى:

- لا عليك يا جميلتى.. ستكونين بخير.. فليذهب بكل ما سرقه إلى الجحيم.

قاوم رغبته فى استخراج ردة فعل منها، وانطلق بالسيارة إلى شوارع رئيسية، وبدأ يسأل عن أقرب مستشفى.

- لا أحتاج لمستشفى.
 - بل تحتاجين.. سيقوموا بتطهير الجروح بشكل جيد على الأقل.
- وبالفعل كانت طيبة الطوارئ فى المستشفى القريب مهمة بهذا الأمر تحديداً..

- لا.. لا.. الحمد لله.. عظامنا سليمة.. سنطهر الجروح ونضمدها، ونمنحك مسكن للألم.

كانت هناك ممرضة تعاون الطبيبة بدأت فى رفع التنورة لأعلى أثناء جلوس (نورا) على فراش الكشف الجلدى الكئيب.

رفع (أحمد) بصره عن ساقين جميلتين وبشرة حلبيية صافية ليلاقي عينيها الواسعتين المنزعجتين بشدة فأشاح عنها تماما، ثم نهض واستدار ليتطلع من نافذة قريبة.. بلغ سمعه آهات ألم من (نورا)، وكلمات تشجيع من الطبيبة التي تعاملها بلطف واضح.

- دعينا نرى مرفقك الآن.. اخلعي هذا القميص.. ساعديها يا (وداد).

- إحم.. سأنتظر بالخارج.

غادر الغرفة، وكأنه يفر من وباء خطير حتى إنه ظل ممسكا بمقبض الباب من الخارج لثوانى.. تأثير هذه الشابة عليه لم يكن بعيدا جدا عن الوباء على أى حال.

حين خرجت مع الممرضة كانت تسير ببطء.. طالبها بأن تجلس على مقعد قريب حتى يعود إليها.. رافق الممرضة إلى تقسيم استقبال رخامى.. دفع مبلغا بسيطا من المال وأسرع عائدا أدراجه.

رأى الطبيبة منحنية عند (نورا) وتحدث إليها بود، وحين رآته قادما اعتدلت تربت على ظهرها تهنئها بسلامتها، ثم فاجأته هو بطلب عجيب..

- اعتن بها.. دللها قليلا.

كانت توصيه وكأنها تتحدث عن ابنتها، وأدهشه ذلك.. تركتهما وتوجهت إلى إحدى زميلاتهما.

- حسنا.. هل أحملك؟!

هزت رأسها نفيا وهي تنظر إلى الأرض.

- فليكن.. سأعاونك على السير.

- يبدو أننى نسيت سترتك بالداخل.

إنسل بسرعة إلى غرفة الكشف فأحضر سترته.. أنهض (نورا)، وانحنى يُحکم ربط كمي السترة عند خصرها ليريحها بإخفاء تمزق وإتساخ تنورتها تماما.

استندت إلى ذراعه وهما يغادران.. حين استقرتُ بالسيارة عبر هو الطريق إلى متجر صغير عاد منه محملاً بالحلوى والعصائر.

- هيا.. تحتاجين لبعض السعرات.. تبدين شاحبة.
- لا أعرف كيف أشكرك.
- ليس عليك أن تفعلى.. لكن ب(الله) عليك.. ما الذى ذهب بك إلى تلك المنطقة؟

- لشراء مصباح لسيارتى.
- لماذا لم تقولى لى؟ أو حتى تطلبى من أحد عمال الشركة أن يجلبه لك؟

- لم أفكر فى ذلك.
- هز رأسه غير راضيا، وانطلق بالسيارة.
- قال بعد قليل وهو يلقي نظراته عليها:

- هيا.. لا تريدنى أن أفئت لك الحلوى بالتأكيد!
- هزت رأسها نفيا، وآلمه وجومها.
- ألا ترين أن مئات الحقائق لا تساوى حزنك هذا؟ ثم ما المهم فيها لتتشبثى بها؟ مال!! بضع أوراق.. لا قيمة لكل هذا.. المهم أنت.
- أشد ما يحزننى أن حافظة النقود كان بها صورا أحبها.. لابى، وامى، و(شريف).

- بحث لثوانى عن رد مناسب..
- أنا واثق من أن (رغدة) لديها نسخة من هذه الصور؟
- التفتت إليه فهز رأسه مشيرا بيده..
- واثق.. مئة بالمئة.. (رغدة) لن يفوتها شئ كهذا.
- كان مستعدا لبذل كل ما يستطيع ليرى تلك الابتسامة الضئيلة تتسع..

- والبطاقة، والرخصة.. استخرجتهما لى منذ أيام قليلة.. غدا نذهب لاستخراج بدل فاقد منهما لك.. ماذا أيضا؟! مليون جنيه!! لا يساوى شيئا مقابل خدشا بسيطا يصيب (نورا) الجميلة.
ظلت تنظر إليه، وابتسامتها تتسع ويغالبها قدر من التأثر.
قال ببساطة:

- أعرف تفكيرك الآن.. تريننى بطلا أسطوريا.. أنقذتك من الضياع.. تحترقين شوقا للعودة إلى منزلك كى تعانقينى بكل إمتنان.
ضحكت حقا هذه المرة.. ضحكة قصيرة، وهزت رأسها وهى تتطلع من النافذة إلى الطريق.
قال متحمسا:

- ماذا؟ ألا تصدقيننى؟ أنا خير بتلك الأمور.. تسمى "متلازمة البطل".
عاودت الالتفات نحوه..

- أنا حقا لا أعرف كيف أشكرك يا (أحمد).. أنت بطلى حقا.

قال بصدق رجولى مطمئن:

- أنا سعيد بقدرتى على مساعدتك، وسعيد جدا أنك إتصلت بى.
غلفهما الصمت قليلا، وهو يقود فى طريقه إلى شقتها.
تسألت بعد قليل:

- ماذا يُفترض بنا أن نفعل الآن؟

- حسنا.. أولا.. سنحضر نجارا لفتح شقتك.. سنغير (كالون) الباب،
ويصبح لديك مفاتيح جديدة.. سأخذ المفتاح الاحتياطى لسيارتك
وأعود لأحضرها لك.. هذا كل شئ، ولا تقولى أنك لا تملكين مفتاحا
آخر للسيارة.

- أملك اثنين.

- هذا جيد.

واجها زحاما قاتلا لكنهما وصلا إلى مسكنها مع الغروب.. سألتها عن اسم البواب، وترجّل ليناديه، ويسأله عن نجار قريب.. وصف له واحدا، ثم قرن الوصفة بالجملة الشهيرة:

- بسن النهارده الحرد.. ع تلافيه قافل.

عاد (أحمد) إلى السيارة، وجلس فى مقعد القيادة قليلا صامتا، ثم سأل (نورا) دون أن يلتفت نحوها:

- (نورا).. ألا تملك (رغدة) مفتاحا لشقتك؟

- بلى.. تملك واحدا.

التفت إليها ببطء، ثم ضحك.

ضحكت بخفوت قبل أن يعترئها وجوم الشعور بالذنب.

- صفى لى الطريق إلى بيت (رغدة).

إتصلت بأمرها، وتأكدت أنها بالمنزل، وشرحت لها ما حدث معها باختصار، وبدا من تأكيدات أنها بخير أن أمها جزعت بشدة، وحين وصلا (أحمد) و(نورا) كانت المرأة تقف فى الشارع بالفعل.

غادر (أحمد) السيارة فور أن أوقفها، وترك الفرصة للأمر كى تطمئن على صغيرتها التى لم تغادر السيارة، وأشارت لـ (أحمد)، وقدمته:

- (ميستر) (أحمد منصور).. مديرى.

صافحته (رغدة)، وأخذت تشكره بإمتنان شديد.

- لم أفعل شيئا.. هذا واجبى يا سيدتى.

انتحى جانبا مرة أخرى تاركا المفاوضات تنطلق بين الاثنين.. (رغدة) تريد أن تصعد ابنتها معها، و(نورا) لم تكن ترغب فى ذلك بأى قدر.. انتهى الأمر بصعود الأم لإحضار المفتاح أمام إصرار ابنتها على عدم المبيت عندها.

حين كانا فى طريقهما لمنزلها.. سأل (أحمد) (نورا):

- طلبت منى الطيبية أن أدللك.. سم شيئا تريدينه.

- تدلّنى أكثر من هذا؟! أنت تمزح بالتأكيد.. الشئ الوحيد الذى أريده هو أن تعرف فقط أن ما فعلته لى اليوم.. لم يفعله أحدا من قبل.
- هذا شرف لى يا (نورا).. لكن.. ما قصة الطيبية والطلب الغريب؟
- غريب جدا!! وكأننى طفلة مثلا.
- مهلا.. أنت طفلة بالفعل.
- لست طفلة.
- ربما لاحظت أن لك بشرة أطفال.
- أنا لا.. أنت

ضحك بخبث حين تورد وجهها، وأجرى إتصالا بأحد رجال والده، ووصف له عنوانها، وطالبه بموافاته فيه.

إتصل (شريف) ب (نورا)، ولم يفت (أحمد) أن يشعر ببعض خيبة أملها من محادثة شقيقها.. فكر أنه لو علم بتعرض إحدى أخواته لحادث لانتفض لمساندتها حتى لو كان لايزال فى بلاد العم (سام).

أثناء صعودهما إلى شقتها.. لم تضع يدها فى كفه.. فضّلت الاستناد إلى ذراعه لأن ذلك أقل حميمية.

هو من فتح الباب بالمفتاح ودفعه.. لكنه لم يدخل.. قال:

- تعرفين مفاتيح الإضاءة بالتأكيد.

لم تبتمسم.. كان بداخلها الكثير لئلا تفعل.. دخلت المكان بالألم الحارق فى ركبته، والممتد بطول ساقها كلها.. تحجل ببطء ضاعف من شعور (أحمد) بهمّ يكاد يسحق صدره.. آلامها تسوؤه.. بل إنه شعر برغبة فى سحب الأذى عنها إلى نفسه لو أمكنه ذلك.

حين اختفت عن ناظره، وقد جعلت الإضاءة التى أشعلتها الموجودات مرئية.. بدأ يتفحص ما يراه بعينين متعبتين.

لم تكن الإضاءة تأتي من مصابيح أو ثريات معلقة بالسقف.. بل تتنوع ما بين (أباجورات)، أو مصابيح مثبتة بالجدران.. لمسات صاحبة المنزل على التقسيم والأثاث تعكس شخصيتها.. البيت بدا وديعا دافئا مثلها.

توقف ببصره عند إطار صغير به صورتها وهي تحتضن قط أبيض عملاق غزير الشعر.. جذبته الصورة فلم يشعر أنه دلف إلى المكان، والتقط الإطار وقربه من وجهه.. كانت (نورا) أصغر بأعوام، ولكنها تبدو كما لو كانت أكبر منها الآن!!

ابتسامتها متألقة جدا، وشعرها الفاحم ثائر كشلال.. من غير المعقول أن تبدو مع مرور السنوات وكأنها أكثر هشاشة ووداعة! حين شعر باقترابها رفع بصره نحوها مقارنا بين الأصل والصورة.. سألها مبتسما بخفوت:

- ألا تكبرين؟!
- قالت دون أن تبدو وقد سمعته:
- هذا (تايجر).
- وتم التقاط الصورة فى ذكرى مولدك الخامسة والثلاثين؟!
- ماذا؟
- تبدين فى الصورة أكثر نضجا يا (نورا).
- قطعلا .. ما الذى تقوله؟ أنا متعددة الشخصيات فقط.
- فقط؟!!
- بلى.. وأنت تنظر مرة أخرى لصورة لى من دون الحجاب.
- وأحببتها جدا.. ولكن لماذا لم ينقض علينا السيد (تايجر) هذا، أم إنه
- !؟....
- سحبت منه الإطار بنعومة..
- رحل بالفعل.

- ولم تفكرى فى تربية غيره؟ حزنّتِ جدا عند فقدانه، ولم ترىدى تكرر التجربة!
- نظرت إليه وقد لفت قوله انتباهها..
- هذا صحيح.. من الغريب أن تدرك ذلك!
- ماذا؟ وما المقصود بذلك؟! أرجو التوضيح.
- لم أقصد شيئاً سيئاً.. تعجبت فقط أن يكون تفسيرك حاضراً لأمر عاطفى كهذا.. أمر تافه ربما.
- هل تقولين أننى أواجه صعوبات فيما يتعلق بالأمور العاطفية؟
- لم أقل شيئاً كهذا.. أنت من قلت أن الغربة تجعل المرء أكثر جفاء وواقعية.
- كانا يبدوان وكأنه يحاصرها.. كانت مهمة لئلا تُغضبه بتعليق عفوى غير مقصود بعد كل ما فعله لأجلها اليوم..
- أنا لم أقصد انتقادك بأى شكل و(الله).
- لا بأس.. هل أحضرت مفتاح السيارة؟
- ما هذا؟ لن أعطه لك بهذا الشكل؟ هل غضبت؟
- لم أغضب، ولكننى حين أفكر فى آرائك عنى لا أسر بالتأكيد.
- آرائى عنك!! تقصد التفاهات التى قلتها بالأمس؟ كنت أمزح.
- كانت مضطربة، وفى أسوأ حالاتها.. لو أتت حركة واحدة لمصالحته فستلقى بنفسها بين ذراعيه.. أهم شئ أن يغادر بسرعة لأنها قريبة من اختبار البكاء من فرط المشاعر المكبوتة لأول مرة فى حياتها.
- سألته بصوت واهن:
- ألاً يمكن أن يذهب (شريف) غدا لإحضار السيارة؟
- غدا! لن أترك سيارتك عُرضى للسرقة حتى الغد.
- وألاً يمكن أن ترسل من؟

- (نورا).. أعطنى المفتاح.. الرجال هناك لن يسمحوا لأى شخص بأخذ السيارة إلا لو ظهر أحدنا معه.. هيا.. اذهبي للاستحمام والراحة، ودعى الأمر لى.

تطلعت إليه، وبدت معاناتها على وجهها.. كانت يده ممدودة، وأدرك هو فى تلك اللحظات من الصمت أن عليه الانصراف من المكان بأى ثمن.. الأنثى الرقيقة التى أشعرته منذ رآها بحاجتها للحماية.. بدت الآن بحاجة للحنان والرعاية.. حاجة ماسة فى الواقع.

- هيا.. لا يمكنك الشعور بهذا اليأس بعد يوم رائع كهذا!
ضحكت فبكت..

نعم.. هكذا ببساطة تحريك ورقة.. بدأت ضحكة قصيرة الأجل انتهت بنوبة بكاء عاتية.. أخفت وجهها بيديها، وهى تعتذر بتهانف:
- أنا آسفة.. سأكون بخير.

شتم فى سره، وتحرك فى مكانه شاعرا بالعجز، ثم قال بخشونة:
- اذهبي للاستحمام والراحة.. هيا يا فتاة.. سأنصرف أنا.
همُّ بالمغادرة، ثم استدار إليها قائلاً بعصبية:
- المفتاح.

انتزعه من يدها، وفر هاربا.. أغلق الباب خلفه، وهبط الدرج مرددا اللعنات.
توقف أمام مرآة فى مدخل البناية وأشار بسبابته، وكأنه يحذر شخصا خفيا..
- أنت رجل قوى.. نعم.. أنت رجل قوى.

كان يحدث نفسه.. بدا مخبولا تماما.

حين وصل مع أحد رجال أبيه القدامى إلى حيث سيارة (نورا) كان المتجر الذى تستقر المركبة أمامه قد أنهى فترة عمله، ولكن يجلس بجوار السيارة شاب أسمر على نصف مقعد.

نهض عنه حين اقترب (أحمد) منه.. تعرّف الشاب (أحمد) بشكل سريع..

- الحاج (محمد) سابع ده لسعادتك.

حذق (أحمد) بعلاقة المفاتيح، ومد يده ليمسك بـ (وينى الدبدوب) الذى بدأ بصحة جيدة رغم إتساخه.

- لَقِينَاهُ بَعْدَ مَا مَشَيْتُو الصَّبِيحِ.
- طَبِيبٌ بَصِيحٌ بَقِيَ.. الْحَاجُّ (مُحَمَّدٌ) الصَّبِيحُ مَاخُلَا نَبِيثُنْ أُرْدَ حَمِيلَهُ.. بَسَنَ دَلُوقَتِي مَا يَنْفَعُنِي.. أُنَا كَانُ مَلَكُنْ أَوْ مَيَّ أَرْجِعُ مَا الْأَقْيِشُ الْعَرَبِيَّةَ.. إِنَّتِ سَهْرَانُ جَنْبِهَا وَمَعَاكَ الْطِفَانُ! الطَّوْضُوعُ كُلُّهُ غَرِيبٌ!
- وَابْنَهُ الْغَرِيبُ فِي كَرْدِهِ بَابِيهِ!! وَلَوْ إِنَّا خَرْتُ كُنْتُ عَ تَبِيحِي تَلَاقِيهَا فِي مَكَانِهَا.. دَمِي أَمَانَةٌ.

كان الشاب يتحدث بلا إهتمام، وبنظرة وقار أكبر من عمره، ثم بدأ يتحرك مبتعداً بملابسه المتواضعة، وشعره اللامع بكثير من مادة التصفيف اللزجة..

- رَجَعْتُ فُلُوسَكَ فِي جَيْبِكَ يَا بَاشَا.

- حاول (أحمد) أن يستوقفه ليجادله، لكن الشاب أشار بيده حاسماً..
- الْحَاجُّ (مُحَمَّدٌ) مَحَلَّفَنِي مَا أَخَدْتَنِي مِنْكَ مَلِيمٌ.. وَكَمَا نَ إِخْنَا مَا عَمَلْنَا شَرَّ حَاجَةٍ.. سَلَامٌ يَا بَاشَا.

هز (أحمد) رأسه متنهداً، واستدار ليعطى رجله المفتاح الاحتياطي للسيارة، واستبقى الأساسى معه.. أخبر الرجل ببضع تعليمات، فاستقل هذا سيارة (نورا) وانصرف.

من على لافتة قديمة كُتبت بالطلاء، وبخط اليد.. التقط (أحمد) رقماً لهاتف محمول مكتوب أسفل جملة "إدارة الحاج/ محمد عبد السميع، وأولاده".. لو كانت الغربية قد زرعت بداخله الكثير من المساوئ.. فهو لا يزال كما هو فى أنه لا ينسى أبداً من وقفوا بجانبه فى مرحلة، أو موقف فى حياته.

فى تلك الأثناء.. كانت (نورا) تُنهى حمماً ما ساخنا ارتدت بعده قميص نوم حريرى قصير، وبلا أكمام يتناسب مع عدم ملامسة مواضع إصاباتهما.. كانت قد أنهت نوبة الانهيار التى هزمتها قبيل مغادرة (أحمد)، وبدأت تتجدد شاعرة بأن اليوم كان طويلاً جداً.

كان لديها دهانا يحتوى مضادا حيويا انتزعت ضماداتها المبللة ، وبدأت فى مسح جروحها به.. الجرح فى ركبتها اليمنى كان الأكثر إيلاما.. يرشح ويبدو ملتهبا.

استلقائها على أريكتها المفضلة كان بحذر، وتركت ذراعها يتدلى، وهى تحرق بالسقف.

صحت من إغفاءة حين دق جرس الباب، فنهضت متأوهة، وقلبها يخفق مع شعورها بأن (أحمد) هو الطارق.

نطق باسمه حين سألت عمَّن بالباب بعدما لم تر شيئا من الثقب ذو العدسة فى وسط الباب.. كان يجلس على الدرجات الصاعدة قرب الباب على الأرجح.

- امنحنى دقيقتين فقط.

أسرعت - قدر إمكانها - لإخفاء شعرها، وارتداء عبائتها، وهى تشعر بخليط مشاعر يحاصرها لأول مرة.

حين فتحت الباب نهض هو واقفا، ومد يده إليها بباقة ورود صغيرة وشديدة الرقة.. أخذتها منه ويدها ترتجف، وشئ ما يلجم لسانها.. ما الذى يريدنا أن تفعله بالضبط؟! أن تستسلم، وتفاجؤه بالعناق الذى تحدث عنه سلفا!!

- حمدا لله على سلامتكم.

- (أحمد).. لا أعرف ماذا أقول!

- لا تقولى شيئا.. كيف تشعرين؟

- سأتناول مسكن للألم بعد قليل.. سأكون على ما يرام.

- آسف لمرورى متأخرا.. أردت إعطائك المفتاح.

حدقت لثوانى دون فهم بمفاتيحها، ثم ابتهجت وهى تلتقط الدمية الصغيرة وكأنها عثرت على صديق قديم..

- كيف وجدته؟

- كان علينا تخمين وجوده.. فهو لم يكن بالحقيبة.. كان بين أصابعك حين أسقطك الحقير أرضا.

- تذكرت (نورا) وقت الانتظار الميرير عقب الحادث، ثم قالت:
- أنت منقذى.. شعرت بالأمان عند وصولك إلى اليوم.
 - فاجأها بأن جلس على الدرجة الثالثة إلى يمين الباب، ومرر يده على شعره، ثم مد الأخرى بحقيبة بلاستيكية كانت أرضا بجواره..
 - ضعيها فى المبرد.
 - كانت حقيبة الحلوى والعصائر التى ابتاعها لها عصرا.
 - حسنا.. كان يجدر بى أن أهديك الزهور، وأرحل.. أنت تعانين من كدمات وخدوش، وبالتأكيد ليس الوقوف أمرا سهلا بالنسبة لك الآن.
 - لم يكن ينظر إليها.. وكانت هى تحتويه ببصرها.. ترغب بجنون فى إشعاره بشئ مما يعتمل بداخلها نحوه.. تابع ناظرا إلى دؤاسة "مرحبا" أمام قدميها:
 - أتمنى أن تكونى دائما بخير.. لم أعرفك سوى منذ أيام.. لكننى أدركت اليوم أننى لم.. إنها المرة الأولى التى.. أريد أن أسألك سؤالاً.
 - كان مضطربا بحق.. بدا مختلفا تماما.. الرجل الذى ظل طوال اليوم يشملها برعايته وكأنه ولى أمرها.. بدا كصبي لطيف لا يجيد ترتيب كلامه.
 - تقدمت منه، ومدت يدها تزيح يده، فرفع وجهه الوسيم إليها.. وضعت كفها أسفل ذفنه ومالت تطبع قبلة على فمه.. قبلة قصيرة سريعة.. لا.. لا.. قبلة طويلة أعلنته فيها أنها تعشقه، و...
 - سأنصرف الآن.. تبدين متعبة حقا.
 - استفاقت من أحلام يقظتها قليلة الحياء على نهوضه واقفا.
 - كنت ستسألنى عن أمر ما.
 - سوف أتصل بك.. هيا ادخلى وأحكمى غلق بابك.
 - حسنا.. سأنتظر إتصالك.
 - أشار بيده وهو يثب الدرجات هابطا، فأغلقت بابها متنهدة بحرارة.
 - لم يتصل بها.. لم تمض دقائق حتى تلقت رسالة نصية على هاتفها.. بدا أن (أحمد) أرسلها وهو يجلس فى سيارته أسفل منزلها..

"إنّج إزاي مشن منجوزة؟! فين سر الهرم الأكبر في الطوضوع؟ مشن مصدر فك جرد؟"
ضحكت حين قرأتها، وقبّلت شاشة الهاتف دون وعى، ثم شرعت ترد على الرسالة بأخرى..

- لسّه ما لغيتش ابن الحلال. وكمان إنت عارف إنى مليانة عيوب.. مندفعة
وعنيدة وسخيفة ومستغزة. وحاجات تانية كتير.
"أبوه إفتكرت. وقلبك إسود كمان.. نامى يا (نورا)"
- مشن ح تكلمنى؟!

جاء الرد سريعا جدا، ومن حرفين:

"NO"

ضحكت، وهى تجرى إتصالها به متوجهة إلى المطبخ لإحضار كوبا من الحليب.

حتى "آلو" القصيرة المتعالية التى أجاب بها بدت لها شديدة الجاذبية.. جاوبتها
بضحكة عالية سمعها مرة وحيدة سابقا، وخلبت لبّه بجنون.

- إنت ليه بترد كأنك مشن عارف فين كره؟! قرّبت من الغدوق؟
- أبوه.. إنت ما بتر تاحيشن ليه؟
- أنا مرتاحه جدا على فكرة. وعابزه أسّيك لحد ما توصلك أوضتلك.
- أه.. بيقى اللى خُغت منه حصل.
- إيه؟!!

- إيه؟ متلازمه البطول.. الأميرة رجعت العصر بالسلافة، والفارس يكون لسه
ماشى، وهى تكلمه على الطوبال، و....

لم تكن تسمع لأنها كانت تقهقه بقوة.. صمت متخيلا وجهها الآن.. مشهد لا
يمكن ألا تنتقل بهجته إليك بالعدوى..حتى لو كنت قائدا عسكريا عتيدا.

- يا نهار أبيض!! إستنى يا (أحمد) أنا دلقت كُبابه اللبن.

ضرب جبهته براحة يده، واعتصر طرفيها بشدة.. هل كان يكتم ضحكاته؟ هل كان يحاول كبح مشاعر أو أفكار ما؟! لم يكن سلوكه واضحا.. حتى بالنسبة إليه.

سمع أصواتا تؤكد أنها تركت الهاتف فى مكان ما، وتحاول معالجة كارثة. عاودت التحدث إليه بعد ثوانى، وأثار ضحكها لا تزال فى نبراتها..

- هو إنت جيت المتلازمة بتاعتك دى منين مجرد ؟

- إنتى بتشربى لبن كل يوم ؟

كان جوابها بنغمة الإيجاب الخاصة بها، ثم سألته:

- ممكن أنا بقى أسألك نفس السؤال بتاعك.. عليك إنت.

- طب هو إنتى جاوبين أصلا مجرد علشان تسأل وأنا أجاب.

- همممم.. فى دى معاك حوق!

- طب.. شفتى بقى؟

- خلاص ح أعدبها دلوقتى.. بس لازم ح تتسك وجاب.

- ماشى.. أنا ح أكلمك الصبح أطمن عليكى.. ولأ أقول لك ح أسببك تنامى

براحتك.

- لأ طبعا.. كلمنى فى أى وقت.

- خلاص تمام.. بس إرتاحى ومانتعبيشن نفسك فى حاجة.

- حاضر.

- تصبى على خير.

- وإنت من أهله يا (أحمد).

أنهت المحادثة وظلت جالسة فى مكانها لدقائق.. انتابتها نوبة شرود حلقت بها بعيدا عن الزمان والمكان، وحين عادت هبت واقفة بشكل ألمها.. توجهت إلى غرفة نومها، وفتشت الحقائق التى استعملتها مؤخرا.. جمعت منهن مبلغا صغيرا نوعا لكنه يكفى لما تنتويه.

خطوة البحث التالية كانت فى المجد فى المطبخ.. قلبت بعض محتوياته، ثم أغلقت، وبعض الرضا يبدو على محياها.. فى الردهة، وفى مفكرة صغيرة

تنتمى لعام ميلادى مضى منذ زمن بدأت تخط قائمة بعدد من الأشياء.. انتزعت الورقة فى النهاية، وطوتها مع المال قبل أن تهمس لنفسها مع نظرة إلى ساعة الحائط:

- سأستيقظ مبكرا بإذن (الله).. يجدر بى النوم الآن.

قامت بطقوس ما قبل نومها، وأوت إلى فراشها، ولم تستغرق طويلا كى تغرق فى سبات عميق.. صحت منه فى السادسة صباحا على جرس إيقاظ فى هاتفها.. شعرت أن سارق الأمس لم يطرحها أرضا فحسب.. شعرت أنها خاضت مشاجرة معه، وانها عليها ضربا.. كان لا يزال بإمكانها أن تحيد عن خطتها.. لكنها كانت أكثر عنادا من أن يوقفها بعض الألم فى عظامها.. تحركت إلى المطبخ حافية، وشعرها يبدو متمردا عليها.. متناثرا فى كل إتجاه.

أخرجت من المجمد أطباقا من (الفوم) الأبيض.. ثلاثة تحديدا.. بالإضافة لدجاجة مجمدة، ووضعتهم جميعا على لوح المجلى، ثم بدأت تُخرج أوانى الطهى، وأطباق التقديم التى قلما استعملتها منذ اشترتها.

بخصوص ذلك اليوم تحديدا.. كان (أحمد) يراه على درجة عالية من الأهمية بالنسبة إليه.. فقد جاء إلى هنا ليعيد ترتيب الأوراق بالشركة، وكان قد منح نفسه فرصة حتى بداية شهر جديد ليبدأ فى تنفيذ قراراته.. اليوم.. حياة البعض داخل هذا المبنى ستتغير.. فهذا هو اليوم الأول من الشهر الجديد.

فى العاشرة صباحا.. كان كل فرد بالشركة قد قرأ ورقة التعليمات الجديدة التى تم توزيعها على جميع الطوابق، والإدارات.

الجدال الذى خلقته تلك الورقة كان كبيرا.. خصوصا منع التدخين وتناول الطعام داخل جدران المبنى قطعيا، واستحداث ساعة راحة للغداء.

كان مع (أحمد) حقيقة ضخمة فى الصباح نقلها أفراد الأمن إلى غرفته، وتم استدعاء قسم المالية كلة ليتواجد هناك.. لن يستلم الموظفون رواتبهم فى

حساباتهم البنكية هذا الشهر.. سيتسلموها نقداً فى أظرف مثلهم كجميع العاملين بالكيان.

جرى العمل على قدم وساق لإغلاق المظاريف، وتسليمها للموظفين.. رؤساء الإدارات أولاً، ثم كبار الموظفين.. وصولاً إلى أدنى تدرجات الهيكل الوظيفى، وبدأت أجواء الفرحة تعم المبنى مع مرور الوقت.. فكل شخص فيه حصل على زيادة فى راتبه.. الزيادات كانت مطردة فبعض الموظفين قفزت دخولهم قفزات جنونية تجاوزت الضعف، والبعض الآخر حصلوا على زيادة بنسبة عشرة بالمئة فقط.

الحاجة (إلى عبد الحميد) اعترتها حالة من الذهول للتضخم الذى أصاب راتبها، وأخذت تحمد (الله) على انفراجة لم تكن فى الحسابان، ومثلها كغيرها من الزملاء أخذت تدعو لـ (أحمد منصور) بكل الخير.. فابن رئيسهم لم يكتف برفع دخولهم فحسب.. بل فعل ذلك بأثر رجعى، ودون أن يطالبهم بذرة من الجهد الإضافى.

فى الثانية عشرة بالضبط.. تلقى (أحمد) إتصالاً من (نورا) التى سمعت ضوضاء بغرفته، وأخفت فضولها حين لم يفسر لها سببها.. طمأنته عليها، ثم قالت:

- حضرتك معزوم على الغدا النهارده.. متأخر شويه بس لو سمحت ما تاكلش حاجة حد ما تبجي.
- فى بيتك؟
- أبوه.. أو صف لك العنوان؟
- ضحك متصنعا الرصانة، واستدار بمقعده..
- متهدياً لـ ع أعرف أوصل لك.. هو الطعاد الساعة كام؟
- ستة!!
- خلاص تمام.. عين اللج جى؟ (رغدة)!!
- إشعنى؟ مشن بمكن مشن عازمه حد غيرك؟!

- من عرف أقول لك إنه كذَّابُه أومى بعنى.

ضحكت لأن خداعها له بدا لها صعبا جدا..

- ماشى.. من ساعة ما قلت إنك نفسك تاكل أكل بيتى، وأنا بعكَّر في طريقَة

أحقق لك بيها الطوضوع ده.. الأفكار وصلت معايا لحد إنى أدخل (مينا

هاوس) ومعايا حلِك.. وبعدين لغيت الطوضوع مش ح بتم غير عندي.. حادثَة

إمبارح طلعت بغايده.. (شريف) و(منى) مراته عابزين يزوروني.. قلبتها

عزومت، وح أدبهم الشرف إنهم بقابلوا الفارس اللع أنقذني كمان.

- الشرف ليا.. بس هو ده معناه إنك واقف في المطبخ من الصبح؟!!

- إنت مالك بعنى؟!

- مالى إزأى بعنى؟ الطغروض تنامى في السرير أصلا.

- ما تشغلش بالك بالطوضوع ده.. اظلم ما تتأخرش.

أنهى المحادثة، وقد استحوذت (نورا) على سائر أفكاره لبقية النهار.

فى السادسة كان يقف ببابها.. يحمل علبة عليها شعار متجر حلوى شهير..

يقف ولا شى فى مظهره يدل على ما يقوم به قلبه من عبث صبيانى سخيـف

لا يتناسب وشخصيته أبدا.

التقط نفسا عميقا، ودق الجرس ملاحظا أن المصباح المعدنى الأنيق أعلى

الباب مضاء، وتوجد بالهواء رائحة رائعة.. ليست لطعام فقط.

انفتح الباب، وبرزت منه صاحبة الشقة.. فستان طويل من قماش بلون

الفسق.. مشغول عند الصدر، و(سكارفا) بدرجة لونية من الأخضر الأكثر

قوة.. على وجهها ابتسامة رائعة كالعادة..

- (أحمد).. لم يكن عليك ذلك.. حضورك كافى و(الله).

لو كان يعرف بموضع مؤشر رقتها لسارع بخفضه لأدنى درجاته.. كان يريد

انتهاج سلوك معين، ولم يكن يرغب فى عوامل خارجية تزيد الأمر صعوبة.

منع نفسه من التركيز بلامحها التى بات يسر برؤيتها، ورد على نحو رسمى

نوعا، وهو يهز رأسه لها بدبلوماسية.. أفسحت له فـشعر فور دخوله براحة

عجيبة.. لعبة إضاءة مرة أخرى.. بالإضافة لرائحة بخور، أو شمع عطري
تجاهد لتغطية رائحة الطعام برائحة خشب الصندل.
تحرك ليضع العلبة على اللوح الرخامي لمطبخها الأمريكي الطراز.. كانت
أجهزة التكييف تعمل بالردمة، وغرفة المعيشة التي أشارت (نورا) إلى الممر
المُفضى إليها، والذي تصاعد منه بكاء رضيع..

- (شريف) و(منى) بالداخل.

- ويبدو أن (نور الدين) معهما.

- كيف عرفت؟

سألته بدهشة قاصدة معرفته باسم الطفل، ولكنه أجاب بمرح أراد إسباغه
على نفسه:

- لا أعتقد أن (شريف) سيبيكى بهذا الشكل.

ضحكت..

- ما الذى تقوله؟ قصدت كيف عرفت باسمه.

- سمعتك تسألنى (شريف) عنه بأمس.

كانت بنظرتها، وابتسامتها، وعطرها، والكثير جدا من عوامل تأثيرها عليه
تسير بجواره تحاول قدر إمكانها مداراة حجلها بساقها المصابة.. استوقفها
أثناء مرورهما بالطُرقة خافتة الإضاءة، وقال بصوت خفيض:

- لن يمكنك قياس مدى إمتنانى لدعوتك تلك.

- ربما لن يعجبك الطعام.

- يكفينى أنك قمت بعمل جهد غير ضرورى، وأنت متعبة.

- ومن قال أنه غير ضرورى!

بحة صوتها كانت واضحة، فحاولت تنقية حلقها برقة.. فى حين خالف هو كل
ما انتواه قبل وصوله..

- تبدين رائعة.

شكرته بالفرنسية، ثم قالت:

- وأنت أيضا.

كان عليه الهذر بسرعة.. بلى.. قل أى شئ سخيّف.. الضحك تمويه جيد دائما..

- اسمعى.. دعينا نجلس فى الردهة وحدنا.

تبا! هذا أغبى شئ قلته فى حياتك كلها.. لكن (نورا) ضحكت رغم ذلك، وأمسكت بكم سترته لتسحبه بشئ من الدلال.

(شريف) يصغر (أحمد) بقليل، ولكنه يبدو أكبر رغم هذا.. (منى) جميلة وأنيقة، وتعاملت مع (أحمد) بشكل رائع، لكنه لاحظ خلال ثوانى أنها تبدو امرأة قوية، وربما متسلطة بدرجة ما.

دارت الأحاديث عن قشور كل شئ.. الغربية، والعمل، والحياة فى (مصر)، والأحوال السياسية.. وكاد النقاش حول تلك الأخيرة يحتدم.. (منى) وزوجها فى فريق، و(نورا) و(أحمد) فى الآخر.. وحين لاحظ الأخير أن (نورا) بدأت تغضب.. قام بتغيير مجرى الحوار سريعا إلا أن هذا لم يفلح مع (منى) التى ظلت تنتقد آراء (نورا) بعيدا عن مناقشة الحقائق.

- لن تتصورى حجم اللغط الذى أثاره قرار ساعة الغداء هذا.

بمرونة وذكاء.. انتزع (نورا) من النقاش الذى جعلها عابسة، وأخذها إلى حوار لا يعرف عنه الآخرين شيئا.

- حقا!! هل قمت بفرضه اليوم؟ لم يعجبهم بالتأكيد.

- ما يهمنى هو ألا أراهم يأكلون على مكاتبهم مرة أخرى.

- حسنا.. هذا يجلب إلى ذهنى ذكرى سيئة.

ضحك، ثم همس لها بخصوصية:

- ألم أقل لك أن لك قلب أسود؟

- حرام عليك و(الله).

ابتسم لها، وهو يسترخى فى مقعده.. كانت قريبة منه.. لكن ليس بشكل كافى بالتأكيد.

نهضت بعد قليل معلنة أنها ستعد طاولة الطعام لاستقبالهم.. وقف (أحمد) احتراماً حين وقفت، وعاود الجلوس بصمت.. توقع أن تنهض (منى) بدورها لتساعد، وإن انشغلت تلك بابنها ينهض (شريف).
لكن أى من توقعاته لم يتحقق.. نهض مستئذناً دون أن يوضح شيئاً، وتفاجأت (نورا) به يقف قربها بالمطبخ، وفى عينيه تلك النظرة التى تعبت بكيانها..

- ما الذى تفعله هنا؟
 - لن أجعلك تواصلى إجهاد نفسك، وأنا أجلس واضعاً ساق فوق أخرى.
 - أنا لا أجهد نفسى.. لم أذهب لعملى اليوم.. أنت عائد من نهار طويل، و
-

- سأساعدك سواء شئت أم أبيت.
- أرادت إخباره أن تواجده قربها ليعاونها فى تقديم الطعام لشقيقها، وزوجته أكثر حميمية من قدرتها على الاحتمال.
- بعد دقائق قليلة بدأ يدرك حقاً حجم المجهود الذى بذلته.. الأصناف داخل الموقد، وفوقه، وأطباق السلاطة المعدة بعناية..
- هل قمت بكل شئ بنفسك؟
- وأدعو (الله) أن يعجبك.. لست محترفة تماماً.
- لم يسبق وأن بذل أحداً هذا الجهد من أجله.
- وقف مهزوماً.. بائساً ربما..

- كيف أساعدك؟
- حسناً.. لو كان هذا ضرورياً.. فستجد العصائر بالمبرد.. يمكنك إخراجها إلى حيث سنأكل.
- تحرك لفتح المبرد متسائلاً:
- الغرفة إلى اليمين؟
- لا.. الغرفة التى أمامك مباشرة.. بجوار غرفة المعيشة.

حتى العصائر صنعتها بنفسها.. قام بنقلها إلى غرفة الطعام التي كانت تحوى ثرية عملاقة أعلى طاولة كلاسيكية الطراز قامت صاحبته بإعدادها بعناية.. يجاورها قطعة أثاث خشبية أنيقة تتوسطها مزهية من (الكريستال) وُضعت فيها الزهور التي قدمها هو لـ (نورا) بأمس.

حين عاد إلى المطبخ.. وقف كتمثال يتابع نشاط صاحبة المنزل فى تسخين الأصناف العديدة، وإفراغها بعناية فى أطباق التقديم.

كانت تتفادى النظر إليه كى لا تواجه التأثير المفزع لوجوده.. لكنها حين فعلت وضعت ما بيدها، وسألته عما به، فأجاب باسمًا بشحوب:

- الروائح الطيبة تكاد تُفقدنى وعيى.
- لم أتمن أن تكون مجاملا هكذا.. لاحظ أننى المتذوق الوحيد لطهوى، وهناك ثلاثة أصناف جديدة تعلّمتها فى الأشهر الأخيرة فحسب.
- كيفينى أنك من صنع كل هذا.

قالها، وكأنه يزمجر، ووضع تركيزه فى القفاز الذى ترتديه (نورا) للإمساك بمحتويات الفرن الساخنة، فعادت إلى عملها، ولفهما الصمت قليلا. بدأ هو رحلات مكوكية ما بين المطبخ وغرفة الطعام كى لا يجعلها تسير كثيرا، وتعاوننا فى تزيين الأطباق، وضحكت منه حين حاول ملاحقة حبة زيتون فرت هاربة بطول المطبخ كله.

- هل تجيد الطهى يا (أحمد)؟

كان يلتقط طريدته أخيرا ويضعها على لوح المجلى قائلا:

- لدى المهارات الأولية فى المطبخ.
- حسنا.. وما هى تلك الـ.. مهارات الأولية؟
- أنا لا أحب الحديث عن مميزاتى كثيرا.. لكننى بارع فى إعداد أطباق شهية من المعجنات المسلوقة، وسمك (التن)، والبيض المسلوق.

كانت تتابعه بإيماءات بتلك الـ (إممم) الشهيرة.. ما جعله يكتم ضحكته

متابعا:

- أجيد عمل الشاي، ومطاردة الزيتون الهارب.. الأسود فقط.. يقولون أن الأخضر سريع للغاية.

ضحكت، وهى تخلع قفازها منهيّة عملها..

- أنت موهوب جدا.

- لقد أخبرتك.

من هنا لم يشعر (أحمد) بمودة نحو (شريف).. لم يعجبه أن تركه الأخير يساعد (نورا) مكتفيا بالجلوس بجوار زوجته.. ومن غير الضروري الإشارة إلى أن (منى) كانت بالضبط النموذج الذى يكرهه من النساء.. شخصية (نور الدين) لم تكن قد إتضحت بعد، ولكن قرار (أحمد) بعدم حبه هو الآخر كان احترازيا!

الطعام كان مذهلا من وجهة نظر (أحمد).. حاول أُلّا يجعل إعجابه بالطاهية يؤثر على آراؤه.. لكنه فشل على الأرجح.. واصلت هى إهتمامها به، وأكل هو حتى الثمالة حقا، وأخذ يشيد بكل شئ.. خصوصا صنف الدجاج الذى عبّرت (منى) عن عدم إعجابها به بتعليق لا طائل منه.

لم ينهض (أحمد) سوى حين قامت (نورا) لإعداد الشاي الذى طلبه (شريف) منها.

تبعها إلى المطبخ، واستوقفها..

- أتركى لى إعداد الشاي.. أخبرتك أننى ماهر فى هذا.

- هل أعجبك الطعام حقا؟

تسأله، ونظراتها وخلصاتها تُعلنه أن رأيه يهمها أكثر من أى شئ.

- أقسم لك أننى أجد كل شئ رائع.. الطعام، وطاهيته، وبينتها، وكل شئ.

أنت حركة رقيقة دلته على خجلها، وهى تسأل مواصلة إخراج الأقداح من خزانة خشبية:

- هل ستشرب الشاي؟

تقدم منها، وسحب مقعدا قربها، وأمسك ذراعها برفق ليديرها ويتناول قدحين من يديها..

- استريحي قليلا يا (نورا).

كانت نبرته آمرة، ثم أنه بدأ يتولى الأمور، وكأنه يعرف أماكن الأشياء جيدا.. الغلاية الكهربائية كانت قربها، ووعاء السكر كان يعلن عن نفسه بحروف إنجليزية واضحة، وأرشدته هي لموضع علبة الشاي، وعاودت سؤاله عما يشرب متجاهلة الموجات الخطيرة التي يطلقها تصرفه وكأنه رجل البيت. قال متلفتا حوله:

- لقد لمحت ماكينة قهوة فى مكان ما هنا.

أعداً القهوة لنفسيهما معا، وتركها تقدم الشاي لشقيقها بعدما دلته على الحمام، وأضائته له.. أغلق الباب ليلاحظ أن كل التفاصيل رقيقة فى هذا البيت.. لم يكن فضوليا، ولكن المستحضرات المتراسة قرب المغطس كانت تعلن أن الأنثى التى تعيش بالمكان تعتنى بنفسها بشكل فائق.. وكان هو يعلم بذلك فى الواقع.. بمجرد الملاحظة.. ملابسها.. عطورها، ونعومة بشرتها.. نظر إلى نفسه بغتة فى المرأة أعلى الحوض، وبدا كمن ضبط نفسه متلبساً.. هل حولته تلك الجميلة إلى مهووس بها؟!!

لقد عرف الكثير من النساء فى حياته، واللواتى قد يبدو أن أجمل من (نورا) للوهلة الأولى، ولكنه - فى حقيقة الأمر - كان صيدا سهلا لروحها الملائى بنقاء وعذوبة لم يصادفهما مسبقا.. شعر أن حصونه قد دُكَّت من بعد اختراقها، وصار مهددا كمرهق يحب زميلته فى الصف.

غسل يديه، وغادر مسرعا بعدما التقط اسم نوع الصابون.. سيبتاع منه لأن رائحته رائعة حقا.

طلب من (نورا) أن يصلى فأحضرت له سجادة صلاة تبدو كالجديدة فردتها له فى الردهة بإتجاه القبلة.

بعد قليل عاد لينضم إلى الثلاثة - أو الأربعة - فى غرفة المعيشة ليحتسى قهوته الأمريكية مكتفيا بمتابعة الأحاديث الخاوية التى حاول (شريف) خلقها، وهو يقَلِّبُ قنوات التلفاز بتكاسل.

سألت (نورا) (أحمد) عن تطورات الأمور بالشركة حين قامت (منى) متوجهة إلى الحمَّام.

لم يسهب فى الشرح، وهو يحسد (نور الدين) الذى ضمته (نورا) إلى صدرها بحنان واضح حتى تعود أمه، وحين عادت تلك الأخيرة أَلقت قنبلتها..

- هيا بنا يا (شريف)!

لهجتها لم تكن توحى بإمكانية أن يعرض (شريف) أن يبقوا قليلا مثلا.. بدت أمرة، وبدا الزوج كمن يعرف ما عليه فعله بالضبط.. أتبع قبلة زوجته بأخرى أشد انفجارا..

- هيا بنا يا حبيبتي.

رأى (أحمد) أثر الانفجارين على وجه (نورا) التى عقدت المفجأة لسانها لثوانى، و(منى) تأخذ (نور الدين) منها.. لم تنظر إلى (أحمد).. بدت مصدومة.. حاولت تنبيه شقيقها بالنظرات إلى أنه يقترف جرما اجتماعيا بحق نفسه، وحقها.. لكنه لم ينتبه لشيء فى ظل إسراره لإطاعة أمر زوجته التى تضمن ولاؤه بإيصالات أمانة على ما يبدو!

رغم ملاحظة (أحمد) لكل هذا، وتفكيره فى أن يعلن انصرافه بدوره منعنا للإحراج، بل وشعوره بالحزن لأجل (نورا).. لم يجد نفسه قادرا على الرحيل الآن.. عاود الجلوس مرة أخرى وقلبه يخفق بتوتر.. جلس ينتظر عودة صاحبة المنزل التى لم تنجح فى كبح جماح غضبها فاستوقفت (شريف) على الدرج، ولكمته فى ذراعه بكل قوتها، وصبت فوق رأسه أقبح شتائمها من (حيوان)، و(اعندكش دم)، وحتى الأمر القاطع (الجييش هنا تانى)!

فور عودتها إلى غرفة المعيشة، وتبين (أحمد) ملامحها.. نهض واقفا مقاوما كل ما يعتمل بداخله..

- يجدر بى الانصراف.
- صمنت مطرقة برأسها.. التقط قدحى القهوة، ووضعهما بجوار نظيريهما من الشاى على الصينية المطلية بالفضة، وحمل تلك ومرّ من أمام (نورا) مغادرا الغرفة فتبعته هامسة:
- ليس عليك ذلك.
- يجب أن أساعدك فى أى شىء.. لقد بذلت مجهودا جبارا اليوم.
- تبعته إلى المطبخ حيث ترك الصينية على اللوح الرخامى، واستدار إليها حين كررت شارحة:
- ليس عليك المغادرة لمجرد أننا صرنا وحدنا.. لم أَدع (شريف) و(منى) ليحميانى منك.. أنا أنق بك تماما، ثم أننى تركت الطعام خارج المبرد لأننى تمنيت أن تأكل منه مرة أخرى قبل انصرافك.
- (نورا).. بقدر ما بإمكانك أن تكونى مبهجة.. لا أستطيع حصر المرات التى رأيتك فيها تبكين.
- كانت دموع صامته قد تساقطت من عينيها مسحتها بيديها بسرعة، وهو يستطرد:
- فى الواقع.. وجدت أن رغبتى فى عدم شعورك بأى قدر من الانزعاج أقوى من رغبتى فى البقاء.
- وأنا أريدك أن تبقى.
- كان يعلم أنها تتمزق ما بين الكثير من الأفكار..
- آه لو كانت امرأة مستهلكة عاطفيا ولو بقدر بسيط، أو لو كانت قد خاضت علاقات حتى ولو فاشلة.. الكارثة أنها تبدو له كنعب شديد الصفاء والعذوبة يتفجّر لأول مرة.
- كان يرغب فى البقاء بالتأكيد.. متوتر هو - ربما - ومستعد للقسم وبيده مصحفا على أن يكون مهذبا، ولكنه كان يحتاج لأن تكون أفكارها - وربما أفكاره أيضا - أكثر وضوحا..

- من الأفضل أن أتركك ترتاحين قليلا.
- هل تريدنى أن أرجوك؟ فليكن.. أرجوك يا (أحمد) أن تبقى.
- لو علمت تلك الحمقاء بقدر الاضطرابات التى أحدثتها فى شخصه منذ وقعت عيناه على صورتها لما بدت واثقة فيه بتلك الدرجة.
- صمت قليلا.. يريد مسمى لشعوره نحوها.. يريده بشدة.
- قال بعد ثوانى محاولا بث بعض الحماس فى نبراته:
- بشرط أن تذهبي لغسل وجهك، وألأ تبدلى مجهودات أخرى الليلة.
- هزت رأسها طائعة، وتحركت للتنفيذ مباشرة.
- تابعها حتى اخنفت عن ناظريه.. تابعها معانيا صراعا مريرا بداخله.. لا يفهم لماذا تبدو له الآن بالذات كأكثر نساء الأرض فتنة!!
- على الأرجح أنها تقوده إلى الجنون بسهولة اقتياد راع لأحد خرافه.
- لم يدرك لحظتها أنه قَبِل لتوه أن يخوض واحدا من أصعب اختبارات حياته كلها.
- وقف يجلى الأقداح بعدما خلع سترته، وشمر أكمام قميصه، وخلع ساعته.
- انتهأه السريع أشعره بضآلة ما قام به.. فتحول إلى الأطباق التى احتاجت للمزيد من المنظف والجهد.. خفق قلبه بقوة حين سمع خطى (نورا) عائدة إليه.
- حاولت إثناؤه عما يقوم به.. لكنه قال ببساطة:
- أنا مستمتع بالتصرف وكأننى بمنزلى.
- ثم استطرد:
- أتعرفين أفضل جزء فى شأن انصراف شقيقك وزوجته مبكرا؟ أنهما لن يأكلا معنا من الكعكة.. انتقيتها لك مليئة بالشيكولاتة.
- ضحكت بخفوت، وتحركت لتفتح علبة الكعكة التى بدت شهية، ودسمة جدا.

أبدت إعجابها باختياره، ثم سألته عم يشرب، وبعد قليل كانا يغادران المطبخ وهو يحمل صينية عليها قدحين من الشاي، وطبقين بكل منهما شريحة من الكعكة.

- هل بإمكانى أن أطلب شيئاً قد يبدو سخيفاً؟ هل بإمكاننا أن نلغ من حياتنا كل ما له علاقة بغرفة المعيشة، ونجلس فى الردهة؟! ضحكت موافقة فدخلنا إلى محيط الردهة.. وضع الصينية على الطاولة، واتخذ طريقه إلى الغرفة التى لم يحبها بأى قدر.. أطفأ جهاز التكييف، والأضواء.. وزيادة فى الحرص أغلق الباب أيضاً.. حين وقع بصره على الأطعمة المتراسة فى الغرفة المجاورة ابتسم للرغبة التى أعلنتها (نورا) بشأن الأكل مرة أخرى.. ربما تكون تلك ذريعة جيدة ليبقى هنا حتى مساء الغد. حين عاد إليها كانت تجلس على مقعد فردى.. جلس على الأريكة العملاقة قائلاً:

- قاومت رغبة ملحة بالاستلقاء هنا بعد أن صليت المغرب.. دعينى أخبرك أن لمسائك مذهلة. كانت تحاول أن تبدو طبيعية تماماً.. تجاهد لذلك. شكرته، ثم سألته عن أحوال العمل، والشركة.. لم يستفرض فى الحديث عن المشاكل الرئيسية التى لا تشهد أى تحسن.. قال جملتين، ثم أعلنها اختياره لإدارة الشؤون القانونية. لم تبد متحمسة..

- (ياسمين) جميلة جداً ما شاء (الله).

- جميلة جداً!!!

ردد التعبير بدهشة، ثم ابتسم..

- نعم.. لقد قادها جمالها للمنصب.. إنها فاتنة.

- حسناً.. عرفت رأيك.

لماذا تبدو البراءة مغرية على هذا النحو؟!!! البراءة!! مغرية!!!

- قولى أنك تشعرين بالغيرة.. من الصحى التعبير عن الممكنونات من حين لآخر.
- أشعر بالغيرة!
- ثنى ساقه قليلا مسترخيا فى جلسته.. استغرقت ثوانى لتدرك أنه يحاول العبث معها.. غالبت تخرج وجهها، وقالت باستخفاف مصطنع:
- أنت تحلم بالتأكد!
- ضحك، فهزت رأسها لتشعره بحسرتها على مستواه العقلى الذى صور له الفكرة.
- (نورا).. ألم تسعى (رغدة) لتزويجك؟ تدبر لك لقاءات بشبان يرغبون فى الزواج.. ابن زميلتها؟ جار صديقتها؟ وما إلى ذلك؟
- بل حاولت.. وأقنعتنى ثلاث مرات بملاقة شبان كانت تقول أن لا شائبة عليهم.. يئست منى منذ سنوات.. ظننت أننى معقدة على الأرجح.
- ما الشوائب التى وجدتها على الثلاثة؟
- هل يمكن أن أوجل الإجابة عن ذلك؟
- حسنا.. لا بأس.. كم استغرقت علاقتك بكل منهم؟
- علاقة ماذا؟ كل منهم رأيتهم مرة وحيدة من أجل الخلاص من إلحاح (رغدة)، ولم يتكرر الأمر.
- مرة واحدة كانت كافية للرفض.. أنت تريدين الاقتران بنجم سينما إذن!
- على العكس تماما.. إذا كنت تقصد أن مقاييسهم الشكلية عنت لى شيئا فأنت مخطئ.
- ماذا إذن؟
- أتعرف يا (أحمد)؟ حياتنا هى التى تفرض علينا أحيانا خيارات خاطئة تماما.. أعلم أن الزواج "قسمة ونصيب"، وما إلى ذلك.. ولكن مبدأ "زيجة والسلام" هو ما جعل الكثيرات من زميلات دفعتى مطلقا

الآن.. بعضهن بأطفال، أو بمشاكل وخلافات لا تقبل الحصر.. بالنسبة لى.. ربما قدر الاستقلالية الذى حصلت عليه هو ما منحى بعض السيطرة على الأمر.. لم أستغل حريتى بشكل سيء.. تحررت من الضغوط ربما.. وعلمت منذ زمن أن التوأم الروحى لا يتم البحث عنه، أو محاولة صنعه.. إنه يأتى.. هكذا.. وحده.. عندما يريد ربنا. كان منتبها جدا.. ينظر إلى وجهها مستمتعا بما يراه ويسمعه.. مط شفتيه للأمام قليلا وهز رأسه..

- يا لك من فيلسوفة! أنت حقا تملكين الكثير من الشخصيات.
- وهل تجد هذا مخيفا؟
- مخيفا!!! أجد ممتعا.

ابتسمت بغبطة..

- اعتقدت فى وقت ما أنك تحب الأنثى البسيطة.
- الأنثى معقد؟! لا.. لم أقل ذلك.. أنت تعرف كم أجدك لطيفا.. لا يمكنك إتهامى بأن آرائى فيك سلبية بأى شكل.. يكفى أن تنظر حولك فقط.. لتدرك أين تجلس.. أنا شخصا لا أصدق تقريبا.
- بدت ابتسامته متكلفة نوعا.. عدل من جلسته ببعض التوتر لم تلاحظه هى..
- أخبرينى عن شخصياتك الأخرى.. كم واحدة؟ وما صفاتهن؟
- لن أكتشفهن جميعا بالتأكيد.. دعنى أرى.. من رأيتهن أنت اثنتان على ما أعتقد.. إحداهن الأقدم، والأكثر حضورا.
- (نورا) ال
- غيبة.
- ماذا؟ أنت؟
- بلى.. تلك السخيفة التى كدت تصفعاها مرة عند باب هذه الشقة.
- آه.. حسنا.. والثانية؟

- الثانية هى الأحدث.. (نورا) الكئيبة كثيرة البكاء.
- أخشى أن أكون أنا من خلقتها.
- حسنا.. وأنا أيضا أخشى ذلك.
- ماذا!!!

ضحكت للصدمة على وجهه، ثم قالت باسمه:

- لاحظت وجودها فى الأيام الأولى لتعارفى بك.. ربما كانت متواجدة من قبل ذلك، ولكن كامنة.. أنت تعلم بالتأكيد أنك شخص متسلط، وأنا لم أعتد أن يتسلط على أحد.. أما الآن.. فأنا طبيعية تماما.. صداقتنا نزعت الأقنعة، وأشعر أننى أتعامل على سجيتى.. وهذا ما يجعلنى مستمتعة بالتحديث معك.

استغرق ثوانى لتفارقه صدمته، ويبدو مزهوا بنفسه..

- حسنا.. كان أروع شئ قمت به فى حياتى منذ زمن.. أن صارحتك بباهتمامى بك.
- هزت له رأسها، وهى تبدو دافئة جدا..
- الآن حان دورى لإلقاء الأسئلة.
- حسنا.. تفضلى.
- ألا تشعر بالذنب نحو خطيبتك؟ لا أقصد بسببى بالتأكيد.. لكن.. تعيش بعيدا عنها، وتكتسب صداقات جديدة.. ألا يبدو الأمر أنانيا بعض الشئ؟

حين أنهت تساؤلها ذابت ابتسامتها لأنها غاصت فى عينيه العميقتين.. نهض بغتة فتابعته وهو يدور حول الطاولة، وقلبها يخفق بعنف.

قل أنك لا تحبها.. قل أنها غير موجودة أصلا.. قل أنها غرقت فى (المسيبى).

تقدم من المكتبة الخشبية التى تشغل جدارا كاملا، وتضم التلفاز فى منتصفها.. نهضت (نورا) بدورها، واقتربت منه..

- هل أزعجك سؤالى؟
 - كان لقاءا صادما.
 - عذرا.
 - أول لقاء لى فعليا ب (نورا) الغبية.
- مد عنقه يتطلع لإطار يحوى صورة لوالدها بزى القوات البحرية فى الجيش المصرى.. صورة باللونين الأبيض والأسود.. قال وهو يجول بعينه على محتويات المكتبة:
- لم أحضر حفل خطبة فى حياتى.. كانت تلك مجرد فكرة لإبعاد المتطفلات أمثال (سلمى)، وغيرها.
 - تنفست الصعداء ووجهها يشع بالبهجة بحق.
- أردف بلهجة لا مبالية:
- كنت أنوى سؤالك عما تريدننى أن أفعل بالخاتم.
 - سؤالى أنا!!!
 - نعم.. سؤالك أنت.. ظننتك أذكى من ذلك.. كنت سأسألك إن كنت تريدين منى خلعه.. من أجل صداقتنا بالتأكيد.. تبدو معادلة صعبة لو فكرت فيها.. لذلك الخيار لك بشكل تام.
- فوجئت به ينتزع الخاتم من إصبعه ويضعه فى راحتها. راودتها الفكرة السخيفة المتعلقة بإمكانية سماعه لدقات قلبها التى صارت كالطبول.
- نظرت إلى الخاتم بمزيج متضارب من المشاعر، ثم نفضت رأسها فى محاولة لأن تعود لتبدو طبيعية.
- التفتت إليه فوجدت بيده (ألبوم) صور خاص بها.. يندرج تحت بند "سرى للغاية" ..
- مهلا.. لا يمكنك مشاهدة هذا.
 - هز كتفيه العريضتين، وهو يسير نحو الأريكة..

- يمكنك محاولة منعى.

ارتمنى على الأريكة ممددا ساقه بجواره، وتبعته هى بأقصى سرعة تسمح بها آلام ساقها..

- أنا لا أمزح يا (أحمد).. آه.

ارتطمت ركبتيها بطرف الطاولة فسقطت أرضا فى الفراغ ما بين الأريكة والطاولة.. مال هو يسندها من كتفها، و.. توقف الزمن.

كانت قربه بدرجة مخيفة.. بين ذراعيه تقريبا.

تطلع فى وجهها مدركا أنه يريد احتضانها أكثر من رغبته فى تقبلها.. قد يخسرهما إلى الأبد إذا ما ألصق فمه بشفتيها الممتلئتين، ومنحها أول قبلة فى حياتها.. لكن لو ضمها إليه فسينقل لها فقط مدى ما يشعر به نحوها من حنان يريد أن يقدقه عليها.

صحوة ضميره كانت مرجفه.. يا لك من وغد أحمق.. شهوانى لا تعلم شيئا عن البراءة.. تحتضنها فقط! هه؟! وإلام سيقود حزنك هذا.. عناق.. استيقاظ غرائزك، وشعورك بحاجتها إلى المزيد.. خيانة ثقة الملاك الذى يبدو مستعدا لكل ما تريده منه.. إياك.. إياك والتصرف كوغد.

حين طال ثباته.. علم أن هناك شئ فى الشابة أقوى منه.. شعر أنه ضئيل جدا أمام تلك النظرة الملائكية المأخوذة.. استفاق تدريجيا من نوبة الغرق فى هواجسه.. مدركا أنه كان قاب قوسين أو أدنى من كتم أنفاس صاحبة المنزل بعناق ملتهب.. ملامحها من على بعد عشرين سنتيمترا تقريبا بدت فاتنة بدرجة خيالية.. لا شائبة فيها.

نهض واقفا بحركة حادة، ومال يرفعها من أعلى مرفقيها ليعاونها على النهوض.. حين تركها جلست على الأريكة وكأنها سقطت.. ازدرد لعابه، وحاول السيطرة على أنفاسه المضطربة.. راقب كلماتك الآن لأنها قد تجرح كالكسين.

للأسف لم يستجب لصوت العقل..

- تبا.. أنا منجذب إليك بشكل لعين.

قال ذلك بالإنجليزية، وألفاظ وقحة نوعا، ثم تحرك متوجها إلى المطبخ معتذرا عدة مرات، وعلى نحو متوتر لم تشهده فيه من قبل. سمعته يفتح الماء، ولم تره وهو يضرب وجهه ببعضه عدة مرات.. لم تنهض من مكانها.. فتح المبرد وأخذ منه زجاجة مياه صغيرة فتحها ونجرج منها مباشرة.

حين تحدث بصوت أجش سمعته عبر فتحة المطبخ، وكان يخلط بعض التعبيرات الإنجليزية بالعربية..

- هذه ليست المرة الأولى التي يتوقف فيها أمر كهذا معك.. ليلة أخبرتك بمرض أبى فى السيارة كنت سأرتكب كارثة.. يمكن إيجاد تفسيرات لتوقفى ليلتها.. كنا فى الشارع، ولم يكن هذا منطقيا ومرجوا مثلما هو الآن.

أصمت.. أصمت بحق (الله).. لا أحد يقول ذلك لشابة كتلك.. لا تكن غيبيا.. اهدأ واجلس، واحتفظ باحترامها لك، ولنفسها، ولا تفسد الأمور أكثر. تحرك إلى الردهة وهو يقبض على سترته، ووقف وسط المكان، والماء يتقاطر من وجهه متابعًا:

- ولكن الآن.. أنت تملكين (Firewall) حقيقى.. لست قديسا يا (نورا)، ولم أكن يوما كذلك.. أقسم أننى لم أضمر لك سوءا.. لكننى مفتونا بك، ولا أعلم ما الذى أوقفنى الآن.. يجب أن تفهمى هذا جيدا.

أنهى عبارته وغادر الشقة دون كلمة إضافية.. تحرك ببطء نسبي.. على الأقل لم يندفع كالثور.. أغلق الباب وهو لا يعلم قدر الحماسة الذى ارتكبه بالداخل.. رحل، ولم تمض ربع الساعة حتى كانت الشقة تغرق فى ظلام تام.

نهضت (نورا) من الفراش فى العاشرة صباحا تقريبا، وهى فى حال يرثى لها.. لو لم يكن هناك شخص يطرق بابها بإلحاح لما غادرت غرفتها الآن قط..

ارتدت عبائتها، ولكنها لم تعتمر طرحة الصلاة البيضاء إلا بعد تبينها للطارق، وقرارها بفتح الباب.. (سليمان).. الذراع اليمنى لـ (منصور) على مدى أعوام طويلة.. تجاوز الخمسين من عمره لكنه لا يزال محتفظا ببنيان قوى، وشارب حالك السواد.

- إزبك يا عم (سليمان)؟
- نخر يا ست الكلك.. أنا أسف على إزعاج سيادتك.. (أحمد) يبه طلب مني أجي لحضرتك.

ثم مد يده بمفتاح سيارتها الاحتياطي متابعاً:

- عريبة سيادتك على اليمين من باب العمارة.
- التقطت منه المفتاح، وهي لا تبدو مستوعبة تماماً، ثم التقطت منه مظروفاً أبيضاً مقاس (A4) يحمل شعار الشركة.

- وهنا سعادتك ع تلافى تغارير الصبانة.
- هزت رأسها بشئ من الآلية.. بينما سألتها الرجل مخلصاً:
- أمى أوامر يا ست الكلك؟
- كان يناديها بهذا اللقب منذ التحاقها بالشركة، ولم تسمعه ينادى غيرها به أبداً.

استوعبت أن سيارتها لم تكن أمام منزلها أمس.. أدركت أن (أحمد) حين طالبها بأن تدعه يتولى الأمر.. قصد توليه للنهاية.

- متشكرة أو مى يا عم (سليمان).. تعبك معا يا.
 - تعبك راحة يا هاتم.. أنا تحت أمرك.
 - عم (سليمان).. هو (منصور) يبه عامل إيه؟
- بدا البيؤس على ملامح الرجل، وكان يدرك أن (نورا) خارج دائرة السرية المفروضة على مرض رئيسه..

- ادعى له يا ست الكلك.. هو محتاج دعوات الجميع.
- أمانة عليك يا عم (سليمان) تبلىه سلامى، وتقول له إنه واحشنا كلنا.

- حاضر يا ست الكلك.. ع أبلغه.. انا راجع له بالليل إن شاء (الله).

شكرت الرجل، وأغلقت الباب بتنهيدة حارة.. خلعت طرحتها، ووضعت المظروف على اللوح الرخامى للمطبخ، وفضته..

وجدت أوراق توضح عمل صيانة كاملة لسيارتها بالوكيل الرسمى للنوع، وورقة أخرى بشعار الشركة معنونة بـ "عرض وظيفة".. كانت بيانات (نورا) بأعلى الورقة، وبالأسفل بيانات العرض.. شهقت حين تبينت الرقم أمام خانة الراتب الأساسى.. لم يكن هذا ضعف راتبها فقط.. بل ضعفه مرة ونصف، أو يزيد.. تاريخ العرض قديم.. يعود إلى شهر مضى، ويحمل الأختام الرسمية للشركة، وتوقيع (أحمد).. بينما المبلغ نفسه فى ظرف آخر صغير.. هزت رأسها وهى تسرى بطرف سبابتها على أطراف الأوراق المالية قبل أن تلقى المظروف على الرخام، وتخلع عبائتها متوجهة للفراش مرة أخرى.

ما حدث هنا بالأمس قد لا يكون بالأمر شديد السوء إذا حاولت (نورا) أن تنظر إليه من زاوية واحدة.. أنها و(أحمد) مجرد صديقين.. الكارثة أنها غير قانعة بهذا فى الحقيقة ما يجعل الرؤية مستحيلة من هذه الزاوية.

كانت مجروحة.. أزاحت كل مبادئها من أجله، ولكنه أكد لها فى المقابل أنه شخص غير قابل للالتزام العاطفى تحت أى ظروف.. حتى لو كان يملك مشاعرا نحوها، فهو لن يرضخ أبدا، ويصنّفها كحب.

كانت تعلم بالفعل أنه يشعر نحوها بإعجاب، وإهتمام، وماذا أيضا؟ انجذاب! وكل هذه المسميات التافهة التى يمكن لكل من يسير فى الشارع أن يشعر بها نحوها.

مشكلتها الكبرى أنها كانت شبه متأكدة أنه يكن نحوها المزيد.. مشاعر حقيقية، ولكنه هو نفسه حين توقف عندما كاد إحساسه يجرفه.. لم يعز توقعه إلى أنه يحبها.. بل فضلُ التحدث عن معجزة لا يمكنه تفسيرها، ومنح الأمر بعدا أسطوريا، وكأنها حمت نفسها منه بسحر ما.. أى سحر بحق (الله)، وهى كانت بين ذراعيه تقريبا تختبر إحصارا من الأحاسيس عصف بها حتى

أعجزها عن الوقوف!! المهم أن سلوكه جعلها تبدأ فى الإحساس أنه كان يريد الحصول عليها، وكأنها صيد بذل الجهود لإيقاعه.. كان بإمكانه أن يعلن أن شعوره نحوها مختلف، وأنها ليست كمن عرفهن فى حياته، وكفى.

حسنا.. لقد سمعت كثيرا عما يدعى بـ (Commitment Phobia) أو (فوبيا الالتزام).. خصوصا لدى الذكور كثيرى التجارب.. فحين يتجاوزون سن الثلاثين من دون زواج.. يموتون وحدهم على الأرجح، وحين يرضخون للالتزام ما.. سرعان ما يتحررون منه!

أخذت تغفو، وتصحو عدة مرات.. غادرت الفراش مرتين، وكانت تعود إليه كالآلى، ولم تتخذ قرارا بمغادرته إلا قرابة التاسعة مساء.. كانت الغرفة كمبردٍ ضخم.. أطفأت التكييف، وتوجهت إلى المطبخ حيث اقتطعت من طعام الأمس عينات وضعتها على رقاقة من (الألومنيوم)، وأدخلتها إلى (الميكرو ويف).. شرعت تصب لنفسها كأسا من عصير المانجو لكنها أنزلت الوعاء الزجاجى ذو اليد، والتقطت بين أصابعها ساعة (أحمد).. سوداء أنيقة.. ثقيلة.. خلعتها وهو يجلى الصحنون بأمس على الأرجح.. بحركة لا إرادية رفعت الساعة إلى أنفها.. يشم المرء دائما مقتنيات أحبابه، ويزيده ذلك ألما إذا كان هذا هو المتاح له منهم.

ارتدت الساعة، ثم خلعتها دون أن تحتاج لفتح السوار المعدنى.. وضعتها على اللوح الرخامى بجوار مظروف الأوراق المالية، والتي تداعت خارجه. أخذت (نورا) الطعام، وكأس العصير وتوجهت إلى الردهة.. حضرتهما ذكرى ما حدث عند الأريكة بالأمس فحفق قلبها بقوة.. جلست متكومة فى طرف الأريكة، ولم تشغل التلفاز سوى بعد قليل.. كانت تأكل ببطء شاردا، وتركت الطبق بعد بضع لقيمات.. تمددت لتسترخى، وربما لتؤكد لنفسها أن (أحمد) لا يملك أن يجعلها تكره أريكتها المفضلة.

كانت برامج، وأفلام القنوات العديدة كلها مملة.. نهضت لتعيد (ألبوم) الصور إلى موضعه بالمكتبة عندما داست بقدمها شيئاً صلباً.. خاتم الخطبة الخاص بـ (أحمد).. الخطبة الوهمية.. نظرت إليه طويلاً ثم وضعت على الطاولة. وضعت طبق طعامها في المبرد، وأحضرت هاتفها من غرفة النوم، وعادت لتلقى بنفسها على الأريكة.

بعد الكثير من التفكير.. الكتابة والمسح بأزرار الهاتف.. أرسلت إلى (أحمد) رسالة قصيرة:

"إنت نسيت ساعتك، والخاص بتاعك عندي"

أرسلتها له في الحادية عشر والربع.. لكنه لم يرد سوى قرب منتصف الليل.

- عارفة.. شراً.

نظرت إلى شاشة هاتفها بغيظ.. لقد استغرقته كتابة هاتين الكلمتين قرابة الساعة!! تخيلته يتهيأ للنوم، وليس لديه وقتا لمهاتراتهما.

لكنه كان يقطع طريقه من غرفته بالفندق إلى مبنى الاستقبال.. يسير وسط حدائق خلابة دون أن يلحظ جمالها.. في سبيله لملاقة (چاك) و(سوزان) في المشرب.. لقد وصلا اليوم من (الولايات المتحدة الأمريكية) في رحلة قررهما (چاك) فجأة.. و(أحمد) يمكنه فهم الأفكار التي تراود (چاك) في ثانية، ويقرر تنفيذها في الثانية التالية.. لكنه لا يفهم لماذا أحضر معه (سوزان).. تبدو تلك هي الفكرة الأسخف لذلك الأصهب المندفع.

حين دلف إلى المشرب.. لم يكن هذا مزدحماً.. توجه إلى صديقيه مباشرة، وصفع (چاك) على مؤخرة عنقه، فالتفت هذا إليه، وصاح بأنفاس ونبرات يفوح منها الكحول:

- (أحمد).. صديقي العزيز.

لفت قوله انتباه (سوزان ماجواير) التي نهضت من مقعدها لتجلس على أقرب مقعد لـ (أحمد) أمام المشرب..

- كُنَّا نتحدث عنك للتو.

مر بعينيه متفحصا محدثته بشكل سريع..

- أخشى ذلك الخنزير بعد كأسين فقط.. كم كأسا شرب؟
(سوزان ماجواير).. ثلاثينية ذات شعر أشقر أجدد.. عشقت (إميليا أندرسون)
يوما، وقررت أن تحذو حذوها.. فخورة جدا بمقاييس جسدها المعدلة صناعيا،
وتُبرز إمكاناتها للجميع بالتقليل من ملابسها قدر الإمكان.. كانت تؤكد مقولة
متطرفة للبعض بأن الأمريكيين الذين يزورون (الشرق الأوسط) كسائحين
هم حثالة مجتمعاتهم.
ضحك (جاك) مشيرا بكل أصابعه يحركهم كالديدان، فتمتم (أحمد) بلعنة ما
بينما قالت (سوزان):

- أخبرنى أن وظيفة لديك تشغلك.. لم أصدق.. مصرية تشغل (أحمد
منصور)!!

مط شفتيه بحركته لإبداء عدم رضاه، ثم قال وهو ينظر فى عينها مباشرة:
- من الطبيعى لشخص لم يعتد التعامل فى شبابه سوى مع العاهرات
الأمريكيات أن يفقد عقله فور وصوله هنا.
ضغط حروف الإهانة ليضبط توجيهها جيدا.. فرفعت أحد حاجبيها المرسومين
وخفضته..

- يبدو أنها تُفقدك صوابك بالفعل.
تابعها (أحمد) مبتسما ببرود، وهى تشعل سيجارة من علبة ابتاعها لها (جاك)
بالتأكيد.. نثت دخانها كتنين، واسترخت فى مقعدها رافعة ساقا فوق أخرى
فذاب كل أثر لردائها عن فخذها..

- أحصل عليها.. هذا هو علاجك الوحيد.. سنتظل تشغلك حتى تقودها
إلى فراشك.. أنا أعرفك جيدا.

التوى فم (أحمد) بشئ من الاحتقار.. نهض واقفا، ومال بوجهه نحو محدثته،
وسبها.. ذلك السباب الذى لا يجد مترجمو الأفلام الناطقة بالإنجليزية له
تعريبا سوى "إذهب إلى الجحيم".

تحرك نحو طاولة، وإتخذ مقعدا عندها، فأطفأت (سوزان) سيجارتها، ونهضت بدورها تسحب (چاك) من ياقة قميصه، فاحتفظ بكأسه حتى استقر جسده الممتلئ على مقعد بجوار (أحمد)، والأمريكية تسأل:

- ألن تدعونا على زجاجة (شمانيا)؟ نحن ضيوفك.

- لن أدفع سنتا على شرايكم.. كما أنني لم أدعك (سوزان).

اعترض (چاك) بسبابة مرفوعة، ووعى شبه غائب..

- (سوزان) صديقتي يا (أحمد).. أنا دعوتها.. أطلبى ما تريدينه.. أنا سأدفع.

وصلت الزجاجة بعد قليل مصحوبة بأطباق صغيرة من المكسرات، ورقائق البطاطس.. ملأت (سوزان) كأسا لـ (أحمد) الذى تراجع بمقعده ليرفع ساقا فوق أخرى عابثا بهاتفه الجوال..

- إننى عامله إيه دلوقتى؟ يارب رجلك تكون أحسن.

"أنا كويسه الحمد لله.. راجع الشغل النهارده إن شاء (الله)"

- ده خير كويس بالنسبة لى جردا.. عايز أشوفك مجددا.. تقدرى تقولى كده إنك وحشتينى.

"ده شرف كبير أوى معنى مشن عارفه أقول لك إيه"

- قولى إيه اللي مزعلك ومخلىكى قافشة كده!

"ألا ولا حاجة.. أنا تمام أوى.. كل الحكاية إني حاسه إني بيتلعب بيا.. بس مشن أكثر"

- بيتلعب بيلكى!! افترض إن أنا اطقصود معنى؟ طبع إزاي.. إشرحى.

"أطوضوع مشن مستاهل شرح على فكره.. أنا حاسه كده وخلاص"

نهض من جلسته شاعرا أن رائحة السجائر تخنقه.. سار بضع خطوات فى إتجاه باب المكان مجريا إتصاله بـ (نورا).. مرتين.. وحين لم ترد أرسل لها رسالة جديدة:

- ردّى يا (نورا).. هو فى إيه؟

انتظر ثوانى، ثم حاول الإتصال مجددا بلا فائدة، فبدأ يدور حول نفسه كليث حبيس، وهو يكتب رسالة بإبهام حاسم:

- **إنج عايزه إيه؟!**

ظل واقفا عند باب الملهى لخمس دقائق تقريبا، ثم دفع الباب دالفا من جديد.. جلس ملقيا هاتفه على الطاولة بشئ من العنف متمتا لنفسه:

- **مجنونة دى ولأ إيه! أنا لعبت بيها؟ أنا ما طستهاش أصلا.**

التقط حفنة من السوداني المحمص، وألقاها فى فمه قبل أن يكدعه عقله مصورا له أنه سمع صوت رسالة جديدة على الهاتف.. وكان هذا خاويا من أية تنويهات جديدة.. همهم لنفسه:

- **فين بقى الغلطة اللي أنا عملتها! هي كانت عايزانى أحضنها؟ هي عايزه إيه!! أنا مش فاهم حاجه.**

سعل لقطعة سودانى ضلت الطريق فى حلقة.. بحث عما يشربه فلم يجد سوى (الشمبانيا).. كأسه التى تكثف البخار على زجاجة فبدا مغريا.. ترك الطاولة فى طريقه للمشرب بوجه محتقن ليحصل على زجاجة ماء، ثم توقف بعد خطوات قليلة، وعاد أدراجه ليجرع الكأس دفعة واحدة معاودا الجلوس.

انتبهت (سوزان) لما فعل، فمالته نحوه قائلة:

- أنت تجعلنى قلقة بشأنك.

ابتسم بسخرية واضحة..

- كم يبدو هذا عسير التصديق!

- أنت تتناسى صداقتنا لأعوام يا (أحمد).

- لم تكن تلك بصداقة (سوزان).. تبادل المنفعة يبدو وصفا أفضل.

بدا وكأنها تقيس قدراتها أمام دفاعاته، ثم قررت تأجيل المواجهة.

صبت له كأسا أخرى..

- كل ما هنالك أننى لا أريد رؤيتك محبطا هكذا.

كان محببًا بالفعل.. يجلس متهدلاً، وكأن هنالك من ألقاه على المقعد.. أعاد رأسه للخلف وتهدد بحرارة، وأشعره هذا أن صدره ضيق جداً.. أنفاسه مضغوطة، ويشعر كما لو أنها محمّلة بما يُلهبها.

كيف حدث له هذا فى أيامه القليلة هنا؟! لم يكن يكثرث لأمر أحد، وكان يعيش هائى البال.. لم يعان الإحباط وضيق الصدر من قبل.. لم يمنح أى شخص أهمية فى حياته، وكانت تلك حينها أفضل كثيراً.

مد يده والتقط الكأس.. تجرعها بسرعة وكأنه لا يريد التفكير.. لكن أحقنه أن بادرت (سوزان) بملئها مجدداً.

نظر إلى السائل الذهبى الذى لم يقربه منذ سنوات.. شعر بما يراود متبعى الحمية حين يفسدوا نظامهم فى يوم ما.. إحساس بالذنب، وعجز عن التوقف.

استجمع إرادته، ونهض..

- سأذهب للنوم.. لدى عمل غداً.

- ماذا؟ ألن نتناول العشاء معاً؟

- فلنؤجلها للغد.. و(جاك) لن يأكل فى حالته تلك.

غادر الملهى، ثم المبنى كله، وهبط المنزلق قبل أن يبدأ فى سير الهوينى محاولاً استدعاء بعض السلام النفسى.. منذ زمن ليس ببعيد جداً.. لم يكن لكأسى خمر أن يتلاعبا بعقله.. لكنه شعر الآن ببعض الدوار.

حين وصل غرفته استلقى على الفراش بملابسه.. حرق فى السقف، وفكّر لدقائق محاولاً اكتشاف الخطأ الذى ارتكبه، ثم قال:

- مجنون.. مجنون.. مجنون.. عابرة تتجوز، وأنا العريس الزفت المناسب.

ضحك بقدر لا بأس به من العته قبل أن ينهض ليفتح الباب الذى يطره أحدهم بإصرار.

إنقضاضة (سوزان) عليه كانت تليق بوحش ضارى.. استشعر ضعف فريسته وقرر النيل منها بلا إبطاء.. دفعت (سوزان) بالرجل على الفراش ووثبت لتجثم

على صدره وتنهال على فمه بقبلات محمومة.. شعرت بالنصر حين ضمها (أحمد) بما بدا توقفا شديدا، وبدأت تسرع من وتيرة الأمور كمحترفة.. ورغم أنها كانت لتجزم بأن حصونه انهارت الآن إلا أنه دفعها بعيدا بغتة، ونهض واقفا..

سار خطوتين متناقلتين، وألقى بجسده على أحد مقعدين صغيرين بركن الغرفة..

- أخرجى من هنا.

كانت مستعدة لإهانة نفسها أكثر للعودة لهذا الوسيم السخى.

- دعنى أزيح عنك همومك.

نظر إليها، وأنفاسه مضطربة.. نعم المغريات كانت كثيرة.. وكبيرة.

متعة من دون التزام عاطفى.. متعة اقتحمت غرفته دون أن يسعى إليها.. لكنها بدت له فى هذه اللحظة انتكاسة مروعة.. سقوط مرة أخرى فى هاوية اجتهد ليغادرها.. لم يلحظ وقتها أن (نورا) كانت تلح على فكره بإصرار شرس.. كرر مشيرا إلى الباب:

- أخرجى من هنا.

أخذت تندب حظها لأنه لم يتجرع الكأس الثالثة.. حاولت هزيمته ببعض المهادنة لكنه طردها فى النهاية ككلبة جرباء.. حاول النهوض لكن الأرض ماتت به وسقط..

بعد ساعات، وعندما تجاوزت عقارب الساعة التاسعة بقليل كانت إحدى سكرتيرات طابق الإدارة تعلن (نورا) أن (أحمد) تأخر اليوم لأول مرة.. فدارت على عقبيها، ونزلت لتستقر على مكتبها.. هى لم تنم منذ استيقاظها المتأخر أمس.. ظلت متيقظة كفرد أمن نشط، ولم يتبادر إلى ذهنها أفكار جيدة سوى واحدة.. أن تعتذر لـ (أحمد) عن أسلوبها فى رسائل الليل والتي على الأرجح لم يفهم ما كتبه فيها.. كانت تلك هى المرة الأولى التى تُشعره فيها أنها تطالبه بالمزيد عن صداقته تلك.. كفاك تلاعبا بى.. أنت تعذبنى،

وربما تعذّب نفسك أيضا.. من الصّحى التعبير عن الممكنونات من حين لآخر..
ألست أنت من قال هذا!!!

فكرت طويلا بعد أن حاولت الهدوء، ووجدت أنها رغم جرحها، وشعورها بأن
مكنوناته لا تتجاوز كونه يشتهيها.. فعليها الشعور بشئ من العرفان نحوه..
فهو حتى مع اشتهاه لها هذا.. لم يمسخها.. هى من دعتة للبقاء، وهى تعلم
أنها ليست محصنة أمام رجل لأول مرة فى حياتها.. كان كل ما تختبره جديدا
تماما.. وكان يمكن لـ (أحمد) - لو كان دنيئا - أن يحصل على ما يستطيع
الحصول عليه، ثم يعتذر ويرحل.. لكنه تسمر لثوانى طويلة، وبدا عليه الألم
أيضا قبل أن ينسحب.

لربما كان أفضل لو لم تهاجمه فى رسائلها، وفكرة نفوره التام من الالتزام
العاطفى تسيطر على عقلها.. لربما كان الأفضل أن توقف الأمور عند هذا
الحد، وكفاها من تجربة يبدو أن خسائرها ستكون كبيرة.

نظرت حولها لتقيم وضعها بالشركة.. والذى تأثر بدوره مؤخرا.. (سلمى) لا
تتحدث إليها وتشعرها بأنها طعننها من الخلف بالتقرب من (أحمد).

(أيمن) لم يحضر إلى الشركة منذ المشادة، أو الأکید أنها لم تره منذ ذلك
الحين.. هو دائما لا يتواجد بالمبنى فى الأيام العشرين الأولى من كل شهر..
ربما تكون مبادرة لطيفة لو إتصلت لتسأل عنه، أو حتى أرسلت إليه برسالة
عبر الإنترنت الذى لم تعد توليه أدنى إهتمام مؤخرا.

(لىلى) تبدو سعيدة جدا، وصارحت (نورا) منذ قليل بالمبلغ الذى وصل إليه
راتبها، والذى يعنى أن كل أزماتها فى طريقها للحل خلال شهور قليلة.

(نهى) نقلت لـ (نورا) بعض ردود الأفعال فى الطابق بعدما جاء (أحمد)
ليصطحبها.. على الأرجح ردود الفعل الإيجابية فقط، والتى تدور فى فلك
"لا يعن على بعض"، وبضع إشارات أخرى من هذا القبيل.

قررت (نورا) أن عليها إهداء (نهى) شيئا للتعبير عن قدر الإمتنان.. أى شئ..
ربما تخرج معها للهداء خلال هذا الأسبوع وتبتاع شيئا لـ (هيثم) – ابن (نهى) -
ذى الأربع سنوات.

"(أحمد) بك يريدك يا (نورا)."

كان الاستدعاء فى العاشرة وخمس وأربعين دقيقة.

دلفت إلى غرفته متوترة، وفى يدها مظروف أبيض صغير.. كان مثلما رأته
لأول مرة يجلس وقد أدار المقعد ليتطلع من النافذة الكبيرة.
- صباح الخير.

قالتها فاستدار بمقعده، ونهض واقفا.. بدا مخيفا بدرجة ما ببوادر الغضب
المكبوت على وجهه..

- ما معنى رسائلك؟ ولماذا لم تجيبى إتصالى؟

انقبضت معدتها لأسلوب الوحش الجريح الراغب فى الانتقام..

- لماذا يبدو أسفل عينيك متورّ؟

- لا شأن لك بى.. أنا أسالك.. ما معنى رسائلك؟ ولماذا لم تجيبى
إتصالى؟

كرر السؤالين بثورة واضحة.. ثورة أزعجتها جدا.. خصوصا وهو يتقدم ليوقف
أمامها مباشرة.

- هل يمكن أن تهدأ قليلا؟ جئت مبكرة إلى هنا كى أعتذر لك، ولم
أجدك.

- تعتذرى!! سيكون هذا كافيا جدا من سُمؤك.. إتصلت بك، وأرسلت
رسالة لأرجوك أن تردى.. ماذا دهاك؟ أنسيت نفسك أم ماذا؟

- نسيت نفسى!!

كررتها ذاهلة مصدومة، ثم سارعت بوضع قناع الجمود وهى تنظر فى عينيه
المطلّتين بنظره نارية..

- أنا أسفة يا (أحمد) بك.

- ثم ما قصة العذاب، وتغيير السيناريو، وكل هذا الهراء؟
تجاوزته لتصل إلى مكتبه.. وضعت المظروف على ملفات متراسة، وهي
تقول:

- ربما من الأفضل أن أعود إلى مكتبي الآن.
حين استدارت كان هو خلفها مباشرة.. جفلت حين مال نحوها، ووضع يديه
على طرف المكتب إلى جانبيها فجعلها محاصرة تماما.
- هل عذِّبك توقُّفُ حينها؟ هل كنت تتوقَّين لذلك؟ يمكننا تسوية الأمر.
وضعت قبضتيها الصغيرتين متقاربتين أمام صدره لتمنعه من الاقتراب
أكثر..

- لو قالها غيرك لنال ردِّي على وجهه الآن.
لم تتمالك هز رأسها بشيء من الحسرة قبل أن تضيف:
- إبعد يديك، ودعني أنصرف.
مرت ثوانى والوضع ساكن تماما.. أرخى ذراعيه، وتراجع خطوة.. لم تكن تلك
مساحة كافية لمرورها.

دفعت أحد المقاعد أمام المكتب لتمر، وعلى ملامحها أسى وامتعاض..
- المظروف به ساعتك وخاتمك، وخمسة آلاف جنيه قيمة إصلاح
السيارة.. كله من خيرك يا (أحمد) بك.
قبض على ذراعها من أعلى معصمها ليوقفها لكنها سحبته يدها بعنف..
- من فضلك.

كان طلب غير مكتملا لكنه تام المعنى.
خرجت من عنده متأذية بشدة، وأسرعت لتأخذ حقيبتها وتنصرف، ولم يحاول
أحد إيقافها.
- استدع أحدا ليكنس هذا.

قال (أحمد) ذلك أمرا لسكرتيرة مكتبه التي هرعت إليه حين سمعت صوت ارتطام مدوى.. وكانت منفضة زجاجية ترقد مفتتة أسفل الجدار المواجه للمكتب.

- هل أحضر لسيادتك عصير ليمون؟

كان يحنقه جدا تعامل بعض الأفلام - وخصوصا القديمة - مع الليمون وكأنه أقوى المهدئات.. هز رأسه نفيا بحسم، وهو يعود للجلوس على مقعده.. المرة الأولى فى حياته التى يلقى بشئ ما ليحطمه.. ومن السيئ ألا يوجد أى تفسير يقيه أن يُقال عنه مجنوناً.. "الطير بيكسر مَكتَبه يا جردعان".. غالبا ستصرخ السكرتيرة بهذا فور خروجها من الباب.

لم يستغرقه الأمر أكثر من دقائق ليدرك أنه لن ينتج شيئا اليوم.. سيحصل على أجازة لبقية النهار.. سيسبح، وربما يصطحب (چاك) و(سوزان) لتناول الغداء فى مكان ما، والمهم أولا بالتأكد أن يتخلص من الصداق الذى يكاد يفجر رأسه.

قضت (نورا) يوما صعبا جدا بعد خروجها من مكتب (أحمد).. كرهت زوج أمها كرها إضافيا لأن (رغدة) كانت معه فى هذا اليوم عند أقارب له، ولم يدع هذا لها خيار سوى التوقف فى منزلها، والتفرغ للكآبه والنقمة والحسرة، والكثير من الدموع بكل تأكيد.

(أحمد) قضى بقية نهاره فى حمام السباحة أو متمددا بجواره، ووجده (چاك) بالصدفة، وطالبه بأن يقص عليه ما يجرى مع (نورا)، ومع قدر يأسه وإحباطه لم يكثرث (أحمد) لأن يفصح (چاك) تفاصيل حياته أو حتى يذيعها على الملأ.. قص له كل شئ من البداية، وبإسهاب لم يتبعه يوما.. استمع (چاك) وهو يجلس على طرف المسبح مدليا ساقيه فى الماء، والحقيقة أنه استمع بإهتمام.. وحين انتهت الرواية وبدا على (أحمد) انتظار تعليق.. وثب (چاك) فى المياه، وسبح قليلا، ثم اقترب من صديقه قائلاً:

- إنها تختلف عن أى واحدة عرفتها.. أليس كذلك؟

جواب (أحمد) كان إيماءة سريعة، فواصل (چاك):

- وأنت متأكد أنها تحبك.. صحيح؟
- إنها لم تصرّح بحرف عن هذا.. لكن..
- (أحمد).. هل تقول أنك لن تعرف المشاعر الحقيقية لفتاة كتلك؟ لا تراوغ.
- أنا لا أراوغ.. أعتقد أنها تحبني.
- حسنا.. حسنا.. وأنت صارحتها بإهتمامك بها، وشعورك بأنها مميزة.. وبعد ما شعرت الفتاة أنك تبادلها المشاعر، ووثقت بك.. انطلقت أنت فارا منها وكأنها حاملة للعدوى.
- قلت لك أنها لم تُمس من قبل.. خشيت عليها منى.
- ثم إتهمتها بأنها عاهرة.
- ماذا؟
- هذا ما حدث.. لأنك لم تفهم، أو ربما لم ترد أن تفهم حقيقة موقفها.. سألتها إن كانت تريدك أن تكمل ما توقفت عنه ليلتها فى منزلها.. بحق (الله).. هذا أغبى تصرف سمعت عنه فى حياتى.
- ازدرد (أحمد) لعابه، وقلبه ينتفض بين ضلوعه..
- وما هى حقيقة موقفها تلك؟
- أنك لم تذكر كلمة عن مشاعرك.. وأشعرتها بالرخص.. لماذا لم تسيطر ليلتها على نفسك، وتجلس قليلا ثم تنصرف بهدوء؟
- لأننى كنت اتعذب يا رجل.
- إذن.. فيم تسألنى بحق (الله)؟ أنت تحبها.
- ولنفترض..
- كف عن الحماسة يا (أحمد).. إنها حلمك منذ سنوات.. أنذكر حين قلت لى أنك تحلم بعذراء مسلمة تتحدث بلغتك، وتستطيع احتوائك؟
- تبا لذاكرتك!

- هيا يا رجل.. اعترف لنفسك على الأقل.. خذ وقتك، ولا تتورط فى أمر لا تريده.. لكن اعترف أولاً أنك ترى فيها كل الميزات التى عشتتتمناها فى زوجتك المستقبلية.
- لا أريد الزواج.
- يا صديقى كفاك مكابرة.. بعد قليل جدا ستجد نفسك فى الأربعين من عمرك.. لا تملك من البشر سوى بضع ذكريات.. لقد أحببت هذه السيدة الصغيرة منذ رأيتها.
- كان (أحمد) صامتا.. غاص فى الماء، وابتعد قليلا ثم سبح عائدا بالقرب من (جاك) الذى قال:
- إصنع مقارنة سريعة ما بين مميزاتها وعيوبها، وحاول إتخاذ قرار.. مميزاتها بمقاييسك ومعاييرك أنت.. أعتقد أنك تحتفظ بقائمة طويلة.. تعجيزية بدرجة ما.. مالى أراك بائسا هكذا.. نتحدث عن الحب والزواج هنا يا رجل.
- الزواج.. تلك الكلمة التى تروعه.. حالة اجتماعية خانقة مصيرها إلى الفشل.
- واصل (جاك) إهتمامه.. ما إضطر (أحمد) ليجيب بإيماءات على كل أسئلته..
- هل تراها جميلة جدا؟ هل تشعر براحة فى التحدث معها؟ هل تجدها دافئة؟ حسنا.. هذا جيد.. ستقتلها خلال أيام إذا ما كانت باردة.. هل تزداد ضربات قلبك حين تقترب منها؟ اسمع.. لو قلت أن عينيها ملونتان سأوسعك ضربا.
- عيناها زرقاوتان.
- أيها الوغد.
- إنقض (جاك) على (أحمد)، وطوق عنقه وسحبه إلى قاع حمام السباحة.
- حين أخرجنا رأسيهما قال له:
- إنها لك يا رجل.. كانت تنتظرك هنا كل تلك السنوات.
- مسح (أحمد) شعره براحته، وتنهد قبل أن يفشل فى كبح السؤال:

- منذ متى وأنت على هذه القدر من الحكمة أيها الخنزير الصغير؟!

ضحك (چاك)، وسحب صديقه بمرح.

فى المساء اصطحب (أحمد) (چاك) و(سوزان) إلى حى (الأزهر).. وجبة كباب سيعانيان فى هضمها حتما.. ثم النرجيلة، وأقداح الشاي على مقهى (الفيشاوى)، واستمتع الأمريكان بالسير فى المنطقة القديمة، ومشاهدة مسجد (الحسين) وتأكدا أن هذا الشعب سيواصل الحياة مهما بلغ ما يسمعه عن ظروفه من سوء.

لم يذهب (أحمد) إلى الشركة فى اليوم التالى.. استيقظ فى موعده ولكنه أثر تناول الإفطار وتصفح الجرائد، ثم التسكُّع بلا هدف.. لو إطلَّعنا على مكنوناته لعلمنا أنه يتعذب.. بداخله ألم وصراعات نفسية حاله حال من يريد أمرا بشدة ويخشى عواقبه.. من عاش طوال عمره يكفر بشئ، ومطالب الآن بأن يؤمن به.. بالإضافة إلى أنه كان يعانى وخزا فى قلبه كلما تذكر كيف جرح (نورا) وأهانها فى آخر لقاءاتهما.

فى العاشرة تقريبا تلقى إتصالا من سكرتيرته يفيد بأن أعمامه الثلاثة ينتظرونه بالمكتب.. أعمامه الذين لم يرههم منذ أكثر من خمسة عشر عاما، وقال (منصور) أنه أخبرهم بإنابة (أحمد) فى إدارة الشركة.

- هل بإمكانك سؤالهم عن سبب الزيارة؟

- أنا أسألهم!! سيادتك.. المفترض أنهم من مجلس الإدارة.

- وماذا يريد مجلس الإدارة؟

- لا أعرف يا (ميستر) (أحمد).. لكن (رفعت) بك سألنى سؤالاً غير معتاد..

عما إذا كنا قد تقاضينا رواتبنا هذا الشهر أم لا.

صمت (أحمد) لثانيتين فقط..

- حسنا.. فهمت.

- هل أخبرهم أن سيادتك ستحضر؟

طال صمته نوعا هذه المرة فناداته الشابة بالحاج..

قال بحسم:

- أريد أن أعرف ما إذا كانت الآنسة (نورا السيوفى) قد حضرت اليوم أم لا، واجعلها تتصل بى.
- أ جعلها تتصل بسيادتك إذا كانت هنا فى المبنى.
- نعم.. لا.. تتصل بى فى أى الحالات.
- خمس دقائق تقريبا، وعاود هاتفه الرنين.. رقم السكرتارية مرة أخرى..
- (مистер) (أحمد).. الآنسة (نورا) معى هنا، وستتحدث إلى سيادتك.
- لم يرد لكنه نهض واقفا من جلسته فى البهو، وقلبه يخفق بقوة مضاعفة..
- قالت (ألو) بشئ من التساؤل.. نبراتها الرقيقة لا تحمل ذرة حماس.
- صباح الخير يا (نورا).
- صباح النور يا (أحمد) بك.
- أنا أسف لإزعاجك.. لكن أعمامى موجودون عندك.. جاءوا ليسألوا عن الأرباح الشهرية على الأرجح، والتي أعتقد أنها كانت تُحوّل لهم على حساباتهم أو شئ كهذا.. وكنت أريد منك لقائهم وشرح الأوضاع لهم..
- كل المستندات الخاصة بالقضية موجودة بالدرج الأول إلى يمينك وأنت تجلسين خلف المكتب.. هل بإمكانك القيام بذلك!؟
- لم تكن المهمة لتصبح صعبة لولا شخصية أحد الأشقاء.. هى تعرفهم جميعا.. لكن (رفعت) متسلط ومتشكك وبإمكانها توقع الأسوأ نظرا لتعلق الأمر بالمال..
- سأبذل قصارى جهدى.
- كنت واثقا من ذلك.. أدخلى إليهم وحدك وتصرفى كأنك المالك الأصلى للشركة.
- كان ما تعرفه هى أنها لن تخذله.. حتى لو كان أسوأ شخص تركته يقترب منها فى حياتها.
- عاد يستوقفها قبل إنهاء الإتصال..

- (نورا).. أرجو أن تتصلى بى فور انصرفهم.
- طمأنته أنها ستفعل، وأعطت السماعة للسكرتيرة، وشدّت قامتها، وطرقت باب الغرفة مرتين ودلفت إليها.. كان (رفعت) كما توقعت يجلس فى مقعد الرئيس.
- صباح الخير يا سادة.. أنا (نورا) من إدارة التسويق.
- كانت تتوقع نظرات الشك تلك.. كل منهم يشعر أنه رآها من قبل.. كما لا يعرف لمَ تقدّم نفسها إليهم.
- أنا هنا كمندوبة عن السيد (أحمد منصور).. والذى للأسف لن يستطيع الحضور اليوم لانشغاله بموعد هام.
- لم يثبّط من عزيمتها تحوّل الشك فى أعينهم إلى استنكار.
- أنا أيضا مسئولة عن الرد على استفسارات سيادتكم عن أوضاع الشركة مؤخرا.
- لماذا لا يمكننا السحب النقدى من حساب الشركة؟
- كانت رغبة (رفعت) فى المعرفة أقوى من أى شى آخر.. واستطرد:
- لم ننجح فى الحصول على الأرباح الشهرية لرأس المال.. كما أن هذا تزامن مع قدوم (أحمد).
- (ميستر) (أحمد) لا علاقة له إطلاقا بالأمر.. الدولة قامت بالحجز على حساب الشركة وتجميد الرصيد.
- استغلت الصدمة وتأثير المفاجأة لتطالب (رفعت) بالانتقال إلى جوار شقيقه.. جلست على مقعد (أحمد) وفتحت الدرج.. أوراق غير هامة تعلق الملف الذى أعده الرجل وأرفق به كل ما يتعلق بالقضية.. بدأت تطلع الاخوة على بعض الأوراق فسألها (رفعت):
- وكيف تقاضى الموظفون رواتبهم إذن؟
- (ميستر) (أحمد) أنفق من ماله الخاص ليفعل ذلك.. بالإضافة إلى أنه يسعى لتأمين مستحقات الشركة بالسوق، وتحويلها على حساب آخر..

وهذا غير أنه إتخذ خطوات جادة في الاستفادة بوثيقة تأمين أعمال لتعوضنا شركة التأمين عن الإلتافات التي طالت لافتاتنا فى الطرق والشوارع.

كانت تمزج ثوابتها ببعض التوقعات لتنتج ما يشفى تساؤلاتهم.

- إذن.. لو أن (أحمد) هذا واثق هكذا من تحسن الأوضاع.. يدفع لنا الأرباح من حسابه الخاص كما دفع رواتبكم.

لم تسيطر على تدلّى فكها السفلي وهى تحدى ب (رفعت) بينما سارع أحد شقيقه باستنكار الفكرة ذاكر التاريخ الذى تعود إليه القضية.. ما يؤكد أن (أحمد) غير مُطالب بتحمّل أى عواقب، ولكن هذا لم يمنعها من التراجع فى مقعد الرئيس قائلة، وهى تحاول ألا تضغط كل حرف من كلماتها:

- (ميستر) (أحمد) جاء من بعيد جدا ليحمل تركة ثقيلة فى مرحلة دقيقة جدا.. كان الأولى به هو أن يطالب سيادتكم بسداد التزامات الشركة.. لأن تطالبوه سيادتكم بسداد الأرباح المتجمدة!

عاب الرجلان (رفعت) علي فكرته فابتلع لسانه صاغرا.. لو لم تكن أسماء الرجال الثلاثة مقيّدة بالسجل التجارى للشركة لنهضت (نورا) قائلة "المقابلة انتهت".. صبرت ليلملمو خيبتهم وينصرفوا.. لكن (رفعت) حاول مواصلة السخافة..

- كيف لا يتواجد هنا مع هذه الكوارث؟

- (ميستر) (أحمد) لم يتغيب يوما عن هذا المكتب منذ حضوره.. بعض المقابلات يجب أن تتم بالخارج.

وقفت احتراماً لهم، فألقوا عليها التحية وشكرها اثنان منهم.

جمعت الأوراق لتعيدها بالملف مرة أخرى، وأفرغت الدرج من الأوراق لتخفي الملف فى قاعه مجدداً.. لاحظت وجود (ألبوم) الصور المفترض وضعه بالمكتبة.. لكن إيجاده الآن يحتاج لتفتيش.. لمستته بأصابعها لثواني.. شئ

بداخلها أراد منح الاكتشاف أهمية، وبعده رومانسيا.. لكنها سارعت بإعادة ترتيب الدرج كما كان، وتحركت لتجلس على مقعد بعيد وتتصل بـ (أحمد). طمأنته على صحة استنتاجه بشأن الزيارة، وعلى ما دار في المقابلة.. تحدثت بشكل رسمي تماما، ولم تذكر كل التفاصيل.. حين شكرها بإمتنان واضح.. ردت:

- تحت أمرك يا (أحمد) بك.

ارتبك حقا من لهجتها الجافة التي تذكره بأن هناك حدود جديدة قد تم وضعها، وتذكره أيضا بمدى حماقته.

أنهى الإتصال مُحبطا.. شاعرا بخواء مفرغ.. وكأنها كانت تعيش معه، ثم هجرته.. أخذ يتعمق فى أفكاره طوال النهار، وحين اقتربت الساعة من الخامسة صعد إلى غرفته وبديل ملابسه وإتخذ طريقه إلى منزل (نورا).. ظل جالسا في سيارته أمام البناية لنصف ساعة، ثم قرر شراء ما يأكله، ويعود.. وحين فعل أكمل النصف ساعة إلى ساعة كاملة قبل أن يرحل.. لم يكن يريد الإتصال بها.. كان يتحرق للقائها ليعتذر، ويزيل غضبها منه.. لن ينجح أمر كهذا تليفونيا.

في التاسعة كانت (نورا) توقف سيارتها أمام (الشاليه) الذى تملكه في إحدى قرى الساحل الشمالى.. غادرت السيارة شاعرة بتيبس مفاصلها بعد ما يزيد عن أربع ساعات من القيادة.. أخذت حقيبتها الوحيدة من خلفية السيارة وجرتُها أرضا حتى الباب الخشبي القصير لمحيط (الشاليه) الصغير.. كانت آثار شهور الشتاء واضحة على المكان.. فقد كانت تدخر إجازاتها للصيف، ولم تأت إلى الساحل الشمالي في الشتاء لأول مرة منذ سنوات.

كانت إدارة القرية مسئولة عن تقليم النباتات فلم يبد سياج الأشجار سيئا.. بالداخل لم تكن الرائحة طيبة، والأتربة تكسو كل شئ.. أول شئ فعلته أن أعدت فراشها للاستخدام، ثم شرعت فى تنظيف الحمام بسائل التطهير، وفتحت محبس المياه، وسكبت بعضها على الأرضية ثم كسحتها.

عادت لغرفتها، وبدلت ملابسها بأخرى أكثر راحة.. لقد سافرت فور خروجها من الشركة، ورغم الإجهاد بدأت تشعر بمزايا القرار.. ستمدد قليلا علي فراش الاستجمام فى الحديقة، وتصبح جاهزة للنوم.. لن تغادر (الشاليه).. ابتاعت طعاما فى الطريق، وستستيقظ مبكرا وتبدأ يوما خاصا بها وحدها.. معها كتب، وجهاز (MP3 Player)، وملابس تصلح للعدو والترىض.

تنهدت بعمق مستنشقة الهواء المشبع برائحة البحر.. لو كانت قادرة على السير لذهبت إليه.. يغريها البحر جدا فى الليل، تحب الوقوف، أو السير فيه فى صمت.. من الرائع أن يكون المرء متناغما مع نفسه.. حينها فقط ستمتعه أشياء بسيطة جدا.

كان الجو يحمل بعض النسمات المنعشة.. وتمددت (نورا) على الفراش الخشبي بعد ما وضعت وسائده.. لم تقرأ، أو تستمع للموسيقى، ونامت بلا معاناة.. والملائكية فى ملامحها كانت تزداد أثناء النوم، ولم تنتبه للشباب الواقف عند الباب الخشبي يراقبها بإهتمام.. انصرف بعد قليل، واستيقظت هي بفعل الحشرات الطائرة.. دخلت وأغلقت باب (الشاليه) ولم تفعل شئ سوى تفريش أسنانها، ثم غطت فى نوم عميق.

فى العاشرة والرابع من صباح اليوم التالى كان (أحمد) يعود إلى مكتبه خائبا بعدما لم يجدها.. طلب من سكرتيرته الإتصال بها ودلفت تلك إليه بعد دقائق لتعلمه أن (نورا) فى إجازة:

- تقول أنها أخطرت شئون العاملين بذلك.. ستنهي إجازتها يوم الخميس القادم.

أطرق يائسا.. خمسة أيام.. هذا كثير جدا.. أكثر من طاقته للاحتمال. بعد دقائق دلفت إلى غرفته (ليلى عبد الحميد).. أعلنته أن كل الموظفين والعاملين قاموا بالتوقيع على العقود الجديدة فيما عدا اثنان..

- (سمير أبو العزم) من الشئون القانونية، و(نورا السيوفى).

كاد يبدي عدم إهتمامه لولا الاسم الثانى الذى امتلك تأثيرا قويا عليه.. قال كاذبا:

- أعرف مشكلة (سمير)، واعتراضه على ترقية (ياسمين).. لكن ماذا عن (نورا)؟

كان يعرف جيدا لماذا يمكن أن ترفض التوقيع على ما يربطها بالمكان الذى يديره هو.

- لقد تحدثت إليها يا (أحمد) بك.. وقالت أن أمامها فرصة أخرى تريد دراستها جيدا.

- ماذا؟ أى فرصة تلك؟

- (عدنان الراسى).. كان قد سبق وقدم لها عرضا فى ٢٠١٠.. هى لم تخبر أحدا وقتها.. لكنني رأيت العرض بنفسى.. أحب (نورا) وأعتبرها ابنتى التي لم أنجبها.

- (عدنان الراسى)! مع رواتب كالتى وجدتها هنا.. أعتقد أن مستثمر كهذا قدم لها عرضا بأضعاف ما كانت تتقاضاه وقتها.

- هذا صحيح يا سيدي.. لكنها لم ترغب حينها فى ترك الشركة.. كرروا عرضهم لها مؤخرا، ولا زالت تفكر.

نظر إلى المرأة مليا.. إنها توجه له إشارة ما.. (نورا) ترغب الآن فى الرحيل حتى لو تمت مضاعفة راتبها.. ما الاختلاف الذى حدث؟! تغير الإدارة!! أنت تجعل الكفاءات تهرب يا هذا.

قراءة الواحدة ظهرا كانت (نورا) قد استمتعت بما يكفيها من الشمس.. جلست على الشاطئ لساعات وهي تعتمر قبعة مكسيكية لتقى وجهها الأشعة المباشرة.. بشرتها حساسة، وتتحول لبشرة كائن فضائي أحمر اللون لو حصلت على قدر إضافي من أشعة الشمس المباشرة.

كانت ترتدى أحد سراويلها (الجينز) القديمة، وقد قامت بقص ساقيه أعلى كاحليها بقليل.. وارتدت (Body) أسود بحمالتين.

كانت الرمال.. مهلا.. وكانت ترتدي (بلوزة) بيضاء واسعة وطويلة تصل إلى فخذيه.. كما كانت تخفي شعرها بربطة حجاب (Spanish) بيضاء بدورها. كانت الرمال ملتصقة بقدميها الحافيتين، والماء يبلل أطراف (الجزير) لأنها مشت في الماء كثيرا وهي تستمع إلي أغاني حزينة، وموسيقى (الجاز). قرأت قليلا أثناء الجلوس.. رواية مصرية حديثة من النوع الملى بالبذاءات تنضم لمثيلاتها في الخزانة الخشبية بغرفة المعيشة بشقتها.. لو قامت ببيع الروايات التي بدأت في قرائتها ولم تكملها لحققت مكاسب جيدة جدا. نهضت وبدأت في لملمة جلستها.. المقعد يخصها.. أنيق وخفيف.. ستأخذه معها.. بالإضافة إلى أنها تناولت علبتي (آيس كريم)، ولن تترك خلفها أثرا يوح بمعلومة كتلك.. خصوصا أن العلبتين ليستا من المقاس الصغير. حين بدأت تسير في طريق العودة كان صندلا بلاستيكا عالي الكعبين يتدلي من يديها.. سترتيه عندما تصل إلى أرض صلبة.. فوجئت بشاب يأتي نحوها مباشرة.. يرتدى سروالا قصيرا، و(تي شيرت) بدون أكمام.. وسيم هو، لوحث الشمس بشترته.. يعبث الهواء بشعره وتجعله الشمس يضيق عينيه قليلا..

- أنا أسف جدا لإزعاجك.. أنا المهندس (أشرف) جارك هنا في القرية منذ ثلاث سنوات.

هزت رأسها فقط.. رغم أنه بدا أكثر نضجا من مجرد عابث.. إلا أنها تعرف جيدا ما يحدث للشبان في الصيف في الساحل الشمالي.. موسم تعارف.. كمواسم التزاوج عند الضفادع.. الميزة الثانية للواقف أمامها - بخلاف كونه وسيما - أنه لا يرتدي سلاسل أو حفاظات. نظرتها لا تصيب دائما.. لكنها تثق فيها كعلامات أولى.. خاصة أنها لا تحب الجزء المتعلق بالتظاهر بالفضافة.

- أنا أعمل في (المملكة العربية السعودية).. مهندس مدنى دفعة .٢٠٠٤

أهه.. تلك إذن مقدمة خاصة بطلاب زواج.. الأول بعد الحجاب.. سَجِّل يا تاريخ..

- أنا أسفة جدا يا (باشمهندس).. ولكن

- لا أريد إزعاجك.. اسمح لى فقط أن أوصولك إلى (الشاليه).
لم تكن لتترك له المقعد يحمله عنها لولا أنه قال ليدعم موقفه:

- أنا خال (يوسف).

ومن يكون (يوسف) وساطته لن يحصل على معاملة سيئة حتما..

- أين هو؟ هل جاء؟ لقد أوحشني جدا؟

- سيصلون غدا بإذن (الله).

أخذ (أشرف) المقعد، وسار بجوارها.. كانت سعيدة حقا..

- هذا خبر رائع.. وصدفة جميلة أيضا.

- إنه يحبك جدا.. (دينا) تقول أنه حين يحصل على إجازة الصيف يبدأ
فى إبداء رغبته فى المجرى لرؤية (نورا).

تحدث الشاب طوال الطريق.. ربما لم يختر مدخلا جيدا.. فقد أخذ يتحدث عن
الأحوال السياسية للبلاد.. لكن (يوسف) كان قد مهد له مسافة جيدة للمرور..
وسرعان ما ستشكره (نورا) عند باب (الشاليه)، و تأخذ سيارتها إلى
(الكافتيريا) القريبة لتحصل على قدى قهوة متتاليين.

فكرت أنها لا تريد التورط فى جملة على غرار "لقد تركتك تحمل مقعدى من
أجل (يوسف) فقط".. سيكون هذا غباء منقطع النظير.. ستنهى اللقاء ب
(كليشيه) فرصة سعيدة، وأنا أسعد.. لن تقول العبارتين بالتأكيد.. الأولى
فقط، وابتسامة دبلوماسية لا تجعل الرجل يتمادى فى أحلامه.

حين اقتربا من (الشاليه) فقدت مجرى الحديث، وطريقة ختامه، وربما اسم
وشكل السائر بجوارها.. حدقت فى (مرسيدس) فضية (كوييه) تقف بجوار
سيارتها.. لو كان هذا سرايا لم تكن العلامات فى منتصف الإطارات لتبدو
واضحة لامعة إلى هذا الحد.

- بدأ قلبها يعبث معها.. أو الأدق بها.
- حاولت الحفاظ على ثباتها الخارجى، وهى تواصل الاقتراب.. ورغم ذلك ذهلت حين رأت (أحمد) يغادر السيارة، ويقف بجوارها دون خطوة إضافية.
- أشكرك جدا يا أستاذ (شريف).
 - (أشرف).. ولا شكر على واجب.. إذا أردت أى مساعدة فى أى وقت يمكنك طلبها بلا تردد.
 - أشكرك.
- أسندت المقعد للباب الخشبي، وتحركت نحو (أحمد).. كان يرتدي حلة كاملة خلع سترتها، وأرعى ربطة عنقه قليلا.. خلع نظارة داكنة عن عينيه مع اقترابها منه، ولم تبد ابتسامة على وجهه.
- بادرته:
- كيف؟ أريد أن أعرف كيف؟ لثوانى اعتقدت أن الشمس جعلتنى أهني.
- لم تخلع نظارتها.. من الأفضل أن تخفى السعادة التى تملكها مع إدراكها لسبب وجوده.. حبذا فقط لو انفرج وجهه قليلا.. أم تراه جاء ليوصل جرحها هنا!
- شعرت بسخونة محرك سيارته حين مرت أمامها، وكانت المركبة المتوقفة تصدر طقطقات معدنية من حين لآخر.
- شعرت بعينيه تتفحصانها بسرعة، ومد كفه يصافحها ببرود، وكأنهما التقيا فى مصعد الشركة..
- كيف حالك؟
- آى.. هل كانت مصافحته قاسية؟ أم أن يدها تؤلمها لسبب ما؟
- أنا بخير.. الحمد لله.
- لن تسأله مجددا عن شئ.. إنه هنا.. ورغم هذا فهو لا يبدو راضيا عن هذه الحقيقة بالذات.
- هل لديك وقتا لدعوة على قدح قهوة فى مكان ما هنا؟

إنه أفضل متظاهر بالتهذيب التقته فى حياتها.. يقطع أكثر من مئتى كيلومترا إليها، ويتوقع أن تقول له "أنا مشغولة".

أرادت أن تقول له "أعرف أن لسانك يتحول لسوط فى جزء من الثانية.. لكن عيناك جميلتان، وأحب لحيتك نامية هكذا" لكنها استبدلت كل ذلك بـ:

- من الأفضل أن نستعمل سيارتى.. ستستخ سيارتك بالرمال.

فتح بابه، وأشار إليها برأسه..

- اركبى السيارة.

بدأت تشعر ببعض الارتباك الإضافى.. لو جاء لمصالحتها بهذا التسلط فهو شخص غريب جدا.

- سأدخل المقعد فقط.

أدار السيارة وعاد بها للخلف قليلا.. حين استقرت بجواره بعد أن ألفت المقعد بالحديقة الصغيرة لـ (الشاليه).. انطلق مباشرة.. لكن ببطء يتناسب مع عدم وجود هدف يتعجلان الوصول إليه.

للسيارة الصغيرة - رغم أنها ليست ملكه - رائحة مدهشة.. لو صمت فليديها ما يمتعها حقا.

القرية ليست كقرى الريف.. فهى تحوى شبكة طرق جيدة.. مطباتها كثيرة ربما.. لكن هذا للسيطرة على جنون السرعة لدى بعض الشبان.. السيارات متراصة على الجانبين عند (القيلات) و(الشاليهات) فى هذه المنطقة.

ألقت قبعتها الكبيرة على الأريكة الخلفية للسيارة، وسألت نفسها لمَ تشعر بهذه المتعة للقاء رجل انتوت أن تكرهه من أعماقها.. رجل وجَّه لها إهانة لا

تُغتفر.. بل ويكفى سؤال "أنسيت نفسك؟" هذا ليجعلها تبغض حتى رؤيته.. ذلك الكريه.. لكنها تريد أن تعرف حقا كيف فعلها وجاء بهذه السرعة؟ كان فى

الشركة بعد العاشرة.. فجأة عرف مكانها واستقل سيارته ليقف أمامها فى حوالى الواحدة!!

- الحاجة (ليلى) هى من أخبرتك بمكاني!!

هز رأسه إيجاباً، ونطق أخيراً:

- وأخبرتني أيضا أنك لم توقعي العقد الجديد.
كان صيادا.. ألقى صنارته.. لكنها لن تجلب له شيئا هذه المرة.. (نورا)
مندفعة.. لكن ليس في هذا الشأن.. وليس معه.
إضطره صمتها أن يستطرد:

- وأخبرتني عن عرض (الراسي).

- لا يحق لها ذلك.

- شئون الموظفين مسئوليتها.. وهي تريد استبقائك بالتأكيد، وأنا هنا
لأضمن ذلك.

نظرت إليه معقودة الحاجبين بحذر.. التقط ورقة من المقاس التقليدي من
جيب في بابه، ونقلها إلى يده اليمنى ليضعها أمام (نورا) التي تحول الحذر
في نظرتها إلى استنكار.. وهو يردف:

- هذا عقد جديد.. أنت ستحدد الراتب الذي تريدينه.

هل يعتقد أنها ستفرح بهذا!؟

أشاحت لتنظر عبر الزجاج..

- هذا شرف كبير يا (أحمد) بك.

وكأنها لطمته.. سأل بلهجة مكبوتة:

- ما قصة (أحمد) بك تلك؟

كان قد حان وقت توجيهها لضربة صائبة..

- كنوع من التذكير بمنصبك.. أخشى تجاوز حدودي، أو أن أنسى نفسي.

- (نورا).. تعرفين أنني لم أقصد هذا.

- حقا!!! الناس عادة ما يقولون ما يفكرون به في لحظات الغضب.

مع ختام عبارتها إهتزت السيارة مع صوت ارتطام من خلفها.. كانت سيارة
متوقفة على جانب الطريق قد غادرت موقع انتظارها بغتة لتلطم
(المرسيدس) من اليمين في الرفرف الخلفي.. انزعجت جدا، والتفتت لترى

السيارة الأخرى تعود للخلف.. أرادت أن تطالب (أحمد) بعدم مغادرة السيارة.. خاصة أنه يغلى من الغضب بدون الحاجة لحوادث طريق.. هي ليست سائقة بارعة جدا لكن بإمكانها معرفة أن الآخر هو المخطئ.. ورغم ذلك خشت أن يواجه (أحمد) وقاحة أو برود مجموعة أصدقاء يحتسون الجعة، أو يدخنون الحشيش.. أنزلت الزجاج واستدارت بجسدها لرؤية (أحمد) الذى كان اندفاعه لرؤية حجم التلف فى سيارته.. بينما غادر الأخرى رجل فى الخمسينات..

- أنا أسف جدا يا بنى.. لا أعلم كيف فعلت ذلك.. لم أنتبه.. أنا أسف جدا.
ترقبت ردة فعل (أحمد) وكأنها تنتظر نتيجة اختبار هام..

- لا بأس يا سيدي.. لم يحدث شيئا.

- سأتكفل بمصاريف إصلاحها.

- شكرا يا سيدي.. طاب يومك.

حين عاد (أحمد) إلى جوارها هذه المرة أغلق الباب بعنف وحشى، واندفع بالسيارة بحدة.. أرادت إمتصاص غضبه بأى طريقة.. أهم شئ ألا تضع يدها على يده فوق ذراع السرعة الصغير.. فهذا يعتبر تحرُّشا.

- هناك مقهى يقدم القهوة الأمريكية مع الكريما المخفوقة.. (تحفة)..
أريد دعوتك بما أنك ضيفى.

غَلَّفهما الصمت لثوانى هدأً فيها من سرعته، ثم سألهما:

- إلى أين أتجه؟

أرشدته حتى توقف أمام المقهى تقريبا، وترجلاً.. رأت انبعاث هيكال السيارة، وقالت صادقة:

- كان تعاملك مع الموقف شديد التهذيب والتعقل.. وأسفة لو أغضبتك.

لم يرد.. دلفا إلى المقهى المكيف، والذى لم يفكر أحد فى الاقتراب من الطاولات المتراصة خارجه.. لارتفاع درجة الحرارة.. سحب (أحمد) لها مقعدا لتجلس، وجلس بجوارها.. كان من النوع الذى لا يحب أن تتحدث رفيقته إلى

النادل، وكان هذا يناسبها جدا.. طلب القهوة لهما، وبدا متجهما.. تحدث بعد
ثوانى:

- أنا رجل ملئ بالعيوب.. حين أغضب أقذف بكلام غبي جدا.. كنت
مُسْتَفْزَأً يومها بشكل جنونى.. ولكننى مستعد للاعتذار ألف مرة عن
سخافات تفوّهت بها، وأقسم بـ (الله) أننى لا أفكر على النحو الذى
ذكرتیه بخصوص "نسيت نفسك" تلك.. وقد أخبرتك أننى أحب
مناداتك لى دون ألقاب.

كانت لهجة التأكيد قوية فى صوته.. رغم أنه لا ينظر إليها معظم الوقت..
لكن بدا منطقيًا صادقًا.

- قلت فى رسائلك أننى استغل صداقتنا لصالحى، وأظلمك بذلك.. بينما
أشعر أنا أننى من صرُح بالكثير من مكنوناته.. أعترف بأن ردة فعلى
ليلة كنا بمنزلك كانت مبالغة نوعا.. لكن عليك مراعاة نمط الحياة
التي عشتها.. حياة لم يكن بها أنثى، أو.. أو أى شئ مثلك.. أقصد
بمميزاتك و روحك تلك.. من حقى أن أخشى عليك منى.. كما من
حقى أن أخشى خسارتك.. جئت إليك بلا تفكير.. جئت لأعتذر، وأنا
أدرك أنها ليست المرة الأولى، وأن بإمكانك عدم القبول، ولكن..
ولكن..

- (أحمد).. (أحمد).. قبلت اعتذارك.

نظر إليها، وازدرد لعباه.. بدا وكأن ابتسامتها تعيده للحياة.
وصلت القهوة فانهمكا لثوانى فى إضافة السكر.

- لو افترضنا أنك بدأت الطريق بعد العاشرة.. فأنت تقود بسرعة
جنونية.

- لقد تحركت من الشركة قرابة الحادية عشر.

- يا إلهى!! أليس من المفترض أنك أكثر تعقلاً من هذا؟

السؤال بدا غريباً.. أراد أن يجيبها "ليس فيما يتعلق بك" لكنه أثر الصمت.

بمرور الثواني.. بدأ يتحرر من الثقل الذى كان يخنق أنفاسه.. إنها بجواره..
تحتضن قذح القهوة بأصابع دقيقة، وتسترق النظرات إليه بعينها الشبيهتين
ببحيرتين صافيتين.. استرخت أعصابه قليلا.

سألته عن أموال المرتبات فحاول التحرر من حالة العطب التى أصابته منذ
رأها.. حاول تحسين نبرته، والإيحاء بأنه مرتاح فى جلسته، وأنه يرحب
بحديث عن العمل يقتلعه من دائرة سحر اجتذبه بلا هوادة.

هزت رأسها معلنة أنها توقعت ذلك.. حين رد بقول ما عن أمواله الخاصة، ثم
سألته عن علاقته بأعمامه الثلاثة، وعلاقتهم هم بأبيه..

- هل يعلمون أنه مريض؟

- أعتقد ذلك.. لكن أعتقد أيضا أن أحد منهم لم يزره.

هزت رأسها و كأنها اعتادت حكايات المشاعر القاسية تلك..

- وكيف حاله؟

هز رأسه بحيادية فبادرته:

- (أحمد).. لماذا أشعر أن عم (سليمان) يعرف عنه أكثر منك؟

- ربما لأنه بجواره هناك فى (الإسماعيلية).

- ولكنك ابنه.

وضع (أحمد) قذح القهوة فارغا على الطاولة، وشعرت (نورا) أن الحديث بدأ
يزعجه.. لكنها لم تتراجع..

- ألا تتصل بهم هناك بشكل منتظم لمتابعة حالته؟

- هل أنهيت قهوتك؟

لم تكن قد أنهت نصفها.. لكنها تركت القذح على الطاولة..

- لماذا لا تجيبنى؟

- (نورا).. أنت لا تعرفين شيئا.

- إذن.. إشرح لى.

- لا أريد ذلك.

- آه.. نعم.. لا تريد أن تنتبه إلى حقيقة الوضع.. والدك يعانى المرض، وأنت لا تكلف نفسك محادثة تليفونية.
نظر لها بغضب.. تحدثت ضاغطا حروف كلماته:
- حقيقة الوضع أنه أساء معاملتى دائما.. لم يسأل عنى إلا مرّات معدودة على مدار خمسة عشر عاما من الغربة.. جئت إلى هنا تاركا كل شئ لأننى شعرت بعجزه، وحاجته لى حقا.. هل تعتقدين أنه كان سيتصل بى لو لم يطرحة المرض على فراشه؟ أم أن حقيقة الوضع أكثر تعقيدا من أن تدركها طفلة مثلك؟
- لم ترد الدفاع عن نفسها.. أوجدت لنفسها مهمة أصعب، وأهم بكثير..
- كان يريد إعادتك منذ سنوات طويلة.. كان فخورا بك، ويذكرك دائما كخليفته القادم فى إدارة الشركة.. رغم أنه لم يكن واثقا من قبولك لهذا.. لأنه يعلم أنك صنعت نجاحا أكبر منه.
- توقفى عن تليفق الأكاذيب يا (نورا).
- أنا لا أكذب يا (أحمد).. كان يتحدث إلىّ عنك كثيرا.. كنت أحوّل مسار الحديث لأنه يتألم عادة حين يفكر فى سيناريو حياتكما معا.. و(الله) العظيم كانت هناك صورة لك فى المكتبة الخشبية.. لا أعرف من الذى أخفاها!! صورة لك وأنت صبى صغير.. كان كثيرا ما يضعها أمامه على المكتب.. ولم أر أبدا صورة لأى من أبنائه الآخرين.
- عينها الواسعتان المؤثرتان كانتا تشعرا به بالضعف.. لولا معرفته بأن الملائكة لا تكذب ما كان كلامها ليملك أذننى تأثير عليه..
- لم يُشعرنى بأى من هذا.. طوال السنوات التى تتحدثين عنها.
- كنت أنت تعامله بجفاء شديد.. هذا ما فهمته منه.. كنت تُشعره أن لا وقت لديك لتهدره معه.
- صمت الرجل.. أحاسيس مضطربة تخنقه.. أشاح بوجهه عن رفيقته، ثم أطرق برأسه.

- اسمع.. هناك سر آخر أعرفه.. كان دائم الإتصال بصديق لك ليطمئن منه على أحوالك.. لم أكن أذكر اسمه حتى أخبرتني أنت به.
- ماذا؟! (جاء أوبراين)!! كنت لأعرف خلال يومين.
- لم تضيف.. هزت رأسها له بأسى.. تريده أن يُصدّق دون أن يتألم.. وكان ذلك مستحيلا.
- نهض بصمت، فأسرعت تتبعه.. منح النادل ورقة نقدية تغطي الحساب وتزيد.. رغم حالته لم ينس أن يفتح لها الباب لتمر أمامه.. وسار إلى جوارها واجما.
- لم يتبادلا كلمة حتى توقف بالسيارة أمام (الشاليه).. سألته:
- حسنا.. هل تريد الذهاب إلى البحر الآن أم....؟
- لا.. لا.. سأعود الآن.
- تعود! تعود إلى أين؟
- إلى (القاهرة) يا (نورا).
- سحبت مفتاح السيارة من موضعه، وغادرتها لتدور حولها وتفتح بابه مشيرة بيدها..
- أخرج يا (أحمد) يا (منصور) ولا تضطرنى لاستعمال القوة.
- لم يطع بسرعة كافية فسحبته من ربطة عنقه برقة جعلته يغادر السيارة، وهو فى أكثر حالاته وهنا.
- لن تذهب إلى أى مكان سوى معى.. هل نسيت أننى غاضبة منك؟!
 - مستعد لفعل أى شئ كى لا تغضبى مرة أخرى.
- قالها همسا فمستّها، وهى تجلس فى السيارة لتغلق الزجاج.. انتظرها حتى غادرت ليسألها:
- ماذا سنفعل الآن؟!
 - أنت لن تفعل شى سوى الجلوس فى الحديقة قليلا.. سأقدم لك عصيرا، ثم أصحبك فى جولة سيرا على الأقدام.

- تبعها طائعا وحين عبرا الباب الخشبي قالت مازحة:
- مفتاح سيارتك سيظل معى حتى أسمح لك بالعودة.
 - بدا له هذا حكما بالسجن فى الجنة.. تسمر قليلا، ثم حسم أمره سائلا:
 - هل يمكنك تغيير هذه الثياب؟
 - نظرت إليه بدهشة فهز كتفه، وأمال رأسه مردفا:
 - فى حالة ما إذا كنا سنتجول بلا سيارة.. لن أسير معك وأنت ترتدين هذا.
 - ماذا؟ ماذا بها؟!!
 - ماذا بها؟! ياللبراءة.
 - أنا جادة.. هل تقصد كون (الچينز) مقصوصا؟ كنت على الشاطئ قبل وصولك بدقائق.
 - لا شأن لي بمكان تواجدك.. ما أفهمه أن عليك الاختيار ما بين كونك محجبة.. أو أن تكونى ملفتة بهذا الشكل الجنونى.
 - ملفتة!
 - كانت مستعدة للدفاع عن نفسها، ولم تنجح فى تمييز الرائحة الصادرة من صوته وإيماءاته..رائحة تزكم الأنوف..
 - (نورا).. ظهور عنقك وجزء من كتفيك يكفيان للتعارض مع إخفائك لشعرك.
 - كتفاى ليسا ظاهران على الإطلاق.
 - (البلوزة) ليست محكمة من أعلى يا صغيرتى.. أعرف أنك ترتدين (Body) قطنى أسود بحمالتين.
 - كان وجهها الآن متوردا.. متحفزة كقطة.
 - هيا يا (نورا).. كفى عن العناد.. لقد أدتِ الرؤوس بمجرد دخولنا المقهى.

- لا أحب أن يتحكم بى أحد.. وما الذى يجعلك تحدد فى (بأدى) أسود بحمالتين.. آه.. ونسيت.. من القطن؟
- أراد أن يضحك حقاً.. كبح ذلك قائلاً:
- لم أصدق فيك.. وذلك ببساطة لأننى أحب السمراوات.
- كم كان كاذباً! فى الجزء الثانى من قوله فقط للإنصاف.
- إذن لا شأن لك بى.. أنت حقاً مستفز.. خذ مفاتيح سيارتك.. ها هى.
- لم ينجح هذه المرة فى عدم الضحك، وهو يلتقط مفاتيحه التى ألقاها له، واستدارت تدلف إلى (الشاليه).
- شيّعها بقوله:
- سأنتظر.. ليس لدى أى رغبة فى الرحيل الآن.
- انتظرها بالفعل.. لخمس وعشرين دقيقة.. وحين عادت كان قد غلبه النعاس على فراش الاسترخاء الخاص بها.. كان كعهداها به منذ رأته.. يجعلها تختبر أحاسيساً جديدة تماماً.. تسمرت قربه بكأس من العصير شاعرة بنوبة حارة من المشاعر لطمتها وتركت جسدها مقشعراً.
- اعتدل بغتة مستيقفاً، وأنزل قدميه أرضاً..
- لا تقولى أننا فى الصباح التالى.. اعتقدت أنك نسيتينى.
- قدمت له المشروب..
- لازلنا فى نفس اليوم.
- كانت ترتدى سروالاً أسوداً، وقميصاً مقلماً طويلاً وعرضاً.. ليتملئ بمستطيلات من درجات لونية تابعة للأخضر يتخلله بعض الأصفر.. حجابها كان يحيط وجهها تماماً.. أصفر بدوره.. واستبدلت الصندل ذو الكعب العالى بحذاء أسود خفيف يشابه الخاص برقص (الباليه).
- حسناً.. إما أنها تعجبه حتى النخاع، أو أنه توقع أن ترتدى جلباباً.. لكن الأكيد أن البنطال والقميص كانا يظهران كم هى يافعة ومتناسقة.

سحبت مقعدا وجلست قربه.. لن يخبرها أن رائحتها هي ما أيقظته.. إنه يعرف عطورا نسائية كثيرة، ويحفظ أسمائها.. لكن شذى هذه الأنثى لا يمت لمعارفه كلها بصلة.

تسائل باسمها فى خفوت:

- حسنا.. ما هى خططك؟

بدت راغبة فى شئ.. توقف الكلمات فى حلقها.. مفضوحة جدا كطفلة..
سألها:

- ماذا تريدين؟

- دعوتك على الغداء.

- موافق.. بشرط وحيد.

فرحت لكنه أكمل:

- أن أدفع أنا.

ضحك للأثر الذى خلفه قوله على ملامحها.

- لماذا تشعرنى و كأن دعوتى لك على شئ فيها انتقاص من قدرك؟

- هذا ليس صحيحا.. كل ما هنالك أنه لن يشعرنى بالراحة.. ربما عقدة

نفسية من بين العقد المتناثرة فى أعماقى.

- لكن هذا ظلم.

- وأنا لم أدع العدل.

استغرقت ثوانى لابتلاع الأمر، ثم قالت بشبح ابتسامه:

- حسنا.. كلمنى عنها.

- من هى؟

- عقدك النفسية.

- تقصدين أننى مريض.

- أنت من ذكرت ذلك.. وكلنا لدينا عقدا.

- حسنا.. واحدة بواحدة.. بمعنى أن أذكر لك واحدة لدى.. فتذكرين لى واحدة لديك.. وهكذا.

ربما شعورها بأن بالأمر لعبة ما هو ما أبهجها.

حاول خداعها بأن تبدأ هي.. فكادت، ثم ضحكا.

صارحها بأنه متشكك جدا.. فى العمل و الإنسانية، والعلاقات.. هو شخص يصعب إقناعه، وإذا ما اقتنع.. فهو يفعل ذلك لفترة.. لا مسلمّات لديه سوى إيمانه بوجود (الله)، وما يتعلق بدينه ومعتقداته.

لم يبب لها هذا غريبا.. بل وجدته ملائما له بشكل ما.. الشخص الذى لم يستمتع يوما بالحنان الغريزي من أحد والديه.. لن يمنح ثقته لأحد بسهولة.. بدا لها هذا منطويا.. قال من قبل أن كل من قابلهم هنا يهادنونه لمصالحهم.. بل ومنذ قليل لم يبب مصدقا أن أباه يحمل نحوه أى مشاعر!

تحدثت هى كحكيمة زمانها:

- حسنا.. الشك هو داء العصر.. من الصعب أن تمنح ثقتك لأحد.. وكلنا حين نفعل نخشى أن يخون الآخرون ثقتنا بهم.. لو عانيت من هذا بضع مرات فسيلازمك الخوف طوال عمرك.. لهذا أضع الحدود دائما فى علاقاتى مع الآخرين.. أشعر أن المرء يحتاج لدائرة وهمية تحوطه، ولا يسمح بدخولها سوى لأناس بعينهم.

- انتظري.. تلك (نورا) الحكيمة.. لم ألتقيها مسبقا.

- ما هذا؟ انتظر أنت.. أنا معقّدة مثلك.

ضحك لصدمتها، وإتساع عينيها..

- أنت من قالت أننا جميعا لدينا عقدا.

- لكننى لم أكن أعرف أننى مريضة بالشك.. أنت من نبّهتنى لهذا.

- حسنا.. يسعدنى أن فقدت حماسك بخصوص موضوع العُقَد هذا.

- كان بإمكانك طلب تغيير الحوار دون إعلامى بأبنى معقدة.

- يقولون أن المرضى النفسيين ينجذبون لبعضهم.

- يا فرحتى!

كان (أحمد) سعيدا بحق.. يضحك من قلبه، وكأنه جاء إلى هنا لغسل همومه.. أراد أن يرفه عنها فدعاها للتمشية، وبدا الوقت وكأنه يتعجل الرحيل. تمشياً بلا هدى.. وجدا نفسيهما فى سوق صغير لبيع المنتجات المصنوعة يدويا فبدا لـ (أحمد) أن عليه بذل الجهود للسيطرة على حماس رفيقته التى بدأت تنشط فى تفحص المنتجات.

لأول مرة فى حياته شعر أنه يرغب فى إهداء أحد شيئا بشكل مرضى.. لو لم يهدا شيئا الآن قد يعانى الحكمة والعطاس.

توقف قليلا لدى بائع شاب انتقى من عنده مبخرة تايلاندية الصنع على هيئة تينين.. توضع عيدان البخور فى حلقة، وينفث دخانها من فمه المفغور.. أخذ أيضا مرآة صغيرة لها إطار وحامل من الخشب المطعم بالنحاس.

عندما استدار لمتابعة (نورا) وجدها قادمة نحوه.. طالبته بنقود لشراء شئ.. وجد نفسه يعطيها كل المال الموجود بجيبه فى يدها دون تفكير.. هذا أيضا شئ يفعله لأول مرة، وحين عادت إليه وهى تمسك بطبق خشبي عليه مجموعة من الأفيال السوداء والبيضاء أدرك أن حركة المال تلك مسنّتها هى الأخرى.. فقد انطوت على حميمية ودفء رغم بساطتها.

لم تشكره سوى بعينيها.. استرد المال ودسه فى جيبه، ونسى إخبارها أن ما يحمله فى يده هو لها.. عاودا السير والتحدث.. عمّا يحبانه، وما يكرهانه.. فلم يتفقا فى كل شئ.. لكن التعارضات كانت طفيفة.. وعن الذكريات، والمفضّلات فى الكتب والأفلام.. العربية والإنجليزية.

ضلاً الطريق.. هذا أكيد.. لم تكن (نورا) تحفظ مخطط القرية.. وحين وصلا لسورها شعرا وكأنهما بلغا الحدود المصرية الليبية من كثرة السير. عادا من طريق آخر، والأمر لا يشغلها فى المطلق.

- أخبرنى عن أكثر من تفتقده فى حياتك.. كان موجودا ولم يعد.

- حسنا.. أمل أن غيابه مؤقت لأننى أتوق لرؤيته.

- آه.. هناك إذن.. فى (سان دييجو)؟
- ضايقها أن يكون هناك من يفتقده (أحمد)، وشعرت بكرهية لهذا الصديق دون معرفته.
- حين أفادها بالإيجاب.. سألته:
- ذكر أم أنثى.
- ذكر.
- غريب.. لم تذكر شيئاً عن أصدقاء بخلاف (جاءك).
- أخرج هاتفه، وعبث به لثوانى، ثم أعطاه لها..
- هذا (كوپر).. أخلص صديق حظيت به.
- كان (كوپر) كلب ضخيم من فصيلة (أكيئا).. أمريكى.. شعره بنى باهت، وينظر هو و(أحمد) إلى الكاميرا وهما على الأرض، وقد لطحهما الطين.. الكلب كان جميلاً، والصورة مبهجة، ووجدت (نورا) أن كراهيته صعبة جداً.
- عبّرت عن إعجابها به، وكأنه طفل جميل.
- هو ليس ودوداً مع الغرباء.. بخلاف المفترض فى نوعه.. أنا وهو اعتدنا الوحدة.. وعلى الأرجح هو أيضاً لا يثق فى أحد بسهولة.
- هزّت (نورا) رأسها شاعرة لأول مرة أنها و(أحمد) متشابهان فى العديد من الأمور.
- (علا) هى أكثر من تفتقدونها.
- ماذا؟ كيف عرفت ذلك؟ لم أتحدث عنها معك.
- أحسست بهذا حين أخبرتيني سابقاً عن وجودها فى (الكويت).
- أحببت شعورها بإهتمامه، وتذكره لكلامها، وتكوينه آراء شخصية صائبة عنها.
- وصلاً (الشاليه) بعد التاسعة مساءً.. حين دلف إليه شعر أن كان بإمكانه تمييزه ولو أدخلوه ألف (شاليه) آخر.. لمسات (نورا) وروحها كانوا يُحلّقون فى الأجواء.

بقيا فيه لربع الساعة، وأخبرها أن ما اشتراه من السوق كان لها.. بدت سعيدة جدا بهديته.

نفست عن كل سعادتها الداخلية فى الهدية لو جاز التعبير.
استقلًا (المرسيدس) إلى منطقة المطاعم حيث تناولوا غداء متأخرا من وجهة نظر (نورا).. عشاء من وجهة نظر (أحمد).

- لو اعتبرتيه غداء.. فهذا يعنى أنك ستأكلين مرة أخرى هذه الليلة.
- ولم لا؟ أنا لم أتناول غدائي.. إذن هو غداء متأخر.
- يا جميلتى الوجبة التى لم تتناولوها سقطت من اليوم.. ما تقولينه يعنى أن شخصا لم يأكل ليومين فعليه فى الثالث أن يأكل ست وجبات.
- تسعة.. نسيت وجبات اليوم الثالث نفسه.
ضحك وظل مبتسما حين إتهمته أنه يعطى الأمر أهمية زائدة متأثرا بمواعيد وجبات الأمريكيين ونمط معيشتهم.
فى النهاية لم تكن الوجبة جيدة.. لكن ذرة من متعتهما لم تقل.. لم تكن (نورا) تريد لليوم أن ينتهى أبدا.

- عاوزة أروح البحر.
- ماشى.. بس نعدى على (الشاليه) نجيب لك (چاكت).. اهو شكله جامد.
- لأ مش عاوزة.. خذ إننى (الچاكت) بتاعك، وما تشغلش بالك بيا.
كان يضحك ويسخر منها بعد قليل على الشاطئ، وهما يقفان فى مواجهة هواء بارد حقا، وكان (أحمد) قد أحضر سترته من السيارة تحسبا كى يعطيها لرفيقتة التى وقفت متفاجئة تنظر إليه.. كان الهواء سريعا جدا يعاندها أثناء السير، ولم تستغرق وقتا لتدرك أن قميصها غير كافى.

- وتقول لى ما تشغلش بالك بيا.. وحسستينى إنك (Bionic Woman).
- أنا.. ما كنتش فاكرة.. بس عادى.. أنا هستعمل.

كانت ابتسامته مشعة وهو يضع سترته على كتفها مقاوما رغبة عارمة فى أن يجذبها بها إلى صدره.. راقبها وهى تسعى لإدخال ذراعيها فى كمى السترة..

- ما فيش معاس أصغر؟

رغم أن حلتها (slim).. بدت السترة واسعة بشكل كوميدى على كتفى مرافقته. أنهت السباحة بداخلها، وبدت سعيدة بظهور كفيها أخيرا..

- طيّب وإنْت؟ تعالِ نرجع (الشاليه) نجيب لك (چاكت).

هربت بعينيتها من ابتسامه الحب على محياها..

- بسن ع نحتاج إبره وفتلك.. واحده مشن ع نفع.

سارا معا، واخترقا الرمال الكثيفة الناعمة حيث تحتاج الخطوة جهدا.. كانت الإضاءة خافتة والناس قليلون جدا.. زوجين من العشاق هما ما ظهر من أحياء على مدى البصر.

- تجيب نُفعد؟

- مشن عارفه فى إيه فى عينى.

كانت تدعك عينها بقبضتها كما الصغار.. جلست على ركبتيها ففعل مثلها.

- بملن دخل فيها رمل.. إنتى كده ع توجعها أكثر على فتره.

سحب يدها من كم السترة فرأى عينها محمرة، ولا تستطيع فتحها طويلا..

- واجعانى أوى.

- أنفخها لك؟!!

لم تصدق ما قال.. انفجرت ضاحكة..

- إنت قديم أوى.. مشن مصدقك لجد.

ضحك بدوره، ثم دافع عن نفسه:

- كانت زى السحر وإحنا صغبرين.

ختمت ضحكتها بأهه ألم فاقترب منها، وأضاء كشأفا فى هاتفه..

- ورنى كده.

استسلمت له.. أجبر جفنيها على فتح عينها اليمنى بسبابته وإبهامه، ولم يصوب الضوء فى عينها بشكل مباشر.. رأى شيئاً ضئيلاً يسبح أمام قرنيته.. تأوهت لكنه سعى بحرص على التقاط الشيء الدخيل فوق جفنها السفلى.. وحين فعل سحبه بطرف إصبعه.. أخرج منديلاً من جيبه ومسح به عينها، وتشنج ذراعيها يبدأ فى التراخي..

- خلاص كره.. غمضها شوبه.

وقبل أن تفهم أمسك برأسها من الخلف وطبع قبلة على جبهتها، ثم تراجع. فتحت عينها اليسرى ونظرت إليه.. من المذهل تأثير لمسة كهذه حين تختبرها لأول مرة.

- أنا آسف.. لقد خرقت معاهدة المساحة الشخصية.

أومأت برأسها إيجاباً، فسألها وهو يتمتع بمشاهدة ردود أفعالها:

- هل أستحق عقاب ما؟

أبعدت المنديل عن عينها، ورمشت بها عدة مرات قبل أن تجلس بشكل طبيعى، وتهز كتفها..

- ليس وأنت طيباً هكذا.

ثم استدركت بسرعة:

- ولكن هذا لا يعنى أن تحاول تكرار ذلك ثانية.

- أنا آسف.

أعادت ظهرها للخلف ورقدت محدقة فى السماء فحذا حذوها محترماً صمتها حتى قالت:

- لا أعلم لماذا تذكرت أبى الآن بهذا الشكل.. ربما بسبب ما فعلته، وربما

لأنه آخر من نفخ عيني يوماً.

اعتمد (أحمد) بمرفقه على الرمال الباردة، وأسند رأسه إلى راحة يده، ونظر إلى وجهها..

- عليه رحمة (الله).. تذكرينه جيداً!

- طبعاً.. كنت متوافقة معه وأنا فى الثانية عشر من عمري أكثر مما أنا الآن مع أمى، وأنا فى الثامنة والعشرين!! كان يحرص على تجميعنا معا دائماً.. الوجبات، ويوم الجمعة والمناسبات.. كان رجل يحب بيته.. لم يكن يفارقنا تقريباً بعدما ترك القوات المسلحة.. أجمل سنتين فى عمري هما اللتان قبيل وفاته مباشرة.. رغم أنهما لم تكونا كذلك بالنسبة له هو بالتأكيد.

- لماذا؟

- كثرت خلافاته مع أمى.. لم تكن تهتم به، وفارق السن جعل التفاهم بينهما شبه مفقود مع التعامل المكثف.

لاذ بالصمت قليلاً، ثم قال:

- لو كان هنا لشعر بالفخر.

أملت رأسها لتنظر له بدورها..

- ما هذا الرضا؟!

- أنا راضى عنك أكثر مما تتصورين.

ظلت تطالع وجهه الذى يطل عليها بنظرة وابتسامة تبوحان بالكثير.

آلمها جداً أن هذا اليوم يمكن أن يصبح مجرد ذكرى.. لكنها فكرت أيضاً أنها تريد فى هذه الحالة أن يصير ذكرى مبهجة.. إلى أقصى حد.

- بَلَّا نُفَعُ فِي الطَّبِّهِ.

- نعم!!

كررت ما قالت، وهى تهتم بالنهوض بحماس لكنه قال مستوقفاً:

- (نورا).. الطَّبِّهِ عْ تَبْقَى تَلْجِ دَلُوقِجِ.

- تَعَالَى بَسْ.. عْ تَعْجَبِكْ أَوْجِ.

لوى فمه، ثم صرَّح:

- أه.. إحم.. من العقد النفسية اللج ما قلتهاش..

- بتخاف م البحر؟!

استرقت نظرة إليه بعد قليل.. سألته إن كان سعيدا، فأجابها "جدا" .. ضحكت، وأشاحت عنه بسرعة.. كان إناء مشاعرها قد امتلأ لآخره، وتخشى أن تبدأ تلك فى التساقط.

- أخبريني عن سبب رفضك للأزواج الثلاثة الذين رشّحتهم أمك لك.
نظرت إليه مجفلة نوعا، ثم انحنت تغترف من الماء بيدها..

- ما الذى جعلك تذكرهم الان؟

- لم أنسهم فى الواقع.

- قلت لك أننى لم أبحث عن زوج أبدا.

- لكنك وجدت بكل منهم عيبا جعلك ترفضين لقاء أيّهم مرة ثانية.

- أنت تدس أصابعك فى جراحي.

قالتها بابتسامة، فقال واثقا:

- أراهن أن أحدهم لم يهز فيك شعرة.

إتسعت ابتسامتها، وأشاحت عنه، ثم سارت بضع خطوات قبل أن تسأله
مشيرة بإعجاب إلى السماء:

- شايخ القمر؟!

- مشن شايخ قمر غرك.

نظرت إليه الآن، وقد لسعتها نبراته.. هل من الممكن أن يتركها حقا؟ يبدو
كما لو كان تجسيدا لكل ما تمنّت.. سيكون فقدانها مؤلما.. مؤلما بدرجة
مميّنة.. أترأه حلما؟!

هزت رأسها نفيا محذرة بصوت متهدج:

- لا تغازل فتاة أبدا، وأنت تقف معها ليلا داخل البحر، والقمر بدرا.

اقترب منها..

- هل سيؤدى ذلك لإصابتي بلعنة ما؟ أعتقد أننى قد أصبت بها بالفعل.

حين لاحظت أنه اقترب جدا رفعت يديها، وأرخت راحتها على صدره
العريض.. لم تدفعه لكنها كانت تقى نفسها أمرا لا تريد أن تعرف عواقبه..

- وعدتني بأن تكون مهذبا.

قالت ذلك وهى تنظر إلى يديها.. لو كان للهشاشة حالة قصوى.. فقد تجاوزتها.. وهى الآن تختبر الانسحاق.. تجربة لا قبل لها بها. ولو كان (چاك أوبراين) يراقبه الآن لصب على رأسه أقذع الشتائم صارخا به "صارحها الآن يا أغبى رجال الارض.. قلها الآن" بل وربما خرج الأمريكى عن كل قواعد اللغة وهتف به "قلها ياروح أمك" أو شئ فى هذا السياق المصرى الأصيل.

ازدردت لعابها، وكسا الارتباك نظراتها.

- حسنا.. أعترف بأننى كنت غبية جدا عندما اقترحت فكرة السير فى الماء تلك.. لقد بالغت قليلا.

سحبت يديها عنه بصعوبة، ودفعت قدميها دفعا منسحبة من أمامه.. كانت ممتنة مجددا لكونه رجلا قويا.. فهى نفسها - وهى تعتقد أنها صاحبة إرادة قوية - تكاد تنجرف تماما.

أطبقت أصابعه على كفها بغتة وأدارها نحوه مرة أخرى..

- آسف.. لو كنت مكانى كنت أيضا ستحبين النظر إلى وجهك فى ضوء القمر هكذا.. أنت جميلة جدا.

أخبرها برأيه فيها بلهجة تقريرية حارة، ولم يفلت يدها.. ظل ممسكا بها.. ودغدغ هذا أحاسيسها بنعومة مذهلة.. بالإضافة إلى أن إطرانه كان يعنى لها الكثير جدا.

- إذن.. أخبرينى عن أسباب رفضك للشبان الثلاثة.

قالها محاولا الابتسام ليتحرر من سحرها، وليبدو طبيعا قدر إمكانه.. وردت هى برقة واهنة:

- لا أعرف لماذا تهتم بهذا الأمر الليلة بالذات.. سأخبرك به لاحقا.

- قلت هذا من قبل، ثم أننى فعلت ما طلبتيه منى، وعليك الرد الآن.

أدارت رأسها متفحصة أضواء السفن البعيدة جدا البادية فى الأفق، ثم قالت:

- حسنا.. سأروى ذلك بسرعة.
- فليكن.
- حسنا.. كانت أمى تراهم جميعا ممتازون.. لقاتى بالأول كان فى فندق، وكان لديه دعوتى عشاء مجانيّتين يريد استعمالهما.. لم ينفك يذكر ذلك لـ (المتردوتيل) والندل، وكأنه يخشى أن ينسوا الأمر، ويجعلوه يدفع الحساب.. الثانى كنت أتبعه بسيارتى إلى حيث سنتناول العشاء، فوقع حادث طفيف جدا لم تصب فيه سيارته سوى بخدش صغير.. لكنه غادر السيارة، وفتح فى وجه السائق الآخر شلالا من الألفاظ النابية والبذاءات جعلنى أنطلق عائدة من حيث أتيت، أما الثالث فكنت أعبر معه الطريق وكادت دراجة بخارية أن تصدمنى.. سقطت أرضا تقريبا لأننى فرعت جدا، ولكنى لم ألمح فى عينه ذرة إهتمام، وكأن لا علاقة له بالأمر.. علامات.. أعتقد أن ربنا كان يرسلها لى مبكرا جدا.. حاول كل منهم التودد بعدها.. لكن الأمر كان قد انتهى.. من قبل أن يبدأ.

ضغطت كفه بأصابعها، وهى تبدأ فى التحرك ليعودا إلى حيث تركا حذائيهما. فهم إشارتها فلم يفلت يدها، ولم يكن ليفعل.. سارا متجاورين ولم يتحدثا إلا وهما يتفحصان الشاطئ بأعينهما بحثا عن حذائيهما.. قال (أحمد) شيئا أضحكها، وحين جدا ما يبحثان عنه توقفت (نورا) على الرمال المبللة لتجف أقدامها نوعا قبل الخطو فى الرمال الجافة الناعمة.. لكنه فاجأها بإسراع الخطى، وتركها وحيدة لثوانى وعاد يحمل حذائها بيده.. بل والأدهى أنه جثا على ركبته ليعاونها على ارتدائه!

اعترتها موجة خجل وهى تميل لنتهاه عن ذلك.. استندت إليه فقط، وحين سارت إلى جواره كانت فى قمة سعادتها..

ارتدى جوربه، وحذائه حين وصلا لأرض صلبة، وفتح لها باب السيارة كعادته، وحين استقر بجوارها قال ضاحكا:

- يبدو أن ما تناولناه كان غداءً متأخراً بالفعل.
ضجاً بالضحك، وكأنهما يفرغان به توترهما.
سألها وهو يتحرك بـ (المرسيدس):
- هل سنجد من يقدم لنا طعاماً الآن؟
- أعتقد ذلك.. لا تزال القرية مزدحمة.. العام الدراسي لم يبدأ في
الجامعات بعد.. قد نجد بعض الخيارات أيضاً.
كان الخيار الوحيد هو الفطائر، وأكلاً في السيارة..
ألقى (أحمد) نظرة على الساعة وهما في الطريق إلى (الشاليه)، ثم قال:
- سأحتاج فقط لقدم من (النسكافيه)، ثم أرحل.
لم ترد، وغرقت في بحر مشاعرها لو جاز التعبير.
دلغا معاً إلى (الشاليه).. لم تستطع القول أنها ستعد له ما طلبه.. بل وشعرت
بكرهية نحو كل أنواع القهوة.
حين قال أنه سيتوضأ ويصلى أضائت مصابيح الحديقة وخرجت للجلوس
بصمت.
استغرق وقتاً.. وكانت هي تسترق النظرات إلى الداخل عبر الباب الخشبي
المزود بشبكة لحجب الحشرات.
وحين لمحته يدخل إلى المطبخ الصغير خفق قلبها بعنف.. نهضت لتدخل
وتتبعه، وحين همت بدخول المطبخ سمعت موسيقى تعشيقها تصدر منه..
التفت (أحمد) إليها وابتسم بخفوت..
كان جهاز الـ (MP3 Player) الخاص بها في يده.. ضغط زر (Play) ليستمع أثناء
انتظار الماء ليغلي.
"أنت صديقي دائماً.. شخص أستطيع التحدث إليه"
وضع الجهاز على الطاولة مرة أخرى، وظل ينظر إليه.
"أنت صديقي دائماً.. شخص أستطيع الرجوع إليه مرات عديدة.. حين ينهار
عالمي"

أزرد لعابه، ورمش بعينه عدة مرات.
"أنت صديقى دائما.. شخص أستطيع الإيمان به"
التقط قدحا من المعلّقين من أيديهم بجوار الغلّاية.
"أنت صديقى دائما.. شخص أحتاجه بشدة.. حين ينتهى كل شئ.. أستطيع
الاستناد إليه كلما احتجته"
أفرغ مغلّف القهوة فى القدح.
"نحن أصدقاء من البداية.. أحببت طريقتك فى الابتسام لى"
ابتسم والتفت إليها.
"الأ ترى أننى أفوز بأمنيّتى الوحيدة.. أننى سأكون ذات يوم.. صديقك دائما..
شخص سيحبك دائما"
اقتربت منه، ووضعت كفها على ساعده برقة بينما الأبرة تتصاعد من فوهة
الغلّاية.
"صديقك دائما.. شخص سيستحقك دائما.. من البداية.. كلانا معا.. نحن
الاثنين إلى الأبد"
أطفأت الغلّاية بإصبعها، ثم دفعت القدح قليلا.
"أرى فيك الحب الذى تراه فى.. لذلك إبق صديقى دائما، ودعنى أكون
صديقك دائما"
- لن أتركك تنصرف.
قالتها هكذا.. قوية.. مؤثرة.. لم تقترح مثلا أو تُبدى رأيا، ثم أضافت:
- لم تحصل على قدر من الراحة.. لن يمكنك السفر هكذا.
- ولكن..
- لن يحدث ذلك يا (أحمد).. تعال.. سأريك شيئا.
سار خلفها إلى (الريسيبشن) حيث أشارت إلى الأريكة الخشبية الموجودة..
- يمكن تحويلها إلى فراش.. ولدىّ البياضات والوسائد.

كان يصعب جدا عدم التأثر بحسبها وإهتمامها.. المرة الوحيدة منذ عرفها التي تبدو فيها غير قابلة للنقاش.. والسبب أشعره بإمتنان حقيقى.
تحركت هى إلى غرفة النوم الوحيدة بينما شرع هو فى سحب الفراش من داخل الأريكة..

الفكرة بدت مزعجة لها فى البداية.. أن تنام وهو على بعد بضعة أمتار.. تحت سقف واحد.. لكن إتخاذها القرار فى النهاية أشعرها بالراحة.. وبدا أنها تستطيع الثقة بـ (أحمد).. ربما أكثر من نفسها.
قضايا الساعة التالية فى تسامر لم يكن لينتهى لولا أن نهضت هى بحجة أن تتركه يستريح..

- إذا استيقظت قبلى.. أوقظنى فورا.

لم يكن يريد لها أن تتركه لكنه لم يقل شيئاً.. وحين أغلقت باب غرفتها ظل يتطلع إليه لثوانى.. قبل أن ينهض ليطفئ الاضواء، ويعود متلمساً طريقه ليستلقى على الفراش.

قامت هى بتغيير ملابسها، وإنسلت إلى فراشها شاعرة - رغم تعبها - بأن النوم صعب المنال.. حين عاد ذهنها لاسترجاع أحداث اليوم بدا هذا طويلا جدا.. ورغم ذلك كانت تأمل ألا ينتهى.. تأرجح تفكيرها بين بعض اللحظات الخاصة فى الساعات الماضية، ثم استقر أخيرا عند النقطة التى أثارها (أحمد) فى ساعتها الأخيرة معا.. لم تفهم هل اختار هذا التوقيت بالذات للحديث عن أمر دينى لأسباب معينة؟ أم أن الحديث جاء من دون تجهيز أو استدعاء مسبق؟ لكن الأمر بدا لها مميزا جدا.. المرة الأولى فى حياتها التى ينصحها فيها أحد بالصلاة.

دقائق وسمعت مؤذن القرية يهتف أن (الله أكبر).

ظلت متسمره حتى انتهى الأذان، ثم غادرت الفراش.. أنصتت عند الباب فلم تميز شيئاً.. ارتدت عباءة وطرحة، وغادرت متسللة..

كان الفراش الاحتياطى خاويا، وضوء وصوت مياه يأتیان من الحمام.

نادت من دون أن تقترب:

- (أحمد) .. ع أصلي معك.

لم يجيبها لكنها كانت واثقة من أنه سمع.. ظهر بعد ثواني مبتسما بإشراق ،
والماء يتقاطر من وجهه.. ابتسمت بدورها، وحين دخلت الحمام أغلقت الباب ،
وغابت لدقائق قليلة.

صلّى بها الفجر، وحين انتهيا لملما غطاء الفراش الذي بسطاه أرضا، وجلس
(أحمد) متربعاً و حكى لها عن (آدم) - (چورچ) سابقاً - الأمريكي الذي اعتنق
الإسلام، وصار أكثر بشاشة.. الرجل الذي بدأ يحدثه عن الإسلام فبدا وكأن
ضيفاً يرشدك لمكان شئ في بيتك.. فى البداية لم يأخذه (أحمد) على محمل
الجد.. لكنه ألهمه مع مرور الوقت.. ودفعه دفعا للقراءة والبحث.. كلمة
(مسلم) تمت إضافتها إلى هوية وجواز سفر (آدم)، وتم تفعيلها فى حياة
(أحمد).. كان كل شئ فى البداية صعبا كتحريك الجدار.. لكن هجر بعض
الأمر أعطاه طاقة إيجابية مدهشة، وأكسبه ارتياحا نفسيا قد لا يبدو
مفسرا..

- لست قوى الإرادة.. أبذل جهودا أحيانا تكون مضمينة كى لا تزل قدمى
مرة أخرى.. لكننى راضيا عما وصلت إليه.

من الصعب جدا على أى شخص أن يدرك مدى بساطة (أحمد).. حتى ممن
يتعاملون معه بشكل يومى.. نهض واقفا وعلى محياه بسمة تحبها، وسألها:

- أصدقيني القول.. هل (راى تشارلز) هو من أبقانى هنا؟

ضحكت تلك الضحكة التى يظهر فيها بياض أسنانها.

- حسنا.. رغم أن كلمات الأغنية بدت معبرة بشكل مذهل.. لكن (والله)
العظيم كنت قادمة لأقول لك ابق.

هز رأسه يعنى أنه يصدقها، وظلا واقفين يتحدثان لبعض الوقت.. بدأت
بعض الضياء تغزو الكون من حولهما.

- أفكر فى العودة معك إلى (القاهرة).

- حقا!! ولكن أخشى أن أنتزعك من أصدقائك.
- أصدقائي!! آه.. لقد ذكرتنى.. (يوسف) سيأتى اليوم.
- هز رأسه إيجابا مصطنعا ابتساما بدت مزرية جدا.. بينما تابعت هى مفكرة:
- حسنا.. ربما أعود غدا فى هذه الحالة.
- عاود الإيماء، ولكن بلا ابتساما هذه المرة.. ثم قال:
- كنت أفكر فى النوم لأربع ساعات مثلا.
- نم كما تحب ، ولكن أوقظنى فور استيقاظك.
- هز رأسه ، وبدا أنه لن يجيب، ثم قال بفتور:
- إن شاء (الله).
- أشارت له بيدها وداعا بشئ من الطفولية ففعل مثلها.. ابتسمت ثم استدارت إليه قبل أن تغلق باب غرفتها عليها.. قالت بنبرة سعادة:
- (يوسف) عمره سبع سنوات.
- وأغلقت الباب.
- الأكيد أنهما لم ينجحا فى النوم مباشرة.. لكن حين فعلا كان وجه كل منهما يحمل ابتساما صافية.
- استيقظ (أحمد) فى العاشرة، وأعاد ترتيب المكان، وارتدى حذائه وساعته، ثم وقف يعد مشروبا ساخنا.. بلل وجهه ببعض الماء، وأدرك أنه لم يعر هاتفه إهتماما منذ جاء إلى هنا بالأمس، ولم يفكر فى تفقد بريده الإلكتروني كما يفعل كل ليلة.. نظر إلى باب غرفة (نورا)، وتنهى بعزم.. طرقه بعد دقيقة ثلاث مرات، ووقف مفكرا لثوانى، ثم عاود الطرق.
- جاؤه جوابها رقيقا ناعسا لكنه كان واثقا أنها تحركت بسرعة لتفتح الباب وقد ارتدت عباءة وطرحه الأمس.. أم هو فجر اليوم!
- خلاص ح ششى؟
- سألته وكأنها تشعره بالذنب.. حين هز رأسه ألقته سؤالا آخرا:
- أعمل لك (Sandwich) أو حاجه تشر بها؟

- لأ.. عابرك تكلملى نومك.

صمت لثوانى، ثم أقر:

- (نورا).. إبداع كان أجمل أيام حياتي.

انتابت قلبها نوبة نشاط زائد فبدا وكأنه يتأرجح داخل صدرها..

- وأنا كمان و(الله).

غَلَّفَهما السكون لثوانى، ثم قرر هدم خيوط الشجن العنكبوتية بابتسامة واهية..

- بقول لك.. إنتع مشنح تقبلى عرض (الراسي).. صح؟

اندهشت للحظة، ثم غضبت..

- فشنح أرد عليك.

- أنا بسح....

- كفاياك شك بقى.. يا مُعَقَّد.

ضحك بخفوت..

- حسنا.. إتصلى بى إن احتجت شيئا.. وإتصلى بى عند استيقاظك.

- سأتصل بك بعد قليل.. لكن لا تسرع كثيرا.

هز رأسه باسما ثم مد يده يلتقط كفها، ورفعها إلى فمه.. قبلها مرتين أيضا هذه المرة لكن بشعور جارف وواضح لا يمكن الحيرة بشأنه، أو الارتباك فى تفسيره، وردت هى بأن رفعت يدها الأخرى لتحتضن كفه بعاطفة تستعصى على الوصف.

إتبعته إلى الخارج، ووقف هو عند الباب الخشبي القصير..

- خلى بالك من نفسك، وبوسى لى (يوسف).

ابتسمت وهزّت رأسها، ورفضت الدخول.. وقفت بجانب باب سيارته وقد استقر هو فى مقعده.. بدا المكان كقرية أشباح.. لم يستيقظ أحد بعد.. مظهر الحياة الوحيد فى ذلك العامل الذى يمر على السياجات الشجرية بألة

لها صوت تنفث دخانا نفاذ الرائحة.. كان يسعى لإيقاظ النائمين بصوت آتته، أو قتلهم برائحة المستحضر الذي ينفثه بسخاء.. أيُّهما أقرب.
منح (أحمد) مضيافته ابتسامه دافئة حين استنطقته النصف الثانى من شهادة المسلمين، ورحل بسيارته مبتعدا.. التقط هاتفه من جيب في (التابلوه).. وجد مكالمتين من مكتبه.. إتصل فقالت سكرتيرته أن مُحضرا من المحكمة قد زار الشركة، وأراد التحدث إليه شخصا.

- ألم يقل شيئا عما يريد؟
- كلا يا (أحمد) بك.. طلب رقم هاتفك الخاص، ولم أعطه له.. قال أنه سيعود غدا.
شكرها و أنهى المحادثة.. وتلقى أخرى وهو يقترب من منتصف الطريق تقريبا..

- (أحمد) بك.. كيف حالك؟
كانت لهجة الرجل توحى بأنه صديق.
- بخير.. من يتحدث؟
- مع سيادتك (شاكر حمدى) المحامى.. سيادتك لا تعرفنى.. لكن أنا أعرفك جيدا.. كنت أريد لقاء سيادتك للتحدث فى أمر هام.
- فليكن.. يمكنك تشريفى بالشركة غدا فى العاشرة.
- لا يا (أحمد) بك.. الليلة سألاقيك بالفندق.. سأمر بك فى الثامنة مساء.
تقارب حاجبا (أحمد)، ثم قال:

- لا أعقد مقابلات بالفندق.
- يا (أحمد) بك.. الموضوع لا يحتمل التأخير.
كانت نبرة الرجل الآن تحمل رائحة لم تعجب (أحمد)، ثم أنه أردف حاسما.
- موعدنا فى الثامنة.. مطعم (خان الخليلى).. آه.. ولا تزد السرعة كثيرا لأن هناك كمين مرورى بعد بضعة كيلومترات.. تصل فى أمان (الله).
يا (باشا).. سلام يا (باشا).

ألقى (أحمد) نظرة على الهاتف ثم ألقاه على المقعد المجاور شاعرا بالتوتر..
أغرب محادثة تليفونية تلقاها فى حياته كلها تقريبا.
حين رن الهاتف مرة أخرى كانت تلك (نورا) تطمئن عليه.. بعد جملتين فحسب
سألته إن كان هناك ما يزعجه.. صمت لثوانى، ثم ضغط زر أضواء الانتظار
مُهدِّئاً سرعته..

- لا شئ يا (نورا).. هناك كمين مرورى أمامى فحسب.

وصل الى بوابات (القااهرة) فى زمن قياسي، ولم يستسلم لإغراء قرب
الفندق منه.. واصل الطريق المزدحم إلى الشركة.. تنتاب المرء حالة من
التوجس حين يشعر أنه مراقب بشكل ما.. عدد السيارات التى تفحص ركابها
بعينيه كان كبيرا، ولم ينجح فى الاسترخاء على مقعده فى المكتب حيث
قضى ثلاث ساعات.. أنهى بعض الأعمال وفحص بعض الأوراق، وانصرف..
عاد الى الفندق فى الخامسة تقريبا، وتوجه إلى غرفته مباشرة.

قضى الساعات الثلاث التالية، وأعصابه مشدودة.. لم يستمتع بمحادثة (نورا)
رغم أن صوتها كان باعثا على البهجة.. ومنحت هاتفها لـ (يوسف) الذى شعر
(أحمد) أنه هجأ، أو قاطع طرق، وليس طفلا فى السابعة من عمره أبدا.

- يا إلهي! من كان هذا؟

ضحكت حين سألها بعدما استعادت الهاتف..

- لن يمكنك تخيل كم هو لطيف.. رغم أنني أشعر فى بعض الأحيان
أننى ألعب مع بلطجى.

أنهت المحادثة صاغرة بعد قليل لأن (يوسف) كان يصرخ فيها أمرا، والتمس
(أحمد) لها العذر تماما.. فربما فتح (يوسف) مطواته مهدداً أو شئ من هذا
القبيل.

فى الثامنة دلف إلى المطعم المقصود وجلس إلى طاولة صغيرة.. لم تمض
دقائق حتى رأى رجل ثلاثينى قصير القامة يرتدى حلة بلون سكرى، وربطة
عنق كثيرة الألوان.. ابتسم واقترب منه بحقيبة (Samsonite) سوداء..

- (أحمد) ييه.. مسنّيني بغالك كثير؟

لم يقف (أحمد) لكن صافح اليد الممدودة ببرود، ولم يجب.. وبدأ أن الرجل لا ينتظر جواباً فقد جلس واضعاً حقيبته بجوار قدمه، وأشار للنادل ليطلب منه قدح شاي، وقائمة الطعام..

- لا مؤاخذه يا باشا.. أصلح جى من الملتب.

- عايزني في إيه؟

- ع تعرف كل حاجة يا باشا؟

طلب طبقاً من المشويات، وألقى نظرة على المشهد الملوح من النوافذ ثم قال:

- (اللذ).. مصر جميلة أوى.. (أمريكا) حلوة كده يا باشا؟

ابتسم (أحمد) وهز رأسه بكلل، ثم مال حتى التصق صدره بالطاولة وقال:

- اسمع يا (شاكر) أو أيا كان اسمك.. أنا مشن فاضح لك.. هات اللي عندك

علشان أنا مشن طويل البال زي ما إنت فاكِر.

أمال الرجل رأسه مانحاً محدثه أجمل ابتساماته، وأكثرها لزوجة..

- ماشي يا (باشا).. أنا مقدرّ إن سعادتك راجع من السفر النهارده، ومرهوق

أكيد.

ختم عبارته، وأخرج علبة سجائر أشعل إحداها، وشكر النادل الذي قدّم له الشاي.

شرع يضيف السكر، وهو يقبض على طرف السيجارة بشفتيه قائلاً:

- مناقصة وزارة الإتصالات.

قلّب قدحه وكأنه جالس في مقهى بلدى، ثم سحب نفساً من سيجارته، وتابع:

- شركات قليلة أوى في البلد اللي عرفت تتقدّم للمناقصة دى.. شركات

قدرنا نحدّدها قبل ما يتم الطرح حتى.. إنت عارف أكيد إن السوق في (مصر)

مش في أحسن حالاته اليومين دول.. الكلك في مجال الرعاية يراهن على

قنوات التليفزيون، وموسم مسلسلات رمضان.. وبعض الشركات - بعيد عن

السامعين يا باشا - لا مؤاخذه جابت جاز.

رشف من شايه و إمتص بعض (النيكوتين) قبل أن يستطرد:

- اللّجى درس الطوضوع قبل تقدّم عرضه فى الطناقصة.. ما خطرش فى باله إن شركتكم لبرها أى فرص فى الطناقسة.. ماتر علسن منى با باشا حسابكم محجوز عليه، والوالد ربنا بشغبه كان دايما بيقدّم أسعار نار، بسن رغم ده كله، ورغم حجم السيولة اللّجى الطناقسة محتاجاها.. قدتم عرضكم، وبسم (الله) ما شاء (الله).. سعادتك مختلفه خالص عن الوالد فى قصة التسعير.. حظيت أسعار خرافية.. أنا لو الطوضوع بايدى أرسى الطناقصة عليكم من غير فتح مظاريف حتى.

كان ما يقوله الرجل الآن ينطوى على خطورة كبيرة.. كان يقول لـ (أحمد) أن بشركته من يسربّ الأسرار والمعلومات.
تراجع (أحمد) بظهره فى المقعد فى حين أنهى الرجل مشروبه و سيجارته، وواصل بلهجة أكثر جدية:

- جلسة فتح المظاريف يوم الاثنين الجى، وفى ناس با باشا صبرفوا كثير علسان بضمفوا العطا ده برسى عليهم.. ومستعدّين بصبرفوا كمان.. سعادتك عارف الطكاسب اللّجى ملّكن تبجى من تعاقد زى ده.. فلكاسب مضمونة.. عند الحكومة.
- وطا هما صبرفوا كثير.. أنا إيه المظلوب منى؟

تبادل المحامى الشاب النظرات مع الجالس أمامه، ثم عاود التودد:

- (أحمد) بيه.. إنت راجل ذكى وناجح.. عندك شركتك فى (أمريكا)، واللّجى عايزين الطناقصة دى ناس لبرهم وضعفهم فى البلد.. ربّهم.. تسترّج.

صمت ثوانى ليدع كلماته تؤثر فى (أحمد) قبل أن يصف رافعا حقيبتة على طرف الطاولة:

- أنا هنا علسان أقدّم لسبادتك عرض.

أخرج من حقيبتة صكا قدّمه لـ (أحمد) الذى لم يلتقطه.. لكنه تبين مبلغه ذا الست أصفار، واسم صاحب الحساب.

- أظن المبلغ يطفى حسابكم الفترة اللّجى فاتت، وبله أزمّة الالتزامات الطادية لكّام شهر جاين.

أنزل يده، وديس الصك أسفل كأس مياه أمام (أحمد)..

- أنا مشن متغائل إنك ما أخذ توشن.. بسن عموما أهو.

التقط (أحمد) سكين الطعام وبدأ يعبث بها بين أصابعه، وهو لا يزيح عينيه عن عيني مرافقه الذي وصل طعامه، فقال لينهى مسألة الصك:

- الشيك بتاعك بسن بشرط واحد.. تصرفه بكرة، أو بالكثير بعد بكرة.. لو ما حصلته ع يعرفوا إنك مشن عايز تحلصن الطوضوع.. فالوها إزأى.. آه.. ودعى.

ابتسم (أحمد).. ما باغت المحامي..

- ده عرض، وتهدد كمان.

بدأ الرجل فى تناول طعامه قائلا بلا مبالاة:

- و(الل) يا باشا أنا مجرد رسول.. بلغتك اللي عندي.. بسن لو عايزن أقول لك حاجة بيني وبينك بقى.. إنت لازم تقبل.. لازم تحلصن القصة بسرعة.. الناس دول مشن صغبرين.. دول حيتان يا باشا، والحيتان بتاكل السمك الصغبر زى ما إنت عارف.. وما أظننن واحد فى ظروفك ممكن يورط نفسه مع العالم دى.

ألقى (أحمد) السكين من يده، وزم شفتيه فى حين أردف الرجل:

- ممكن يعملوا أى حاجة تحظر فى بالك.. فيلم يا باشا.. بسن إنت بطله.. إنت والوالد، واطوظفين فى شركتك، والآنسة (نورا) طبعاً.. ما تأخذنيش.. أنا بلكم كاع وصديوق.. إخلع يا باشا.. خذ الغلوس وأجرى.

صمت (أحمد) قليلا، ثم مط شفتيه، وعبث بلسانه فى أحد ضروسه..

- إنت عارف يا (شاكر).. من خمستاشر سنأشر سنأشر سنأ.. قررت أسبج البلد، وأبدأ من الصفر فى أى مكان تانى.. عارف ليه؟ هجى البلد دى مشن وحشه.. امشكلك بسن إن فيها ناس زباله زى اللي باعيتك دول، عاملين زى السرطان كده.. تستنصاه وتقطع.. ويفضه موجود.. طفيك بيعيشن على خير البلد.. بسن أقول لك حاجة بصراحة.. عاجبان فكرة اطراقة ومعرفة كل حاجة عنى، وهدينى السرعة فدأملك كمين، وكل الطوترات دى اللي اطغروضن طبعاً تغز عنى بقى، وإيه.. آخذ الغلوس وأجرى زى ما إنت بتقول.. بسن أنا

ع أقورها لك بطريقتك.. ساعات.. السمك الصغير يفضلك بتأكل على إنك
بسمع تكلمك من صرصار بحر زبك.

كان لحديث (أحمد) ونبرته الهادئة أثرهما.. حاول المحامي الابتسام..

- فاشي.. أنا صرصار بس شعاع مع

قاطعه (أحمد) بلفظة نابية حاول كبح جماح عصبية وهو يطلقها.. نظر إليه
المحامي بدهشة، فاستطرد (أحمد) ملوًا بيده وكأنه يلامس قمى شيئين
متجاورين:

- إنت، وهما.

ونفض من مقعده بحركة أجفلت المحامي الذى تراجع بظهره.

فلوى (أحمد) جانب فمه بابتسامة مشيرا بيده بما يشبه التحية العسكرية،
ولكن بازدياء، واستدار منصرفا.

حين وصل إلى غرفته خلع قميصه، وحذاه، وارتمى على الفراش.. بدأ عقله
يومض ببريق مقلق.. أغمض عينيه، وأرخى عضلاته.

(أحمد منصور) فى الخامسة والثلاثين من عمره.. عاش سنوات عمره التسع
عشرة الأولى فى (مصر).. (القاهرة).. متنقلا بين اثنين من أحياء العاصمة..
(مصر الجديدة).. حيث وُلد، والتحق بالمدرسة، وكان يقطن مع جده لوالدته،
(الدقى) حيث تزوج أبوه زيجته الثالثة من (نوال).

أيام (الدقى) لم تكن سعيدة.. فلم تكن كثيرة.. (مصر الجديدة) هى
الذكريات.. الأصدقاء.. المقاهى فى (سفير)، والتمشية إلى المدرسة فى
(الحجاز).. ركوب الترام (الزقزوقة)، ولعب (الفيدو جيم) فى (هليوبوليس)..
سينما (الحرية)، وشراء الملابس من شارع الأهرام.. أول سيجارة.. أول نفس
شيشة.. أول موعد غرامى.. أول لمسة، وقبله مختلصة.. كانت (يسرا) تخب
لب الجميع فى (الإرهاب والكباب) بينما هو لا يتابع الفيلم مفكرا هل يمسه
بكف رفيقته أم لا، وكيف يمكنه فعلها بطريقة عفوية! انتظر (عادل إمام) أن

يدفع ببعض الحرارة فى دماءه، ولكنه كان الفيلم الوحيد - ربما - للرجل..
الذى لم يحتو على قبلات.

الأصدقاء.. (مينا مجدى)، و(وليد عبد القادر).. المرادف لكلمة أصدقاء فى خلايا
مخه..

يستحضر وجهيهما حين يفكر بمعنى الصداقة.. لم تجمعهم مدرسة يوما، أو
جامعة.. كانوا جيرانا فى الشارع.. عاشوا معا الكثير من التجارب، وجمعتهم
الكثير من الخبرات.. وآخر مرة رأهما كانت هناك على ناصية شارع مسكنه..
يحتضناه وهما يبكيان، وكأنهما يودعان أباهما.. كذب عليهما طويلا بأنه
سيمضى بعض الوقت خارج البلاد، ثم يعود.. لكنهما كانا يعرفان أنه سيهاجر
بلا رجعة.. كانا يفهمان ما يدور بعقله.. بأحلامه، وكون (القاهرة) بالنسبة له
اسم على مسمى.. رغم أنهما كانا بغلين حينها.. أحدهما أنهى دراسته
الجامعية، والثانى فى العام الأخير.. لكنهما أخذوا يبكيان، ويسيل مخاطهما
كالأطفال حين جاء يوم السفر.. هذا أيضا برغم أنهما من ساهما بنصيب
الأسد فى ثمن تذكرة سفره حينها.. ظل يتصل بأحدهما كلُّما تذكر.. لكن
الأكيد أنه لم يسمع صوت أى منهما منذ قرابة السنوات العشر.

فى عشرتهم التى دامت لسنوات طويلة لم يقبل (أحمد) تهديدا.. لأنه كان
التهديد نفسه، وحين سافر.. اختلفت فيه بعض الأمور.. لكن هذه النقطة
بالذات لم تتغير.. كان دائما ذلك المتمرّد المستعصى على الترويض.

أبوه.. (منصور عبد الله).. أكثر من حاول ترويضه، وأكثر من فشل فيه
بطبيعة الحال.. الرجل الذى حمل رضيعه - دون أن يقصد ربما - مسئولية
قتل زوجته! حاول إيجاد أمًّا أخرى لصغيره، لكنه لم يراع مواصفات خاصة..
فتزوج من لا تصلح للدور بأى حال.

تهنّد بعمق قبل أن يعتدل جالسا.. مستعيدا كل ما قالته له (نورا) عن
(منصور).. كان يعلم بصدقها رغم صعوبة تصديقه لما تقول.. لا يمكنه
الفهم كيف استطاعت فى دقائق أن تغيّر صورة لأبيه ترسخت فى ذهنه خلال

عمره كله.. فجأة صار مقتنعا أن الرجل كان يتألم لفراقه، ويفخر به كلما سمع عن نجاح حقيقه، وأنه كان يطارد أخباره من بعيد، وأنه كان يضع صورة له بالمكتبة الخشبية.. وهذا الجزء الأخير كان (أحمد) يدركه من قبل حديثه مع (نورا).. لأنه هو نفسه من أخفى الإطار القديم!

نهض، والتقط هاتفه وأجرى إتصالا.. أجابته زوجة أبيه، فسألها عن الأخير، وطلب أن يحادثه.. جاء صوت العجوز منهكا.. يتوقع محادثة من نائبه فى إدارة الشركة.. محادثة رسمية لاحياة فيها.. ككل محادثاتها فى سنين غربة (أحمد)، بل وقبلها أيضا.

- إزبك يا حاج (منصور)؟

المررة الأولى التى لا يدعوه فيها بـ (منصور) بك منذ زمن ليس بقليل.

- الحمد لله يا بنى.. خير يا حبيبى؟!

- لأ خير يا حاج.. فلك أطمئن عليك، وأسألك لو عايز حاجه من (الغاهرة)..

أصلى ح أجى لك بكرة إن شاء (الله).

- تسلم يا (أحمد).. مش عايز غير إنى أشوفك فى أحسن حال و(الله).

لم يكن جواب الرجل الصادق خالياً من الدهشة، ثم أنه أردف متسائلا:

- هو فى حاجه يا (أحمد) يا بنى؟

- كده زى الغل يا حاج.. أنا ح أجى لك على الضهر كده إن شاء (الله).. ح

تغدينى معاك، ولأ أكل حاجه فى السكّه؟

- لا يا حبيبى.. تاكل إيه فى السكّه؟! تيجى تشرف فزرعتك، ونديع لك خروف

وبطه.

- وبطه يا حاج! و(الله) أنا حاسن كده يا حاج (منصور) إن بطه من نوع تانى

هى اللى ح ترجعك زى الحديد.. عنديك ليك عروسة أمريلك يا حاج.. تغفيلك

بلدها.. شاسيه أصلى، وعفشه أمانى.

ضحك الرجل حتى سعل، وارتجفت نبراته..

- (الله) مجازيك يا (أحمد).. عايز تفصح أبوك فى السن ده؟

- أفصح مين؟ الدهن فى العتافى يا حاج.

- طَبِّبْ وَالْبَطَّةَ الْأَمْرِيكَانِي دَمِي.. (فابريغس)؟
- يا جبروتك يا حاج (منصن)! عابزها (فابريغس) كمان؟! لا ياسيدي.. رَشَّهْ
إكهدرام خلفي.
- عاود الرجل الضحك، والسعال.. سمعه (أحمد) يبصق، ويحاول تنقية حلقه..
سعال عنيف، وجاء بعده صوت (نوال) جافاً حاسماً:
- سَبِّهْ دَلُوقَتِي يَا (أحمد).. (هو تعبان).
- حياها، وأنهى المحادثة متأثراً.. أول مرة يمازح فيها أباه منذ حوالي عشرين،
أو خمس وعشرين سنة!!
- ظل ساكناً لدقيقة، ثم ارتدى (شورت) و(تى شيرت)، وخرج إلى الشرفة.. حين
سمع صوت (نورا) تجيب إتصاله كاد يعبر لها كيف أنه يفتقدها.. لكنه تراجع
في اللحظة الأخيرة.
- كانت قد أنهت يوماً حافلاً مع (يوسف)، وعادت لتوها إلى (الشاليه).
- شعر بحنان بالغ نحوها.. متخيلاً المكان من حولها، وهى مُنْهَكَةٌ جراء يوم
طويل من الاستمتاع بصحبة طفل.
- مَا قَلَّتْ لَهُ ابْنِ مَسَافِرَةَ بَلْرَه.. نَسِيَ كُلَّ حَاجَةٍ عَنِ النَّوْمِ وَالْأَكْلِ.. تَعَبَتْ جِدًّا
بِسْنِ إِبْسَاطِ.
- مَشْنِ عَارَفِ مَ أَحْبَبْ مَعْرِفَشْنِ لِيَهْ! تَفَكَّرْتِي بِبَقِي هَبْلِكْ إِنْ الْوَاحِدِ بَغِيرِ مِنْ عَيْلِكْ
عَنْدَهْ سَبْعِ سَنِينِ؟
- صممت لثوانى، فتخيّل تلك البسمة الساحرة التى تجعلها أكثر فتنة.. قالت
وكأنها لم تسمع:
- بسن المجرم ما عجيبوشن حجابي.. وَقَعْتِ مَعَاهُ فِي الْطِيَهْ فِي حَسْبِيَهْ زَهْقَانِ مِنْ
هَدُومِي أَوْحِي.. فَعَلًّا كَلِّمَ صَنْغَ وَاحِدِ.
- ضحك، ثم قال ببساطة:
- إِنْتِي بَتَعْجِبِينِي فِي كُلِّ خَالَاتِكْ.
- ثوانى الصمت مجدداً، ثم سألتها:
- أَكَلْتِي مَعَاهُ كَمَانِ؟

- كانوا جايبين سهك في (الشاليه).. صمّموا أكل معالهم.. ناس لطاف.
- وأبوه راجل محترم؟
- جدا.. يا (Mr. Doubtful).
- ضحك بخفوت، ثم سألهما:
- هو اللي كان ماشى معاكى طًا جيت لك إمبراخ؟
- لأ.. ده خاله.. ومحترم أوى.
- أه.. متجوز؟!
- إيه السؤال الغريب ده؟
- اسمعى يا قمر.. أنا عندي خبرة في الحياة تحليني أفهم الموضوع دى من نظرة واحدة.
- إنت مغرور أوى على فكرة.
- ماشى.. هو مش متجوز.. وطبعاً قال لك بيعبضن كام، وإن عنده شقة
- جماين ومر اوح سغه.
- ضحكت بصخب لبضخ ثوانى قبل أن تعلنه:
- You are sick!
- كانت قانعة بخبراته جداً، ولكنها مستمتعة بمعاندته، وإثارته كأنه زميلها بالصف.
- طيب.. قل لي باعمو الخير.. إيه تحليل سهوك لشخصيتي؟
- إنتج.. إنتج عبيطة.
- إيه؟ أنا عبيطة يا (أحمد)؟
- أبوه.. (Absolutely).. أصلاً أنا لحدته كده بس، وحسيت إنه مش مريح خالص مجرد.. عارفه حسيت مودتي كده.. واخذ دور بيمنثله.. بس حضرتك قصيتي اليوم معاه، وطبعاً الجانب الطغولي اللي قبلي طلع، وأخذ راحتى، ووقفنى معاه في اطيئه أكيد، وربنا وحدة بعلم تأثر الموضوع ده على البنى آدم، لأ وكنتى

لابسه هدموك البرينة العادية اللي ما فيها شن حاجة خالص، وبعدين.. ده خاله، ومخترم أوى.

رقق صوته فى جملتيه الأخيرتين وكأنه يقلدها.

- وهو اظفروض أقول غير اللي لاحظته؟ هو مخترم فعلا.
- خلاص أنا مش قصدى أحسن سيادته بسوء.. أنا بالتكلم عنك إنتى.. اظفروض تلاحظى الحاجات دى وتوقفها من بدرى.. وما تلووشن كل انطباعاتك سطحية كده.
- طيب.. إنت عايزى أبقى اظفرورة اللي تفضلك تحلى عن كل واحد يحاول يتعرف عليها أو يلكمها فى الجواز.. أنا أصلا مش مجب كده، وإنت ساعتها ح تشوفنى مُملّة وسخيفة، وفاكرة نفسى ست الحسن.. صح؟ يا إمّا كده، يا إمّا أبقى عبيطه!!

لم يجيبها، فأردفت مواصلة دفاعها بشئ من الضيق:

- وبمناسبة قصة الهدوم دى على فكرة.. (البلوزة) اللي ما عجبناش، وقلت إنها مش مقفولة.. أنا أصلا قررت ما ألبسهاش تانى إلا وتحتها (Body) بياقة عالية، والنهاردة الصبح وأنا خلاص خارجة.. قُليت الحجاب ال (Spanish) وربطته عادى علشان حسيت فعلا إن اظفروض رقبتي ما تبغاش باينة.. أنا مش مُحجّبة من زمان بعنى، وما فيش حد نصحنى قبلك، ولا إدانى ملاحظات.. ويبقى ظلم أوى طّا تقول إنى عاوزه ألفت الأنظار أو أحسن بنفسي علشان أنا اللي اخترت ألبس الحجاب من نفسي.

نقل الأثير صمتهما لثوانى، ثم قالت هى بنفس الضيق، ولكن بحماس أقل:

- وكنت لابسه (جينز) واسع، وما شمرتش وأنا واقفة فى الطيه.. علشان أنا مش عبيطه.
- أنا أسف.
- إنت بتقول إن إحنا صحاب، وبعدين بطلع رأيك فبّا زى رأيك فى (سلمى)!! فاكرا؟ طّا قلت إنها عايزه تلفت الأنظار بأى طريقة.

- لأ.. لأ.. ثانية واحدة.. إنتى فاحدش زيك أصلا، ولا تتخطى فى مقارنات، وأنا عارف كويس أوى إنتك ما تقصديش أى حاجة وحشة.. الفرق كبير أوى بين اللى تحاول تلغى الانتباه وبين اللى أصلا ملغىته ك.... كأتى.
سكت للحظات ثم تسائل بحلق:

- إنتى ليه قلبى الموضوع كإنى انتقدت أخلاقك مثلا؟! أنا عارف كويس أنا بأعامل مع مين، وكل اللى قلته بيحى تحت بند الغيرة.. الغيرة الصحية بعنى.. على إنسانه بعى ليها عندي مكانة خاصة أوى.. ماشى.. ممكن تزودى إنى تخاف عليكى للحاجات، أو المشاعر ال.... الكثير ناحيتك.
- وهمم.. كمل كلام شوبى.

ضحك من قلبه مدركا أنها لطيفة إلى درجة مذهلة.
- تعرفى يا (نورا) إنتك نموذج عجب أوى.. كنت فاكهة انقرض من زمان.
شبهت..

- اسكت.. إيه انقرض دى؟ ديناصور!
ضحك..

- يا بنتى لأ.. اسمعى بس.. أنا قصدى النوع ده من الحري.. البنات.
- مسكتك.. إنت كمان بقول "حريم"! إيه اللى جرمي لكم؟ رجعنا عصر الجوارى تانى؟
- كنت ح أقول عنك كلام حلو على فكرة.
- طيب ممكن بعد إذلك لما تحب تقول عنى حاجة حلوة.. قل لى الطعنى، وأنا ح أرغب لك الجمال.. إتفغنا؟
ضحك مدركا أنها تشاكسه، وتابعت:

- بعنى مثلا بدل ما تقول لى إنتى نموذج عجب، وانقرض.. تقول لى يا (نورا) إنتى مختلف ومميزة.. ما قابلتش زيك مع إنى عرفت كثير.. لأ.. لأ.. إستنى.. شيل عرفت كثير دى.. خديها ما قابلتش زيك أبدا.
أول مره يشعر بتوافق كهذا مع شخص غير (أحمد منصور).
سألته، ونبرتها تحمل بعض الكآبة هذه المرة:

- إنت عرفت بنات كثير أوى يا (أحمد) ! صح؟
- صمت لثوانى، ثم سأله:
- وإيه هدف السؤال بالطبط؟
- يعنى مشن شايف إنهم غريبة وإحنا ضحاب إنك ما تحبيليشن حاجه عن مغامراتك مع الحرم؟ وأنا كلها قليلة الحيا؟
- قليلة الحيا!! وكنتى بتقولى إن أنا اللى قدم؟
- عذرها، ونرجع طوضوعنا .
- إيه الطوضوع الغريب ده؟
- مشن غريب خالص على فكرة.. قول لى عرفت كام واحده فى حياتك؟ ألف؟
- ألف؟!! (نورا).. (نورا).. إنتى فى إيه؟
- لا حول ولا قوة إلا ب (الله) ! بابتى رد على سؤالى.. وما تتعبش قلبى معاك.
- ضحك مفرغا توتره.. بدت كمن تريد نبش هذا الجزء من ماضيه حقا.
- إنتى ليه قلبتى بأقى فجأة كده؟
- انقطعت الضحكة.. لو قيل لها قبل ذلك أنها ستشعر بمكنونات رجل ما عن بعد.. لقات أن ذلك نوع من الخبال، ولكنها الآن شعرت أن (أحمد) وجم.. انكمش.. أزعبته جملته الأخيرة بعدما سمعها.
- (أحمد).. (أحمد).. سمعت أغنية (مصطفى قمر) الجديدة؟
- (مصطفى قمر) ! إشعنى غيرتى الطوضوع دلوقتى؟
- عادى.. أنا بسن
- اسمعى.. أنا مشن معقد أوى كده.. إخرمت من حنانها أكيد، وكنت فاكِر إن فاقِد الشئ لا يعطيه.. بسن.. حصل اللى كسر القاعدة.. قابلت واحده.. صاحبة جدعة.. دافية، وشعافه كده.. حسستى بجاجات كثير أوى لأول مرة.. فاكِره الـ (Lunch Box) اللى بعثىهولى فى اطلت؟ مشن عارف أقول لك إيه عليه؟ يمكن يكون طسه بسيطه من بنت رقيقه.. بسن بالنسبة لى كان حاجه أكبر بكتير.. مشن عايز أبالغ.. بسن.. ترتيب الأكل، واطنديك الطعطر.. حنة الشيلولاته.. كان فيه حاجه كده مختلفه بجد.

الطفل الذي لم ير أمه، وقضى معظم طفولته مع جده.. لم يملك بالتأكيد رفاهية أن يأخذ إلى المدرسة صندوق غداء، وزمزية.

صمت لثوانى، ثم قال:

- ع تبقي أم زج القمر.

لم يدرك أنها تبكى الآن.. تتمزق لأجله، وتحلم لو أغدقت عليه حنان الدنيا.

حين طال صمتها قليلا ناداها.. حاولت الإجابة بصوت طبيعي:

- سامعك يا (أحمد).

أدرك أنها متأثرة، ولم يرقه هذا قطعاً..

- هو إيه اللي خدنا بقى للكاتب ديم! خلكنا نغير الموضوع.. أغنية (مصطفى

قمر) الجديدة.. حلوة؟!

- تحفة.

- كنت مجبهم جدا.. كل اللي ظهروا وقتها.. (مصطفى)، و(فخر)، و(عمرو)،

و(حميد)، و(إيهاب)، و(فؤاد).. كنا بنسنتي الشريط بنزل بفارغ الصبر.. كان

سعره خمسة أو ستة جنيه.. (مايك جاكسون) كان بسبعة جنيه ونص.. ليه

يا عم الحاج؟ يقول لك "أجني".

- أنا فاكهه سعر شريط (الكاسيت) في التسعينات كان سبعة جنيه.. العربي.

- ده في أبالك إنتي.. إنتي لسه صغيرة يا (نورا).. طأ توصلي لسنّي كده نظرتك

للحياة ع تتغير.

- أبوه.. ربنا يدبك الصحة يا جدو.

ضحك، ثم سألتها:

- إنتي ع ترجعي إمتي؟

- لسه مش عارفه.. إنت إيه رأيك؟

ترددت في ذهنه في تلك اللحظة كلمات المحامي (شاكر)..

"فيلم يا (باشا).. إنت بطله.. والآنسة (نورا) طبعاً"

- مين معايا؟ ألو.
- (نورا).. أنا مشن بهزرر.. إرجعي بكرة.
- مشن عندي مشكله يا (أحمد).. أنا بسن بسألك إيه اللي غير....؟
- أنا مشن فاهمك بجد.. طاطا ما فيشن مشكله.. إيه أهمية الأسئلة؟
- صمتت لثواني، ثم سألته:
- ليه بتزعق لي طيب؟
- إنتي غريبة جدا يا (نورا)! أساسا كنتي ع ترجعي معايا، وأجّلتني يوم علشان (يوسف) ده، وأهو اليوم خالص.
- أه.. أبوه.. أنا غريبة أومي فعلا.
- ظل يحدق في الصك.. اسم البنك ذو الهوية العربية.. المبلغ.. اسم شركة (منصور).. (نادية الصرفى).. تاريخ التحرير أول أمس.
- (نورا).
- نعم يا (أحمد).
- خلاص إنفعنا؟ ع ترجعي بكرة إن شاء (الله)؟
- يا ربي! حاضر يا (أحمد).. إنفعنا يا (أحمد) بيه.
- طب ليه الرخامه دلوقتي؟
- أنا اللي رخمه!! إنت مجنون على فكره!
- طب ما ترعليشن.. عندي خير ع بغيرحك.
- إيه؟
- إتصلت ب (منصور)، ورايح له بكرة إن شاء (الله).
- بجد؟! ده خير خلو أومي.
- صوتها كان مليئا بفرحة غامرة.. قال لها ممتنا:
- لعيت نفسي بأكلمه بعد ما إفتكرت كلامك.. ده ع يكون في ميزان حسناتك.
- أعجبها ما قال..

- طَبَّبَ.. وأنا بَعِيَ.. صَبَّيْتُ كُلَّ الْفُرُوضِ النَّهَارِ دَه فِي مَوَاعِيدِهَا.. مَا عَدَا (الطَّغْرِب).. صَبَّيْتُهَا مَتَأَخَّرَةً مَعَ الْعِشَاءِ.. غَضِبَ عَلَيَّ وَاللَّهُ.. لَسَّهَ مَا حَفِظْتُنْ اطْوَاعِيدَ.. دَه حَ بَلُون فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ.
- (نورا).. إِنِّي أَخْلَى حَاجَةَ حَصَلْتِ لِي.
- كانت متمددة على فراشها فهبت جالسة.. كان هذا أجمل ما قيل لها في حياتها على الإطلاق.
- استدرك ليخفف من حرارة ما قال:
- صَاحِبَةَ جِرْعَةٍ جِدْر.
- لكن جملته الأولى كانت الأصدق والأقوى.
- لا أيها الوسيم.. ما قلته في البداية هو المقصود.. قلتها في العموم.. لم تقصد صديقة، أو زميلة فاضلة.. (هَاتْسَنْدِهْلِنْش!).. هكذا فكرت، وهي تسيطر على ابتهاجها.
- سألته عن سيناريو الغد بالنسبة له.. قال أنه سيذهب صباحا إلى الشركة في موعده، ويتجه إلى (الإسماعيلية) عند الظهر.
- وَحَضْرَتِكَ حَ تَنْصَلِي بَيَّا أَوْلَ مَا تَصْحِي إِنْ شَاءَ (اللَّهُ).
- رَدَّتْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ دَلَالَةَ الطَّاعَةِ، فَدَاعِبَهَا:
- آه مَنُّكَ يَا قَمْرُ أَمَا بِنَبْعِي مَطْبِعَ وَرَقِيوَعِ كُدَه.. يَا أَيْبُضَ يَا أَبُو عَيْوَنِ زَرْقَا إِنْتِ.
- قهقهت عائدة للاستلقاء مجددا..
- بِالْهُوِيِّ! قَدِيمِ أَوْجِ، وَ (Local) كَمَا ن.
- حل منتصف الليل، وإتصل (چاك) بهاتف غرفة (أحمد).. عاتبه على الاختفاء التام فخفض (أحمد) صوته ليعتذر له، ويَعِدُه بالتفسير لاحقا.. أخبره (چاك) أنه و(سوزان) سيذهبان إلى (البار)، فاعتذر (أحمد) متعللا برغبته في النوم.
- لكنه لم يمه المحادثة مع (نورا) سوى بعد الواحدة بقليل، وأنهاها فقط ليترك محدثته تنام.. بينما كان يعرف أن النوم سيتعذر عليه رغم تعبته الشديد.

فى الصباحتناول فطوره فى مطعم الفندق، وإتخذ طريقه إلى الشركة مبكرا.. كان بمكتبه قبل وصول أى من موظفى الطابق.. جلس ينظم أفكاره، وفور أن سمع صوت حركة بالخارج ضغط زر جهاز الإتصال الداخلى، وطلب حضور (ياسمين عبید) إلى مكتبه فور وصولها.
طرقت بابه خلال دقائق.. دعاها للجلوس، وكان مقتضبا..

- أحد أفراد إدارة التعاقدات قام بتسريب كل تفاصيل مقايسة أسعار مناقصة الوزارة للمنافسين.. كيف يمكننا التصرف حيال ذلك؟
- وليس لدينا شكوك فى أحد بعينه؟
- هز رأسه نفيا، فسألته بإهتمام:
- وأنت تشك فى خيانة متعمدة.. مدفوعة الأجر؟
- ربما.
- إذن.. نبدأ اليوم تحقيقا مع كل أفراد الإدارة.. سأوافيك بنتائجه أولا بأول.
- فليكن.. (ياسمين).. إذا كنت تريدين مساومتى لإطاعتك فى أمر ما.. كتبت لى شيكا وقلت لى نفذ ما أريد وأصرفه، ولكنى لم أنفذ، وذهبت بالشيك إلى الشرطة وأخبرتهم أنك تقومين بتهديدى لإطاعتك فى مقابل مبلغ من المال.. ماذا سيكون الموقف حينها؟
- كان يعلم أنها ذكية.. اختارها لأنها تبدو متقدمة العقل، ومجتهدة أيضا.
- صمتت قليلا ثم بدأت تحليلاتها:

- أول سؤال قطعنا من الشرطة سيكون عن الدليل الذى يثبت كلامك.. ثم سيأتون إلى لمواجهتى بالشيك، وسؤالى عن سبب تقديمه إليك؟ حسنا.. لو أننى قمت باللعبة من البداية بشكل صحيح.. فلن أكون قد قابلتك بنفسى أبدا، ولن أحرر لك الشيك من حسابى كذلك.. سألجأ لبدلاء وسأحميهم.. مثلا.. وصلك الشيك، وبدا لى أنك لن تنصاع لما أريده.. أول شئ أفعله هو أن أجعل صاحب الحساب يُبلغ البنك بفقدانه

لدفتر شيكاته، وأن الدفتر به الشيكات بداية من رقم (كذا).. مثلاً.. فى هذه الحالة سيزور مندوب الشرطة البنك لمطابقة التوقيع، وحينها.. بمنتهى البساطة.. التوقيع غير مطابق.. به نقطة زائدة.. ميل بأحد الحروف.. فى لحظة سيتم حفظ بلاغك ضدى.

رفع أحد حاجبيه وخفضه..

- هل تحدث هذه اللعبة كثيراً؟
- من يلجأ للتهديد بهذه الطريقة عادة.. "افعل وخذ المال" يلجأ للدفع النقدى.. ولكن فى بعض الأحيان يفضل تفادى الإحتكاكات المباشرة.. كما إن مندوبا طرفه لدى البنك سيضمن ألا يتم صرف الشيك إلا بعد تنفيذ ما أراد.. أنا أحاول التفكير معك.. لكنه موقف افتراضى لا أعرف أبعاده بالضبط، ولو أن بين الطرفين خصومة من أى نوع ستختلف الأمور تماماً.

- وهل لدينا هنا خصومة مع أحد؟
- كثيرون.. لكنها ليست خصومة قد تدفع لارتكاب أفعال خارجة عن القانون حسبما أظن.. طوال عمرنا (فى حالنا) كما يقولون.. لكن تأكد أن هناك من لا يحب الكيان لأسباب فى نفسه.. أشعر أنك لاتريد سرد تفاصيل.. لكن إخطرني لو أنك تريد إتخاذ أية إجراءات قانونية ضد أى كان.

هز رأسه بهدوء شاكرًا.. نهضت ثم سألته:

- هل خسرنا مناقصة الوزارة مقدما؟
- ليس بعد.

بدا عليها البؤس، وهى تدعو أن يتم ما فيه الخير.. وعدته ببدء التحقيق وموافاته بنتائجه صباح الغد.. فور انصرافها استدعى (أحمد وجيه) من إدارة التعاقدات.. أكثر من تعامل معه مؤخرًا لإنهاء المقايسة الضخمة.. عشرينى..

راقى.. عملى.. بعيد عن اللزوجة بعكس بعض زملاء إدارته.. ينادونه بلقبه لكثرة من يُدعَوْنَ (أحمد) بالشركة.

- اجلس يا (وجيه).

درس ملامح الشاب جيدا، وهو يقول له بلهجة تحمل بعض التوبيخ!

- ألم نتفق يا (وجيه) على إحاطة كل ما يتعلق بمناقصة الوزارة بالسرية التامة؟

- أقسم ب (الله) يا رئيس أنها المرة الأولى التى نراعى فيها السرية بهذا الشكل.. كنا نتحدث أنا و(فريدة) و(المحلاوى) عن ذلك بالأمس فقط..

من عرف بماذا؟ مستحيل أن يكون أحد فى الإدارة قد ترك ورقة فى أى مكان.. وجداول الأسعار قمت بتصويرها بنفسى و(الله) يا رئيس.

- فليكن يا (وجيه).. اهدأ.

- بصراحة يا رئيس.. كلنا ننتظر يوم الإثنين بفارغ الصبر.. أسعارنا جيدة جدا، ولو تم إرساء العطاء علينا سندخل مرحلة جديدة.

لاذ (أحمد) بالصمت لثوانى، ثم سأله:

- لو أنه من المستحيل كما تقول أن يكون أحد منكم قد سرّب معلومات، أو أرقام.. فمن يكون إذن؟

- لا.. أنا لا أعرف أمر كهذا.

بدا مرتبكا بدرجة ما، وواصل:

- أنا لم أقصد إلقاء تهمة بعيدا عنا.. حَقَّق معنا يا رئيس.. لو ثبت لك أن أحد منّا قد خان ثقتك.. فأطرده فوراً.

- (وجيه).. عيناك وارتباك لهجتك يقولون أن لديك ما تضيفه لى.. هل إطلع أحد من خارج إدارتك على أوراق من المظروف قبل غلقه؟

- بصراحة.. مرة واحدة.. تعاتبنا أنا و(المحلاوى) يومها، وارتفع صوتينا قليلا.. رغم أن الشخص موثوق به بدرجة كبيرة.

- من يا (وجيه)؟ وماذا فعل بالضبط؟

- أنا كنت هنا مع سيادتكم.. والفتيات كن بالخارج فى السكرتارية يرسلن ويستقبلن طلبات الأسعار.. (المحلاوى) حكى لنا بعدها أن (نورا السيوفى) وقفت عند مكتب (فريدة) بعض الوقت، وألقت نظرة على العرض المالى.. (نورا) شخصية محترمة ولاغبار عليها.. لكن تلك هى الواقعة الوحيدة فى هذا الشأن.
- شعر (أحمد) بالضيق لذكر اسم (نورا) فى أمر كهذا.. خاصة أن التحقيق سيشملها بهذا الشكل.
- (وجيه).. هل بإمكانك تذكر أسماء الشركات التى قدمت عروضها معنا للوزارة؟
- يمكننى تذكرهم بالتأكيد.. وفى أسوأ الأحوال.. سنجدهم فى أوراق الجلسة.
- سحب قلماً من على المكتب ومنحه (أحمد) ورقة فبدأ الشاب يكتب فيها أسماء لشركات دعاية وإعلان حتى أتمهن سبعا، وقدمها لرئيسه الذى ألقى على القائمة نظرة سريعة ثم توقف عند الاسم الخامس.. تقارب حاجيه، ولم يفهم الموظف سر هذا الانزعاج فى صوت رئيسه الذى تسائل:
- (عدنان الراسى) فيها.
- إنه الحوت الكبير يارئيس.. لايمكن ألا يكون فيها.. إنه أكثر من يزعجنا وجوده.. نخشى أن يكون أمر الإسناد مطبوع مقدما، وينتظر فى الدرج.
- أليست لعبة أسعار؟
- التبريطات يارئيس.. أسعار، وشروط، وجدول زمنى.. ولكن ألا تعرف سيادتكم من هو شريكه؟
- من شريكه؟
- ذكر (وجيه) اسما له وقع.. رجل أعمال ثرى كان معروفا بقربه من أهل السلطة.. واجه تهمة فساد، وتم تبرئته منها جميعا.

- حسنا.. شكرا يا (وجيه).. ودعنى أخبرك أن (ياسمين) سُنْجِرى تحقيقا حول الأمر اليوم.
- أوامرك يا رئيس.
- انصرف الشاب تاركا (أحمد) فى دوامة من الأفكار.
- بعد قليل أطل عليه وجه سكرتيرته.. توقع بريدا، أو فواتيرا لكنها أخبرته أن مُحضِر الأَمس حضر الآن ويريد مقابلته.
- كان الرجل نحيلًا جدا.. صارما متجهما بدرجة مضحكة!! يريد أن يكون مؤثرا فى النفوس.. رفض أن يشرب شيئا بحسم، ثم أسند ذراعه على المكتب وهو جالس، وأرخى حقيبته الجلدية المهترئة على فخذيه.
- لقد أصررت على لقاء سيادتك هذه المرة لأن لقاءان سابقان مع السيد (جلال) لم يقدموا أو يؤخرا.. سيادتك تعرف بالتأكيد عن قضيتكم مع شركة الملابس الداخلية.
- ابتسم (أحمد) رغما عنه.. بمظهر الرجل، وعظمته توقع أن يتحدث عن القواعد العسكرية الأمريكية فى العالم العربى، أو أى أمر جلل آخر.. بعيدا تماما عن الملابس الداخلية.
- تابع الرجل كلامه بجدية تامة:
- لقد وصلت الأمور لمدى بعيد جدا.. كان يمكنكم تفادى هذا بالتأكيد.. لكن
- لم يكمل عبارته شفويا.. أخرج من حقيبته ورقة ألقى (أحمد) نظرة طويلة عليها، وتقارب حاجباه ثم ارتفعا، وعابوا التقارب مجددا..
- حجز مرة أخرى!
- هل صدر أمر بالحجز على شركتكم مسبقا؟
- أوماً (أحمد)..
- يمكنك قول ذلك.. حساباتها بالبنوك.. لكن اليوم الشركه نفسها.. التغيير جيد بالتأكيد.

- سامحنى ياسيدى.. ولكن من الواضح أن إدارة الشؤون القانونية لديكم ضعيفة جدا.
- معك حق.. سأدفع المبلغ المطلوب.. هل يجنّبنا هذا أن يتم الحجز على المبنى.. أم أن القرار صدر وواجب النفاذ.
- الحكم صدر بالفعل وسيادتك إطلعت عليه بنفسك.. لو أنك ستتصالح فعلا يمكننى تركك لبعض الوقت، والعودة حين تتصل بى فتطلعنى على ما يفيد سدادك للرسوم القضائية المتأخرة.
- سأكون شاكرا جدا لك.
- لكن السيد (جلال) قال من قبل أنكم ستسدون المبلغ، ولم يحدث.
- هذه المرة أنا من أقولها.
- إذن.. سأفيد بعدم استدلالى على العقار، وأعود فى بداية الشهر القادم.. أيناسبكم هذا؟
- جدا.
- إذن.. فقد إتفقنا.
- قالها الرجل فبدت ختامية، لكنه لم ينهض أو يهيم بالانصراف.. ظل جالسا ككوم لزوجة ضل طريقه.. ما دفع (أحمد) أن يقول متراخيا بعدما هم بالنهوض مودعا:
- نعم.. إتفقنا.
- ساد بعدها صمت مهيب.. لم يطلب الرجل شيئا يشربه.. فماذا ينتظر جالسا كالتمثال هكذا؟
- عاود (أحمد) الابتسام.. المصائب المتتابعة فى هذه الشركة منذ وصوله تؤكد أنه لم يكن وجه الخير أبدا.
- استرق نظرة لساعته.. سيوقظ (نورا)، وكفاها ما حصلت عليه من نوم.. لكن بعدما يتخلص من هذا الشخص غريب الأطوار.
- سأله بحذر حين طال الصمت:

- ألم نتفق على أن نلتقى بعد شهر، ونكون نحن قد سدنا المبلغ؟
- لا يا (باشا).. لم نتفق بعد.
- قالها بملامحه التي لا تنفرج، ثم أضاف:
- **كُلِّكْ نَظْرَ يَا بَاشَا.**
- من الغريب فى بعض الموظفين الحكوميين أنك لو لم تفهم وحدك أنه لا يعمل سوى برشاوى وإكراميات.. يُشعرك بأنك غبى جدا.
- فهم (أحمد) أخيرا فضحك مخرجا ماله من جيب سرواله قائلا بعد آهة فهم ممطوطة:
- سامحنى.. اعتقدت أن العرض الذى قَدَّمته من صميم عملك.. لم أفهم أنك تقدم لى خدمة خاصة.. كما إننى كنت أعيش بالخارج.. لم أعتد مثل هذه الـ
- لم يبد الإهتمام على وجه الرجل.. فى حين استطرد (أحمد) وهو لا يزال يضحك فعلا:
- بالإضافة إلى أنك تتصنَّع هيبة مؤثرة.. لم أفكر أبدا فى إمكانية رشوتك، أو.. أقصد.. تقديم إكرامية لسيادتك.
- اصطنع (أحمد) الوقار بصعوبة وهو يقدم للرجل مبلغا من المال، ويسأله إن كان كافيا.. لم يناقشه الرجل، ونهض منصرفا على الفور، وفور أن أغلق الباب انفجر (أحمد) ضاحكا.
- إتصل بـ (نورا)، وفهم أنه من أوقفها حين جائته (آلو) بأثار النوم. أراد تدليلها..
- **صباح الخير يا أحمد (نورا) فى الدنيا.. كل ده نوم؟**
- ابتسامتها ذات المؤثر الصوتى الطفولى جعلت ابتسامته تتسع، ويشعر أنه يفتقد محدثته.
- قالت بتكاسل:
- **صباح الخير.. اعمم.. صوتك مبسوط.**

- مبسوط! ده أنا ح أطير من الإنساق.

قالها كامرأة مصرية أصيلة تجلس أمام (طلشت) الغسيل حتى أنه مصمص شفتيه وسطها.

- حصل حاجه ولأ إيه؟

سألته غير واثقة مما هنالك.. لكنها بدأت تتببه.

صمت لثواني هز رأسه فيها وكأن الأسي قد انفجر بداخله بغتة، ثم أجاب:

- لأ خالص.. بلأ قومي علشان ترجعي بقى.

سألته عن مكانه، وعمماً إذا كان هناك ما يضايقه..

قال أنه سينطلق إلى (الإسماعيلية) بعد قليل، وأنه سيتابعها تليفونيا للاطمئنان، ثم بدا أنه تذكر أمرا فسألها:

- هل سافرت إلى الساحل الشمالى بدون رخصة قيادة؟

- كلا.. استخرجت بدل فاقد يوم السفر.. أعرف موظفة بمرور القوات

المسلحة ساعدتنى لإتمام الأمر بسرعة.

- حسنا.. هذا جيد.

أوصاها بالحدز أثناء القيادة، وأنهى المحادثة مغادرا مكتبه.. توجه إلى حيث إدارة الشئون القانونية.. واصطدم ب (فريدة).. موظفة إدارة التعاقدات ضئيلة الجسم.

- أقسم ب (الله) العظيم يا رئيس أننا لم نخن ثقتك.. لم نبج بأى بيانات

لأحد من الشركة.. كيف نُسرّبها للشركات الأخرى؟

لم يجبها.. مط شفتيه فقط.. كثيرا ما رأى أناسا يلفون كذبا.. هز رأسه

ليعلن للشابة مدى استيائه من الأمر، وتركها ليطلق باب غرفة (ياسمين)

الجديدة.. حين دفع الباب نهضت واقفة هى و(أحمد المحلاوى)، ولاحظ هو أن

الشاب لم ينظر فى عينيه أبدا.. طلب منه الخروج ثم سأل (ياسمين) عن

قضية شركة الملابس الداخلية.. أفادته بأن الأمر يعود إلى تسعينيات القرن

الماضى، وأنه بدأ بشيك بدون رصيد قدمته شركة الملابس لشركة (منصور)

نظير مطبوعات وملصقات، وقد تم إتخاذ الإجراءات القانونية فى حينها، ولكن شركة الملابس بدورها أقامت دعوى قضائية يتهموا فيها (منصور) ببيع ملصقاتهم لمصانع تنتج نسخا رديئة من منتجاتهم وطالبوا بتعويض.

- خسروا القضية الخاصة بطلب تعويض.. لكن السيد (جلال) حكى لنا أنه أقام دعوى جديدة تطالبهم هم بتعويضنا جرأء التشهير، والضرر الذى مس سُمعتنا فى السوق، والمفارقة أن الحكم جاء لصالحهم هذه المرة لأنهم لم يذكروا اسم شركتنا فى أى إعلان للتحذير من المنتجات المقلدة.

- وهل حكى لكم أيضا أنه لم يسد المصروفات الإدارية للمحكمة من وقت القضية حتى الآن، وتجاهل المطالبات حتى صار الأمر "الدفع أو الحجز"؟

لم تكن (ياسمين) تعرف هذا الجزء.. أخبرها عن لقائه بالمحضر، واستعداده لدفع المبلغ، ووعده بتابعة الأمر بشكل سريع.
قبل أن ينصرف.. سأها:

- هل تعرفين امرأة تدعى (نادية الصرفى)؟
فكرت لثوانى، ثم نفت.. قبل أن يغادر قالت له:
- إذا كانت تعمل بمجالنا إسأل شباب التعاقدات أو التسويق.. هم أكثر من يسمعون أسماء.

هز رأسه، وفحص الواقفون مع (أحمد المحلاوى) قرب الباب بعد خروجه، ثم أشار لـ (أحمد وجيه)، وسأله عن الاسم.. فكر هذا لبعض الوقت ثم سأل بعض الأسئلة التى تفتقر إلى الذكاء.

- يا (وجيه).. لو كنت أعرف أين تعمل لم أكن لأسألك.
- أنا أسف يا رئيس.. لكن يمكنك سؤال (أيمن) التسويق الخارجى.. (أيمن رشدى).. أحيانا نشعر أنه قاعدة بيانات متحركة.
أوماً (أحمد) وشكره، وبعد قليل كان يتجه فى طريقه إلى (الإسماعيلية).

لم يكن لدى (نورا) الكثير لتفعله قبل السفر.. أنهت جمع أمتعتها القليلة ومتعلقاتها وجرت حقيبتها الوحيدة إلى الخارج بعد غلق محبس المياه. حين وقفت بجوار سيارتها كانت تواجه أزمة وضع حقيبتها فيها.. بحثت بعينها عن إمكانية الاستعانة به ليفعل ذلك عنها فوجدت (أشرف) مقبلا عليها بخطى سريعة..

- عندما قلت أنك ستعودين اليوم إلى (القاهرة) استيقظت مبكرا وجلست أراقب حتى أراك.
- شعرت أن عيناه تجولتا عليها أكثر من اللازم وهو يدينو منها.
- ماذا؟ حقا!! هذا لطف منك.
- كنت فقط أريد أن أقول لك أن أمس كان أجمل أيام حياتي.
- كان يوم رائعا فعلا.
- (نورا).. لن أطلبك سوى بأن نصبح أصدقاء.
- هذا شرف لى.
- لقد تجرأت وحصلت على رقم هاتفك من (دينا).
- أعتقد أن الأفضل كان أن تسألنى أولا عن ذلك.
- لم أعتقد أنك ستمانعين.. ولكن.. دعينى أسألك.. لماذا لا يمكنك منحنا فرصة.
- ماذا؟
- أن نصبح أصدقاء يا (نورا).
- حسنا.. ربمًا لا ينجح ذلك.
- هناك قصة حب إذن؟
- كان يواصل اقتحامه حتى آخر رمق..
- (أشرف).. أنت شخص محترم، و
- سأظل متمسكا بالأمل حتى يُكَلَّل الأمر بالرسمية.. حينها فقط سأترجع.

كان يتحدث بثقة لم تعجبها.. صمتت إزاء منطقته رغم أنه بدا كتدخل سافر في حياتها الخاصة.

وضع لها الحقيبة بالسيارة، وظل واقفا حتى تحركت بالسيارة مبتعدة بعدما شكرته، وألقت عليه تحية تقليدية.

منعها تواجهه هذا من الذهاب إلى البحر مرة أخيرة قبل الرحيل.. ارتدت النظارة الداكنة التي تتركها في (التابلوه)، وحين غادرت القرية، ودارت إلى الطريق المتجه إلى (القاهرة) مدت يدها إلى علبة (بسكويت) بجوارها.. كانت تُفْتَحُ كعلب الكبريت.. حين سحبتها وجدت مظروفا أيضا يسقط منها على المقعد.

التقطته بدهشة، وهدأت سرعتها..

" ما كانتن هديّة عشان ترَجِّعِها.. أي شركة محترمة بتَقِفُ مع الموظفين الغُدام بتوعها في أي ظروف.. خلّك بالك من نفسك"

كان ذلك مكتوبا على واجهة المظروف.. مزيلا بتوقيع (أحمد).

داخل المظروف كان المبلغ الذي أعادته إليه.. الخمسة آلاف جنيه.

حين إتصل بها بعد قليل لم تذكر شيئا عن ذلك.. اطمأن عليها فقط وأنهى المحادثة سريعا.

وصوله إلى المزرعة داخل (الإسماعيلية) كان بعد إتصالين ب (سليمان) للاسترشاد.. الترحاب به عند الوصول كان واضحا من العاملين الذين رأوه مسبقا مرة واحدة فقط.

مزرعة أبيه كانت على مساحة تزيد عن ثلاثين فدان.. على خمسة وعشرين منهم توجد أشجار المانجو، وفي المساحة الباقية توجد مزرعة دواجن، وبعض أشجار اليوسفي، والمنزل الذي كان واسعا وطرازه المعماري مميز.

هناك بناء آخر كان لإقامة العاملين بالمزرعة مر (أحمد) أمامه بسيارته التي قطع بها طريقا مهدا يكفى سيارتين، ويمتد حتى البيت الذي شيّده (منصور) يوما بحلم أن يجمع أبنائه فيه.

السيارتان الرياضيتين الأنيقتان بجوار سيارة (منصور) جعلته يدرك أن اثنتان من بنات (نوال) موجودتان.

مرت بعض الأحداث القديمة أمام عينيه، وهو يغادر السيارة.. ما يذكره هو أن علاقته بالفتيات الثلاث كانت عادية جدا، ليس لشيء سوى لأن (نوال) لم تكن تحب أن يتودد إليهن، ولكن كان هناك بضعة فصول سرية لم تعرف المرأة عنها أبدا، ويذكر أنه لعب فيها دور الأخ الأكبر باقتدار.

انفتح الباب الخشبي الضخم وظهرتا منه أختاه الصغيرتان.. سكن لثوانى ثم ابتسم.. ابتسم بلا تحفُّظ.. كانت الفرحة والإثارة تبدو عليهما.. ناضجتان الآن.. آخر مرة رأهما كانتا فى الثانية عشر، والرابعة عشر من عمريهما.. والآن.. أنستان جميلتان.

الصغيرة (شذى).. والوسطى (دعاء)..

صافحهما مبديا إعجابه بهما.. لم يقل أنهما أوحشتاه مثلا.. فهو ليس بهذا الاجتماعى المنافق.

لكنه كان سعيدا بتعرفهما بهذه السهولة.. رغم أن فارق العامين بينهما لم يكن واضحا للعيان.

حين دخلوا إلى القصر كانت (نوال) تنهى هبوط درج رخامى قادمة نحوهم.. رآها مرة بعد عودته، وأدرك أنها لم تتغير كثيرا.. لا تزال تلك الجميلة الأنيقة التى تعامله بلا ذرة رياء.

- كنت أريد تنبيهك لشيء قبل أن تجلس مع أبيك يا (أحمد).

أشارت لابنتيها أن يتركوهما فانصاعتا على مضمض.

- لا تتحدث معه عن محاولة علاج، أو تسأله عمّا قاله الطبيب.. يُفضّل أن

تبتعد تماما عن نقل أية أخبار مزعجة، أو التحدُّث عن أهمية المقاومة

وعدم الاستسلام للمرض وكل هذه الأمور.. ولتعرف.. الطبيب قال أن

فرصة البقاء على قيد الحياة صارت محدودة.. زنيا.

بعد هذه المقدمة المُفجعة دلف إلى أبيه بغرفة واسعة يقيم بها منذ أكثر من شهر فى الطابق الأول.. ثمّة أنبوبة (أكسجين) يخرج منها خرطوم ينتهى بقناع شفاف من (السيليكون)، وطلاوة صغيرة عليها علبة مناديل، وزجاجة مياه وعدد من الأدوية.. كل هذا بجوار الفراش الكبير الذى يرقد على طرفه القريب الرجل العجوز الذى فقد الكثير من وزنه منذ رآه (أحمد) آخر مرة. يرقد هزيلا، وقد غيرَ النحول من شكل وجهه مع الشعيرات البيضاء النامية فى لحيته، وحين ابتسم ليرحب بـ (أحمد) أدرك الأخير أن لدى الرجل آمالا بناها على مكالمة أمس.. آمالا بفتح صفحة جديدة.. صفحة جديدة متأخرة جدا.. لكنها بالنسبة للعجوز كانت من أهم صفحات كتابه.. إن لم تكن أهمها على الإطلاق الآن.

هل شعر (أحمد) بضغط زائد فى حنجرته وأنفه أم أن هذا كان وهما؟ جلس على طرف الفراش ممسكا بمصحف كان قرب الوسادة.. انحنى وقبّل جبهة المريض فسعى هذا بيده ليربت على فخذ ابنه. تحذيرات (نوال) من إثارة أمور بعينها جعلته يبحث عما يستطيع التطرّق إليه دون أن يفقد النظرة المطلّة من محجرى عينين ذابلتين.. نظرة تُنافى كل شئ آخر فى الغرفة.. نظرة بها أثر للحياة. قال له أن المزرعة رائعة، وأن الشركة أنجح مما كان يتصور.. وكان يصمت حين يسعل الرجل أو يسحب منديلا ليصبق به إفرازات مصحوبة بالدماء يلقيه بعدها فى كيس بجواره.

بعدهما فرغ ما يمكن أن يُقال طالبه الرجل بأن يتحدث.. يحكى عن ماضيه وسنون غربته.. ففعل.. حكى بعض الأمور، والمواقف.. حكى عن التغيرات التى طالت طباعه وأفكاره.. كان يمكنه أن يتوقف عن الحديث بسرعة.. مع أى وقفة صغيرة بين قصتين.. لكن الإهتمام فى نظرة العجوز كان جلياً.. قويا.. يجبره على المواصلة.

حين جاءت (شذى) لتعلن أن الطعام جاهز قال الأب:

- إذهب لتأكل، وعد إلى.. سأنتظرك.

قال الكلمة الأخيرة بابتسامة.. فبدت عميقة.. مختلفة.

- لا يا حاج.. أريد أن أكل معك هنا.

- لا.. لا.

ناداه أبوه بإشارة من يده فمال نحوه.

- أنا أريدك أن تجلس مع (شذى) و(دعاء).. أنت رجلهم من بعدى.

سكن (أحمد) لثوانى، ثم ربت على كف الرجل، وقام ليتناول غدائه مع أخته طائعا.

وجود (نوال) معهم على الطاولة أشعره بالغبرة.. كانت الأطعمة تليق بمأدبة لكنه ازدرد القليل من الطعام، وحاول أن يفتح حوارا مع إحدى الفتاتين.. لكن الكلام مات صغيرا.

أحنقه تبيينه أن (نوال) لا تزال تفرض حواجز بينه وبين بناتها.. قديما.. كانت مُحققة لو تحرى الصدق مع النفس.. لم يكن هو ذلك الصديق الذى ستحبه أى أم لأطفالها.. لكن الآن.. من غير المنصف أن يجلس بعد كل تلك السنين كعابر سبيل لا يجد ما يقوله لأخته.. لم تتزوجا! كيف لم تتزوجا حتى الآن؟! ثمة أمر غامض فى آنسات هذا البلد.

شكر (نوال) على الطعام، ونهض إلى الحمام، ثم أجرى إتصاله بـ (نورا) التى كانت على محور (٢٦ يوليو) الآن.. ما يعنى أنها أنهت الطريق الصحراوى من (الإسكندرية) إلى (القاهرة).

صلى الظهر قبل أن يعاود الدخول إلى غرفة (منصور)، وكانت (نوال) بالداخل، والفتاتين أيضا، وفاجأ الاب الجميع بأن طالب ابنتيه باصطحاب (أحمد) فى جولة ليشاهد المزرعة.. نظرتيهما لأمهما جلعت (أحمد) يقول:

- يمكننا تأجيل ذلك للمرة الـ

تمييزه لنظرة أبيه أسكته.. نهض واقفا، ثم أشار بذراعه..

- هيا يا بنات.

رافقتاه شاعرتان بمتعة خرق تعليمات مفروضة عليهما.
وفور أن خرج الثلاثة من باب المنزل حتى بدأ تحدُّثه إليهما.. جذبهما بما
يذكره عن طفولتيهما.. أن يخبرك أحدهم أنك تقيأت فوقه وأنت صغير..
فذلك يشعرك ببعض النشوة، أو ربما الإمتنان لأنه لا يزال يرغب فى التحدث
إليك.

كانتا تذكرايه جيدا.. يذكران أكياس الحلوى المتماثلة التى كان يحضرها لهم
و (رانيا) كبيرتهم.. ويذكران لعبه كرة القدم فى الحديقة القريبة من
منزلهم.. وكيف أنه كان يورط نفسه فى المشاكل وكأنه يحبها.

- أنا فاكرة كمان العطر (شمشمش) اللى هرب وداسته عربيه.

كانت (دعاء) تتحدث عن موت أحدهم فى حادث كذكرى ممتعة جدا..

- وخلصنا ما نقولش ل (شذى)، وإختفيت شوي، ورجعت بواحد شبهه
أقنعناها أنه هو.

- أنا فاكِر إن كان فيه اختلاف فى حاجه.

- أبوه.. (شمشمش) الأصلى كان عنده بقعة بيضا فى بطنه.. بس (شذى) ما
أخبرش بالها.

ضحكوا، ثم عاودت (دعاء) إجتراح الذكريات..

- وفاكرة الخناقة طبعاً.. كانت (رانيا) ساعتها فى ثالثه ثانوى، وإتعاكست
وهي راجعة من المدرسة، وإنّ جيت ومعاك صباحك، وكانت ليلة.

- فاكرة (ركس)؟

- يا نهار أبيض! أغرب كلب فى التاريخ.

قالت (شذى) التى بدأت جدران تحفظها تذوب متخفية شعورها بأن (أحمد)
غريباً:

- أنا كمان فاكراه.

- كنتى بتخافى منه.

- هو كان بخوف أصلاً.. ده راح فى فى الآخر؟

أجابتها شقيقتها:

- باباكي طرده أول ما اكتشف وجوده.. بعد أربع سنين والكلب بينام في البلكونة، وعاشن حوالين العمارة.. كان يبطلع بالليل يجربش باب الشعف بصوافره.. لو بابا صاحي نفتح الباب ونمشيه ونغفل.. ينزل شوبه ويطلع تاني.. بيصن له كده أمّا أفنح له وكأنه يبسال: ها.. أبوكي نام ولّا أنزل شوبه كمان؟ زعلنا كئنا أومي و(اللّ) طّا (بابا) مشّاه.. (أحمد) أكثر واحد زعل، وإخانو، ودورّ عليه كثير أومي.

ظّلوا في حديث الذكريات لدقائق، وهم يسيرون بمحاذاة السور المدعم بصف من أشجار (الكازورينا) العملاقة، و(الأكاسيا).

بدأ (أحمد) يتسلل مقتربا منهما بخفة.. يسأل كل واحدة عن حياتها، فتتشاركان في إخباره ما يميظ اللثام عن شخصيتيهما.. وانجذبنا إليه غريزيا.. ستحب أي فتاة أن تمتلك أذا أكبر يبدو مهتما ومراعيًا مثله.. جلسوا على أريكة خشبية في الظل.. جلسوا لقراءة الساعتين حتى إتصلت (نوال) ب (شذى) وطالبتها بالعودة.

(نورا) أرسلت إلى (أحمد) رسالة قصيرة أثناء ذلك.. تخبره أنها عادت إلى منزلها، وتطالبه بأن يرسل تحياتها لأبيه، وأن يتصل بها فور تمكُّنه. في طريقهم للمنزل.. كان (أحمد) يتوسط أختيه بعكس ما كان عند خروجهم منه.. ربما يملك ذلك دلالة ما.

عرف منهما أن (دعاء) تشرف حاليا على الخطى الأخيرة من تأسيس مطعم بموقع مميز ب (التجمع الخامس).. منطقة لا يعرفها (أحمد) لكنهما أقنعته أنها ليست نائية أو موحشة.

(شذى) تجيد الرسم والتصميم.. على الورق، وعلى برامج (الجرافيكس) الكمبيوترية.. تدربت بالشركة لفترة وشاركت في تصميم بعض الحملات الإعلانية الناجحة لكنها فضّلت في النهاية العمل لحسابها من خلال موقع إلكتروني تعرض فيه بعض تصميماتها، ويأتيها منه صفقة أو اثنتين في الشهر.

حين تركهما (أحمد) ليعاود الجلوس مع أبيه قليلا قبل العودة إلى (القاهرة) كان يقر لنفسه بأن (نوال) - رغم عدم حبه الشديد لها - قد نجحت في تنشئة بناتها، وأحاطتهن بحدود صارمة ربما لا يحببها الفتيات لكنها وقتهن الكثير من مشاكل النشوء في ظروف مادية ميسورة كالتى نشأن فيها.. هو لم ير (رانيا) لكنه علم أنها مخطوبة لابن أحد كبار رجال الأعمال، وأن موعد زفافها محدد ليتم خلال أشهر قليلة.

تبادلوا أرقام الهواتف الخاصة بكل منهم قبل دخول البيت، وقال له أبوه حين صارا وحدهما:

- لو تفضل معانا لبترة.. (رانيا) ح تيجى الصبح إن شاء (الله).
- معلىش يا حاج لازم أرجع (القاهرة).. بسن ح أجى نانى بإذن (الله) علشان أشوقكم كلكم.
- وإنت مش ناوى ترجع بقى خالص؟ ما زهقتش من (أفريكا)؟!
- أرجع خالص دى صعبة شوية يا حاج.. خصوصا فى التوقيت ده، وظروف البلد.
- مش عايز تنجوز يا (أحمد)؟ بنت من بلدك.. تفاهمك وتصونك!
- إيه يا حاج؟ عندك عروسة ولأ إيه؟
- أبوه عندى.

لم يبد حاسما بهذا الشكل قبلها.. ثم أنه استطرد:

- عندى لك عروسة فضلت أمثأها لك حوالى سبع سنين، وكنت خايف لا تكون ما تسدقهاش.. بسن دلوقتي أنا حاسس إنك جدر بيها.

تسارعت نبضات قلب (أحمد) لسبب ما.. اصطنع اللامبالاة، وهو يسأل والده رغم قرائته لاسمها فى العينين المجهدتين:

- ومين بقى الملكة الطوجة دى؟

ورغم توقعه الجواب إلا أن برودة ثلجية اجتاحت كيان الابن حين سمع اسمها بصوت أبيه الذى أضفى إليه المرض حجة لم تكن موجودة سابقا.

- (نورا السيوفى).

تململ (أحمد) فى جلسته على طرف الفراش، وقال متوترا:

- وإشعنع (نورا السبوفى) بالذات بعنع؟ إبه اللج فيها بميزها عن غيرها؟
- لأ حاجات كتير، وطاها إتعاملت معاها.. بيقع أكيد لاحظت ده.. بس أنا برضوح أجابك.

توقف لياوجه وحيدا نوبة سعال قاسية لها طنين تجعلك تشعر أن قفصه الصدرى سينفجر فى أى لحظة.

حين انتهى بدا محتاجا لهدنة كى يستريح.. وكان المرضى لا يرحم. جمع ريقه بصوت والتقط منديلا وضعه على فمه، ثم ألقاه فى الكيس بجواره.

- البنت دى يا (أحمد) عندي فى الشركه من ساعت ما إتحرجت.. أقول لك إبه عنها؟ إبه فى الأدب والاحترام.. تحت عينى من ٨ سنين.. رفضت جيش خطاب.. منهم اللج معاه اطال، ومنهم اللج معاه النفوذ والسلطه. ومنهم اللج معاه كل حاجه.. كنت مستغرب فى الأول، وبعدين سيطرت علينا فكرة إن إنت ترجع فى يوم وتتجوزها.. ومن ساعتها بدأت أنا أتفعل برفض كل اللج بتقدموا لها.. حسيت إنها واحده من بناتى.. بملن أكون ما حسستهاش بده.. والوقت فات أتى....

انخرط مجددا فى نوبة سعال حادة قطعت سياق حديثه.. واصل بعدها:

- أبوها (مصطفى السبوفى) - (اللج برحمه) - كان ظابط فى البحرية.. بالصدفة سألت واحد أعرفه إن كانت بنت ظابط، وطلع يعرفه.. قال لى إنه كان راجل فى قمة الاحترام والشرف.. عايز إبه أحسن من كده؟ البنت دى جوأها خير يا (أحمد).. روحها نقيده رغم شوبه عيوب كانت كلها متعلقه بجيها لنفسها.. فضلت تنهج وتبعد عن حب الظهور اللج شجعها عليه بميزها عن الموجودين حوالها.. عارف.. طأ (سليمان) قال لى إنها ليست الحجاب.. حسيت إنها كل السنين دى كانت مستنياك إنت.

نهض (أحمد) بعد انتهاء والده.. نهض ثقلا.. تبدو ملامحه وكأن هناك من سكب فوق رأسه سطلا من الماء البارد.

هل يخبر أباه أنه لا يريد الزواج؟ هل يخبره أنه معقد حتى أنه لا يحب التفكير فى هذا الرابط الاجتماعى القاسى الذى لا يتناسب مع شخصيته الملولة بدرجة مخيفة؟

- أنا يا بنى مشن ضامن حاجة فى الدنيا.. مشن ضامن إنَّها حَبَّك. ولا إنَّك حَبَّها.. أنا أصلا مشن ضامن أعيشن لبكرة.. أنا كل اللى طالبتك منك توعدنى بحاجتيني فى الطوضوع ده.

توجّه عائدا قرب والده ليسمعه جيدا.

- أوَّهم إنك تدعى نفسك فرصتَ تَعَرَّبَ منها. وإن شاء (اللهم) الأمور عَ مَشَى بعدها.. وتانى حاجة إن لو حصلك بينكم قبولك بإذن (اللهم) لحافظ على البنت قد ما تقدرو.. معلش يا بنى أنا عارف اتنى بسبب الأحدات شوبه بسن إستحملنى.. لو لقيت نفسك يا (أحمد) ع تظلمها أو تلعب بيها.. إبعد، وسببها لحاها، وساعتها بقى عندك فلايين غيرها.. هنا.. وهناك فى أمريكا.

صمت (أحمد) لثوانى التوى فيها فمه، وضربه فيض من المشاعر، ثم أطرق برأسه..

- إنت لغاية النهارده مشن قادر تَقْتَنِعَ اتنى مشن بنى آدم وحش..
- أنا يا بنى طول عمرى عارف إن جوالك حاجات حلوه كتير.. غير اللى كنت بتبيئها لكل الناس.. أمك زرعنها فيك وهى بتولدك.. أمك يا (أحمد) كانت زى الملائكة، ومن الحاجات اللى خلتنى أممى (نورا) تكون ليك اتنى طست فيها كتير من أمك.

ظل (أحمد) ينظر لوجه والده.. تفرقت عيناه بالدموع لأول مرة منذ قرون.. تقلص فكه لثوانى ثم عاد لمكانه، وجلس صامتا لثوانى..

ازدرد لعابه، وألقى سؤالاً طالما أراد معرفة جوابه:

- إنت كنت بتحب أمى؟

أجاب العجوز بسرعة، وصوته يتهدج:

- الوحيدة يا بنى - وربنا بشهد علينا - اللى حَبَّها فى حياتى، وسألنى يا بنى.. بدل ما أشوف فيك حنة منها، وأبقى حنين عليك بعد موتها، وأحاول

أَعُوذُكَ عَنْهَا .. مَوْتَهَا خَلَّانِي أَوْسَى عَلَيْكَ .. انْتِهَارِي بَعْدَ وَفَاتِهَا عَمَانِي ..
سَاعَتِي بِابْنِي، وَإِدْعَى لِي رَبَّنَا بِسَاعَتِي .. يَمَلِكُنْ ابْتِلَانِي بِمَرْضِيهِ اطْفَائِي عِلْشَانِي
يَجْعَلْ عَنِّي عِزَابَ الْآخِرَةِ .. أَنَا أَسْفَى يَا (أَحْمَد) يَا حَبِيبِي .. مَا كُنْتُشْنِ الْآبِ اللَّيِّ
تَمَنَّااه وَتَسْتَحْفُتْ.

كان جسد الكهل يرتعد، وتساقطت الدموع من عينيه الغائرتين المتوسلتين.
توقف الزمن.. وهذه المرة توقف ليدس في شريطه لقطه تأخرت جدا.
انحنى (أحمد) وأسند ركبته إلى الفراش ومال يحيط جسد والده المتهالك
بذراعيه، ووضع رأسه على كتفه.. وظلا يرتجفان.
لو كان الطبيب موجودا لجن جنونه.. لكنه كان سيصمت على الأرجح.. الابتعاد
عن الانفعالات الذي أوصى به للعجوز كان يتم خرقة الآن.. نسفه نسفا.
- أَنَا مَسْأَلُكَ يَا بَابَا، وَجِبَّكَ.

قالها الرجل الأصغر عمرا، وهو يبكي وكأنه عاد طفلا.
تعلق أصابع أبيه النحلية بظهر قميصه مثل له عناق دافئ حُرْم منه طويلا.
تهانف العجوز فانتحب ابنه كما لم يفعل في حياته، وبعد دقائق طويلة هدا
البكاء.

حين انتهى عناقهما كانت دموعهما قد اختلطت، وتصالحا ليمحيا جفءا طال
أمده.

عاد (أحمد) ليجلس ماسحا وجهه بيديه بينما استغرق (منصور) وقتا وهو
يجفف دموعه بمنديل حتى صار هذا الأخير قابلا للعصر.
قال شيئا وهو يتنشق فانتبه (أحمد)، وسأله أن يكرر ما قال..

- عْ تَعْمَلِ اللَّيِّ وَعِدَّتِي بِيهِ إِهْتِي؟

تنهد (أحمد) بعمق..

- وَعِدْ إِيه يَا حَاج؟

- مَشْنِ عْ حَبِيبِ لِي الْبَطَّةِ الْأَمْرِيكَانِي اللَّيِّ وَعِدَّتِي بِيهَا؟ وَلَا رَجَعْتِ فِي كَلَامِكْ؟

حديق (أحمد) فى وجه أبىه لثوانى؁ ثم انفجرا ضاحكىن حتى دمعت عىونهما مرة أخرى؁ وهاجمت الأب نوبة سعال جدىة كانت ترج الفراش رجاً.. دخلت على إثرها (نوال)؁ ونظرت إلى (أحمد) قائلة:

- **مشن كفايه كره؟ الدكتور وصىء بعم طول الزىارات.**

رد (منصور) دون غضب:

- **دمى مشن زىارة يا (نوال).. ده إبنى اللى ما قعدتش معاه من سنين.**

فأجأت الجمىع بقولها:

- **وعلشان كره بالذات كفايه أوى.**

تغلب (أحمد) سرىعا على صدمته؁ ووقف لىمنع حدوث مشادة بسببه..

- **أنا كنت خلاص ماشى يا طنط.**

قال أبوه؁ وهو يبدو مستعداً للقتال:

- **أقع يا (أحمد).. أنا لسه ما خلصتش كلامى معاك. وعابزك فى حاجه**

ولهه.. سببنا يا (نوال) لو سهحى.

أطرق (أحمد) برأسه أمام النظرات الحادة التى تخترقه قبل أن تستدیر المرأة؁ وتغادر الغرفة.

مكث بعدها لنصف الساعة.. تحدت (منصور) فى معظمها؁ وحين خرج (أحمد) من عنده؁ وهبط الدرج الرخامى وجد (نوال) فى مواجهته..

- **أعرف جىدا لم جئت الآن.. تحسن علاقتك به قبل موته ببضعة أيام!**

صدم بالهجوم للحظات فقط؁ ولكنه لم ىرد بمثله.. أطبق فمه وقرر عدم الخوض فى جدال عقىم.

- **سىة (نوال).. كان الطعام رائعاً.. أشكرك لكرم ضىافتك.**

إتخذ طرىقه إلى الباب متشاغلا بالبحث عن مفتاح سىارته فى جىوبه.. شىعته بازدراء:

- **أهم شىء أن تبتعد عن بناتى.**

توقف.. كانت الضربة قاصمة.. أوجعته.. ما أكد أن عودته إلى (مصر) غيرته بشدة.

(أحمد) الذى كان يعيش هناك فى (كاليفورنيا) كان ليجيب بشئ على غرار "إذهبي أنت وبناتك إلى الجحيم"، ولكن (أحمد) الجديد هذا استدار، ونظر إليها بتحدى.

- لقد ابتعدت عنهن بما يكفى بالفعل.. حان الوقت لأكون قريبا فى حال احتياجهن إلى.

- لم يحتجن إليك منذ مولدهن.. وسيحتجن إليك الآن!!!

جز (أحمد) على أسنانه، ولاذ بالصمت لثوانى قبل أن يسألها:

- لماذا تكرهيننى؟

لم تنف ذلك.. هذه إمراه صريحة بدرجة مفرعة..

- لأنك شخص سئ.. رفضت النشوء فى بيت محترم، وعشت فى حزن الشارع.. من تخدع؟ أعرف كل شئ عن ماضيك وأفعالك.

- لم أختَر ذلك طواعية.. لكن.. أتعرفين شيئا؟ ربما يجدر بك الشعور ببعض الخجل لأن حزن الشارع كان أكثر دفئا من حزنك أنت.

ختم عبارته، واستدار.. فتح الباب وغادر بهدوء ظاهرى.

وطوال الطريق ظل واجما.. ولم يتصل ب (نورا)، والتي كانت تنتظر إتصاله بشغف.

تتمدد على أريكتها منذ ساعتين.. حين وصلت وأفرغت حقيبة متاعها، واستحمت، وأخذت تنظر إلى شاشة هاتفها كل بضع ثوانى.. تأمل أن يتصل ليقول أنه سيمر بها..

حتى لو كان سيقف قليلا أمام بابها، ثم ينصرف.. المهم أن تراه.

حين إتصل جاهدت لإخفاء اللهفة فى صوتها.. سألته عن لقائه بأبيه، فقال:

- ع أخلص لك بعدين.

ثم سألها:

- فُش عابزة تشوفيني؟
- همممم.. أفكر.. بعني.. عادي.
- وحياة (رغدة)!
- شهمت.. فضحك بخفوت مردفا:
- خلاص.. ع أرجع الفندق أنا.
- لأ.. لأ.. إسئني طيب.. و(الل) عابزة أشوفك.. إنت فين دلوقت؟
- صمت قليلا وهو مبتسم، ثم قال:
- فُرام بيتك.
- هبت من رقادها..
- بتخرج!!
- ع أسئلكي.
- ليه ما إتصلتني بدرمي شوبه؟
- عابز أقول لك إني إتفاجت أصلا إني هنا.
- وإنت عربيتك دي إيه بعني؟ بتطير!
- ضحك..
- طب بلأ يا فصيح.. ما تتأخرين.
- أنهى الإتصال، وأطفأ المحرك، وفتح النوافذ، ثم أعاد ظهر مقعده للخلف واسترخى قدر إمكانه.
- حين رآها تغادر باب البناية غادر السيارة، وعقله يمارس سخافاتهِ بإشعاره كم تعجبه.. كانت أنيقة كعادتها.. ربطتها للحجاب كانت تركية بلونين.. تنتعل حذاءً عالي الكعبين أزداد من طولها أربعة إنشات.
- صافحها وفتح لها الباب، ثم دار ليستقر بمقعد السائق.
- إلى أين تريدان الذهاب؟
- أي مكان.. ما يهمني هو أن تقص علي ما دار اليوم.
- نظر إلى ساعته قبل أن يسألها:
- ما رأيك في الذهاب للنيل؟

- موافقة جدا.
- تحرك بالسيارة، وبدأ يحكى لها عن أبيه، ثم عن لقاؤه بأخته.
- سألته بعد قليل:
- ألم يدر بينك وبين والدك حديثا عن الماضي؟
- (رانيا) هى التى لم أرها.. وعدتهم بزيارتهم مرة أخرى فى القريب.
- هزت رأسها ثم سألته عن (رانيا) فقال ما عرفه اليوم.. صمتت قليلا ثم سألته عن (نوال).. تنهد قبل أن يجيب:
- ليست قادرة على تقبُّلى.. تعتقد أننى أحاول تحسين علاقتى بأبى الآن من أجل المال.
- يا إلهى! وماذا قلت لها؟
- لا شئ.. لم تقلها صريحة، ولم أحب خوض معركة لا طائل منها.
- حين أوقف السيارة فى المكان الذى أوقفها فيه يوم دعوته لفريقها للعشاء
- عاودتها ذكرى تلك الليلة.. قال قبل أن يغادر السيارة:
- ابق هنا حتى أسأل إن كان الحجز متاحا أم لا.
- عبر الطريق، وهبط الدرج، ثم عاد بعد قليل ليفتح الباب لمرافقته..
- فكرت بسرعة وهما يدنوان من الدرج.. لكنها فعلتها فى النهاية.. مدت كفها
- بنعومة لتضعها على عضلة ذراعه فسارع بضم ساعده بزاوية قائمة، وهى
- تهبط بجواره، وقد انزلت يدها إلى ساعده مستندة إليه.
- قال وهما يصعدان إلى متن الباخرة:
- لو كنت أعلم أنك ستكونين بهذه الأناقة كنت ذهبت أولا لتحسين
- مظهرى قليلا.
- قالت أن كل حله، وربطات عنقه رائعة، ثم أضافت:
- أتعرف أيضا؟ عندما يكون بعض التعب واضحا فى عينيك كما هو
- الآن.. تبدو طيبا جدا.
- جلسا إلى طاولة ثنائية قادهما إليها (المتردوتيل).

- وإذا نمت جيدا أتحول إلى شرير أم ماذا؟

- طاغية.. شرير هذه ليست كافية.

ضحك، وهز رأسه.

بعد ثوانى قالت:

- هيا بنا.

ابتسم مومئا، ونهضا معا للصعود إلى الطابق العلوى، والوقوف عند السور المطل على النيل بعد أن تركت حقيبتها وترك هو مفتاح سيارته على طاولتهما.

شردا قليلا، ثم قال دون أن يلتفت إليها:

- تحدثنا أنا والرجل العجوز عن الماضى.. قال أنه انهار بعد وفاة أمى،

وفقد توازنه.. قال أنها الوحيدة التى أحبها حقا فى حياته.. اعتذر لى

عن قسوته، وطالبنى بالدعاء له بالمغفرة.

ظلت تنظر إليه.. إلى جانب وجهه الحزين.. ثم سألته بخفوت:

- وماذا قلت له؟

التقط نفسا بأنفه ولم يفره..

- قلت له أننى أسامحه.. وأنى أحبه.

رأت لأول مره تلك العضلة التى تلاعبت فى جانب فكه لتوحى بمشاعره المكبوتة.

مدت كفها، وأدارت وجهه إليها من ذقنه.. منحتة أجمل ابتساماتها وقالت له بمزيج مريب من المشاعر:

- أنا سعيدة جدا بذلك.. أتعلم؟ أشعر وكأنى فخورة بك.

نظر فى عينيها، وبدا عاطفيا بجنون..

فاجأها برفع يده إلى يدها.. ألصق راحتها بلحيته ذات الشعيرات النامية وقال بحرارة:

- أنا أيضا سعيد بذلك.. أنا مدين لك حقا.

وهذه المرة قبّل باطن كفها.. مرتين كعادته، وهو ينظر فى عينيها.
وكانت المرة الأولى التى يفعل فيها أحد ذلك.. سحبت يدها لتستعيدها منه
ببطء، وقلبها يدق طبول الحرب.

استندت إلى السور لأن سقوطها أرضا كان ليبدو مضحكا جدا.
لم ينجح فى إبعاد عينيها عنها.. يحب الارتباك والتورد اللذان يعترياها كلما
نقل لها إحساسا.

تمنى لو يعلق عطرها بأنفاسه إلى الأبد.

- لقد تحدّثتُ عنك.

بدت عليها المفاجأة..

- عنى أنا!!

أوماً مبتسما، وترك فضولها يتنامى قليلا، ثم قال:

- حذرنى منك.. قال أنك مغرورة، وتعشقين نفسك و....

لم ينجح فى مواصلة كذبه لأن ضحكته أفلتت لتعبيرات وجهها المصدومة..

احتضنها بعينيها - إن جاز التعبير - ثم صحح:

- أخذ يشيد بك، وأرسل لك شيئا معى.

وواصل ليحجب سؤالها القادم:

- سأعطيه لك فيما بعد.

أومات موافقة رغم فضولها، ونظرت لقارب خشبى صغير فى منتصف النهر
يقف صاحبه على طرفه مشمرا جلبابه متوازنا بقدمين حافيتين يستعد
للإلقاء شبكته فى المياه و..

نست كل شئ عن الرجل والقارب والنهر حين شعرت بذراع (أحمد) تطوقها،
ويده تستقر على ذراعها الأبعد عنه بل والأدهى أنه ضغطها بقوة وكأنه يريد
أن يسارع بهذا قبل أن يحدث ما يمنعه.

توقف نبضها لثوانى، ثم اندفعت الدماء فى رأسها بقوة.. تلعثت بشدة..
نظرت إلى وجه المطل عليها وجاهدت لتجميع جملة مفيدة بصوت مبحوح:

- هيا.. نعود.. إلى الطاولة.
لم يتركها.. كانت تعلم كم هو متملك.. وكانت تعلم أيضا أن المشاعر التي عاشها اليوم تجعله مختلف بشكل واضح.. عاطفى بدرجة خطيرة.
لكن من هي لتتملص من لمسة كهذه! حلمت بها دهرا.. كما هي الآن بالضبط.. تُشعرها بالأمان والدعم، وحنان لم تختبر مثله قط.
لم يُفلتها رغم أنه عاد ينظر إلى صفحة المياه.. فبدأت تغالب مرحلة الذوبان.. نادته بهمس ناعم لم يكن ليحسن من الأمور أبدا.. سألها بشئ من الجمود، وهو يخفى عذاباته المتأججة:

- ماذا؟

- أنت مجنون اليوم.

ازدرد لعبه بصعوبة فضحتها (تفاحة آدم) فى عنقه.. ثم نزع يده عنها انتزاعا..

- أنا آسف.

بدأت الباخرة فى التحرك بنعومة فكررت هى دعوتها الأولى:

- هيا نعود إلى الطاولة.

سكت ثوانى، ثم التفت إليها متصنعا بسمة مزرية..

- سأوافيك.

بلهاء هى أو حمقاء.. ربما.. لكنها ربتت على ساعده برقة قبل أن تتركه.

حين عاد ليجلس أمامها بادرها بسؤال عجيب:

- لقد فقدت بطاقة هويتك.. فهل لديك جواز سفر؟

أجابته بإيماءة، فاستطرد بجديّة:

- جيد.. أريدك أن تأتى للإقامة بالفندق بضع ليالى.

- ماذا؟

- نعم.. لقد إتصلت بهم الآن وحجزت لك غرفة.

- (أحمد).. ما الذى تقوله؟

- (نورا).. تأكدي أن لا شئ يهمنى فى الدنيا بقدر راحتك.. هناك أمر طارئ يستوجب ألا تتواجدى فى شقتك، أو حتى وحدك فى أى مكان. ظلت تنظر إليه، ثم ابتسمت بدهشة..
- وأى أمر هذا؟ مخطط لاغتيالى!!
- اكفهرتُ سحنته.. وغلظ صوته..
- لا تتفوهى بسخافات.
- بدا جادا جدا.. أدهشتها ثقته فى أن تنفذ ما يريد بهذه السهولة.. ما جعلها تحاول الدفاع عن استقلاليتها..
- لم أعد أفهم هل أنت جاد أم تمزح، ولكننى لن أطيعك إلا لو فهمت ما يدور.
- صمت.. أرادها أن تثبت أنه يحوز ثقته تماما.. لم يحب أن تعامله بتمردها الذى اختفى منذ فترة.. فترة هى الأجل فى عمره.
- صمت، وأشاح بنظره عنها ما أزداد توترها.. ثم فاجأها بسؤال لا علاقة له بالأمر:
- هل إتصلت ب (أيمن) مؤخرا؟
- (أيمن)!!! لا.. لماذا؟
- الواد ده جرع على فكرة.
- أمالت رأسها، وحاجبها متقاربين.. لم تشعر أنها تفهم أو تجد علاقة ربط بين كلامه..
- استطرده هو:
- أما (سامح) المنفوخ هذا.. فلا أريدك أن تتحدثى إليه حتى.
- نظرت إليه للحظات، ثم تشاغلته عنه بإخراج هاتفها من حقيبتها وبدأت تعبت بشاشته حتى مد (أحمد) يده ينتزعه منها فرفعت عينيها إليه.. سألتها:
- هل أطلبك بما هو صعب جدا؟
- هزت رأسها..

- نعم.. صعب جدا.. كيف سأعيش دون التحدث مع (سامح)؟
- دعاهما (المتردوتيل) إلى (البوفيه) الذى تم فتحه للتو.. جملة وحيدة، وابتسامة دبلوماسية وعاود الابتعاد.
- كانا ينظران لبعضهما.. أدار (أحمد) هاتفها بين أصابعه، ومط شفتيه..
- نسيت أنك لا تحبين أن يتحكم بك أحد.
- أمالت رأسها إلى الأمام ووضعت كفيها عليه لثانية، ثم عاودت مواجهة (أحمد)..
- تحدثت هذه المرة وكأنها تعامل طفل أو مجنون:
- (أحمد).. (أحمد).. لا تثر جنونى.. ما قصة الفندق والأمر الطارئ؟
- حاول تقييم ردود أفعالها بعينيه قبل أن يقول مساوما:
- ولو قلت لك أننى لا أريد إخبارك الآن، ولا أجد كذبة تصلح لإقناعك؟
- استوعبت الكلمات قبل أن تسأله:
- هناك أمر ما إذن يدفعك لتطلب منى الانتقال إلى الفندق، ولا تريد إخبارى به؟!
- أوما برأسه إجابا، فسألته:
- هل هذا اختبار ثقة مثلا؟!
- رفع كتفيه وخفضهما..
- ربما.
- ثم وقف، ودار ليستحب مقعدها كى تقوم معه.. كانت جائعة جدا حتى بدأ يثير توترها..
- عادا معا، وهو لا يتحدث إليها بكلمة.. وكأنه غضب منها.
- وكان هو قلقا بشدة.. آخر ما يريده هو إخبارها بالتهديد الصريح الذى تلقاه، وفى نفس الوقت يرغب أن توافق.. ليس تملُكا منه كما قد تظن هى.. كل ما فى الأمر أن ذلك سيعنى له الكثير حقا.
- سألته بعد قليل:

- هل المفترض الآن أنك غاضب مثلاً؟

- كلا.. مطلقاً.

- مطلقاً!! تحدّث إذن.

- أنا متعب يا (نورا).

هناك وخزة تصيب القلب كرد فعل حين يقول لك شخص تحبه أنه متعب، وهو لا يقصد تعب الارهاق.

بدا الجزع على ملامحها حقاً.. نست الطعام كلياً.

- مم يا (أحمد).. إخبارنى.

تنهد قبل أن يجيب:

- أشعر وكأننى أتعرض لضغوط عنيفة.. تأثرت اليوم بلقاء أبى.. لم

أتوقع أن أراه يوماً بهذا الضعف.. متهاكاً بشكل مثير.. ينتظر الموت

باستسلام مرعب.. هجوم (نوال) علىّ لأننى زرتة أذهلنى، ثم

طالبتنى بالابتعاد عن بناتها، وكأننى مصاب بالجدام.

رفعت (نورا) حاجبها للخبر الأخير..

- لماذا؟!!

- لأننى شخص سئ.. يزعجها أن اقترب من أخواتى كى لا أفسدهن.

- أنت!!

احتسى بعض الماء من الكأس أمامه، ثم أردف:

- وأحوال الشركة، ويراودنى شعور أننا سنخسر مناقصة الوزارة.

- لا.. بإذن (الله) لن نخسرها، وحتى لو خسرتها.. ليست نهاية العالم..

وبمشيئة (الله) ستكون الفترة القادمة أفضل.

لم يكن لديها ما تقوله بخصوص (نوال)..

- إنه أمر رائع أن قمت بزيارة والدك، وأن سامحته على كل ما مضى،

وأرحتة بإخباره بذلك.. لقد أسعدته بالتأكيد.

أوماً وكأنه غير مقتنع.. سألته موبخة:

- ماذا؟ هل ستجعل هذه السيدة تنتزع فرحتك بالتحدث مع والدك.. ثم أن لا شخص يستطيع منعك من الاقتراب من أخواتك.. ماذا يا (أحمد)؟! أزل هذه التقطية لأجلى.
 - أوما مجددا بابتسامة شاحبة، ثم سألها:
 - هل أطلب لك عصير مانجو؟
 - ضحكت بعد لحظات دهشة..
 - وكيف عرفت أنني أحب المانجو؟
 - إنه الشئ الوحيد الذى طلبتيه منى منذ عرفتك.. ليلة (حسين لاشين) الشهيرة.
 - ضحكت مرة أخرى بخفوت ثم عَقَبَتْ:
 - الشئ الوحيد!! طلبت منك أشياء كثيرة.
 - لا أذكر سوى هذا.. و "تعال نقف فى الماء".
 - كانت تبتسم له، وكان من المستحيل ألا يحذو حذوها.. طلب لها العصير، ودعاها لإكمال طعامها.
 - حين أنهايا طعامهما طالبها بأن تحضر له معها صنف وحيد للتحلية.. قامت وحدها وهو يتابعها بنظره لا يستوعب ما تولده بداخله من أحاسيس.. هز رأسه ثم مرر أصابعه فى شعره.. لو أصابها سوء بسببه.. سيقتل نفسه على الأرجح.
 - رن هاتفها فى هذه اللحظة، وكان بجواره.. ألقى عليه نظرة سريعة، ثم انحنى وأمال رأسه يحدق فى الشاشة التى تحمل اسم المتصل..
 - اجتاحته نوبة ذهول حتى أنه أغلق عينيه وفتحهما.. ولم يغيّر هذا شيئاً.
- (Nadia EL- serafi/ Calling)
- دهشته جعلته لا يبعد عينيه عن الهاتف حتى أنهى هذا رنينه.

استرجع قول (أحمد وجيه) الذى أفاد بأن (نورا) هى الوحيدة التى أَلقت نظرة على العرض المالى الخاص بمناقصة الوزارة، ثم رفع بصره إلى (نورا) نفسها العائدة نحوه.

وإتخذ زهوله منحى آخر تماما.. فهو الذى عاش متشكِّكا فى إخلاص الآخرين، وكانت الملابس الحالية تكفيه إما لقتل أحدهم، أو الموت شكا.. لم يراوده للحظة شعور بأن هذه الجميلة خائنة.. هل هو واقع تحت سحر ما، أو شئ؟

يمكنه التفكير فى الأسوأ إذا ما كان فى حالته الطبيعية!
سحبت مقعدها لتضعه بالقرب من (أحمد)، وجلست واضعة الطبق الوحيد الذى أحضرته من (البوفيه) بينهما.. كان بإمكانها وضع ما اختارته له فى طبق آخر لكنها فضَّلت ذلك.

ناولته شوكة صغيرة وضعها على الطاولة، وناولها هاتفها فى المقابل.
- ما هذا؟ ربما تكون (مامى).

قالت ذلك وهى تلقى نظرة على الإتصال الفأنت بينما (أحمد) يراقب خلجاتها. أطلقت آهة ملل قصيرة، ووضعت الهاتف على الطاولة مشيرة لبعض قوالب الحلوى الصغيرة فى الطبق..

- لم أختَرهم كلهم من الشيكولاتة.. يمكنك أخذ ما تحب.
- من الذى إتصل بك؟

حاول طرد كل أثر للإهتمام من صوته وهو يسألها فهزت رأسها..
- شخصية مُملَّة جدا.

- وماذا تريد منك؟ هذه الشخصية المملة.

- دعك منها.. سوف أخبرك.. لكن هذا ليس وقتها أبدا.

أكلت قطعة صغيرة من الحلوى، وأشادت بها.. أرادته أن يتذوقها.

- ماذا؟ لماذا تنظر لى هكذا؟

ظل ينظر إليها حتى ارتبكت وتركت الشوكة على طرف الطبق.

هز رأسه نغيا بهدوء، ثم أجاب:

- متعجب من شئ فحسب.
- ما هو؟ شئ فى مظهرى؟
- اعتقدت أن هناك حلوى على فمها أو أمر كهذا.. لكنه ابتسم بشحوب..
- ليس فى مظهرك.. شى فىك.
- ونفض مردفا:
- سأنتظرك بأعلى.
- أشارت له بالشوكة التى أحضرتها له..
- ولكنك لم تتذوق الحلوى.
- تجاهل ما بيدها والتقط شوكتها واقتطع بها من الحلوى وتذوقها بسرعة،
وأعاد الشوكة لمكانها قائلًا:
- لا تتأخرى.
- ابتسمت من خلفه محدقة بالشوكة الصغيرة بحبور..
- طفولية هى.. لكن حركته السريعة تلك بدت لها حميمية جدا.. فكرت قديما
أنها لن تشرب من كوب أحد إلا من تحب.. ولو قُدر أن تتزوج عن غير حب..
فلن تفعلها أبدا.
- التقطت الشوكة، وتناولت بها بقية نفس قطعة الحلوى، ثم نهضت ملتقطا
حقيبتها وهاتفها لتصعد إلى حبيبها.
- كان يقف موليا النيل ظهره هذه المرة.. ألمها أن شيئا فى وجهه يقول أنه غير
سعيد.
- إنا مشن إبقعنا نشبك التكبيرة دى.. أنا كرهت كل اللى إسمهم (نوال)..
- مامى ليها واحدة صاحبتها إسمها (نوال).. كرهتها هى كمان.
- خلاص يا (نورا).. خلكنا ننساها خالص.
- عشان خاطر.
- كان كل أثر للشمس قد اختلفى تماما.. استدار ليستند بجوارها إلى السور.
- تنشقت بعمق، ثم أعلنت أن للنيل رائحة مميزة ليلا.. فعل مثلها ثم قال:

- ما تقولى لى إسم ال (Perfume) بتاعك .. رهيبيب.
- نظرت إليه، وابتسامتها تبوح بما أربكه.. ثم عادت تنظر إلى الماء.
- قال بعد ثوانى:
- تحت إسم (نادية الصبرى) فى تليفونك، وحاسن إنى سمعته قبل كده.
- (نادية الصبرى) دى يا سيدى هى مديرة اطاراد البشرية فى مؤسسه (الراسى).
- (عدنان الراسى)!!!
- ومين غيره؟ وعش كده وبسن.. هى دراعه اليمين تقريبا.. عارفها من كذا سنه. بس بتصل يآ اليمين دول كثير.
- وعابزه منك إيه؟
- بصل هى فاكراى يا إمام عبيطه، يا إمام أطلع أجرى عليها كل ما تشاور لى بشويّه فلوس.. وعلى فكرة إتفاجئوا أوى إن إحنا إتقدّنا مناقصه الوزارة..
- سألتنى سؤالين تلاته كده عن الموضوع قال يعنى وسط الكلام بقى.
- وكنتى بتجاوببها بقى؟!
- إجابات فظيعة.. إستنى ح أقول لك.. أول مرة قلت لها معرفش.
- نظر إلى عينيها بابتسامه.. بدت له أرق من قدرته على الاحتمال..
- وكان السؤال إيه؟
- مين اللى درس مناقصه الوزارة، وخط الأسعار؟
- نطقت السؤال، وضحكت مجددا معجبة بخبثها، وقدرتها على الخداع، ثم تابعت:
- واطرة التانيه بقى سألتنى عن....
- إستنى.. إنتى فعلا ما تعرفين مين اللى درس المناقصه.. صح!
- لأ طبعاً.. حضرتك.
- داعب شفته السفلى بأسنانه مسيطرا على إتساع ابتسامته قبل أن يومئ..
- ماشى.. كملى.

- تَانِي مَرَّةً سَأَلْتَنِي عَنْ مَصْنَعِ الْمُنَشَّاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ الَّتِي إِحْنَا شَعَّلَيْنَا مَعَهَا.. وَعَشْرِينَ حَ تَصَدَّقْ بَعْدِي.. قُلْتُ لَهَا تَدْرُورٌ عَلَى مَصْنَعِ كُوبِسْنِ عَلَى (Google).
كَانَ بَاسْمًا رَغْمَ إِنَّهُ كَانَ يُرْتَّبُ الْمَعْطِيَاتِ الْجَدِيدَةِ فِي عَقْلِهِ.. بَيْنَمَا وَاصَلْتُ هِيَ بِحِمَاسٍ:

- تَالَتْ مَرَّةً دَمِي بَعْدِي مَسْخَرَةٌ.. كُنْتُ أَصِلًا عَابِرًا هَا تَعْمَلُ مَعِي وَمَا تَتَصَلَّسُنِ تَانِي.. قُلْتُ لَهَا (مُسْنِ سَامِعَاكِ).. كَرَّرْتُ السُّؤَالَ يَا (أَحْمَدُ) وَأَنَا حَاسَّةٌ إِنَّهَا عَابِرَةٌ تَعْتَلِنِي.. وَبِهَيْئَةِ التَّنَاكُثِ بَعْدِي رُحْتُ قَابِلَةً لَهَا (لَا بَرَضُوا مَا سَمِعْتُنِ).. قُلْتُ دَمِي أَكِيدُ حَ تَمْسُحُ رَفْعِي خِلَاصًا.

- وَالسُّؤَالَ التَّالِيَّ كَانَ عَنِ الْمُنَاقِصَةِ بِرَضُو؟

- لَأ.. كَانَ عَنِ سَبَبِ طَرْدِكَ لَ (جَلَالُ زَيْنِ) مِنَ الشَّرْكَةِ.
- (جَلَالُ زَيْنِ)!

نَطَقَ الْإِسْمَ، وَكَأَنَّهُ يَتَذَكَّرُهُ، فَحَدَقْتُ (نُورًا) فِي وَجْهِهِ..

- أَبُوهُ.. (جَلَالُ زَيْنِ).. نَسِيئَهُ وَأَلَا إِيهِ؟

لَمَعْنَا عَيْنَا (أَحْمَدُ) عَلَى نَحْوِ لِمَ تَفْهَمُهُ (نُورًا)، وَاسْتَدَارَ يَنْظُرُ إِلَى النَّهْرِ قَائِلًا:

- أَبُوهُ.. كُنْتُ نَسِيئَهُ فَعَلًا.

شَرِدَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ فَوَكَزْتَهُ بِمِرْفَقِهَا مَازِحَةً..

- طَبِّ إِيهِ؟! أَنْظِرْ فِي الطَّبِّهِ أَنَا وَأَلَا أَعْمَلُ إِيهِ؟

ضَحِكُ، ثُمَّ سَأَلَهَا:

- بَسْ إِيهِ الْخُبْرُ دَهْ كَلَهْ. دَهْ إِنْتِي طَلَعْتِي عَيْنِ السَّيِّئِ.

غَمَزَتْ بَعَيْنَيْهَا..

- شُغْنَتِي؟! عَجِبْتِكِ؟

- فَظِيئَةٌ جِدْر.. عَابِرُ أَحْضَنِكَ.

شَهَقَتْ بِخَفْوَتِ مَبْهُوتَةٍ.. خَاصَّةً حِينَ حَرَكْتُ يَدَهُ لِيَطْوُقُهَا.. حَذَرْتَهُ:

- (أَحْمَدُ).. بَسْ.. حَ أَخَاصِمَكَ جِدْر.

- طَبِّ بُوْسَهْ.

ضربته على ذراعه براحتها..

- بس إسلت.. إيه ده؟ إيه اللي حصل لك النهارده؟

أعاد ذراعه إلى جواره مسيطرا على انجذابه الصارخ إلى الشابة بجواره، والتي إتخذت ملامحها الرقيقة هيئة صارمة جعلته يصطنع إيجاد مقترح جديد رافعا يده فسارعت بضربه عليها، ثم رفعت سبابتها بهذه الـ (هاااا) الأمومية الحاسمة.

ضحك بينما أنهت سيطرتها على سلوكه بأن زجرته بنظرة أخيرة، وهي تشيح بوجهها عنه.

ظل يحتويها بعينين دافئتين، وانفجر ضاحكا حين قالت:

- عارف؟ ببقي مش طبيعى مع أى مسطحات مائية.. نتقابل فى الصحراء بقى بعد كره.

كانت عبارة (عايز أحضنك) تلك لا تزال تعبت بمشاعرها، وعقلها.

حين رست الباخرة مرة أخرى صعدا الدرج، وهى تستند إلى ذراعه مثلما كان النزول.. استقلا السيارة، وقاد هو إلى بيتها، وهو يسألها من حين لآخر عن أشياء من أيام دراستها الجامعية..

كان وكأنه يريد أن يعرف كل شئ عنها.. كل يوم عاشته.. كل إحساس مرّت به.. وكانت هى سعيدة بذلك.. تشعر به، وتدرك معناه.. وتحب تعليقات (أحمد).. حتى لو عابثها، وسخر منها.

عندما تحب شخص.. تتغير قواعده من أجله..

بدا ذلك جليا حين مر على توقفهما أمام بيتها قرابة العشرين دقيقة وهما يتحدثان، وبادرته هى بسؤال ناعم من كلمتين:

- (أحمد).. بخصوص الغدوق؟!

لم يبد تساؤلا كاملا لكنه أو مأ برأسه مجيبا بإخلاص:

- أبوه فى حاجه مخباني أطلب منك ده، وح أشرح لك كل حاجه بعدين.

نظرت فى عينيه لثوانى، ثم قالت:

- إرْكِنِ العَرَبِيَّةَ كَوَيْسَ عِلْشَانَ تَطْلِعُ مَعَاً.. عِ أَنْصَاكَ بِ (رَغْدَةَ) أَقُولُ هَذَا، وَأَحْضِرْ حَاجَتِي، وَحَضْرَتَكَ اللّٰهَ عِ تَنْزَلِ الشَّنْطَةَ.
- تَدَفَّقَتِ السَّعَادَةُ مِنْ عَيْنِيهِ فَابْتَسَمَتْ مَتَعَجِّبَةً قَبْلَ أَنْ تَقُولَ:
- مَا تَعْرِخْشَن أَوْمِي.. عِنْدِي شَرْطٌ.. لَوْ مَا وَافَقْتَنِي عَلَيْهِ عِ أَسَلَّمْ عَلَيْكَ، وَأَطْلِعْ أَنَا.
- ضَاقَتْ عَيْنَاهُ بِحَذَرٍ بَيْنَمَا اسْتَطْرَدَتْ:
- أَنَا عِ أَدْفَعُ مَهَارِيفَ الْإِقَامَةِ لِنَفْسِي.
- بَدَأَ الْغَضَبُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَتْ لِتُقْنَعَهُ بِشَرْطِهَا:
- إِنْتِ عَارِفَةٌ إِنْ مَرَّتِي زَادَ.
- إِنْتِي بِنَعَانْدِي وَخِلَاصِي.. صَبِيحٌ عَائِزَةٌ تَضَاهِي عَيْنِي وَخِلَاصِي؟
- ضَحِكَتْ بَعْدَ تَصْدِيقٍ، وَسَأَلَتْهُ بِفَضُولٍ حَقِيقِي:
- إِنْتِ كَرِيمٌ كَرِيمٌ مَعَ كُلِّ النَّاسِ؟ حَتَّى فِي أَمْرِي....
- نَاسٌ مِثِّي يَا (نُورَا) دَلُوقَتِي.. هُوَ أَمِي كَلَامٌ وَخِلَاصِي!!
- كَانَ عَصِيْبًا حَقًّا، وَاسْتَطْرَدَ بِصِرَامَةٍ:
- أَنَا مِثْنِ عَائِزَتِكَ تَنْكَلِمِي فِي مَوَاضِعِ الْغُلُوسِ دِي تَانِي.. إِنْتِي عَائِزَةٌ تَتَّبَعِي إِيَّاهُ
- بِعَيْنِي؟
- حَاولتِ إِزَالَةَ ابْتِسَامَتِهَا لِئَلَّا تَسْتَفْزَهُ..
- إِنْتِ اللّٰهَ بِنَدْفَعِ فِي كُلِّ مَكَانٍ نَرُوحُهُ.. بَسْ مِثْنِ عِ بِنْفَعِ أَعْيُنِي كَرِيمَةً بِعَيْنِي.
- (نُورَا).. اطْفِرُوضِي إِنْ أَنَا الرَّاجِلُ.. صَبِيحٌ؟ وَلَا إِنْتِي عَائِزَةٌ نَعْدُ نَعْدَمِي، وَسَاعِدَاتِي
- الْحَسَابُ نَعْسَمُ ال (Check) عَلَيَّ إِنْتِي؟! وَشِيلِي الْابْتِسَامَةَ السَّيْلَةَ دِي.
- فَجَّرَتْ ضَحِكَةَ صَافِيَةٍ، وَقَالَتْ عَابِثَةً:
- مَرَاتِكَ عِ مَوْتٍ فِيكَ.
- مَسَّتِ الْعِبَارَةَ أَوْتَارَ أَعْصَابِهِ الْمَشْدُودَةَ..
- عِلْشَانَ الْغُلُوسِ!!

ذابت ابتسامتها وحل مكانها امتعاض، ولم تقاوم ضربه فى ذراعه بقبضتها،
والرد بلهجة تعكس كم تجده سخيفا:

- آه يا أخويا.. علشان الغلوس.

حرّكت أصابعها التى آلمتها نوعا وهى تردف شارحة:

- كنت بتقول إن أنا اللي انقرضت! أنا حاسه إن إنت اللي انقرضت من سنين.

- اسمعى.. أنا مشن موافق على الشرط ده.

- كده؟! بعنى أنا أوافق آجى معاك زى القطر العميا، وأتنازل عن أسمى تفسير،

وإنت بترفض شرطى الوحيد.. يا جبروتك جبر!

حدقت فى جانب وجهه بمشاعر متضاربة، ثم رفعت رأسها بإعتداد.

- تصبح على خير.

وغادرت السيارة وسارت نحو البناية شاعرة بحب جارف نحوه.. حتى إنها
وضعت كفها أمام فمها وأخذت تردد كلمات التصريح بالحب، والعشق وكأنها
تفقد عقلها بحق.

صعدت إلى شقتها مدركة أن طفلها الجميل المتذمّر سيتبعها.

فتحت له الباب فاندفع إلى الداخل دون أن ينظر إليها..

- إتصلى بـ (غدة)، وحضّر شنطتك.. وإجزى.

من الرائع أنها لم تضحك لمظهره وأسلوبه.. أغلقت باب الشقة دون استيعاب
لمدى التغيرات التى طالتها منذ عرفته.

ألقت عليه نظرة وهو يقتحم الردهة وكأنه سيحطم محتويات المكان.. ألقى
جسده على المقعد بجوار أريكتها المفضلة، ومال يلتقط جهاز التحكم عن
بعد فى التلفاز وقام بتشغيل هذا الأخير ناظرا إلى شاشته بتحفز.

هزت رأسها بحنان وهى تطبق على شفتها السفلى بأسنانها محاولة إزالة
ابتسامتها.

تركته وغابت فى غرفتها لقرابة الربع ساعة، وحين غادرتها كانت تجر
حقيبته التى حزمته منذ ليلالى قليلة لرحلة (الساحل الشمالى)، وأفرغتها منذ

ساعات معدودة.. ستحتاج حين تعود من هذا الانتقال الغامض لأن تأخذ ملابس كثيرة إلى المغسلة.. أوقفت الحقيبة بجوار الباب حين سمعت (أحمد) يتحدث بامتعاض.. أطلت عليه باسمه.. كانت القناة أمامه تبث إحدى المسابقات، وكانت لإخراج اختلاف بين نسختين من صورة لمُغْنِيَّة، أو ربما هى راقصة تتخذ وضعية جلوس لها العجب، ويتقافز بجوارها شاب يدعو المشاهدين للإتصال به.

- وهو لو منتج الرنامج ده معاهم عشرين ألف دولار.. كانوا سابوك تلبس ال (تِي شِرت) ديم!

سمعت (أحمد) يرطن بهذا معترضا فانفجرت ضاحكة.. التفت إليها وسألها إن انتهت.. لكن ضحكها ألان قلبه بجنون.. ابتسم، وسألها ناهضا من جلسته:

- مين دول؟

- سيبك منهم.. دول بغيه عصر الرداءات اللي عايشين.

- صدقنى إني قدرت أكثر من عشر دقائق أسمع إثنين بيتكلموا عن بطانيه؟!

لم تفهم إن كان ضحكها حقيقيا، أم تنفيسا لمشاعرها.. لكنها كانت تضحك بعمق..

- حرام عليك.. إنت لسه راجع من أفريقيا.. ما تنفجش على الحاجات ديم.

- إفتكر نهم بيهرجوا و(الل)، وبعدين طلع عندهم بطانيه عايزين يبيعوها جرد.

ثوانى وکانا يغادران الشقة وقد أحكمت (نورا) إغلاقها.

أرادت قيادة سيارتها لكنه تسائل عن فائدة ذلك.. فسيذهبان إلى العمل معا، ويعودان منه معا!

وعلى هذا جلست فى سيارته مستحضرة شعورها قبل الانطلاق فى رحلة مدرسية ممتعة.

بعد ما يربو على الساعة بقليل كان (أحمد) قد أنهى إجراءات تسكينها فى غرفتها.. الملاصقة لغرفته.. استقلأ سيارة (الجولف) الصغيرة ليصلا إليها، وكانت (نورا) سعيدة، وإن حاولت إخفاء ذلك.

- حمدا لله على السلامة.
كان يقف مستندا لإطار باب غرفتها، وعلى وجهه ابتسامة مشعة.. لم تمالك
هى إطلاق ضحكة قصيرة أمام نظرتة، وردت:
- أهلا وسهلا.
فضحك بدوره..

- طب إيه!
- أنت راضى عن نفسك أوى.
- أكذب وأقول مشن مبسوط؟
- لأ.. أنا أصلا عايزاك مبسوط على طول.
- وإنتى كمان اطفروض تكونى مبسوط.. عملتِ اللي فى دماغك وخليتى
اطوضوع إمتداد لأجازتك اللي ما كملتيهاش، وما سمحتيش لحد يقرب من
استغلايتك السخيف.

ضحكت لأنه بدا مُستفزاً منها بدرجة ما.
لم تعقب.. كانت تمسك بالباب، وتحاول تهدئة خفقات قلبها المتسارعة.
كرر هو سؤاله:

- إيه طب؟
- عايز إيه يا (أحمد)؟
- زى ما إنتى شايغه كره.. أنا كنت لوحدى هنا، وبعد بن بقى معايا أهل ..
- فين (چاك) صبيح؟
- (چاك) مين؟
حدقت فيه، فاستطرد:

- أه و(الله).. (چاك).. ع تلافيه سكران فى أوى حته.
- يبشر ب كل ليلة؟
- وكل يوم.
- هو جه علسانك، وإنت سايبه خالص كره؟

- مشن سايبه ولا حاجه.. هو أنا ما فلنكيشن این حيزت لهم في جولات
- سياحية في (العاهرة)؟
- حيزت لهم!! هو ومين؟
- هو و (سوزان ماجواير).
- ومين (سوزان ماجواير) دمی؟ بتقول اسمها كإنها مشهورة أوی.
- مشهورة آه!
- أبوه مين بقى لهی؟
- أبدی امتعاضا على وجهه..
- (سوزان) دمی كائن لزج كده تحسّی إنه موجود في كل دول العالم.. عامله زمی
- اطرد عن الحریة كده، و
- صمت بينما تورّد وجه (نورا) لأن إفادته الأخيرة جائت مقترنة بإشارة بيديه
- لوصف أكثر ما يميز (سوزان) عن غيرها.
- تتنحج بحرج في حين أخبرته هي برأيها فيه بلا تحفظات..
- إنت قلبك الأدب.
- أخفى وجهه بكفه، وحاول كتمان ضحكاته..
- طيّب.. مشن عايزة حاجه؟ تصبّحی على خير.
- لا شكرا.. وإنت من أهله.
- تراجع لتغلق الباب حقا لكنه سارع بإيقافها ضاحكا:
- إيه ده؟ مشن ع تفكری ثانية.. لا شكرا، وخلاص كده!!
- عايز إيه؟
- الساعة لسّه حداثر.. ع تنام دلوقتی؟
- أولا.. الساعة حداثر ونص، وتانى حاجه - و هي الأهم - إن أبوه..
- اطفروض حضرتك تدخل أوصيتك دلوقتی.. تصبّحی وتنام.
- طب حضرتی مشن عايز أنام دلوقتی.
- مشن لازم تكون عايز.. لازم تنام.
- إنتی إزائی تبقي طفلة، وفجأة تغلبي كده؟

- ماشى.. خلصتِ ظلم؟!
 - واضح في عينيك أوى إنك بتهرج.
- مرت أسرة صغيرة من خلف (أحمد) فى مرر الغرف.. صمت متصنعا الجدية بينما كانت (نورا) تنظر إليه محللة.. شاعرة أنها تفهمه جيدا.. سألها بنفاد صبر:
- فشن إحنا كده كده خلاص ح تمام.. عايزه اللي (منصور) بعتهولك ولأ لأ؟
 - لأ.
 - (نورا)!
 - يا (أحمد) موضوع غمضى عينيكى ده فشن ففتح خالص.. ح يكون بعث لى إيه بعنى! (دبروب)!!
 - (دبروب)!! خلاص هو ده الاحترام للراجل اللي زى باباكى؟
 - باباك خبيى و(الل) .. ربنا يشغيه.
 - بارب.. بيا غمضى عينيكى.
- كانت ضحكاتهما ونظراتها مُشبعة بالحب.. أغمضت عينيها وفتحتها سريعا فأبدى اعتراضه.. رفعت يديها لتغطية وجهها وعينيها تماما فكاد أن يضحك. تقدم ليقبل كفيها عاشقا، وسحب رأسها إليه لثانيتين وكأنه يحتضنها، ثم انسحب من أمامها متمنيا لها ليلة طيبة..
- ببطء أبعدت كفيها عن وجهه يجسد الغبطة.. أغلقت باب الغرفة، واستندت إليه بظهرها، وهزت رأسها بهيام.
- فتحت حقيبتها الموضوعه على قطعة أثاث مخصصة لذلك.. بدلت ملابسها، وتوضأت، ثم استعملت منشفة بيضاء بدلا من سجادة الصلاة - كما نصحتها (أحمد) - حين رد العامل تساؤلها بخصوص إتجاه القبلة.
- فرغت من الصلاة، ولم تخلع طرحتها، أو عبائتها.. خرجت إلى الشرفة الصغيرة التى لم تجد زرا يضى مصباحها!!
- كانت الإضاءة موزعة فى الحقائق.. ربما كانت خافتة.. لكنها رومانسية أيضا.

تمطت بتكاسل متلذذ، ثم تقدّمت تستند إلى (الدرابزون).
التفتت إليه بدهشة حين تنحج بخفوت..

- أنت مرة أخرى!!

كان يقف فى شرفة غرفته.. بينهما حاجز لكنها تلاحظ أنه لأول مرة منذ
قابلته لا يرتدى ملابس رسمية.. وشعره غير مصفف ويبدو أنه استحم منذ
دقائق.

- سلامٌ عليكم.

كانت ابتسامتها تلتهم وجهها.. اقتربت من الحاجز الخرسانى المدعم
بعوارض خشبية..

- وعليكم السلام ورحمة (الله).. لماذا لم تنم؟

- فكرت أنك ستخرجين إلى الشرفة حتما.. فقررت انتظارك لأخبرك أن
المصباح لن يُضيئ إلا لو أرادوا هم إضاءته.. كل الشرفات تنير معا..
أليس هذا غريبا؟

سأل سؤاله الأخير ضاحكا بشئ من البلاهة.

- أشكرك لإهتمامك.. هل ستدخل للنوم الآن؟

- كان هناك ثلاثة أو أربعة مواضيع هامة أريد مناقشتها معك.

- ثلاثة أو أربعة!

- نعم.. فى تلك الحدود.

- حسنا.. اسمع.. ستدخل لتنام فى الواحدة بالضبط.

- فليكن.. هل أبدأ؟

- لماذا تشعرنى وكأننا سنخوض سباقا؟ تفضل.. ابدأ.

كان من الواضح جدا أن لا مواضيع هامة لديه ليناقتها.. أراد التحدث معها
فحسب، ولم تكن تشعر بأى انزعاج من التحدث معه عن نفسها، وآرائها،
وأحيانا أسرارها.

مر الوقت دون أن يشعرا.. دخلت إلى الغرفة، وأحضرت (شيكولاتة) ناولته
قطعة منها على إمتداد ذراعها.

أخبرته أنها لا تتسامح بسهولة مع من يجرحها يوما، وبدا مهتماً.. قالت له أن
لولا انشغال (علا) بزوج، وأطفال فما كانت هي لتسامحها أبداً على زيارة
(مصر) دون الإتصال.

- وحبيبك القديم.. لو رأيته مصادفة مثلاً.. هل ستتحدثى إليه بشكل
عادى؟

- حيببى!! لا أعرف لماذا تبدو الكلمة كبيرة جداً لوصفه.. كنت فى
التاسعة عشر من عمرى حين تعلقت به.. عموماً.. لأجيب سؤالك.. هذا
الشخص عاملنى بعدم تقدير.. وهذا جرح كرامتى.. التقية بعدها
مرة فى حفل ذكرى مولد أحد أصدقائى، وتجاهلته تماماً.. لكن الآن لو
قابلته سأرد التحية بشكل عادى لو ألقاها هو.. ربما لفرط عدم أهمية
قصتى القديمة معه.

- هل افترقتما لأسباب يمكن تحديدها؟ أم أن الجفاء تصاعد تدريجياً؟

- أنت تقصد الملل.. أنت ملول جداً يا (أحمد).. أليس كذلك؟

بذل جهداً لمواراة اضطراب أصابه بغتة..

- أنا! لماذا تقولين هذا؟

- لا أعرف.. شعرت بذلك.. بل تأكدت منه لو شئنا الدقة.

- وما الذى أكد لك مثل هذا الأمر؟

- حسناً.. دعنا من هذه النقطة.. نعود لموضوعنا.. افترقنا لأسباب

بالتأكيد.. قلت لك أنه لم يكن شخص محترم.. ربما الملل أصابه هو

من الحدود والمسافات التى كنت أضعها لكن الأکید أنه لم يكن عاشقاً

كما كان يحاول أن يبذو.. حسناً.. كان هناك أموراً نسائية.. علاقات وما

إلى ذلك.

- خيانة!!

- كنت أسمع عن ذلك، ولا أصدق.. حتى رأيت بعض الصور على هاتفه..
- كان يحب تصوير نفسه مع كل فتاة يعرفها من خارج الجامعة.
- استغرقت وقتا حتى تتجاوزى جرحك؟
- يوم رأيت الصور كان فصل الختام.. ليلتها كان الأمر قد انتهى بالنسبة لى.. بعض الحزن.. هذا أكيد.. لكن أمور الخيانة وال.. أسفة.. ال (Sexual) تلك تجعلنى أتقزز بشدة.. شجعت كثيرات لترك أزواجهن وأحبائهن حين سمعت أمورا كذلك.. أجدها غير مغتفرة بأى شكل.
- إنها كذلك.. من الصعب أن تحب إمراتك، وتذهب ل.. معاشرة غيرها، ثم تعود إليها.. هذا فى رأى نوع من العهر الذكورى.
- كان الإهتمام يسيل من نظرتها إليه..
- حسنا.. إنها المرة الأولى التى أسمعك فيها تقول رأيا عميقا كهذا.. وما رأيك فى المبررات التى تتردد أحيانا لهذه الأمور؟ أشياء على غرار..
- صارت زوجتى بدينة.. لم تعد تتعطر.. إلى آخر هذه الأقاويل.
- لحظة واحدة.. لا مبررات للزنا.. إتفقنا؟ ولكن النواحي الجسدية – شئنا أم أبينا – ضرورية فى الحياة.. لم أقل أنها أساسية، أو أهم من الجوانب الأخرى.. الكارثة أن المرأة الشرقية تعتقد – فى بعض الأحيان – أن هذا الجانب قد انتهى من الحياة بمجرد إنجاب طفل أو طفلين..
- وأحيانا أخرى يكون الرجل كتلميذ يودى واجبه لينام، وكثيرا جدا ما تفشل هذه الأمور فى الأيام الأولى لزواج دون مشاعر.. أتعرفين شيئا؟ ملامحك ونظرتك تلك يشعروننى أننى أدير الحديث الخطأ مع طفلة.
- لم تهتم بقوله الأخير..
- انتظر.. أنت تعنى أنها معادلة إرضاء من طرفين.. الالتزامات والواجبات
- والحقوق كلها مناصفة بينهما.
- بالضبط.

هزت رأسها قانعة.. ولكن متعطشة للمزيد.. لم تنتبه لخطورة سؤالها إلا مع آخر كلماته.

- وماذا عن الرجل المُجربِّ والملول؟ هل ينجح فى الاستقرار يوماً؟
شخص بصرها وجاهدت لآذارد لعابها بعد السؤال.. حاولت أن تبدو طبيعية تماماً، وكأنه سؤال عابر كإى سؤال آخر.

وكان هو ذكيا هادئاً.. أذكى منها على الأقل.. أجاب وكأن الأمر لا يعنيه:
- عليه كى ينجح ألا يورط معه سوى فتاة أحلامه - إن وجدها..
أسطوره الخاصة.. لأنه سيظلم حتماً من يختارها لملء خانة فحسب.
أربكها كلامه، وقلص معدتها.. لماذا جعل الأمر يبدو صعباً بهذا الشكل؟!
أسطوره الخاصة!!!

لكنها تستحق فى النهاية أن تصيبها سهامه الطائشة.. فهى من اقتحمت غمار المعركة بلا سلاح.. أم تراه كان سهماً موجهاً؟!
صمتاً قليلاً ينظران إلى الحداثق، ثم شهقت هى بخفوت حين تنهى إلى مسامعها أذان الفجر.

نظرت إلى (أحمد)، وبديا وكأنهما يكتمان ضحكاتهما.. قال متصنّعاً الوقار:
- حسناً.. فلنصل وننام.
أومات موافقة..

Good night!

- (نورا).. انتظرى..

توقفت فاستطرد:

- كنت أريد أن أشكرك لقبولك الحضور إلى هنا.. لقد عنى لى هذا الكثير.

ابتسمت له، وهزت رأسها برقة.. ودلف كل منهما إلى غرفته مغلقاً الباب المنزلق للشرفة.

حين استيقظ (أحمد) فى الساعة قرر عدم إيقافها.. لم يتناول إفطاره.. انطلق إلى الشركة مباشرة، ودلف إلى غرفة مكتب والده شاعرا بتزايد توتره عن أمس.. قام بتشغيل التكييف وفتح الستائر، وجلس مديرا المقعد ليتطلع من النافذة.

حين أشارت الساعة إلى التاسعة طرقت سكرتيرة المكتب بابه. استدار ليوواجهها، وطلب أن تستدعى له العقيد (إبراهيم)، وأن تطالب عم (على) بإحضار قدحا كبيرا من القهوة. قام بتشغيل كمبيوتره الخاص، وإتصل ب (الإنترنت).. فى خانة البحث ب (Google) كتب الكلمات الثلاث اللاتى يمثلن مصدر إزعاج له حاليا.. (مؤسسة عدنان الراسى).

التقط هاتف المكتب، وإتصل بأحد الأرقام التى ظهرت أمامه وطلب التحدث إلى (نادية الصرفى). حوّلته عاملة الهاتف إلى مدير مكتب السيدة (نادية). - قل لها (أحمد منصور).. لن أخبرك بخصوص ماذا.. لأنه أمر خاص. ترك الرجل يغيب، ويُسْمَعُه موسيقى الانتظار.. كان بإمكانه تخيل ما يدور الآن على الجانب الآخر.

(ألو) بالصوت النسائى المشوب ببعض الحذر ضاعفت من ثقته. - منذ وصلنى الشيك، وأنا أتطلع للقائك.. متى يمكننى ذلك؟ - عذرا يا سيد (أحمد).. لا أفهم عم تتحدث بالظبط. - لا بأس لدى بذلك.. سيدتى.. أنا لا أخضع للتهديد والابتزاز.. الشيك معى، وأريد لقائك قبل أن أقدمه للنيابة، وأثبت خصومتنا على الورق.. العزيز (شاكر حمدى) لم ينتبه إلى أننى قمت بتسجيل لقائى به صوتيا بشكل كامل.. هددنى بشكل صريح.. أه.. ذلك الصعلوك، وأحد أصدقائى المحامين قال أن الصحافة ستتعطش لقصة كتلك.. إقحام اسم (عدنان الراسى) فى قضية فساد لن يعجبه بالتأكيد. صمت (أحمد) لثوانى ليعطى المرأة فرصة استيعاب كل كلمة.. ثم أردف:

- يجب أن نلتقى.. هذا لصالحك.
- صمتت وكأنها تراجع ما ستقوله..
- لماذا تريد لقائى يا (ميستر) (أحمد)؟
- للإتفاق.. هناك أمور لا يمكن مناقشتها تليفونيا.. أيضا لصالحك.
- عاودت الصمت.. محادثة مشحونة بتوتر مكبوت، ثم قالت أخيرا:
- سألتقى بك رغم أننى لا أفهم أكثر من نصف ما قلته الآن.
- نعم.. بالتأكيد.
- أخبرته باسم مطعم راقى بـ (المهندسين)، وحددت له موعدا بالخامسة.
- أنهى الإتصال، وانتبه إلى أن العقيد (إبراهيم) يجلس أمامه..
- ما سأطلبه منك الآن يجب أن يظل سرا بيننا.
- استمر اجتماعهما لقراءة النصف ساعة.. لم يقطعه لثوانى سوى وصول عم (على) بالقهوة.
- وحين غادر (إبراهيم) مكتب (أحمد) كان يدرك المطلوب منه بالضبط.
- بعدها أنهى (أحمد) قهوته بحث عن ورقة على المكتب.. حين وجدها غادر الغرفة.
- دلف إلى محيط إدارة الشؤون القانونية المزدهم نوعا، ورفع عقيرته..
- لن أتحرك من هنا قبل أن أحصل على توقيعك يا (سمير) يا (أبو العزم).
- تفاجأ الجميع لثوانى، ثم ابتسموا.. بمن فيهم (سمير).. بينما خلع (أحمد) سترته بيانا لمدى إصراره، واستعداده للقتال.. ما دفع أحد المحامين الشبان لممازحته مهدئا.
- مال (أحمد) مستندا بكفه إلى مكتب (سمير)، وقدم له العرض المعدل بزيادة إضافية للراتب.
- يا رئيس ليست مسألة مالية.

- (سمير).. أريدك هنا.. بعد ما قالته (ياسمين) عن خبراتك وكفائتك لا يمكننى تصور ألاً تشكلاً فريفا لإدارة الشؤون القانونية للشركة.
- نظر إليه (سمير) متفاجئاً.. إنه يعامل (ياسمين) كعدوته منذ أصبحت رئيسته.. هل أشادت به حقاً؟!
- وُقِعَ يا (سمير).. نريدك هنا، ولن نتركك ترحل.
- كانت العيون كلها تتابع (سمير).. حتى (ياسمين) التى تقف الآن عند باب مكتبها الجديد باسمه، ومن خلفها يبدو (أحمد وجيه).
- أدار (سمير) عينيه فى وجوه الجميع مسترجعاً سنوات عمله بالمكان..
- مد يده والتقط قلمًا، وذيل الورقة بتوقيعه بحركة حاسمة فالتقطها (أحمد) معتدلاً برضا فى حين صَفَّقَ أحد الموجودين فشاركه الآخرين بلفتة طيبة..
- نهض (سمير) واقفاً، وقد انتهت بغتة لىالى عذابه ونقمته.. دار حول المكتب ومد يده يصفح (أحمد) ممتناً.. فى حين سارعت (ياسمين) لتنهئته، وإنهاء الخصومة التى نشبت بينهما فى الأيام الأخيرة.
- أشار (أحمد) لـ (وجيه) ليقرب، ثم بحث بعينه عن (فريدة) وأشار لها بدورها.
- وضع يده على كتف (وجيه)، ووجه كلامه لـ (ياسمين):
- فضلاً يا (ياسمين).. أغلقى التحقيق مع هؤلاء الشبان، ولا تدرجى شيئاً عنه بملفاتهم.. إنهم من أشرف وأخلص الموظفين.
- ونقل بصره بين (وجيه) و(فريدة) متابعا:
- عذرا يا شباب.. سامحونى جميعاً.. كلنا نرتكب حماقات.
- لم يفهم مقدار الضغط النفسى الذى وضع الشبان فيه إلا عندما رأى (فريدة) تبكى بشكل مفاجئ فاحتضنتها (ياسمين).
- هز رأسه ثم ربت كتف (وجيه) الذى شكره بصدق..
- استدار (أحمد)، وانصرف عائداً لمكتبه ليتلقى بعد قليل محادثة (نورا)..
- عاتبته برقة أن تركها نائمة، واعتذر مُبرراً بأنها لم تنم بشكل جيد.

طالبها بالاستمتاع بيومها، وأنها هي المحادثة تنتوي ذلك بأى ثمن.. فليس من الإنصاف أن تبدو الحياة خاوية هكذا بمجرد أنه بعيد عنها. ارتدت ملابس مناسبة وتوجَّهت إلى حمام السباحة.. طلبت شطيرة، وعصير، وتمددت على مقعد استرخاء تحت مظلة.. كان الجو صحواً، والرواد قليلون. فكَّرت كثيراً.. خصوصاً لإيجاد مسمًى لعلاقتها بـ (أحمد).. ذلك الذى صار حب حياتها بلا منازع، ولا يزال يخشى التصريح بكلمة تضم حرفى الحاء، والباء معا.

لكن كل شئ آخر يقول أنه يحبها.. كل شئ بلا استثناءات. وهى لا ترغب فى استباق الأمور.. لم يتعارفا سوى منذ أسابيع قليلة.. لكنه يجعلها تترقَّب مصارحتها بحبه، وكأنه لن يفعلها أبداً.. خصوصاً مع قصة أسطوره الخاصة تلك.

أكلت بلا حماس، والرغبة فى السباحة تحاصرها.. نامت مكانها وصحت عدة مرات.. إحداهن كانت على صوت أنثوى يطالب بالإنجليزية:

- إنتظرنى يا (چاك).

رأت أصهباً ممتلئ الجسم نوعاً يسير بمحاذاة المسبح.. ألقى عليها نظرة قبل أن يلقى بمنشفة من على كتفه إلى المقعد القريب منها.. كانت فى إثره من نادته لتلفت انتباه الجميع.. شقراء معقوصة الشعر.. فى لباس بحر لا يحتاج الكثير لوصفه.. يجاهد لحمل كرتى (بولينج) تخفيهما فى صدرها على الأرجح.

- يا إلهى! إنها (سوزان).

ضحكت رغماً عنها حين تذكرت وصف (أحمد) للمرأة أمس، ثم بدأت تشعر بغيره ما لأنه عاش خمسة عشر عاماً فى مجتمع به هذه المرأة وشبيهاها.. حيث الحصول على كل شئ بسهولة انتزاع حلوى من طفل. إتصل بها (أحمد) بعد قليل، وأخبرته أن (چاك) و (سوزان) بجوارها..

- عش غريبة إن (سوزان) ماتعجبتن!! تعمل إيه أكثر من كده علشان تعجبك؟
- مالبس دعوة بيها.. هي عايباكي؟!
- أنا!! لا.. بس يمكن لو كنت راجل كانت عجبتي.. دى عامله اللي عليها وزيادة لجد.

ضحك عالما أنها تقصد مقاييس جسد (سوزان)..

- سيبك فيهم، وع أعرفك على (چاك) بالليل.. ده لو هو ما حاولش يتعرف عليك قبلها.. إنتى لابس نصارة شمس؟
- نعم.. بتعرف عليا أنا، ومعاها الوحش ده؟
- (نورا).. ماتعار نيش نفسك بال.. بتاعه دى.
- صمتت.. شى بداخلها يرغب فى التأكد من رأى (أحمد) حقا.

كان هو قد منع نفسه من التفوه بلفظة بذينة لوصف (سوزان).. كاد ينهى المحادثة بشكل عادى لولا أن قاطعته (نورا) مواصلة التحدث بنفس الشأن.

- كل الرجال حواليا مبهورين بيها.. إنت عش شايغها حلوة لجد؟!
- (نورا).. إنتى عايزة إيه؟ عايزة تحسسينى إني كبرت مثلا؟! ماشى.. أنا كبرت يا (نورا) وما ينفعش واحدة زى دى تعجبنى.. اللي تعجبنى بس البنات اليربنة اللي وشها بيحمر طا أعاكسها.

صمت بينما شعرت هى بالنشوة لأنه قصدها.

قال بعد ثوانى:

- إيه.. عش كفايه الشرف اللي أخذته بكلامنا عنها؟
- إنت راجع إمتى؟
- وكشيتك؟
- لأ.. بطمن عليك بس.
- أستغفر (الل) العظيم.

ضحكت فابتسم..

- عش قبل سبع.

- إيه؟ إيه؟ ح تروح فين بالليل؟
- معاد شغل كره.
- معاد شغل!! أنا عابزه عربيتج.. ولأ إنتك ساينج هنا علشان الخطر الرهيبي
- اللى بيهدد حياتج؟
- حاجه كره.. مش ح تخلص بقى من نعمه الزك دى؟ كل ده علشان عملتج
- اللى أنا طلبتج؟
- ذك!! كلمه بالبحه أوىج.. بلأ روح شوف بتعمل إيه.
- طيبج.. بس ماترعلش.
- مش زعلانج.
- لأ زعلانج.. وتلاقى بؤك مضموم زج البيبيجات.
- بسطت شفتيها، وكأنه يراها..
- لأ ماحصلش.
- ضحك فابتسمت.

أنهى المحادثة، وبدأ الوقت يمر بثقل حتى تجاوزت الساعة الرابعة بقليل.. كان قد عرف عنوان المطعم الذى سيلاقى (نادية) فيه من (الإنترنت)، وإطّلع على خريطة للوصول أيضا، ولذلك وصل فى موعده تماما. أربعة حراس عمالقة كانوا برفقة (نادية).. علم ذلك حين تبعه اثنان منهم من باب المطعم، وقاده إلى الطاولة التى تجلس عندها سيدتهم وحدها.. امرأة أربعينية ربما كانت فاتنة يوما، ولكنها الآن كثيرة (الماكياج) بشكل مبالغ فيه.

استوقف أحد الحراس (أحمد)، وطالبه بتسليمه هاتفه.

- هذا لن يحدث يا صديقى.. جرب انتزاعه منى لو أردت.

نظر الحارس إلى (نادية) التى أشارت له أن ينصرف ففعل.

جلس (أحمد) أمام المرأة، وأخرج هاتفه من جيبيه، وأطلعها على شاشته ضاغطاً بعض أزراره..

- لن أسجّل هذه المرة شيئاً.
- تفحصته بنظرها، ثم سألته:
- ماذا تريد يا (ميستر) (أحمد)؟
- ما أريده ليس بالكثير.. مجرد شيكٍ آخر.. بنفس المبلغ، وأن أشارككم فى هذه العملية بأى جزء.. حتى لو بند طباعة المنشورات الإعلانية.
- أشعلت سيجارة رفيعة بأصابع مزودة بأظفار صناعية طويلة..
- نحن لا نحب من يملئ شروطه علينا.
- وأنا لا أريد أن تحبوني.. أحاول مجاراتكم فى اللعبة القذرة التى بدأتوها.
- صمتت لبرهة ثم قالت نافثة دخان سيجارتها لأعلى:
- موافقة بالنسبة لمضاعفة المبلغ.. ولكن الشراكة
- It's a package.
- ضحكت، ورفعت أحد حاجبيها..
- أنت جريء جداً.
- ثم سارعت بالاستدراك:
- ولكن نظيف.. اللعبة القذرة لن تناسبك.
- رن هاتفها.. أقلت نظرة علي المتصل، ورفضت استقبال الإتصال، فقال (أحمد):
- إذا كان هذا (جلال زين) فإتصلى به.. لدى إحساس أنه سيقول لك شيئاً هاماً.
- حدثت المرأة فى وجه (أحمد) منزعة.. ابتسم لها حين رفعت الهاتف ببطء لتجرى إتصالها.. أشار إلى نادل مر بقربه، وطلبه بعصير مانجو فى حين لم تقل المرأة شيئاً سوى كلمة افتتاحية، ثم احتقن وجهها تدريجياً بعد سماع ما يقوله الطرف الآخر.. لم ترد بكلمة.. أنهت الإتصال وألقت الهاتف على

الطاولة، ثم أطفأت سيجارتها بالمنفضة.. سحقته بأصابع متوترة بينما رفع (أحمد) يديه، وكأنه قدم لها خدمة العمر..

- ما رأيك؟ هل تناسبني اللعبة القذرة نوعاً؟ أنا هكذا مؤمنٌ تماماً.. قضية مكتملة الأركان.. وكلانا يعلم أن عرضي هو الذي سيحوز قبول لجنة البت، ولن أسحبه إلا بتنفيذكم لشروطي.

أن يعلن تفوقه بهذه الثقة كان مستفزاً، ولكن أن يجلس أمامها هادئاً حتى ينهي كأس العصير الذي طلبه.. فقد كان هذا قمة الاستفزاز حقاً. نهض في النهاية قائلاً:

- سعدت بلقائك يا سيدتي.

غادر المكان أمام نظرات المرأة التي تكاد تخترقه، واستقل سيارته، وبلا تفكير إتصل بـ (سليمان)..

- اسمع يا عم (سليمان).. أنا عايز الغفر اللي معاهم سلاح عندك بلونوا قريين من البيت اليومين دول.. حتى لو بقعدوا في عربيت من غير ما حد ياخذ باله. هو في حاجة يا (أحمد) بيه؟

تسائل الرجل وهو يبدو متفهماً، فأوماً (أحمد) وكأنه يراه..

- أبوه يا عم (سليمان).. في حاجة.. و ع أقول لك أول ما الدنيا تكدهج.

أنهى الاتصال ليجد رسالة من (نورا)..

"I miss u"

ابتسم ثم ذابت الابتسامة سريعاً، وأجرى إتصالاً آخراً متخذاً طريق الفندق، واستغرقته المحادثة حتى وصل إلى وجهته تقريبا.

وهناك في الفندق إتصل بـ (نورا) في غرفتها من بهو الاستقبال، ولم يجدها. توجه إلى منطقة حمام السباحة الذي كان مضاء ليلقى على الموجودات ظللاً متموجة بها شيء من الرومانسية.

بحث عن جميلته بعينيه، وشعر بغيرة لم يفسرها حين تبينها مستلقية على أحد مقاعد الاسترخاء وتبدو نائمة، ويقف بالقرب منها شابان يتصنعان النظر

حولهما بشكل طبيعي لكن (أحمد) كان يدرك أنهما يقفان للتطفل على (نورا).

حدهما بنظرة احتقار قاسية وهو يقترب منها، ثم يتسمر لثواني.. كانت نائمة بالفعل.. جمال نائم محاط بهالة من الوداعة لم يشهد مثلها قبلا.. شعر أن الطفولية تنبع من سلوكياتها وأسلوبها فقط.. أما أى شئ آخر فيما يتعلّق بها.. فهو يضح بأنوثة طاغية.. كانت ترندى (جينز) باهت وقميص وردى اللون، بينما حجابها يجمع اللونين السماوى والوردى.. تضع كفيها فى جيبى سروالها وترفع كاحلا فوق آخر.. حافية هى.. بقدمين يصعب تصديق أنهما وطئا الأرض قبلا..

رائحة خلّابة تفوح منها كالعادة.. لكنها رائحة (Shampoo) أو سائل استحمام تعمّد صنّاعه أن يجعلوه مثيرا.. للأعصاب ربما.. فقد توتر (أحمد) لوقوعه تحت تأثيرها بهذا الشكل بينما هى تأخذ غفوة قصيرة.. ازدرد لعابه، وناداه بصوت أجش.

فتحت عينيها، ووُلدت على محياها ابتسامة كان واثقا أن الشابين القريبين سيحسدانه عليها..

اعتدلت مخرجة يديها، وهى تسأله عن حاله برقة محاولة إخفاء شعورها بالعودة للحياة قبل أن تعاتبه..

- **إِتَأخَّرْتُ أُوَيْع.**

كيف نجحت فى إعادته مراهقا بهذه السهولة؟ هو.. بحجمه هذا يضطرب بشأن مصافحتها، ورغبته فى لمس أصابعها.. تقنّع ببسمة خاوية لدرجة البلاهة..

- **ما تقوليش إنك هنا عن الظهر.**

وضعت قدميها فى خف نسائى من الجلد بدا رقيقا رغم شبهه بما يُعتقَد أن الإنسان الأول كان يرتديه..

- **لأ.. طلعت الأوضه شوبيّه. ونزلت تاني.. شكلك تعبان.. أكلت؟!**

- إنتى أكلتى؟

سمع من حنجرتها صوتا يفيد النفى هذه المرة، وقالت:

- فلت أستأنك.

ابتسم مستنفذا آخر ذرة فى إرادته كى لا يأخذ تلك الحسناء بين ذراعيه..

- أنا ما فطرتش كمان.

وكأن أمر جلل قد وقع..

- بنته رج! ليه يا (أحمد)!

لو بدت لطيفة، ومُحِبَّةً بتلك النزعة الاعتنائية فسيعانقتها، وليذهب كل شئ إلى جهنم.

- خلاص بلكا ناكل.. ع تغبر هدمك الأول؟ لأ.. بصر.. أكيد مش ع أعرف أشدك لوحدي.

كانت تحاول أن تسحبه من ذراعه لكنه كان متخشبًا كتمثال.. قالت له جملتها الأخيرة ونظرت فى عينيه بابتسامة خافتة سرعان ما ولت إلى الأبد ليحل محلها بعض أمواج طوفان مشاعرها الجارفة.

تسمرًا لقراءة النصف دقيقة.. فكَّرت أنه ليس عائدا لتوه من لقاء بأبيه المريض الذى لم يتحدث إليه منذ سنوات.. فلماذا يبدو عاطفيا متأثرًا بهذا القدر؟!

- بلكا.. لازم ناكل.

بذلت جهدا كله هذه المرة لسحبه معها فتحرَّك أخيرا.

سارا متجاورين.. بينهما مسافة لا تقل دون إتفاق مسبق.. إتفقا فقط أنه سيبدل ملابسها وتنتظره فى غرفتها، ثم يذهب إلى المطعم.

سألها إن كانت تريد الخروج من الفندق، والذهاب لأى مكان لكنَّها نفت ذلك.. لماذا فعلت؟ لأنها شعرت أنه لن يرغب فى ذلك، أو أنه متعب.

تركته عند باب غرفته ودلغت إلى غرفتها.. وقف هو أمام المرأة وهو يخلع سترته وربطة عنقه، وكان يحدِّج نفسه بنظرة عجيبة.. لن تستبعد السخبط أبدا لو أردت وصفها.

أجاب هاتف الغرفة فور رنينه.. صوت (چاك) متلهفا:

- أين أنت؟ لقد تأخرت اليوم.

- عذرا يا (چاك).. فقد ...

- سأحضر إليك فورا.

- انتظر.

كان (چاك) قد أنهى المكالمة.. فوضع (أحمد) السماعة مُتَعَجِّبا.. لم يكن قد نزع قميصه بعد عندما طرق (چاك) بابه... لم يسأله عن شيء..

- أريدك أن تشغل (سوزان) الليلة قليلا.

تراجع (أحمد) ليجلس على طرف فراشه..

- لم أقل لك أحضرها معك.

- اسمع.. لقد أخطأت بهذا.. رغم أنها مسئلة نوعا ما.. لكن الليلة..
إبعدها عنى بأى ثمن.

- ولماذا؟

- لأننى رأيت شابة اليوم عند المسبح.. تغطى شعرها، ولكنها جميلة جدا.. ابتسمت لى حين حاولت التحدُّث إليها.. كانت وحدها، ولا أنوى إضاعة الفرصة مرتين.. قوامها مذهل يا (أحمد).

وضع (أحمد) رأسه بين يديه منحينا قليلا.. وتمتم بالعربية:

- يا ابن الجزمه!

- ماذا تقول؟

- لا شأن يا صديقى.. أعجبتك.. هه!

- She's charming!

هز (أحمد) رأسه، ووقف خالعا قميصه، والتقط قميصا نظيفا من خزانة الملابس.. ارتداه قائلا:

- اعتبر (سوزان) غير موجودة الليلة.. إنها لى.

- أنت صديق حقيقى.

- وإنّك ابن كلب.

كررها (أحمد) بالعربية مؤكّدا، فتسائل (چاك):

- ماذا؟

- لاشئ.. انتظر لدقيقة.

غسل (أحمد) وجهه، ورش بعض العطر.. استبدل ساعته فقط، وشمر قميصه، ثم دعا (چاك) للخروج معه.. لكنه سحبه فى إتجاه غرفة (نورا)، وطرق بابها مُمرّا أصابعه فى شعره متبادلا مع (چاك) نظرة باردة، فسأله الأمريكى:

- من هنا؟

فتحت (نورا) الباب بعد ثوانى.. كل ما غيرته أنها ارتدت حذاء كحلى عالى الكعبين مكسو بالقטיפه.. ابتسمت مرحبة حين رأت (چاك) بينما تركه (أحمد) مذهولا لثوانى، ثم قدّمهما باسميهما لبعضهما.

حيّاها (چاك) بإيماءة خافتة، والتفت إلى (أحمد) ببطء، ثم ضحك مقهقها بصخب حتى أسند مؤخرته للجدار بينما (أحمد) يعض شفته السفلى مقاوما ابتسامة تلتمع فى عينيه.. (نورا) لم تفهم شيئا.. ظلت تنقل بصرها بين الرجلين باسمة ببراءة حتى اعتدل (چاك) رافعا يديه..

- سامحنى يا صديقى.. إنها جميلة جدا.. لو احتجتنى ستجدنى مع (سوزان).

أوماً (أحمد)، وصديقه يسرع الخطى مبتعدا.

- لم أفهم شيئا!

- هذا أفضل.. تعالى نذهب لنأكل.

شرح لها الموقف فى الطريق فلم تضحك.. احتفظت بابتسامه محايدة حتى
أضاف:

- كان هذا ردا حاسما على قصة نظرتك إلى (سوزان).. الأمريكى الوجد
نسى كل شئ بابتسامه.
 - ابتسمت له تلقائيا حين فعل وأنا منصرفه.. فعلت لأنه صديقك.
 - لا ألومك للابتسام.. ولا ألومه لفقدان صوابه من أجلك.
- استرقت إليه نظرة حب عميقة.. تابع صادقا:
- حسنا.. قاومت ضربه بصعوبة.
- كانت مبتهجة.. أبدلت الموضوع بأن حكمت عن سقوطها بدراجتها وهى طفلة.
قال أنه يتوق لرؤية صور لها وهى صغيرة، ووعده بذلك حين تعود لشقتها.
تناولا طعامهما وهى تنتقل بين الموضوعات برشاقة.. تجعله يتحدث معظم
الوقت..
- سألته عن ذكرياته قبل السفر.. مع إخوته.. الفتيات الثلاث، ثم سألته عن
التوأم الأكبر عمرا من الجميع.
- (فاطمة) و(رفيق).. أذكرهما جيدا.. (رفيق) كان يعانى من مشكلة فى
قدمه الـ... اليسرى.. يسير دوما على أطراف أصابعه بشكل لا إرادى..
(فاطمة) كان لديها ضمورا فى أحد ذراعيها.. كان صوتهما عاليا فى
بعض الأحيان.. لكن.. كان بهما شفافية الأطفال تلك.. يعرفان إن كنت
تحبينهما، أو تخافينهما.. من النظرة الأولى.. هما غير قادران على
إيذاء نملة، ولا يرغبان فى ذلك.. بريئان.. نعم.. كانا يجبانى.
 - لم تكن تخاف منهما!
 - أبدا.. أذكر أنني كنت أحمل (رفيق) على ظهري، وأهبط به إلى الشارع.
 - تحمله على ظهرك!! أليس أكبر منك?!
 - كانا ضئيلين يا (نورا).. أتعلمى؟ أريد رؤيتهما حقا.

- حكاياتك تلك تكشف جوانب خفية من شخصيتك.. ترفع مكانتك عندي حتى كدت تطول السحاب حقا.
- اسمعى يا فتاة.. لاتنطقى كلاما جميلا.. أعانى صعوبة كافية فى السيطرة على نفسى أمام سحرك الخاص.
- ابتمت بعذوبة، ثم أومات طائعة بكلمة وحيدة.. فبدا غاضبا..
- ولا تكونى مطيعة هكذا.
- حاضر .. إيه ده؟ وإنت مالك؟ أنا أقول اللع أنا عاوزاه.
- ضحك فارتشفت آخر قدر من عصير المانجو وهى سعيدة.
- قاما بعد قليل، وأحب هو مطاعم (مينا هاوس) لأن الدرج الطويل المؤدى إليها سمح له باحتواء كف (نورا) أثناء نزولهما، وعدم تركه لدقائق بعدها.
- أخذته للتحدث عن أصدقائه.. حكى بعض ذكرياته - القابلة للحكى - مع (مينا) و(وليد).
- فاجأها بقصة أضحكتها حتى الثمالة عن يوم إتصل فيه (وليد) به، وأخبره أن (مينا) يتشاجر عند مركز تجارى كان شهيرا وقتها، ولا يذكر اسمه الآن..
- اطلم نظيت فى أول (ناكسى) معدّي، ووصلت لعيت (وليد) بيطفخ سيجارته ويستعجلنى.. خدنى من إيدى والأقى أكثر من عشرين بنى آدم و(الل) يا (نورا).. والأقى داخل عليهم منغوش.. ما شاء (الل).. تقول طاووس..
- جرى إيه باض إنت وهو عاملين فيها رجاله وبتخانقوا! أنا عمّا أبصن حواليا بملن الأقى حد من اصحابنا.. جراننا.. أمى كلب من المنطقه حتى..
- أتارى ابن الجزمة كان نعتة فيا عميا جرد.
- توقفت عن السير متطلعة إليه بفضول وهى تسأله ضاحكة عما بعد ذلك.
- عايزه إيه يعنى؟ بأقول لك أكثر من عشرين واحد.. كلنا علقه موت ليلتها، والعيان كانت بتضرب بقل يا (نورا) أقسم ب (الل).
- توقف ليسمح لها بالضحك بصخب مس شغاف قلبه بنعومة.

- وطلع ابن العبيط جابني من البيت علسان أحنوق مع عشرين واحد .. قال
إيه! غلّسوا على (ميننا) وهو معاه صاحبتيه .. إنتي متخيلة؟! (ميننا) مش
موجود أصلا .. كان يطلع (بلياردو) ساعتها .

أحب حركاتها حتى وهى تحاول التوقف عن نوبة ضحك أصابتها بقوة.
حين هدأت قليلا وبدأت تمسح دموعها قال بلهجة دافئة:

- ضحكك مش طبيعيه بجد .

عاودا السير فى الطرقات بين الحداثق، وواصل هو حديثه عن صديقيه
القديمين لبعض الوقت، وأضحكها مرة أخرى لكن كانا يمران قرب أحد أفراد
الأمن عند أحد مدخل مبنى الغرف... استوقفها بجدية، وطالبها بعدم الضحك
على هذا النحو الصاخب.. (أحمد) من استوقفها، وليس فرد الأمن.

- إيه الضحكة ده؟! الحشمى شويه.

ضحكت بصوت خفيض..

- مش قلت لك إنك قديم أوى؟

- قديم قديم.. أظبط الضحكة ده طأ تكون وسط ناس.

أه من تملك هذا !! أحبك بجنون.

كتمت بركان مشاعرها، وسارت صامتة لبرهة.

حين وصلا إلى مدخل منطقة حمام السباحة ابتسمت لتذكرها نظرية (أحمد)
مع المسطحات المائية.. لكنها لم تقل عنها شيئاً حتى لا يبدو وكأنها تذكره
بذلك.

ولم يكن يحتاج لتذكير.. نظر إليها وابتسم حين بلغا المسبح وبدأ السير
بمحاذاته..

- شغلى ال (Firewall).. إحنا جنب (الپيسين).

ضحكت، وسارا كأنهما متفقان على ذلك حتى جلست هى على نفس مقعدها
فى النهار، وهو على المجاور له..

عدلت وضعية الظهر لأقصى ارتفاع كى يصبح أقرب للعمودية.. لم يكن التمدد ليريحها أبدا.. ظل أحد قدميها أرضا وثنت ساقها معلّقة قدمها الأخرى فى الهواء.. بينما هو تلافى كل المتاعب وجلس على طرف المقعد بوقار مصطنع.

كان الجو رائعا.. الصيف يلفظ أنفاسه الأخيرة.. ولكن المكان حولهما خالى تماما من الرواد.. نهض يسألها إن أرادت قدحا من الشاي معه.. وافقت فتركها لدقيقتين، وعاد ليجاورها مجددا.. ظل ينظر إليها قليلا، ثم ضحك وتطلع حوله:

- (الأخوسفير) ابن لذيذ.. لازم نخشى بسرعه.

ضحكت بنعومة.. كانت تشعر أن الأجواء رومانسية جدا بالفعل.
صمتت قليلا ثم سألته:

- فشن عايز تشوف (وليد) و(مينا)؟

- فكّرت و(الله).. بس الواحد مايعرفشن حصل لهم إيه بقى.. فانت سنين.. يمكن عزّلوا أصلا.

- ويمكن لسه موجودين... إيه رأيك نروح هناك بكرة، ونشوفهم؟

لاذ بالصمت قليلا، ثم هز لها رأسه بابتسامة.

حين وصل الشاي جلس (أحمد) بقدهه أرضا متربعا على طرف المسبح بينما اعتدلت هى فى جلستها فقط.. دعاها لتأتى بجواره لكنها ضحكت..

- لا يا عم.. أنا كره كويسه.

لم يضحك.. أدار رأسه، وشرد قليلا.. إنها تدرك أنه يكن لها الكثير من المشاعر.. لكن ماذا بعد؟!

من حقها أن تعرف.. لكن من الضرورى أن يعرف هو أولا.

نهضت بعد قليل.. وضعت فنجان الشاي أرضا ثم جلست برشاقة.. ساقها مثنيان أمامها قليلا تعتمد بكعبى حذاءها على جزء بارز من طرف المسبح.. لم تجلس قريبة جدا من (أحمد).

سألها إن أرادت الوقوف فى الماء، أو إدلاء ساقبها فيه؟
ضحكت، وأوضحت له أنهما سيكونان مثار سخرية لو فعلا ذلك.. هز كتفيه لا
مباليا، وقال أن لا أحد حولهما ليهتم بموضع قدميها.. احتسبا الشاى فى
هدوء.. أنهاه قبلها، وانتظر حتى فعلت.. فأخذ منها الفنجان، ونهض ليضع
القدهين على الطاولة.. حين عاد للجلوس.. فعل بالقرب من (نورا).. جلس
مثلها وطوق ركبتيه بذراعيه..

- لم تخبرينى أبدا عن فارس أحلامك.
- من؟!
- فارس أحلامك.. كل أنثى فى مزيلتها وصف قديم لرجل تحلم به.
- من اللطيف أن تشرح لى معنى فارس الأحلام.. لكننى لا أملك واحدا.
- كاذبة.
- ماذا؟
- كاذبة، وبوضوح شديد.. لن أتعجب لو وجدتك قد كتبت مواصفاته فى
مذكرة.
- حسنا.. تعتقد أنك تعرف كل شئ عن الآخرين.
- عنك أنت.. لا شأن لى بالآخرين.
- تطلعت حولها ببعض الشجن، وكان هو يسند ذقنه إلى ذراعه مطالعا وجه
الجميلة الصامته.
- حُثَّها بعد ثوانى:
- أنا كاتم أسرارك.
- لا أسرار بالأمر.. هل يمكنك السكوت يا (أحمد)؟
- وجدت أنها لوصف فارس أحلامها ستصف له نفسه.. وسيكون هذا أسخف ما
يمكن أن يُورطها فيه.. أشاحت بوجهها.. عليها الاعتذار والتبرير.. لكنها لن
تفعل.
- تعالى رنين هاتفها بعد ثوانى فوقف لتجيبه..

- (علا).. حبيبتي.. كيف حالك؟ إتصلت بك منذ فترة طويلة ولم تجيبى
الإتصال.

تابعها (أحمد) ترحب بصديقتها وكأن تلك الأخيرة طفلة فى الخامسة من
عمرها، ثم تحولت (نورا) نفسها لتلك الطفلة معاتبه.

تركها تسير بعيدا عنه لتحدث صديقتها القديمة، ونهد هو بعمق ثم أعاد
رأسه للخلف متطلعا للسماء.. لمح نجمين فقط.. أسبل جفنيه قبل أن يعيد
ظهره كاملا حتى صار مستلقيا، وشبك كفيه خلف رأسه.

لم يفتح عينيه إلا حين سمع (نورا) تقترب من الناحية الأخرى للمسبح.. لم
تتوقف عن تحادثها مع (علا) لكنها أحضرت وسادة من وسائد المقاعد وثنت
ركبتها لتضعها تحت رأس (أحمد).. فعلت ذلك بسرعة وتلقائية كأن مهمتها
هى الاعتناء به.. حذق فيها بدهشة بعدما مررت أصابعها على شعره بسرعة
قبل أن تعتدل واقفة، وتعاود السير والتحدث فى الهاتف.

لثوانى شعر أن لمستها كانت خيالية، وأنه نائم ويحلم بتصرفها كله لكن
لملمس الوسادة الجلدية الباردة تحت رأسه كان يؤكد له أنه مستيقظ تماما.
وضع يده على جبهته وقد سرت قشعريرة فى أوصاله من لمسة لم تستغرق
ثانيتين.

نهض حين طالت المحادثة نوعا.. ألقى نظرة إلى حيث كانا يجلسان.. لا شئ
يخصهما هناك.. تحرك ليدور حول المسبح إليها فتحركت نحوه بدورها..
سمعها تدعو بالشفاء والعافية لابن صديقتها على الأرجح.

أشارلها هامسا:

- (نورا).. سأصعد إلى الغرفة.

- لحظة واحدة يا (علا).. إبقى معى.

أبعدت الهاتف عن وجهها..

- أنا أسفة جدا.. لم نتحدث منذ زمن.. سأنهى المكالمة خلال دقيقتين

ليس أكثر.

كانت تعتذر برقة فلم يقو على الإصرار.. وقف تائها ينظر إلى المياه، ولم تبتعد هي عنه.. واصلت محادثتها، وفاجأته بالوقوف بجواره، ومدت يدها تلامس كفه.. وخفق قلبه بعنف ضارى وهى تشبك أصابعها فى أصابعه بنعومة.

نظر إليها كالمبهوت.. كانت المرة الأولى التى نؤتى فيها لمسات دافئة كتلك.. لولا أنه شرب من الشاي معها لاعتقد أنها خارج وعيها أو شىء. ضغط يدها معانقا أصابعها بحب رغم ارتباكها، وملاحظته أنها لا تنظر إليه. ختمت المحادثة واستدارت إليه مكررة اعتذارها، ثم جذبته ليعودا إلى حيث كانا يجلسان.. سار معها، وهى تعلن:

- لقد طلبت لنا (آيس كريم).

قادته كطفل وأجلسته بجوارها على مقعد الاسترخاء قائلة:

- أنت لم تر (علا) من قبل.

تركت يده لتمسك بهاتفها، وتفتح ملف صور فيه، ثم تناوله لـ (أحمد).

رفعت ساقا فوق أخرى، ومالت نحوه قليلا لتشاهد الصور معه، وتعلق عليها. كان يشاهد الصور الأولى بنصف عين حيث يسترق النظر إليها شاعرا بأنها مختلفة.

- هذا زوجها.. كنا فى المطار.. يستعدان لرحلة شهر عسلهما.

قلب الصور بسرعة نسبية حتى وجد واحدة من عرس (علا).. صورة مزدحمة بحث فيها عن (نورا) حتى وجدها.. إلهة جمال من وجهة نظره.. قرّب الصورة عندها بسبابته وإبهامه قائلا:

- من هذه الفاتنة؟

ضحكة طفولية خافتة دون أن تفتح فمها، ودعته للمرور إلى الصور التالية. واصلت التعليق على بعض الصور، ولم تظهر هي فى أى منها مرة أخرى.. لكنه نظر إليها بعمق حين أسندت جانب رأسها إلى ذراعه.. نسى كل شىء عن الصور فى هذه اللحظة.

لو كانت تريد إفقاده صوابه فقد نجحت تماما.
رفعت عينها إليه دون أن تبعد رأسها عن ذراعه.. نعم كانت مختلفة.. من
رفضت نهارا أن تنطق بكلمة تعبر عن افتقادها له.. تبوح الآن بأنها تعشقه
عشقا.

سيطر على نفسه بإرادة فولاذية بينما أبعدت هي نظرها عن وجهه.. ثم
اعتدلت في جلستها ببطء تزامن مع وصول النادل بكأسى (آيس كريم)
معتذرا:

- أنا آسفة يا فندم.. ما لاقيتش حاجا.. فاني ليا، وشوكلاته بس.
هزت له رأسها والتقطت كأسها بصمت.. فحذا (أحمد) حذوها مدركا من
الرحيل المباشر للنادل أنها دفعت حساب (الآيس كريم) حين طلبته.
نظر إليها.. كانت شاخصة البصر.. تتطلع إلى اللاشئ بوجود، ثم التفتت إليه،
وابتسمت بشحوب..

- أنا آسفة.
همست بها تقريبا ثم نهضت لتجلس على المقعد المجاور.. التقطت الملعقة
وعبثت بطرفها في كرات الحلوى المثلجة لثوانى.

- ابن (علا) نعبان، وجوزها في شغل في مدينة ثانية.. صعبت عليا أوى..
أصلا بعيت أول ما تنصل ييا أفهم إن حالتها النفسية وحشة.. أنا كمان
بعيت أكلها لما أكون زعلانة.

- ماكانش ليكي صاحبات غيرها خالص؟
- كان ليها هي صاحبة قرّبت مّنى في فترة، وبعينا نخرج أنا وهي كثير.. بس
دماغها بقى كانت فظيعة.. كانت عايشه حياتها أوى.. جوز (علا) لما كان
خطيبها في الأول هو اللي طلب من (علا) تقطع علاقتها بيها.. أنا كمان
رُحيت خالص.

ظلا جالسين لبعض الوقت حتى أنهت هي (الآيس كريم).. بينما وضع هو
كأسه على الأرض دون أن يكمل ما بها.

نهضا، وصعدا إلى حيث غرفتيهما مباشرة.. لا حديث أو مزاح.. حتى أنه حين سألتها عند باب غرفتها عن موعد خروجها للشرفة ابتسمت باصطناع لأول مرة معه..

- ع ننام كويس الليلا دى.. مافيش وقوف فى البلونات.
هز رأسه على استحياء..

- (Ok).. تصبح على خير.

أشارت له بيدها بطفوليتها المحببة، وردت تحيته.. استدارت وفتحت باب الغرفة ودلفت إليها، وكررت إشارتها له قبل أن تغلق الباب الذى ظل هو واقفا ينظر إليه لثوانى قبل أن يُطرق برأسه، ويستدير لدخول غرفته.

قضى ساعات يبحث عن النعاس.. لو كانت تلك هى فكرتها عن النوم الجيد فهى لا تعرف شيئا على الإطلاق.. خرج إلى الشرفة عدة مرات علّه يجدها.. استلقى بكل الأوضاع على الفراش حتى وضع الضفدع.. ترك التلفاز مفتوحا، وألغى صوته، ثم جلس أرضا يشاهده كالمعتوه.

حين إتصلت به موظفة الاستقبال لإيقاظه فى السابعة نهض ببطء متناقل من رقاده أرضا أمام الفراش وأجابها بصوت شبيه بالحشرة.. اعتصر رأسه بيديه قبل أن ينهض إلى الحمام.. وقف مستندا إلى الحوض يطالع انعكاس صورته فى المرأة بامتعاظ وكأنه يرى حشرة زاحفة.

استدعى أنعم طبقات صوته ليوقظ (نورا) تليفونيا بعد دقائق، وإتفقا على تناول الإفطار، والتوجه إلى الشركة مباشرة.. ولذلك حين طرقت باب غرفته قرابة الثامنة كانت أنيقة، ولاحظ أنها تمسك بحقيبة هدايا ملونة.

هى من طلبت ركوب سيارة (الجولف) هذه المرة فى طريقهما إلى المطعم، وفى ذلك الأخير لم يأكلا شيئا يُذكر.. لكنهما احتسيا القهوة فى صمت، وكأنهما بمأتم، وتركها هو ليتحدث مع موظف الاستقبال بشأن (المرسيدس)، وقال أنه سينتظرها بأسفل.

ستجد ما تستند إليه لنزول الدرج.. لكن شئ آخر كان يهمها معرفته.. سألتها عنه وهما يسيران إلى ساحة الانتظار..

- هل ستبدل السيارة؟ هل مللتها؟

همَّ بالإجابة لولا أن لمح الإهتمام والجدية فى نظرتها.. ما جعله يشعر أنها تتهمه ولا تسأله.

فتح لها باب السيارة متجاهلا السؤال.. وفهمت هى من نظرتة أنه يريد أن يقول لها "لا شأن لك بهذا".

كانت مؤهّلةً بشكل مدهش للاكتئاب والغم.. أغلقت فمها طوال الطريق.. وقام هو بتشغيل (الراديو) المضبوط على إذاعة (القرآن الكريم).. سألتها حين

اقتربا من مقر الشركة عن الهدية.. أجابته بعد ثوانى دون أن تلتفت إليه:

- اشتريتها من الساحل الشمالى لصديقة فى الشركة.

أراد أن يعرف هوية الصديقة.. لكنه لم يسأل.. وحين أوقف سيارته فى الموضع المخصص لها قرب المدخل غادرتها مباشرة رغم أنه كان سيدور ليفتح لها الباب دون أن يضيره أبدا نظرت بعض الموظفين وأفراد الأمن التى تتابعه بفضول.

سار بجوارها يرد التحية لمن يلقيها، وعند المصعد قال لها:

- سأنهى بعض الأمور هنا، ولدىّ موعد خارج الشركة بعدها.. إتصلنى بى لو احتجت شئنا.

لم تجبه شفها.. هزت رأسها بفتور، واستقلّت المصعد.

ولم يصعد هو إلى مكتبه مباشرة.. دلف إلى القاعة التى تشغل معظم الطابق الأرضى ويطلق عليها (الورشة).. والتى تحتوى عدد من ماكينات الطباعة، وهى مقر سائقى وعمّال الشركة.. الذين كانوا قد أظهروا الطاعة والولاء من قبل، وكان عليه ترصيتهم الآن ليصبح وقد أعاد ترتيب أوراق الشركة حقا، وبشكل كامل.

غادر (الورشة) بعد نصف ساعة، ومن بداخلها يهتفون بحياته.. قَلَّ ساعات عملهم، ورفع قيمة حوافزهم وبدلاتهم، وجعلهم يشعرون أنه ليس ذلك (الديكتاتور) المتسلط الذى ظنُّوه، أو على نحو أدق قابلوه فعليا فور عودته من الخارج.

صعد إلى مكتبه لبعض الوقت.. تابع تطورات أمرين بعينهما.. أحدهما يتعلق بشركة التأمين، والآخر بلافتة كان قد طلب من أحد شبان قسم التطوير تصميمها.

غادر المبنى بعد حوالى ساعة، وعاد إليه بعد ثلاث.

كانت (نورا) تجلس خلف مكتبها.. وتضع تركيزها فى قائمة مراسلة إلكترونية، وجفلت نوعا حين لامس ذراعها شيئا التفتت لتجده باقة زهور لم تر مثلها قبلا.. حدقت بذهول فى وجه (أحمد) المبتسم.. يقف بجوار مكتبها ويمد لها يده بالباقة التى تحوى ورودا تركوازية اللون لم تدرك مسبقا مدى رقتها.. بالإضافة إلى أن تدرجات ألوان الباقة كلها كانت ساحرة. لم تقدر أن تدير عينها فيما حولها.. ابتسامته الجذابة الواثقة جعلت قلبها يخفق بعنف، وهى تمسك بالباقة، وتحاول الابتسام.

- فُسْح ح نَعْرِى الكَارْت؟

سألها، وكأنهما يجلسان فى (جروبى).

سيطرت على ضحكة متوترة كادت تفلت منها، ورفعت كفها إلى فمها، وسألته من بين أسنانها:

- هُو إِنْت بِنَعْمَل إِيه بِالظَّبِيط؟ إِنْت إِنْجِنْت خِلَاص؟

- لِأَسَّه.. هَاتِي إِيْدِك.

- إِيْدِي إِيه يَا بِنِي!! إِنْت مَجْنُون؟

ضحك، ثم غمز لها بعينه مشاكسا..

- إِقْرِي الكَارْت.. وَحِ اسْتَنَّاكِي نَعْدِي عَلِيَّا أُول مَا تَخَلَّصِي اللِّي بِنَعْمَلِيه.

- ح نَحْشِي بَعِي خِلَاص وَتَسْبِينِي كَرَهِي!!

ضحك مرة أخرى، وتراجع خطوة مشيرا لها..

- **إوعى تاكلى من غيرى.**

- **أكل.. ومن ليه نفس باكل دلوقتى؟!!**

هز رأسه بمرح واضح، واستدار منصرفا بهدوء، وأشار بتحية مهذبة لـ (ليلي عبد الحميد) حين تلاقى أعينهما.

وضعت (نورا) الباقة على المكتب محاولة التغلب على ذلك الحرج الذى يُعجزها عن التفكير.. كان (أحمد) وكأنه دفع بها إلى خشبة المسرح الممتلئ بالجماهير دون أن تعرف دورها أو تسمع عنه.. تمتمت لنفسها:

- **يا نهار أبيض!**

وجدت أن عدم رفع عينيها إلى أحد من المحيطين سيكون الحل الأمثل.. لكنها لم تقاوم انتزاع البطاقة المثبتة وسط الورود، وقراءة كلماتها القليلة.. كتبها بالإنجليزية..

(Princess Nora, I can't even think of losing you.)

قرأتها مرة، وثانية، وثالثة.. وراودتها رغبة مزدوجة عجيبة.. فى الضحك والبكاء معا.

كلمات قليلة فى جملة وحيدة.. لكنها عنت لها الكثير.. الكثير جدا.. شعرت أنها تفهم (أحمد).. تفهمه بشكل غير عادى.. وصلتها رسالته، ومست قلبها.. ربما أكثر مما لو كان كتب لها "أحبك".

حاولت التنفس من فمها، واستعادة هدوئها لأن دموعها كانت قريبة جدا. وضعت البطاقة فى حقيبتها، وواصلت ما كانت تقوم به على (الكمبيوتر) لدقائق.. حاولت تأخير نهوضها قدر الإمكان لكنها وقفت فى النهاية، والتقطت حقيبتها، وباقة الزهور، وتوجّهت إلى مكتب السيدة (ليلي).. التى كانت تنتظرها لتصلى الظهر معها.. رافقتها المرأة إلى طابق الإدارة بالمصعد.. طالبتها (نورا) صباحا أن تدعوها دوما للصلاة، ورحبت المرأة بذلك وقالت أنها صارت تصلى بالمُصلّى الذى حل محل الاستراحة قرب مكتب الرئيس.

طالبتها (نورا) بأن تنتظرها لحظة، وطرقت باب غرفة (أحمد)، ودلفت إليها مباشرة.. كان وحده.. رفع إليها عينين تحويان ابتسامة.. كان يعمل على (الكمبيوتر) الشخصى الخاص به.

- **فُشْن عارفه أقول لك إنه مجرد.. ومهما قلت أصلا مشن ح أوصلك لك اللي حسستني به.. باللي إنت كتبت، وعملت..**
- واحتضنت باقة الورد لتُخرج من حقيبتها حقيبة هدية سوداء لامعة..
- **بصه هج معايا من يوم ما رجعت من السفر.. يارب تعجبك.**
- بدا متفاجئا، فأردفت:
- **تقدر تقول كنت مستنّبة اللحظة المناسبة، وجلي إحساس إنّها ح تبجي النهارده.**

نهض واقفا ومد يده يلتقط الحقيبة الصغيرة الأنيقة. استدارت هى وتوجهت إلى طاولة الاجتماعات.. وضعت حقيبتها، والزهور على أحد المقاعد، وأشارت إليه وهى تتحرك إلى باب الغرفة..

- **الحاجة (ليلي) مستنّبان.. ح أصلّي الصهر معاها.**

هز رأسه، وعاود الجلوس ناظرا إلى هديتها التى تفوح بعطرها. حين عادت بعد قليل كانت متلهفة لمعرفة انطباعاته عن الهدية. حافظة نقود جلدية، وعلاقة مفاتيح من الفضة بأول حرف من اسمه.. نهض هو واحتواها بعينيه مقاوما ضعفا صار غريزيا تجاهها.. شرحت هى برقتها الممزوجة بحماس طفولى:

- **لاحظت إنك مش بتسبل محفظه.. بس لو مش بتحب تحبليها في جيبك سبيلها في العريئة.. سلسلة المفاتيح كنت ح أحبيلها (مرسيدس)، وبعدين أخذت بالي إنّي معرفش عربيتك هناك في (سان دييجو) نوعها إنه.**
- **ح أشيل محفظه من النهارده، وذوقك تحفه، واختيارك جميلة زيك.**
- غاصت فى عينيه للحظات قبل أن تتمتم بحمد (الله) أن الهدية قد أعجبتة.
- **أنا كُلمت (دعاء)، وعزمتها على الغدا هج و(شذى).**

أشرققت ملامحها..

- مجرداً حلوا أومي.

وصممت لثوانى قبل أن تقول:

- بجلدك أروح ل (فامج) أتغدى معاه.

التوى فمه ببعض الحنق..

- اختارمى مكان يعجبك.. اطفروضه نفا بلهم الساعة خمسة.

نظرت إليه لثوانى، ثم ولدت على شفيتها ابتسامة صغيرة تمددت ببطء ممزوج بمشاعر كثيرة لتغطى ملامحها كلها.

بعد الخامسة بدقائق كانا قريبين من المطعم الذى اقترحته (نورا)، ووافقت (دعاء) عليه بحماس.. أوقف (أحمد) السيارة على جانب الطريق بغتة، وقال:

- (نورا).. غمضى عينكى.

ضحكت مستمتعة..

- أكيد مشن ح أعمل كده.

صمت لثوانى، ثم اصطنع التعالى متسائلا:

- إنتى فاكدة إنتى لو عايز أبوسك مشن ح أعرفه بعنى؟ حتى وإنك مفنجله عينكى.

- إيه مفنجله ديم! وأبوه طبعاً مشن ح تعرف.. علشان إنتك مؤدب بسن.. مشن ح تعمل كده.

أطبق فمه بقوة، ثم أشاح بوجهه ناظراً ل (التابلوه).

- طيب دورمى وشك.. بلكا يا ست الحاجة.. إنتى لسه ح تفكرمى؟

- علشان مشن فاهمه يا (أحمد).

- طيب بلكا.

- طيب حاضر.

أدارت وجهها عنه بالفعل.. أغمضت عينيها أيضاً..

لثوانى، وسحب يدها التى لا تزال تحتضن باقة الزهور.. لم تستوعب تماماً سوى أنه قبل قمة أصابعها.. مرة واحدة فقط، وسمعته يقول:

- أنا اللّٰه منغيبه.. بس قلت لهم إن ممكن نبرّكه لو ما عجبتيش.

التفتت شاعرة ببعض الثقل فى معصهما.. كان يحيطه سوار من الذهب الأبيض.. سوار ثمين يليق بأميرة حقا.. لكنه لثم يدها مرة واحدة فقط!

- يا نهار أبيض! إيه ده يا (أحمد).. أنا

عجزت عن إيجاد عبارة مناسبة.. بحق (اللّٰه)! لماذا لم يفعلها مرتين كعادته؟! رتبت السؤال أخيرا، وألقته:

- (أحمد).. ليه كرهه طيب؟

أجاب بعبارة لطيفة صادقة، وسألها إن أعجبها اختياره.

- تحفه و(اللّٰه).. بس كثير أوي.

عاود التحرك بالسيارة ليوقفها أمام المطعم دون أن يجد عبارة تُعلم الصغيرة بجواره بقيمتها لديه.

التقيا الشابتين التين جائتا معا، وكان (أحمد) يحمل لكل منهما هدية مغلفةً بأناقة.. لاحظ أن (دعاء) بدأت تتحدث مع (نورا) بأريحية بعد دقائق من لقائهما.. كانت (شذى) قليلة الحديث بشكل عام.. تحافظ على ابتسامة دبلوماسية.. لم يسألها عن شئ.. لكنه طلب منها أن تزور الشركة فى أقرب وقت لأنه يحتاج للتحدث معها عن عمل.. لاحظ نذر من السعادة فى مظهرها حين أعلن تعجبه من أنها لا تزور شركتها للاطمئنان حتى! وعدته بزيارته يوم السبت، ورحب هو بذلك.

حين تركت (نورا) الطاولة لدقائق.. سألته (دعاء) عنها بحرارة:

- بين السكّر دى؟! نقول (بروك)؟

ابتسم للتعبير رغم أن إعجاب الآخرين ب (نورا) كان يضعه تحت ضغط ساحق.

اصطنع عدم سماعه السؤال الثانى، وكانتا تعرفان جواب الأول بالفعل.

- أنا ملاحظ إن إنتى وهى بدأتو وشوشه خلاص! مش بردىج أوي ده؟

فوجئ ب (شذى) تسأله:

- ليه ما جاوبتنش علي (دعاء)؟
هز رأسه ومط شفتيه بصمت، ثم نظر إليها.. أصغر أخواته، وآخر نسل (منصور).

سألها وكأن رأيها هو أكثر ما يهمه فى الحياة:

- إنتج برضو شايغها لذيه؟
- أنا لسه ما عرفتهاش كويسن.. بسن باين أويمى إنَّها محترمة، ومتعدِّبة.
- إيه؟

- ده اللج حسبيته ما شغتها.. أنا أصلا بعرف أحلك أمي (Couple) بنظرة.
ضحكت (دعاء) للتهدئة من حدة الإتهام فى نبرات (شذى)..
- (شذى) أصلا معاها بلاكوربوس إقتصاد وعلوم سياسيه.. بسن فاكراه نفسها محلكة نفسيه.
قالت (شذى) لا مبالية:

- أصلا ما تعرفيش تعدى الطرات اللج طلع تحليلي فيها صح.
سألها (أحمد):

- وإيه تحليلك بقى لينا أنا و(نورا)؟
- إنَّها بتخبلك.. ولولا إني عارف إنك لسه راجع من بره كنت قلت إنَّها بتخبلك من سنين.. (Plus) بقى إنك مش مفهمها هي إيه بالنسبة لك.. عاجباك بسن ماتعرفش بتخبلك وأنا لأ.. عاجز تعرف هي تستاهل فعلا وأنا شوبيته وتزهق منها.

لم يكن من مجال للذهول الآن..

- لأ أنا عارف كويسن أويمى إنَّها تستاهل.
قالها مدافعا عن (نورا).. لا عن نفسه.

- لو كنت عارف فعلا ما كنتش ح تسببها كده.. وخلي بالك إنك جايدها تقابل إخواتك.. ده برضو لعب بأعصابها.. وأنا بعني إحنا برضو مش إخواتك أويمى بعني.

قالت (دعاء) وهو واثق أنها وكزت أختها، أو ضربتها فى ساقها أسفل الطاولة:

- (شذى).. (أحمد) مشن جى علسان بقعد بسمع انتقادك اللطيفة دى. وما تنسيش إنه أخوكى الكبير.

- ماشى.. اظلم هو ما ينساش بسن.. كان عندي أمان أرجع أسطورة الأعم الكبير دى.

- (شذى).. إسلتى أحسن علسان

قاطع (أحمد) بحزم دون أن يبعد عينيه عن (شذى):

- سببها تقول اللي هي عايزاه يا (دعاء).

ثم سأل دون إبداء مشاعره:

- أسطورة إيه يا (شذى)؟

- مش يمكن أكون بنت لك أسطورة كده فى خيالى؟ عمر ما كان ليا أع كبير.

وفرق السن بينى وبين بابا فطبع.. يمكن كان عندي أمان أشكلى لك من

واحد لعب بمشاعري مثلا.. أقول لك إزاي بقى وإنت أصلا بتلعب بمشاعري

واحدة تانيه! مشن ده بيقى تناقض؟

كانت (نورا) تقترب عائدة.. (دعاء) منزعة بشدة، و(شذى) فى قمة اللامبالاة..

بينما (أحمد) ينظر بثبات فى وجه أخته الصغرى.

فور أن رأته (نورا) وجه الرجل حتى بدت مستعدة للزود عنه حقا..

- فيه إيه يا (أحمد)؟

تسائلت قبل أن تجلس حتى، ونهضت (دعاء) قائلة:

- (Sorry) يا (نورا).. (أحمد).. عايزاك لحظة.

التفت (أحمد) إلى (نورا)، وهز رأسه مطمئنا بابتسامة باهتة، ثم نهض ليتبع

(دعاء) حتى وقفا أمام المطعم.

- (أحمد).. مجرد مشن عارفه أقول لك إيه.. (شذى) أصلا مجنونة.. لسه خارجة

من صدمه عاطفية خدت علسانها وهذات.. وكمان هي محتلفة من ساعة

ما عرفنا عن تعب بابا.. ده غير إننا متدلعت أصلا أوى.

- ومن إمتى وهى بتدخُن؟!
- إيه ده؟! أنا .. إنتِ عرفتِ منين؟ أنا اكتشفتِ الطوضوع ده من شهر تقريباً .
- صمت، وهو يجز على أسنانه بلا هواده، ثم قال:
- عايز أعرف حاجات أكثر عنها .
- باباك قال إنه ح يلم الشمك فى الطزرعة الأسبوع ده .
- بكرة .. عايز أشوفك بكرة .. إيه رأيك تيجى نَعصِي النهار معايا فى الغدوق .
- بكرة .. الجمعة .. مهمم ماشى ..
- لو وراكى حاجة .. مَلَن السبت الصبح .
- مش ورايا حاجة بس كنتِ بعنى
- (دعاء) .. حَبِي حَبِي حِد معاكى .
- صمتت مبتسمة بخفوت وحاجيها مرفوعين .
- إنتِ ذكى أوى .. صبح؟ طَبِّب .. ح الكَلَمك بالليلك نَطْبِط معاد .
- ح أسْتَأْكى .
- عادا إلى الطاولة، وكان من أراد طلب تحلية قد فعل منذ زمن فأنهى (أحمد)
- اللقاء بطلب الحساب، وسداده .
- ووقف ذاكرا شئ عن موعد يجب أن يلحقا به هو و(نورا) .
- عند المدخل تبادل الجميع التحايا، ولم يفرِّق (أحمد) فى سلامه بين أختيه .
- فور استقرارها بجواره فى السيارة .. سألت (نورا) (أحمد) عمَّا حدث فأجاب:
- (شذى) إنكلمت معايا بطريقَة مش حلوة .
- أنا حَسْبِيهَا غريبَة شوْبَة .
- مط شفتيه، وأمال رأسه ناظرا إليها، وهو يسيطر على المقود بيمنه على
- إمتداد ذراعه ..
- أقول لك إيه يا (نورا) بس؟! الطوضوع مُحرِّج شوْبَة .
- إيه؟
- حشيش .
- إيه؟

- إيه يا (نورا)؟ (شذى) .. بتخشش.
- وعرفت منين؟
- بغض النظر عرفت منين، واطوضوع سهل على فكرة.. خشاشة مُستجدة.
- حرام عليك ما تقولش عليها كده.. دى أختك.
- ماتتصوّر بش قد إيه حسيت النهارده إنها أختى، وبعدين أنا بقول ده ليلكى إنتى.
- و ع نعمل إيه؟
- أيجى حاجة.. مستعد أعمل أيجى حاجة علشان أطلعها من الجو ده.. (دعاء) ع
- ييجى الغدوق بكرة.. عايز أعرف منها كل حاجة عن (شذى)، وعن (رانيا)، و(دعاء) نفسها.
- لاذت بالصمت قليلا ثم تسألت:
- إنت بتسوق بسرعة كده ليه؟
- عايز أوريكى البيت اللجى عشت فيه سنين، ويكمن نلاقى حد من الإتنين الغدام.. مش ع تطول إن شاء (اللهم)، وبعدها بقية الليلة ليلكى.
- اصطنعت النظر عبر النافذة..
- فشن يكمن الطشوار ده ببسطنى أكثر منك.
- ابتسم، ثم تذكر شيئا..
- أه.. اسمعى.. نوم بدرى مش ع يحصل.. بكرة الجمعة.. عايزة تنامى نامى فى البلكونة.. فشن ع أسيبك تنامى، وأنا عمال أنطط فى الأوضة زى القرد.
- ضحكت بصوت مرتفع، ثم اعترفت:
- أنا كل اللجى ختمه إمبراح ما يكلملش ساعتين.
- ألقى عليها نظرة، ثم مازحها:
- بس كنتى غريبة شويى يا (نورا) إمبراح.. متأكدة إن اللجى شر بيبه كان شامى.
- ضحكت لتغالب حرجها فى البداية، ثم ضجت بالضحك حين أضاف:
- الحمد لله يارب.. نظرية المسطحات المائية شغالة معاكى كمان مش أنا بس.
- طيب بس علشان دوك تغيل، وسوق بالراحه شويى.

حين اعتلى كوبرى (٦ أكتوبر) أجبره الزحام على الإبطاء التام، وعقب نزوله إلى محور (العروبة) أشار إليه أحد ركاب سيارة بجواره أن يقف، ومالت تلك السيارة لتجبره على الطاعة فى أقصى يمين شارع (صلاح سالم).
قبل أن يوقف سيارته قال لـ (نورا):

- **إفعلجى الـ (Center Lock)، وما تخرجيشن من العربيتّ وهما حصل.**

تعلّقت بذراعه صارخة باسمه بفزع طفلة ترى الخطر يحدّق بأبيها.. لم تفهم شيئاً.. رأته يغادر السيارة بسرعة شديدة ليستقبل الرجل الذى اندفع نحوه وهو يقف على قدميه.

أشار له هذا الرجل بيده، ولم تسمع (نورا) ما قاله له.. لكنها رأته يُسلّمه مطروفاً صغيراً قبل أن يعود أدراجه إلى السيارة التى انطلقت به مباشرة.
تدمير الأعصاب الغير مُتعمّد الذى حدث لـ (نورا) جعلها تسأل (أحمد) بإصرار عمّن هؤلاء، وما الذى يخفيه عنها؟

حين انفجرت باكياً ضغط زر أضواء الانتظار..

- **خلاصن خلاصن.. ع أخلجى لك.. ما تعيطيشن.**

أوقف سيارته، وكان قد بلغ (مصر الجديدة) بالفعل.

ضعفه أمام بكائها جعله يتمنى لو قيّد ذراعيه خلف ظهره، وعصب عينيه أيضاً.

همهم بلعنة ما وهو ينتزع بضعة مناديل من علبتها بعنف، ويُقدّمهم لها يرجوها الهدوء.

وحكى لها.. حكى كل شئ بدءاً من مكالمة الطريق الصحراوى الغامضة وصولاً للقائه بـ (نادية الصرفى) أمس.. مرورا بمحاولاته لمعرفة هوية المرأة، ومساعدة (نورا) له دون أن تدرى.

وحين انتهى.. فتح المظروف الذى أعطاه له الرجل، وأخرج منه صكا جديداً ألقى نظرة على مبلغه، ثم عرضه على (نورا) التى لم تمسه وكأنه (ميكروب).

عَلَّقْ هَا زَنَا.

- زوَدِتْ الطبلِغْ شوْبِي، وعابزاني أصرف الشبكين يوم الحد الساعة سَعَة.
- (أحمد) .. رهو إنت مجنون؟
- نظر إليها حين سألته بلهجة مكبوتة وقد غير البكاء صوتها.. فوجئ بثورتها عليه.. ثورة عارمة فى الواقع.. حتى إنه تراجع نوعا يحق فيها بعجب.. تصرخ به وتوبخه، وتنظر إليه شنذرا وتجز على أسنانها.
- يا (نورا) أنا
- بلا (نورا) بلا زفت.. تتحرق مناقصة الوزارة، وتتحرق (نادية الصوفي) على (الراسي) في يوم واحد.. بتعرض نفسك لده كله عشان إيه!! تلعب لعبة زى دى مع ناس زى دول ما بيهمهمش حاجة فى الدنيا غير الفلوس!!! إفعلى ال (Center Lock)، وما تخرجيش من العريشة!! واطفروض أنا أتفرج عليهم بقى بيتلموا عليك وأنا بضر بولك بسليبة! شفت مناظرهم عامله إزاي؟ مش عارفه و(الله) إنت بتعكر إزاي بعني!
- آه.. كان اطفروض أطلع أجرى على البنك أصرف الشبك، وأسحب العرض بسرعة أحسن بضر بوني.
- لأ طبعا.. نتحرق.. عشان حنة مناقصة لا راحت ولا جت.
- مش عشان المناقصة يا (نورا).. دى مسألة مبدأ.
- طيب.. الحمد لله إن ما حصلش حاجة.. إنت كبرت الطوضوع أوى بالتحدى الرهيب ده.. من غير أى لزمه، وأمى طفلك صغبر فالهم إن (جلال) ح يقول إن العقيد (إبراهيم) خد منه الاعتراف تحت التهديد، و(جلال) ده محامى.. لو حضرتك نسيت بعني.
- يا (نورا) بأقول لك بعت نسخة كاملة من العرض بتاعنا من ال (E-mail) بتاعه على (سيرفر) الشركة.. وإدعى رشوة لواحد من أفراد الأمن، وإشتغل فى شركة من شركات (الراسي) بعد طردنا ليه بـ ٣ أيام.. لو ماكانوش حاسين إننا أقوى منهم ما كانواش بعتوا الشبك.

- طَبَّبَ (Ok).. كل ده كويس أووى، وكفاية أووى.. إنت كده كسان، وأخذت منهم مبلغ كبير.. يغوروا بقى باطنا قصة يا (أحمد).
- بسن هى كده ما إلتزمشن بإتفاقى معاه.
- يا نهارى بقى مجد! تانى ح بقول لى إتفاقى.. (أحمد).. إنت إيه أصلا اللي خلاك تَعَلَّر فى حاجه كده؟ إنك تشتغل معاهم بعد ما ذكتهم كده!! وإيه أساسا فائدة ده فى الحياة؟

هز رأسه معترفا:

- أنا كنت عارف إن ده مستحيل.. كان زيادة استغزاز مشن أكثر.
- وليه بقى؟
- زم شفتيه لثوانى، ثم أرسل نظراته إلى خارج السيارة..
- وإحنا صغيرين (مينا) كان رُفِيع وجسمه ضعيف، وأنا و(وليد) كُنَّا مَتَفَعِّين.. لو إتورطنا فى خناق إحنا التلاتة.. لازم نشيل عنه قد ما نقدر.. كُنَّا بنعمل ده بالشتايم والاستغزازات، وأكيد نضاعف مجهودنا.
- شعرت أنها لم تفهم مغزاه تماما.. واصل:

- و(وليد) إتورط مرة مع بلطجى.. أنا فاكِر شكله لحد النهارده.. كان اسمه (التنين).. وقتها كان (وليد) بيقدّم للكبّية الشرطة.. الواد ده هدد (وليد) بيذبه هو وأبوه، وأخته.. خدت (Bar) حديد، ورُحِت كسرت ل (التنين) دراعه.. فلهمى؟!

- فلهمت إيه؟!

ابتسم ابتسامة زائفة، ثم أجابها:

- إن الواحد طًا لحد لجمى أعلى ناسه.. يستغز مصدر التهديد لأقصى درجة علشان يلفت انتباهه ليه بسن.. فعدت فُرام (نادية) أشرب العصر وأنا عارف إنَّها بتغلى، وإنها لو قرَّرت تعمل حاجه.. ح تعملها معايا أنا.. يمكن يكون مبدأ خناقات شوارع.. بسن بينجح دابجا.

صمتت قليلا.. فكّرت بمنطقه.. لقد رغب في تأمين أحبائه.. ومن أحبّاءه؟! هي ووالده.

- لأ.. ومين قال لك إن حد عايزك تصحّي عشانه؟

وصمتت لثواني، ثم سألته بحذر:

- (أحمد).. إنت مش ناوي تسحب العرض!! عملت كده عشان تستغزهم بس؟!
- كل اطوّفين في الشركت بيخلموا بالعملية دي.. قبلت حياة.. وكمان إحنا دلوقتي أقوى.. العطا ح برسى علينا الإتيخ الصبح بإذن (الله)، وإنتج لو في مكان ..

حدق فيها بدهشة.. كانت قد غادرت السيارة، وشفقت الباب بعنف.

- إيه المجنونّة دي؟!!

غادر السيارة، وابتسم ببلاهة مناديا الشابة التي سارت قليلا، واستندت إلى إحدى السيارات.

اقترب منها..

- وده معناه إيه بقى؟
- و (الله) يا (أحمد) عا ح أكلمك تاني أبدا لو عملت اللي في دماغك.. وإنسى بقى إتنّا كُنّا صحاب.
- إنتج بتقولو إيه؟!
- اللي سمعته يا (أحمد) بيه.

وتركته لتواصل سيرها، وكأنها بدأت في تنفيذ تهديدها بالفعل.

- يا (نورا).. بلاش هيبك.. (نورا).. إستنى.

قبض على ذراعها مضييفا:

- يا بنتي إستنى؟ إنتج راجحه فين؟

جذبها معه للعودة إلى السيارة لكنها عاودت القسم بأنها لن تدخلها إلا لو أقسم هو أن يسحب العرض وينهي هذا الصراع.

عناده أمام عنادها.. حسمت المعركة بعد حوالى نصف ساعة.. لم تعانده فقط.. رجته، وحاولت إقناعه، ولاطفته.. حتى حصلت على مبتغاها فى النهاية.

كان معقود الذراعين، وعضلة جانب فكّه تلك تختلج، وهو يسحق أسنانه ناظرا إلى (نورا) بجمود قبل أن يقول:

- دمع أول مرة حد بغرض فيها رأيك علّيا بالطريقة دمع.

- بعنى وافقت خلاص بجد ؟

كانت سعادتها تنتظر تأكيده فقط، وهو ما فعله مصحوبا بتهديد..

- و ح تدفعى التمن يا (نورا) يا (سوفى).

- موافقة.. موافقة و(الله).. ربّنا بهديك يا (أحمد) يا (منصور)، و يحفظك بارب.

تحركت تفاحة (آدم) لديه وكأنها تمرر ثمرة (كنتالوب) عالققة فى حلقة.

دار حول السيّارة، وإندىس فى مقعده، فصعدت بجواره شاعرة أن حبها له يتضاعف، وأنها - وربما ليست وحدها فى ذلك - تحب الرجل الذى يتحول معها إلى طفل فى بعض الأحيان.. وكان (أحمد) يفعل ذلك بإجادة مثيرة للإهتمام.

لم يتحدث سوى وهو ينعطف عند نادى رياضى قريب من مسكنه القديم.. بدأ يجتر ذكرياته، ويستعيدها بصوت مرتفع، و(نورا) تلتفت حولها وتستمع بإهتمام..

"هنا كنت أقف.. هنا كنا نلعب كرة القدم.. هذا متجر عم (سعيد) البقال، وكان يخصص لنا مساحة فى مبرد (الآيس كريم) يضع فيها أكياس ثلج، وكنا نأتى إليه بعد مشاجرة أو مباراة كرة عنيقة لنضع الثلج على إصاباتنا، فنرقد أمام متجره وتنتابنا نوبات ضحك هستيرى.. يالهى! متجر الكواء هذا لا يزال موجودا!! كان عنده صبى صغير يرقص ببراعة مضحكة.. وتلك هناك بناية سكن (وليد).. انتظري لحظة!"

أطل برأسه من نافذة بابه، ورفع عقيرته بالتحية، فردّها شاب فى أوائل العشرينات يجلس باسترخاء على أريكة خشبية.. سأله (أحمد):

- هو (وليد عبد الغادر) ساكن هنا؟!

- (وليد) بيه فى الدور التانى.

هز (أحمد) رأسه بصمت فحثته (نورا) على سؤال الشاب عما إذا كان (وليد) موجودا.. تردد للحظات نهض فيها الشاب واقفا ليقترّب منه.

- إنت (محمد) ابن عم (ربيع).. مطبوخ؟

رد الشاب بالإيجاب، فالتفت (أحمد) إلى (نورا) قائلاً باستمتاع:

- آخر مرة شفّته فيها كان فى حاجات نازلة من مناخه.

- إبع.. بس.. ع بسمعك!

- هو (وليد) بيه موجود دلوقتى يا (محمد)؟

- لا يا باشا.. فى مأوريت.. من سعادتك؟

لم يجبه (أحمد).. شكره، وقال أنه سيعود لاحقاً.

واصل طريقه، وأوقف السيارة فى مدخل (جراج) صغير، وقام بفتح كوة السقف لينشير لـ (نورا) منها إلى شقة جده - رحمه (الله) - والتي عاش هو فيها لسنوات طويلة.

تعجّب نفسه لأنه أراد أن يحدد لها شرفة الشقة بدقة متناهية.. بينما كانت هى مستمتعة بشدة شاعرة بأنه يقربها منه.

كان كثير الذكريات.. روح المكان جعلته يسترجع أشياء نسيها.. يتحدث وهى تستمع، وتسأله عن بعض الأمور من حين لآخر، وتشعر ب....

"لو سحنت يا بيه ما فيش وقوف هنا.. ده مدخل (جراج)".

جفلت حين صدرت العبارة من خلفها، والتفت لتجد عجوزا بجلباب وعمامة بينما ضحك (أحمد)..

- عم (هلان).. لسه عاشن، ولسه بتظهر فجأة زى ما إنت.

غادر السيارة ودنا من الحارس العجوز، ووقف أمامه صامتا بينما تابعته (نورا) بابتسامة جدل.

- (الله!! إنتااااا....

- أبوه.. ع تبجى ألهي.

- (أحمد).. إنت رجعت يا بنه؟

نطق العجوز عبارته الأخيرة بفرحة حقيقية غامرة، وفوجئت (نورا) أمامها بعناق حار لاح فيه التأثر على الرجلين.

- بجد حرام عليك.. عايزني أحبك أكثر من كده إيه!

تمتت الشابة لنفسها بذلك، وهى ترى المتعجرف الأنيق يعانق حارس العقار العجوز.. لو أن غيرها قد تجد هذا تبسُّطا أكثر من اللازم.. وجدت هى الأمر إنسانيا بحتا.. حتى إنها تأثرت بفرحة الرجل الصادقة، والذى تحوّل إليها للترحيب بها.. يهز رأسه، ويدعو لها بحنان عجيب.. دعاها ب (الست هانم) عدة مرات حتى منحته ابتسامتها الرائعة فدعاها ب (يا بنتى).. سأله (أحمد) عن حاله، وأولاده، وبناته، وأصر الرجل على إعداد الشاي.. سأله (أحمد) عما إذا كان ما يزال يصنع الشاي على (السبرتاية)، فأكد الرجل ذلك.

- طبب خلكها كُبايه واحده بس يا عم (هلال).

- طبب واهانم اللي زيم القمر ديم؟! لازم تشرب حاجة.

- إيه يا عم (هلال).. ع تعاكسها وأنا واقفت كده!! اهانم القمر ديم مش ع تشرب شاي.

- خلاص.. أجيب لها ساقع.

انصرف الرجل بهمة، فاستدار (أحمد)، ومال على نافذة (نورا) مبتسما..

- ع تلافيه ما غسلش اللبابات من آخر مرة شربت معاه فيها.

ضحكت، ولاح أنها سيطرت على ضحكتها فور أن كادت تلك ترتفع جدا.

دار حول السيارة واستقر بمقعده.. لا تزال المنطقة هادئة رغم مضي
السنين، والشوارع خافتة الإضاءة.
أعربت هي عن إعجابها بعم (هلال).. فى حين ظل (أحمد) ينظر إليها بصمت
لثوانى، ثم قال:

- عارفه.. أنا فى المكان ده بالطبىح بوسى أحلى واحده شفتها فى حياتى.
- نعم!
- أبوه.. كانت قاعده جنبى فى العريى.. بوسىها فى خدّها من غير ما تاخر
بالها.. شكرا يا عم (هلال).
- نطق العبارة الأخيرة ناظرا لما خلف وجهها المُستنكر لقصته.. التفتت فلم
تجد عم (هلال)، وحين همّت بإعادة رأسها نحو (أحمد) كان هذا قريبا جدا..
متمدداً كالرجل المطأط، وجاءت قبلته الخاطفة على وجنتها بالفعل.. لكن
قريبة جدا من طرف فمها.
لم تشهق، ولكنها جفلت وكأن الدماء سُحبت منها، وهوى قلبها فى دواسة
مقعدھا تقريبا.
- ابتسم هو بصعوبة أمام عينيها المتسعيتين، ولم ينجح فى تحويل الأمر إلى
مجرد دعابة بأن يُصفق أو يتظاهر بالانتصار مثلا.
- إنت قليل الأدب واللى.
- بصى.. أنا إرادتى قويه آه.. بس مش الرجل الغولاذى معنى.
- شتمته بأنوثه مفرطة، وهى تنظر نحوه بصرامة واهية.
- إنتج إزأى بشرتك ناعمة كده؟
- بس.. هو إنت مش من شوبه كنت عايز تضر بنى.
- كنت بقى.
- ظلاً يتبادلا النظر لثوانى إضافية.

هل كان هناك الآن ثمة ابتساماة ضئيلة قد وجدت طريقها إلى ملامحها الغاضبة؟

- شكراً يا عم (هلال)!!! عبيطة أومي أنا مجرد!
 - بسن زمي القمر .
 - (أحمد).. لو عملت كرة تاني مشن ح أكلمك أبدا .
 - طبع إسئني أكلمك لك القصة.. زعلت مني. وما تفهميش إزأني جاتها زاد وهي بتزغوف.. شدتها من إيدها، وبوسنها اطرة دمي مجرد بقى.. يا (نورا).. طبع خلاصن و(اللذ).
- كانت قد غادرت السيارة فى جزء من الثانية، فتبعها بدوره ضاحكا. استغرق وقوفهما مع (هلال) نصف الساعة.. فاضت فيها الكثير من الذكريات، والكثير من الأخبار الجديدة عن سكان المنطقة.
- (مينا) شغال فى شركة تكيف.. إيجوز من كام سنة. وبوعاتي يلعب فى (البستيشن) اللي فى أول الشارع.
- تبادل (أحمد) نظرة سريعة مع (نورا) بسبب (البستيشن) تلك.. بينما واصل العجوز:

- (وليد) بقى رئيس الطباخت.. البيه رئيس الطباخت.
 - وإنت ليه شكلك زعلان منه كده؟
 - لأ أصله إتغير أومي يا (أحمد) يا بنج.
 - ومين فينا ما إتغيرش يا عم (هلال).
 - كلنا إتغيرنا يا بنج.. بسن الأصيل ما ينساش العشرة وهما إتغير وإبدلت أحواله.
 - بسن (وليد) طول عمره جردع يا عم (هلال).
- هز الكهل رأسه قبل أن يقول:
- السلطة بتغير النفوس يا بنج.

لاحظت (نورا) أن (أحمد) بدا شاردا لثوانى، والأكيد أنه لم يعجبه ما يُقال عن صديقه القديم، وربما يكون قد حاول استساغة الأمر أو الاقتناع به، ثم قال مهازحا:

- وإنّ يا عم (هلال) ما بتلعبش (بستيشن).

- (بستيشن) إيه يا بنى! أنا ما أفهمش في لعب العيال ده.

ضحكت (نورا) بخفوت، وربت (أحمد) كتف العجوز داعيا له بالصحة وطول العمر.

لاحظت (نورا) أن (أحمد) منح الرجل مبلغا من المال قبل انصرافهما.. رغم إنه حاول فعلها فى الخفاء، ولكن الرجل اعترض وحاول الرفض ما جعل (أحمد) يُسكته بشئ من الحزم.
بعد أن تحرك بالسيارة سألته (نورا):

- مش ع نشوف (ميننا)؟

- في (البستيشن)؟

- أه.. في (البستيشن).

كان المتجر صغيرا لا لافتة له.. يضع فقط ملصقين لأشهر لاعبي كرة قدم فى العالم فى تلك الآونة.. حين دفع (أحمد) بابه استقبلته رائحة سجائر خانقة.. سأل عن (ميننا مجدى) فلم يجده، وفوجئ بأن رقمه الخاص لدى الشاب المسئول الجالس فى الظلام.

عاد (أحمد) إلى السيارة معلنا:

- كفايه أوى عليا كده.. بقية الليلة ليلى.. شاورى بس على اللى إنتى عاوزاه.

عبّرت له أنها سعيدة جدا برفقته، ثم طلبت بشئ من الدلال:

- عايزة أروح (السينما).

وصفت له الطريق إلى أشهر مركز تجارى فى حي (مدينة نصر)، وبه مجمع صالات سينما.

سارت بجواره بالمركز مبهجة.. لم تكن تحب زيارة المراكز التجارية فى لىالى الخميس أبدا.. لكن بإمكانها أن تحب أى شئ طالما أن (أحمد) يشاركها فيه.

الزحام كان شديدا، وقام (أحمد) بتفعيل أجهزة استشعاره متحولا إلى حارس شخصى لمرافقته.. قادها بأمان حتى وقفا أمام شبابيك حجز (السينما).. ضحكت حين سألتها إن كانت تلك هى (السينما) الوحيدة فى (مصر)، ثم بدأ يرتبان تفضيلاتها هى للأفلام المعروضة كى يبدأ هو رحلة البحث عن تذكرتين.. عاد فى النهاية، وهو بادى الملل لكنه عاود الابتسام فور تحدثها إليه.

- أنا كنت عايز أدخلك فيلم رومانسى.. بس إنتج بتجيب (ستالونج).

أومأت باسمه، وأحبت ذراعه الذى فرده أمامها، وهما يسترشدان بضوء كشاف عامل (السينما) كى يصلا إلى مقعديهما.. مسند اختيارى لو احتاجته، ومصدر لاستمتاع عجب بإدراكها أن لا شئ يهم (أحمد) قدر اعتناؤه بها.

(3 - Expendables).. أو المستهلكون.. جزء ثالث فى سلسلة أفلام بنفس الاسم.. البطولة ليست لـ (سيلفستر ستالونى) فقط.. إنتاج ضخم، ونجوم بدأت شهرة بعضهم تذوى نوعا فى (Hollywood).

ذكرت (نورا) لرفيقها نبذة سريعة عن الجزئين السابقين، ولم يهتم سوى بسؤالها عمّن شاهدتهما معه.. حاولت كبح ابتسامتها، ثم أصدرت آهة ملل خافتة..

- بابن رنر معايا بقى.. ح أسألك فى الكلام ده على فكره.

ضحك، ولم يبد مهتما فعلا بالفيلم أو أجزائه السابقة. صدم أثناء الفيلم بمدى وضوح الكهولة على (ستالونى) و(شوارزنيجر)، وتأثر بذلك كأنهما صديقيه المقربين.

كان يميل نحوها ليهمس بشئ ما، أو يستمع لتعليقاتها، ولكنه بعد قليل إتهمها بخداعه:

- ده فيلم (شمس الزناتي)!

لم تفهمه فى البداية، ثم انتابتها نوبة ضحك مع توضيحه لوجهة نظره.. حاولت إسكاته لتوضح له أن الفيلم الذى ذكره مقتبسا عن الفيلم الأمريكى (العظماء السبع)، والذى بدوره مأخوذا عن فيلم يابانى قديم يُدعى (الساموراي السبع)، لكن (أحمد) بدا وكأنه أغلق رأسه تماما رافضا المزيد من خداعها له..

- ده ناقص (عبد الله محمود) - (الله) برحمه - بشاور ل (ستالونج) على (فيل جيبسون) ويقول له (برعى).. لوحده.. لا يا قمر.. إحنا فعدينا بره كتر بس لسه صبيح وفاهمين كل حاجه بالصلاة ع النبي.

غاصت فى مقعدها مدركة أنها مصدر إزعاج للمحيطين.. ربتت على ذراعه ترجوه السكوت ففعل محتفظا بابتسامه رضا عن نفسه، وعن ذكائه الحاد. فى الاستراحة.. قام ليبتاع لها (فيشار)، وحلوى، وعصير مانجو.. كان يأخذ منها عبوة الفيشار ليحملها لها عندما لامست أصابعه يدها فتسللت يده لتستقر فوق كفها، وكأن قراره لفعل ذلك ومض فى عقله بغتة.. نظرت إليه، وابتسمت.. لم تبعد يدها سنتيمترا بالتأكيد.

من الجيد أن الفيلم كان مليئا بالحركة، وإطلاق النيران.. فهما لا يحتاجان ما يؤجج مشاعرهما أكثر.. لم تفكر كثيرا هذه المرة قبل أن ترفع يدها الحرة لتضع قطعة حلوى أمام فمه، وبذل هو جهدا كيلا يطوقها بذراعه، ويضمها إليه.

فى طريق عودتهما إلى الفندق توقف وابتاع شيئا من متجر مواد غذائية، ورغم كونهما متعبان اختارا المسير إلى مبنى الغرف، وعند باب الغرفة أخذت تقسم له أنها ليست جائعة، وأنها لا تريد تناول عشاء.. لم يكن جائعا بدوره.. كان فقط يريد ألا ينتهى الوقت الذى تقضيه معه.

ارتضى صاغرا أن يخرج إلى الشرفة بعد قليل، وقبل أن يفعل سمعها تناديه من شرفتها فأسرع إليها.. سألتها إن صلّت، وردّت بالإيجاب قبل أن تسأله بتلهف واضح:

- فَاكْرَ مَا (نَادِيَةِ الصَّرْفِي) إِتَصَلَتْ بِنَا .. كَان مَوْبَالِي جَنِبِك.

نظر إليها بشئ من الحذر، واستطردت هي:

- فَكَّرْت فِي إِيهِ مَا شَغَت إِسْمَهَا؟ حَسْبَتِ إِيَّيْ مَلْنِ أَكُون أَنَا اللِّي نَعَلْت رَهْم

معلومات من جوه الشركه؟ شكيت فيا بعني؟

أشاح عنها مستندا إلى الدرايزون..

- الْجُو حَلُو أَوْج.

- طَبِّبْ رُدْ عَلْنَا .. شَكَّيْتِ فَيَا .. صَبِّحْ؟

التفت إليها.. ملامحها تشي بمدى أهمية الأمر بالنسبة لها.

- طَبِّبْ لُو جَاوَبْتِك تَنْزَلِجِ تَنْمَشِّي شَوْبِيهِ؟

- رَبَّنَا بِسَهْلٍ .. جَاوَبْ بَعِي.

لم تكن قادرة على مواراة فضولها الشديد.. كانت تؤمن بأن المرء يتغيّر دوما لأحبابه.. هي تغيرت تماما.. نمط تفكيرها.. أسلوبها.. وحتى قواعدها الصارمة.. كل شئ تبدل مع ظهور (أحمد).. فهل خرقت هي قاعدة الشك في الآخرين لديه؟! ما تتذكره هي أنه كان واجما حينها في الباخرة.. متوترا ربما..

لكن هل راوده الشك في إخلاصها له!!؟

- طَبِّبْ .. إِيَّيْ عَارِفْ طَبِّبْ إِنْ الشَّكْ دَاءٌ عِنْدِي.

- Ok!

ظلت تنظر إليه.. تنتظر أن يواصل، ثم أدركت أنه انتهى.

انكمشت نوعا، وهزت رأسها بخفوت، ثم أدارته لتطالع الحقائق.

سألها النزول فقالت أنها متعبة، وتريد النوم.

- مشن ح أقول لك إنت وعدتي.. ح أقول لك علشان خاطرئى.. (دعاء) لسه
ملكمان، وقالت إنها ح تبجى بعد صلاة الجمعة، ويحكن تقعد اليوم كله.
أحنقها جدا أن الأمر كان منتهيا مع سؤاله.. إنها مستعدة لعمل أى شئ
تقريبا.. من أجله.

سارا متجاورين بعد قليل..

- هو العمر زعلان ليه؟

- لأ ما فيش.. تعبانه بس شوبيه.

دعاها للجلوس عند حمام السباحة مُشترطا عدم النظر نحو الماء.. لاحظ أن
ضحكتها لم تكن صافية، وجعله هذا يتحدث فور استقرارهما على مقعدى
استرخاء متجاورين.. شرد ببصره نوعا وقال:

- ماشكش فيكى لحظة و(اللهم العظيم.. بصيت لك ساعتها وإنتى جايه من
(البوفيه).. عايز أشك فيكى ومشن عارف.. فاكراه لما سألتينى بتبصلى كده
ليه، وقلت لك إنى مستغرب! كنت بسأل نفسي إنتى ليه بعينى حاجة خاصة
أوى بالنسبة لى كده! لدرجة إنى لما سبتك وطلعت ساعتها حسيت إنى مشن
ولهتم أعرف حتى إنتى تعرفى (نادية) دى مين.. سألتك علشان أعرف هى
مين بس؟

حين انتهى التفت نحوها ليجدها قد قامت من رقادها، وجلست تنظر إليه وقد
شاب الإهتمام فى عينيها بسمه فرح.

تابع ناظرا إليها، وصدقه يضىف إليه لمحة من الكآبة:

- إنتى غير تبني خالص.. مشن عارف ليه فجأة كده بعيت بيان للثقة فى الناس،
ولهتم إنى أعاملهم كويس.. كأنك بتشحنينى بطاقة إيجابية غريبة.. حتى
عمان الشركة ما يعرفوش إن الفضل يرجع لى بعد ربنا سبحانه فى تحسين
أحوالهم.. (سمير أبو العزم) نفسه ما يعرفش إن دورك كبير أوى فى ترضيته،
والتمسك بيه.

هز رأسه، وأردف معترفا أمام عينيها الجميلتين:

- عمرى ما كنت كده.. ده مش أنا.. (نورا).. أنا عندي ٣٥ سنة.. مش
المفروض أنا أثر لما أمسك إيد بنت.. معاكى بحسن إن دى أحلى حاجة فى
الحياة.

أدار وجهه عنها، وكأن اعترافاته تُخلجه، ظلّت هى صامته أو بالأحرى عاجزة
عن الكلام.

لم يلحظ أنها أخرجت السوار الذى أهدها إيّاها اليوم من جيبها، ووضعته فى
معصمها بسعادة.. هل كانت تتوقع نفيه لما أحزنها؟! كانت بريئة، وليست
غبية أبداً.

نهضت واقفة فالتفت إليها، وإن جاز قول ذلك فقد انتبهت هى أيضا إلى أنها
وقفت!

ما الذى كانت ستفعله؟ ما الذى يقودها إليه ذلك الرجل؟

صمتت لثوانى لكنها لم ترتبك.. منحته نظرة دافئة.. كانت تريد إخباره
بالكثير دون أن تنطق.. وعلى الأرجح فعلت.. فقد فهم أو أنه كان بالفعل
يفهم أن لديها الكثير من المشاعر، وحياتها فقط هو ما يمنعها من
التصريح.. لا يستطيع أن ينسى حين تحسست شعره، وأرخت رأسها على
ذراعه منذ ساعات فى هذا المكان تقريبا.

أشارت له بكفها أن ينهض معها.. وكانت راحتها للأسفل.. حين تشير امرأة
لرجل أن تعالى، وراحتها لأعلى يبدو ذلك وكأن به لمحة إغواء.. أما إشارتها له
الآن كانت أجمل بكثير.. أسمى وأدفاً.. نهض واحتوى كفها الصغير فى يده،
وسارا معا فى صمت لدقائق طويلة.

كانت هى تفكر فى أنها ستظل تهيم به طوال عمرها حتى لو - لا قدر (الله)
- لم تكن له فى النهاية.

وكان هو يفكر فى أنه مهما خشى أن يجرحها أو يظلمها.. فهو لن يستطيع
الابتعاد عنها أبداً.

تحدثًا قليلا، ثم عاودا الصمت.. وكررا ذلك وهما يستمتعان بكل لحظة منه..
صعدا للوقوف أمام باب غرفتها لنصف ساعة تقريبا، ثم إتفقا على اللقاء
بالشرفة بعد دقائق!

فى الشرفة ظلا واقفين حتى الفجر.. اكتشفت أنها تضحك معه بعمق لم
تجربه يوما، وكأنه يمنح ضحكاتها تألقا خاصا بحضوره، وحين إتفقا على
الصلاة والنوم، ودخلت لتتوضأ سمعت طرقتين على باب الغرفة.. خفق قلبها،
ووضعت المنشفة على رأسها، وفتحت الباب نذرا يسيرا.. لم يكن هناك أحد..
فقط كوب من الحليب يستقر أرضا.. انحنت تلتقطه بعينين دامعتين.. لم
تكن كئيبة.. لكن هشة كالبسكويت.. آخر من شملها برعايته هكذا كان
أبوها.. منذ سنوات طويلة جدا.

استيقظت فى الحادية عشرة، وإتصلت به فى الغرفة بعد نصف الساعة
لتوقظه.. لكنه كان مستيقظا منذ ساعة تقريبا.. يواجه مشكلة بشركته فى
(سان ديجو).

إتفقا أن يلتقيا فى البهو بعدما يصلى (أحمد) الجمعة.

احتسبا القهوة، وجلسا ينتظران (دعاء)، و(حسن).. وهذا الأخير قدمته (دعاء)
فى محادثتها مع (أحمد) أمس على إنه صديق مقرب.. لكن إدراك وجود
مشاعر بينهما لم يكن صعبا أبدا، وكذلك إدراك أن (دعاء) مهتمة بتكوين
(أحمد) انطبعا جيدا عن مرافقها.

جلسوا لنصف الساعة بالبهو، ثم توجهوا إلى المسبح، وجلسوا قربه، وحرار
(أحمد) فى معرفة النقطة المشتركة التى جمعت بين أخته التى تخرجت فى
الجامعة الأمريكية، و(حسن) صاحب بكالوريوس الهندسة قسم العمارة
بجامعة (عين شمس).. حتى إتضح أن الشاب يُشرف على تصميم المطعم
الذى تستعد (دعاء) لافتتاحه فى القريب.

مالت (نورا) على (أحمد) تخبره أنها ستصعد إلى الغرفة قليلا، وفاجأها بأن
نهض مُصرًا على مرافقتها حتى باب غرفتها.. وأوقفته، وأقنعتة أن يبقى

ليحدث مع (دعاء).. كان حقاً لا يريدُها أن تبتعد عنه.. منحتَه إحدى ابتساماتها الواسعة، وأنزلت يدها عن ذراعِه حتى كفه، فضغطها هو.. أَلقت تحية مؤقَّتة على الضيفين، وانسحبت، وأشارت لـ (أحمد) بيدها بعد ابتعادها بخطوات. جلس الرجل مقتربا بمقعده من (دعاء)، وطلب قدح قهوة آخرا، وبدأ يسألها عن (شذى)، والتي علم أن من أحبَّته لسنوات هجرها فجأة، وارتبط رسميا بإحدى قريباته، وعذبها ذلك.. لاحظت (دعاء) أن مجموعة من أصدقاء أختها الصغرى القدامى قد عاودوا الظهور مؤخرا فى حياة الأخيرة..

- أشكال غريبة كده.. لديهم شغف فى (الكوربة) بيتجمعوا فيها.. اللي شغفت منهم قريب اسمه (باسم).. سبحان (الله) هى نفسها كانت بتكرههم أوى وتلكم عليهم وحسن.. بس دلوقتي بتروح لهم كثير.. مش بتفعد فى (الإسعيلية) تقريبا، وساعات بتقول طاما إنها ح تروح اطعمهم معايا، أو إن وراها شغل عايزة تعمله على الكمبيوتر فى شغف (الرقى).. بس كل ده كذب. سألتها بضعة أسئلة أخرى عن الشابة المضطربة، ثم صمت قليلا قبل أن يحوّل مجرى الحديث إلى (رانيا).

- ع أصارحك مجابه يا (أحمد).. ممكن يكون خطيبها ده مناسب أوى.. عيلة كبيرة، ووضعها الطامح كويس أوى.. بس (رانيا) مش قادرة تحبّه.

- أقال ليه محمدّين معاد الفرخ؟

لوت فمها غير راضية قبل أن تصرّح بصوت خفيض:

- ضغوط من مامتي.. اللي ما تعرفوشن يا (أحمد) إن كثير أوى إتقدّموا لـ (رانيا)، وإترفضوا.. ومنهم اللي (رانيا) كانت عايزاه.. حصله خلاف جامد فى البيت.. بابا كان مع (رانيا) بس ماما هى اللي فرضت رأيها فى الآخر.

كان الرجل قريبا جدا من الشعور بالغم.. أكل واحدة من أخواته تعانى مأساة عاطفية!!!

أشار برأسه نحو (حسن) الذى يعبث بهاتفه، وتساءل:

- وإنتي؟!! إيه الأخبار؟

- لا.. أنا مشن عايزه أفكر في اللي جى؟

- ليه بقى؟

صمتت لثوانى، وبدت كئيبة جدا قبل أن تقول ببؤس واضح:

- علشان ح يترفض برضو.. هو مشن عنده أملاك ولا باباه كان وزير سابق.

- بسن بيحكك! وإننى راضية بيه؟

كانت لهجته تجمع الإقرار مع التساؤل فاستقرت هى نظرة إلى (حسن)، ثم أومات بحماس..

- جدرا.. جدع أوى، وبيخاف عليا جدر.. مؤدب وطموح، وباباه راجل زى السكر.

- و(منصور)؟

- بابا مشن عايز حاجه غير يشوفنا مبسوطين.. بسن برضو مشن عايز يزعل
ماما.. تعبته ده عازله عينا خالص.. أكثر من الأول.. عارف؟ وصحاني كثير
أوى الكام يوم اللي فاتوا إني أكلتكم أما أكون محتاجة حاجه.

- إني لازم تعملي كده من غير ما حد يوصيلي.

- عارفة جدر.. (رانيا) عايزه تشوفك أوى على فكرة.. قالت إنها ح تتشعلب
علشان تبجي لوحدها أوى يوم تتجمع فيه كلنا في الطزرعة.

هز رأسه، ثم أشرك (حسن) معها فى حوار عادى، كانت (دعاء) تدرك أن
(أحمد) يريد معرفة الشاب أكثر، فتحلت بابتسامة محايدة، وتراجعت فى
مقعدها لتسمح للرجلين بالتواصل.

تركهما (أحمد) بعدها لإحضار (نورا)، وإتفق معهما على اللقاء بالمطعم
لتناول الغداء.

فور أن فتحت (نورا) باب غرفتها شعر بأنها مختلفة.. باهتة.. وكأن أحدهم
ضرب حماسها، وسعادتها بمضرب (بيزبول).. حاولت خداعه ببسمة زائفة لا
طعم لها حين سألها عما بها.. لكنه ألح فى السؤال.

- بجانن تحسن إن الموضوع نافع.. وجدر مشن عايزه أكلتكم فيه دلوقتي.

لم تبد حزينه فقط.. بدت وكأن هناك ما ضايقها منه.
بعد تجاوزهما المنزلق، واقترابهما من مبنى الاستقبال والمطاعم استوقفها..

- (نورا).. مشن ح ينفع أسيبك فليشرة كرهه.. قولى مالك.
- (والله) يا (أحمد) ح أقول لك بسن مشن دلوقتي.. خلينا نكمل اليوم مع (دعاء)..
على فكره هي لذيذة أوي، و(حسن) كمان شكله محترم أوي.
خضع لرغبتها صاغرا، وندم على ذلك.. لأنه تأثر بشكل بالغ لوجود ما يحزن
هذه العزيرة.. الغالية بدرجة لا تُصدق.
مال نحوها، وهما متجاورين على مائدة الطعام..

- مشن عارفه ليه بتعاندي! على فكره عندي مليون طريقه تحكيكي تقولي مالك..
بسن مشن عايز أضفطك.. خليكي فاكركه إنيك ما بتحبينش حد يفرض عليك
حاجه.

ابتسمت بلمحة حزن أزادت من رقتها بشكل ما..

- الظاهر الموضوع ده إتغير قريب.. (سامح) سلم علينا إمبراح، وما ردّتن عليه.
ردت بذلك، وارتشفت من كأس الماء أمامها بينما لم يبد له ما قالته تافها
أبدا.

التفتت الأعين إليه حين دفع مقعده ناهضا بحدّة، وسحب مقعد (نورا) للخلف
مشيرا لـ (حسن) و(دعاء) مستأذنا:

- معلش عن إدنكم دقيقت واحده.

وجذب (نورا) التي نهضت معه من ساعدها حتى وقفا متواجهين في الرواق..

- لو ما فليش مالك حالا.. ح أحضنك بطريقه ما شفيتهاش قبل كرهه.

- بسن.. إيه اللي بتقوله ده؟

ولم تنظر في عينيه، وهي تردف بأنوثة مذهلة:

- وأنا ما إحضنتش قبل كرهه على فكره.

أجبرها أن تنظر إليه بيده عند ذقنها، وقال وكأنه يزمجر:

- ما تتصورينش أنا عايز أعير الحقيفة دى قد إيه!
سكنت لثوانى، ثم سألته:
- عايز إيه يا (أحمد)؟
لو علمت ما يجيش به صدره لما نطقت بهذه النعومة.. خصوصا اسمه.. الذى
لا تغفل الهمزة فى بدايته أبدا.
- قولى مالك؟
خففت عينيها، ثم رفعتها إليه محاولة إخفاء أى مشاعر فى نظرتها..
- إنت كنت متجوز (سوزان)؟
إيه؟؟!!!
- حدق فيها مصدوما، ثم قال مستنكرا:
- لأ طبعا.. هى قالت لك كده؟
هزت رأسها إيجابا، فغامت نظرتة..
- وقالت لك إيه كمان؟
هزت كتفيها، ومطت شفيتها الممتلئتين..
- قالت لى على الجواز، وإن كان بينكم مشاعر، وإنها متأكدة إنكم ح ترجعوا
لبعض تانى.
- أدار رأسه عنها وهو يجز على أسنانه، وهمهم بلفظة نابية لم يستطع
كبحها، ولكنها خرجت مبهمة تماما، ثم قال:
- أقسم ب (الله) ولا جواز ولا مشاعر ولا زفت.. إزأى أصلا سمحت لنفسها
تتلكم معاكى؟
- (أحمد).. بھن.. إنت ما حتليش حاجه عنها، وحسستى إنھا أصلا مش
عاجباك، وأكيد هى مش بتألف ده كله من خيالها.

ارتبك.. وشعر فجأة بندم مُضاعف على نمط الحياة الذى عاشه لسنوات،
وشعر أن استغفاراته كلها غير كافية، وأن النظرة المطلة من العينين
الواسعتين أمامه هى عذاب دنيوى حقيقى.

حرك رأسه متوترا، ثم أغمض عينيه لثانيتين قبل أن يقول:

- كنا صُحابِ فِتْرَةٍ.. من سنين طويلاً. وأكيد عمرى ما حَبَّتْها، وكمان قَطَعْت
علاقتي بيها قبل حتى ما أقرب من الدين أصلاً.. قَطَعْت علاقتي بيها
عشان لعينها.. يعنى بقت.. مش عارف أقورها لك إزاي.. بقت فتاة ليل
يعنى.

صمتا لثوانى، ثم هزت هى رأسها، وعيناها المعبرتان تعكسان شعورا قاسيا
بالغربة داهمها لمجرد إحساسها بأن حبيبها يملك ماضيا حافلا.. بنساء ك
(سوزان)، وربما أكثر.

لم تكن قادرة على فعل شئ حيال ذلك.. أن تلومه مثلا! أو تغضب منه، ولا
حتى أن تقول له لا بأس.. كان هذا ماضيا وانتهى! فإن كان هو ممتلكا فهى
مثله.. لا تطيق الشعور بأنه لامس كف هذه المرأة.. لا أن يكون عاشرها.. كل
هذا مضاف إليه، أو ربما مضاف إلى.. أن الواقف أمامها فى النهاية لم يقل لها
"أحبك".. وشعرت هى بمرارة ذلك اليوم فحسب.

هزت له رأسها نفيا، وهى تطبق بأسنانها على جزء من شفتها السفلى،
وعيناها تلتمعان بالدموع.

انخلع قلبه من موضعه، وسرى شقاً مروعا فى كيانه.. حدق فيها وهى تبتعد
عنه عائدة إلى داخل المطعم.. لم تنطق فعليا.. لكنها قالت الكثير.. قالت أنها
لا تحتل ما يُفترض بها احتمال كصديقة.. وأن مرارتها لجملة قالتها عاهرة
عنه أكبر كثيرا من أن تستطيع إخفائها والتعامل بشكل تقليدى.

باعد بين شفتيه، وهو لا يزال يجز على أسنانه، وتبعها ببطء.

رأى أخته تقبلها، و(حسن) واقفا لتحيتها بتهذيب فازدرد لعابه الذى بدا له
علقما.

وَدَعْتُهُمَا، وَمَرَّتْ بِجَوَارِهِ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْهِ حَتَّى، وَلَمْ يَحَاوِلْ هُوَ إِيقَافَهَا.. تَابِعَهَا بِالْمِ صَامِتًا، وَعَادَ لِلطَّائِلَةِ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ (دَعَاءٌ) الَّتِي لَمْ تَعَاوِدِ الْجُلُوسَ، وَسَأَلَتْهُ عَمَّا حَدَثَ.. فَطَالَعَ هُوَ الْإِهْتِمَامَ فِي عَيْنَيْهَا، ثُمَّ قَالَ:

- عَايِرَ أَبْعَى أُمَّكَ لَكَ كُلَّ حَاجَةٍ مِنَ الْأَوْلَى.. حِ تَعَابَلِ إِمَّتِي فِي الْمَرْزَعَةِ؟
- بَابَا قَالَ لِي يَوْمَ الْحَدِّ أَوْ الْإِتْنَيْنِ.. بَسَّ أَنَا فَمَلَنَ آجِي لَكَ الشَّرِكَةَ بَلْرَهْ أَصْلًا لَوْ حَاجِبِ.

- لَا يَا حَبِيبَتِي خَلَاصًا.. بَسَّ حَاوَلِي تَحَلِّي الْمَرْزَعَةَ يَوْمَ الْحَدِّ لَوْ عَرَفْتِي.

- تَمَامًا.. أَنَا حِ أَبَاتُ هُنَاكَ بَلْرَهْ إِنْ شَاءَ (اللَّهُ)، وَأَطْبَيْطُ كُلَّ حَاجَةٍ.

جَلَسَ مَعَهُمَا، وَلَمْ يَنْهَ طَعَامَهُ.. اسْتَشْعَرَ (حَسَنًا) وَجُوبَ الْإِنْصِرَافِ.. حَاوَلَ (أَحْمَدُ) إِثْنَانَهُمَا عَنِ ذَلِكَ، ثُمَّ حِينَ وَدَّعَ (حَسَنًا) بِ (الْجَرَايِ) فَعَلَهَا بُوْدِيَّةً تَامَةً، وَأَوْصَى أُخْتَهُ بِالْعَنَايَةِ بِنَفْسِهَا، وَتَذْكَيرَ (شَذَى) بِمُوعَدِهَا مَعَهُ فِي الشَّرِكَةِ صَبَاحَ الْغَدِ.

فَاجَأَتْهُ (دَعَاءٌ) قَبْلَ صُعُودِهَا لِلسَّيَارَةِ (حَسَنًا) بِأَنَّ جَذْبَتَهُ وَاحْتَضَنْتَهُ هَامِسَةً لَهُ بِشُكْرِهَا الْعَمِيقِ، ثُمَّ:

- مَا تَفْعَلْنَ زَعْلَانِ كَرِهَ عِلْشَانِ خَاطِرِي.. مَهْمَا كُنْتِ مَرْغَلَهَا.. حِ نَهْفِي لَكَ.. أَنَا عَارِفَةٌ بِقَوْلِكَ إِيَّاهُ.

حَاوَلَ الْإِبْتِسَامَ، وَرَبَّتْ ظَهْرَهَا.. وَدَعَّتْهُ، وَظَلَّتْ تُشِيرُ إِلَيْهِ حَتَّى ابْتَعَدَتْ عَنِ نَظَرِيهِ.. فَاسْتَدَارَ هُوَ كَمَحَارِبٍ مَهْزُومٍ، وَمَشَى بِلَا حِمَاسٍ حَتَّى وَقَفَ أَمَامَ بَابِ غُرْفَةِ (نُورَا).

هَمَّ بِطَرَقِ الْبَابِ ثُمَّ تَوَقَّفَ.. ظَلَّ وَاقِفًا لِذَقِيقَتَيْنِ مَفْكَّرًا، ثُمَّ تَحَرَّكَ دَاخِلًا إِلَى غُرْفَتِهِ.

فَتَحَّ بَابَ الشَّرْفَةِ وَجَلَسَ قَرْبَهُ دُونَ تَغْيِيرِ مَلَابِسِهِ.. قَامَ بِتَشْغِيلِ التَّلْفَازِ بِصَوْتِ مَكْتُومٍ وَالتَّنْقُلِ بَيْنَ الْقَنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ الْمَتَاحَةِ بِسُرْعَةٍ مَرَهْفًا سَمِعَهُ آمَلًا فِي تَمْيِيزِ صَوْتِ فَتْحِ بَابِ شَرْفَةِ غُرْفَةِ (نُورَا).

مَرَّ الْوَقْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ كَمَا هُوَ، وَعَقَلَهُ يَسْبَحُ فِي الذِّكْرِيَّاتِ، وَمَا هُوَ آتٍ.

ومع منتصف الليل بدّل ملابسها، وأطفأ التلفاز، وأغلق الشرفة، ثم ألقى جسده على الفراش.

كان يؤمن أن هناك حالات لا يفيد الحديث فيها.. أراد إعطائها وقتا لتمر.. كما أنه كان بدوره يحتاج مساحة لبعض التفكير.

والحقيقة أنها كانت ليلة مرّت بصعوبة.. على كليهما.

جاؤه صوتها مستيقفا حين إتصل لإيقاظها فى الساعة، وقالت أنها جاهزة تقريبا.. فأسرع فى طقوسه الصباحية وارتدى ملابسها الرسمية، وطرق بابها. حين فتحت الباب، وحيّته دون النظر فى عينيه كانت حقيبتها بجوارها، وبدا له هذا هجرا فجزع..

- لماذا أعددت حقيبتك؟

كان سؤال مجابا عنه، وكانت هى تحاول التحدث بنبرة عادية جدا..

- لقد زال الخطر والحمد لله.. غدا صباحا ننهى الأمور.. لا مبرر لبقائى هنا.

جملتها الأخيرة آلمته.. جرحته بعمق.. حتى أنه ردد مصدوما:

- لا مبرر لبقائك!!

أمالت الحقيبة لتجرها، وتعبّر الباب.. لكنه وقف يحجزها..

- ابقى حتى الغد.

- أحتاج العودة إلى المنزل حقا.

كان من الواضح أنها لن تطعه هذه المرة.

أفسح لها صاغرا، فعبّرت الباب.. مد يده باكتئاب ووضعها بجوار يدها على ذراع الحقيبة، فتركها له شاكرة.

غادرا المبنى صامتين.. بل بلغا المبنى الآخر ووقفا أمام قسم الاستقبال دون أن يتبادلا كلمة.. قال الموظف أنه سينهى إجراءات إخلاء الغرفة أثناء تناولهما الإفطار، وسلّم (نورا) جواز سفرها رغم ذلك.

أكلا القليل، وبلا حماس، ولم تمس (نورا) القهوة التي كانت تشرب منها أكثر من قدح في الأيام السابقة.. بررت ذلك بشعورها ببعض الاضطرابات في معدتها فهز هو رأسه، ولاح عليه الشرود بعدها.
في الطريق إلى الشركة طالبت بالقيادة بهدوء مراعاة لآلام بطنها فأطاع معتذرا.

حين اقتربا من الوصول سألتها عما ستفعله اليوم بعد انتهاء الدوام.. كانت تنظر أمامها بثبات، وأجابت بأنها قد تعود إلى المنزل مبكرا اليوم، وأضافت:
- أنا أسفة جدا لإزعاجك بحقيبتى.. يمكنك تركها في السيارة، وسأخذها منك غدا.

- سأوصلك إلى المنزل متى أردت ذلك.. لا تنصرفي دون إخباري، وسأتصل للاطمئنان عليك من حين لآخر.

لم تعقب، وفور وصولهما صعدت إلى مكتبها، وحاولت إنجاز بعض من عملها بتركيز غائب.

حين تجاوزت الساعة العاشرة بقليل إتصل بها (أحمد) للاطمئنان عليها فقط كما وعد، ثم قام بالإتصال ب (شذى) والتي أخبرته أنها ستحضر إلى الشركة خلال ساعة.

لم يفته إبلاغ أفراد أمن المدخل بحضورها، وأوصاهم بقيادتها إليه مباشرة.. فعل ذلك لأنه أراد إشعارها بأنها محل ترحاب كامل هنا.
حين دلفت الشابة إلى مكتبه - أو مكتب والدها تحريا للدقة - كانت باسمه رغما عنها..

- شكرا للاستقبال الحافل.

- شكرا!!! هذه شركتك يا (شذى).

هزت رأسها على نحو لم يرحه.. وكأنها تقول "سنرى ذلك"، أو شئ من هذا القبيل.

لم يعد إلى مقعد والده.. بل جلس بجوار أخته بعدما استدعى (على) -
 الفرائش العجوز - ليحضر لها ما تشربه.
 تحدث معها عن لافتة جديدة للشركة بمقياس ضخم، وكذا تجديد الموقع
 الإلكتروني العقيم الذي لا يزوره أحد تقريبا.
 لم تكن من النوع الذي يظهر حماسه بسهولة.. لكنها أيدت الفكرتين، وأكدت
 أنها ستبدأ فى وضع تصوراتها لهما مباشرة.. أطال الحديث نوعا عن الموقع
 الإلكتروني لينقل لها جزءا من رؤيته، ثم سألها عن حياتها، ولاحظ أنها تجيب
 باقتضاب.. بل وبدأت تولى شاشة هاتفها إهتماما غير مبررا.
 حين ذهبت إلى (التواليت) أسرع يتفحص هاتفها.. الأرقام المسجلة.. حرف الـ
 (B).. نقل الرقم الذى أراده إلى هاتفه الخاص، وأعاد هاتف (شذى) إلى مكانه.
 وفور أن انصرفت الشابة إتصل هو بـ (نورا) مرة أخرى.. كانت فى طريقها
 إلى المنزل.

- يا بنيتى أنا مش قلت لك ما تحسبش غير أما تقول لى؟

صمتت أمام غضبه، ولهجته السلطوية.

ارتبك هو مع صمتها، ووارى غضبه أو حاول مضييفا:

- إنتى قريبتى من البيت؟

- أبوه.. قريبتى أوى.. ما تزعلش.. أنا جيت عشان أقول لك، وعرفت إن

(شذى) عندك فمشيت.

صمت لثوانى، ثم قال:

- خدى دوا لبطنك.

- حاضر.. إن شاء (اللهم)، وع أنام شويه.

- كلمينى أول ما تصحى.

أنهى المحادثة، وجلس شاردا لبعض الوقت، ثم حاول الإتصال بالرقم الذى
 حصل عليه من هاتف (شذى).. الهاتف كان مغلقا.. إتصل برقم (مينا مجدى)،
 وإدعى أنه موظف بمصنع شهير لأجهزة التكييف، وأنه يريد لقائه لدقائق

فقط، ولسبب هام..حصل منه على عنوان عمله، وعلم أنه ينصرف فى الرابعة عصرا.

أنهى المحادثة مبتسما، ولكن النهار مر عليه بطيئا.. رغم أن محادثة دولية لشركته ب (كاليفورنيا) استغرقت وحدها قرابة الساعة.. وتلك أنهاها مكفهرًا، وفكر أن عليه الذهاب قريبا ليعيد ضبط بعض الأمور المرتبكة.

فى الرابعة كان يقف قرب مدخل الشركة التى يعمل فيها (مينا)، وإتصل به ليؤكد لقائهما.

حين تبينه (مينا)، وأشار نحوه صارخا باسمه.. ضحك (أحمد) لأنه وجد صعوبة فى تعرف صديقه القديم الذى اختلف شكله كثيرا.

عناقهما كان حارا.. صديقان حميمان لم يلتقيا منذ سنوات طويلة، ولكن المحبة باقية..

- واحشنى أومى يا (منصن).. أنا مش مصدوق إنك هنا جبر!

لايزال (مينا) عاطفيا كما هو.. لم يُفَلت (أحمد) إلا بصعوبة، وكان قدر الفرحة فى عيني الأخير واضحا.

(مينا) احتفظ فقط بنحوله.. بينما حل على رأسه ضيفا ثقيلا جعل شعره ينحسر، وجبهته تستطيل.. كما صار يرتدى نظارة طبية.. أخذ يلقي الكثير من الأسئلة الغير مجدية.. كـ "متى جئت؟" و"أين تقيم؟"، وفاجأ (أحمد) بعتاب صادق..

- بعنى تنزل فى فندق، وبيت أخوك موجود؟!

ابتسم العائد، وربت على ذراع الصديق القديم..

- تسلّم يا صاحبي.

ثم عرض أن يجلسا بمكان ما، ولكن (مينا) أصر أن يعود (أحمد) معه إلى المنزل، ويتناول معه الغداء أيضا.

- أنا بسن مسنّى واحد ابن جزمه رخم قال لى ح أفابلك على باب الشركة.

قال (مينا) ذلك متلفتا حوله، فضحك (أحمد)..

- تصدَّقْ إِنَّتِ اللّٰجِ ابْنِ جِزْمَةَ غَيْبِ بِلَا يَا (مينا)!!
 كان الأخير مصراً على اصطحاب (أحمد) إلى منزله حتى إنه إتصل بزوجته،
 وأخبرها أن (أحمد منصور) عاد من (أمريكا) وسيتناول الغداء معهما..
 - لأَ بَقُولِ لِكَ إِبْنِ.. دَه أَغْلِي صَاحِبِ لِيَا فِي حَيَاتِي.. أَطْلِبِي أَكُلَ مِنْ بَرَّةً..
 إْتَصِرْفِي.. دَه (منصون) طول عمره ابو الواجب والعزومات.
 سحب (أحمد) منه الهاتف..

- (ليليان).. إِرْتَبِكْ؟ أَنَا بَجْدِ حَابِبِ آجِي وَأَتَشَرَّفُ بِمَقَابَلَتِكَ.. بَسْ مَعْلَشْ مَشْنِ حِ
 أَقْدِرِ آجِي النَّهَارِ دَه.. نَاجِّلَهَا لِيَوْمِ تَانِي.. الْأَسْبُوعِ دَه إِنْ شَاءَ (اللهم).. رَبَّنَا
 بِحَيْثُكَ بَجْدِ.. إِنَّتِي كَرِيمَةٌ زَيْ جُوزِكِ.. تَسْلَمِي.. (مينا) معاكِ.
 أنهى (مينا) المحادثة مع زوجته، وأبلغها إنه سيتأخر، وسأله (أحمد) عما إذا
 كانت جارة قديمة، ومتى تزوجا، وما إذا كان سعيدا معها، وهل لديها أطفال؟
 - لأَ إِنْتِ مَا تَعْرِفِيهَاشْ.. مَشْنِ مِنْ الْمَطْبَقَةِ أَصْلًا.. بَسْ هِيَ عَارِفَةٌ عَنْكَ
 حَاجَاتِ كَثِيرِ أَوْي.. إِجُوزْنَا مِنْ أَرْبَعِ سَنِينَ.. هِيَ بِنْتِ حِلَالِ أَوْيِ وَطَيِّبَةِ.
 وَمَرِيَّانِي.. حَصَلَكِ حَمْلٌ مَرَّتَيْنِ وَسَقَطَ، وَالِدَاكَ تَرَهُ قَالُوا مَشْنِ حِ يَنْفَعُ تَخْلُفَ.
 دعا له (أحمد) بأن يُرزق بطفل بإذن (الله).

- والواد (وليد).. بتشوفه؟
 - ساعات.. مشغول على طول دلوقتي.. بيظهر كل شويته كده.. إيه رأيك
 أعزمت معاك بكرة ونعملها له مفاجأة؟
 - موافق.. بس بكرة أنا رايح لأبويا (الإسماعيلية).. خَلِّيهَا بَعْدَ بَكْرَةَ.
 - ماشي الكلام.. أبوك عامل إيه صبحيح؟
 قص له (أحمد) بعض أخباره، وظلا واقفين يتحدثان لساعة أخرى عن أحوال
 البلد، والمعيشة، وبدا واضحا أن (مينا) ليس راضيا بعمله.
 حين افترقا بوعد لقاء آخر أطول وأمتع.. أجرى (أحمد) إتصالا جديدا بصديق
 (شذى)، والذي أجاب هذه المرة بصوت ناعس.

- إِنْتِ فِينِ يَا (باسم)؟ فِي شَقَةِ (الْكُورْبَةِ)؟
 - لأَ.. رَايِحِ كَمَا نِ شُوبِيَّةً.. فِينِ مَعَا يَا؟

- أنا كنت معاك في الدفعة في (AUC)، وعازبك في حاجة مهمة.. مهمة أوى..
فالمعنى؟

- خلاص يا ريس.. أقابلك كمان ساعة كره.. بسن بعيد عن الشقة.. ع أقابلك
بره عند (فِينوس) كره.. ماشي؟
- إنفعنا.

فى السابعة إلا الربع.. كان (أحمد) فى المكان المحدد.. يستند إلى
(المرسيدس) مطالعا كل شاب يقترب بسيارة، أو بدون.. حين وصل الشاب
المنتظر تقدم من (أحمد) مباشرة، وقدم نفسه إليه ببعض الشك.. كان نحيل
الجسد يرتدى سروال ضيق من (الجينز).. يرفض أن يغطى مؤخرة الفتى،
ويترك هذه المهمة لغير داخلى مزركش.. بينما معظم أزرار القميص
الوردى غير معقودة.. لتكشف عن صدر أملس تماما.. شعر الشاب معقوص
خلف رأسه برباط مطاطى، وأكمام قميصه ضيقة جدا على ذراعين تعاطى
من أجلهما الكثير من الهرمونات الحيوانية ليتضخما هكذا رغم نحوله.

- صعب تكون دفعتي يا مان.. إنت بتشتغلنى ولأ إيه؟

كان وجه (أحمد) يعكس امتعاضا واضحا..

- أنا (أحمد منصور).. أخو (شذى).

- اشتغاله برضو يا معلم.. (شذى) فاهاش إخوانت ولاد.

كان الشاب يتحدث وكأنه رفع رأسه عن وصادته للتو.

- اسمع يا بنى إنت.. أنا ماجيشن الكلام الكثير.. من النهارده لا تكلم (شذى) ولا

ترد عليها، وطبعا ما تدخلهاش شقتكم المشبوهة دى.

- إيه ده! إيه ده! إنت بتكلم كره على أساس إيه يا عم إنت؟

كان كأنه ضغط زرا يعرضه للإهانات.. بدا كل مخزون الغضب البشرى على
وجه (أحمد) وجسده.. وتطايرت من لسانه ألفاظ نابية تمس شرف الشاب،
والسيدة والدته.. سأله الشاب متصنعا الذهول:

- إنت بتشتغنى أنا كره!

وكان الرد على هذا السؤال قاسيا.. لكمة مباشرة فى عينه اليسرى دفعته للخلف وأسقطته أرضا متأوها بعنف.

تقدّم (أحمد) منه، وجذبه من قميصه بقوة جعلت الزرين المعقودين ينطلقان كالقذائف ويفارقان القميص إلى الأبد.

حين حاول الفتى المقاومة رفع (أحمد) قبضته، وجز على أسنانه ساحبا نفسا من أنفه، فرفع (باسم) يديه مستوقفا..

- خلاصن باسم.. خلاصن.. فى إيّه!

- تحرف (شذى) من حياتك خلاصن.. وأقسم برب العزّة لو سمعت إنها طلعت شغلتكم دى تانى.. ع أكسر لك عضامك.. فاهمنى بلا!

ما من مبررات للحماقة التى أتاها الفتى حين استجمع قواه لدفع (أحمد) بعيدا..

انتهى راقدا على الأرض مفتوح الفم محاولا التنفس، والدماء تسيل من منخاريه.

- (شذى) بتعاطى إيّه؟ خشيش بس، ولا حاجات تانية؟ رد.

- آآه! خشيش.. خشيش.. أنا كره مناخري إنكسرت؟! آه!

- حد فىلك عمل معاهها حاجه؟

- آآه! أنا مش عارف أخذ نفسى.

- إنطوى بلا.

- لأ.. و(الل) لأ.. خشيش وبيرة وبسن.. (شذى) مش بتاعة كره.. آآه!

كان البعض يشاهدون الموقف بانزعاج كبير.. اعتدل (أحمد) واقفا، ونطق باسم الشاب محذرا.

- خلاصن.. ورحمة امى فاح أكلمها تانى أبدا، وشن ع تدخل الشعة خلاصن.

أضاف إليه (أحمد) ألا تعرف (شذى) بلقائهما الآن، فأعلن الشاب الطاعة العمياء.

استقل (أحمد) سيارته، وانصرف دون أن يلقي نظرة خلفه.

حين تلقت (نورا) رسالة منه فى التاسعة يسألها إن كانت مستيقظة.. ردت برسالة بدورها تخبره فيها أنها نامت قليلا، واستيقظت.. الرسالة التالية جاءت بعد قليل..

"مَلَن تَفْتَحِ لِي الْبَابَ؟ مَعَا ضِيُوفِ عَلَي فِكْرَةَ"

هبت من رقادها لترتدى عباءة شتوية لأن قميص نومها كان بسيطا، ومختصرا جدا.

لَفَّتْ (سكارف) أحمر حول وجهها، وانتعلت خفا له نفس اللون.

دَمَّرَ كل ما فَكَّرَتْ فيه طوال الساعات الماضية.. فقط بقدمه ليقف ببابها، ولكن أى ضيوف برفقته!!!

فتحت الباب بشئ من الحذر، وتدرجيا - لكن بسرعة - أشرق وجهها ببهجة شديدة.

كان يجلس على آخر الدرجات الصاعدة إلى طابقها.. مسندا ظهره للجدار، وبجواره علبة مستطيلة من البلاستيك.. يطل من طرفها رأس ضئيل لهرة جميلة ناصعة البياض.. بينما تستقر أخرى بلون المشمش فى راحة (أحمد).

- يا نهار أبيض!!

غادرت شقتها، وفى وجهها حبور لا يوصف.. انحنى عند العلبة فرأت هرة ثالثة رمادية اللون تجلس بهدوء..

- يا نهارمى على الجمال!! هماً كام واحدة؟

أجاب دون التخلّى عن ابتسامته، ودون أن يبعد عينيه عن وجهها:

- ثلاث.. ما قدرتش أفاوهم.

حملت الهرة البيضاء، وتحسسها بأصابعها بحنان متممة بعبارة تدليل.

- تعرفي تطلعى الرجل الوحيد فيهم؟

أشارت للرمادى مباشرة، فضحك (أحمد) مومئا برأسه قبل أن يرفع كفه بالهرة الثالثة..

- دى إنتج.

وضعت البيضاء فى اللعبة برفق، ومدت يديها لتأخذ منه القطيطة الأجل،
والأكثر وداعة.

أحبته بنظرة، ثم سأله:

- إشعنع؟

- رقيقاً وزمى القمر، وعينها فظية.

رمقته بنظرة دافئة رغما عنها، ثم دعتة للدخول.

حمل اللعبة التى كانت تستقر فوق غطائها الذى يحولها لسلة تصلح لنقل
الهررة فيها، وتبع (نورا) ليضع حمله قرب الباب، ويتابع الشابة التى جلست
على ركبتيها أرضاً بجوار أصدقائها الجدد..

- بس ح أحبهم أوى، وح أتعذب لو حصدا....

قاطعها:

- وليه تَعَلَّرى فى العذاب؟! هماً هنا، وشكلاهم مبسوطين زيك.

كانوا يتجمعون حولها.. حتى الرمادى نهض من رقاده ليستكشف المسكن
الجديد، فالتقطته (نورا) لتتعرف به.

- اختارى اسم ليه هو والبيضا.

- طب ودى؟ سمها خلاص؟

- أبوه.. دى إنتى.

- أبوه.. ح نناديها بابه؟ (نورا السيو فى)!!

ضحك بقوة، ثم أجاب:

- لأ.. (مانجو).. (Princess Mango).

ظلت تنظر إليه بالابتسامة التى تلتهم وجهها، ثم حولت نظراتها إلى الهررة
المستكينة فى يدها.

قال ممسكاً بمقبض الباب:

- ح أجيب شطنتك من العربية، وحاجات ليهم.

صعد بعد دقائق، ومعه حقيبتها، وجوالين.. أحدهما طعام، والآخر حصى بللورى لقضاء الحاجة!

- بصح بقى.. دى (بلانج).. وإنت إتصرف مع المتشرد ده.

كاد ينفجر ضاحكا لأنها كانت تحمل الهرتين الإناث.. بينما الهر الرمادى يقف أسفل مقعد قريب.

- هو عمل إيه؟!

- ضرب أخته، وشكله شمحطجى كده.

تقدم، وانحنى يقبض على الهر الذى لمس فيه تمرُّداً من اللحظة الأولى..

- مش إنعنا نبقى مؤدين؟!

بدا الهر راغبا فى الإفلات.

- بصح.. سميه (منصر).. هو شكله رخم، و ح بقرفنا.

ضحكت، ولم تقل أن إطلاق هذا الاسم على القط سيجعلها تحبه بجنون.

صفعه (أحمد) ببطء غير مؤلم فى الحقيقة.. لكنها استوقفته غاضبة:

- حرام عليك.. سبيه.

دلغا إلى المطبخ حيث أخرجت (نورا) طبقا بلاستيكيًا ضخما أفرغ (أحمد) فيه بعض الحصى، وحمله ليضعه بالحمام، وعاد إليها.. أخرجت بضعة أطباق ملأت بعضها بالطعام، وبعضها بالماء، والحليب.

استند هو إلى الرف الرخامى يتابع الهررة تأكل وكأنها قادمة من مجاعة.

حين رفع بصره إلى (نورا) تلاقت أعينهما لثوانى.. قال وكأنهما لا يزالا يناقشان الأمر:

- سميه (منصر)، وإضربيه طاً تزعلج منى.

لم ترد عليه.

- طبعا أول ما أنزل من هنا.. ح تاكليه علفه موت.

ابتسمت، وهى تشعر أن (أحمد) فعل الكثير من الأشياء اللطيفة لها منذ عرفته.

شكرته برقة، ثم سألته عما يشرب.

- ألم تتحسن معدتك؟ هل يمكننا الخروج وتناول غداء متأخرا بمكان ما؟
ضحكت حين أردف مؤكدا لنفسه:

- نعم.. غداء متأخر لأننا قد نشعر بالجوع بعده.. أنا أفهم كل شيء.

- معدتى تحسنت، ولكن لن أكل شيئا الليلة.

اكتسبت نظرتة لمحة شجن، وهو ينظر فى عينيها.. كان يريد أن يمحو كل ما يمكن أن يغضبها أو يضايقها من هذا الكون.. أراد التأكد من أنها لم تعد غاضبة منه.

تشاغلته عنه بالانحناء لمداعبة إحدى الهررة، فاستسلم، ثم قال بعد ثوانى:

- يضايقنى من يدخل بيتى، ويفتح المبرد.. لكننى أريد فعل هذا الآن.

إدراكها أنه يشعر بالجوع جعلها تتحرك بسرعة..

- لقد طلبت بعض الأشياء من (السوبر ماركت).. يمكننى أن أعد لك شطائر.

غسلت يديها، وأخرجت من المبرد نوعى جبن، وإناء مربى.. عرضت عليه أن تعد له بيضا مقليا، ولكنه رفض.. وقف يراقبها وهى تعد له شطيرتين وتضعهما بالفرن الكهربائى، وتشرع فى تقطيع بعض الخضروات.. كانت تضع تركيزها فى ذلك كى لا تجرح نفسها.. متجاهلة - قدر المستطاع - وجود (أحمد) على بعد خطوتين منها.

طالبته بغسل يديه، وحين عاد وجد قدحا من العصير بجوار الطبق.. عصير مانجو بالتأكيد.

جلس على أحد المقاعد الصغيرة بالمطبخ، وكانت هى قد رفعت الهررة فوق الرف الرخامى، ووقفت تهددهم مصدرة أصواتا خفيضة.

حكى لها عن لقائه بـ (مينا)، ثم عن مهاافته لـ (منصور) منذ قليل.

- يريد رؤيتك.

- هل تتحدث بجدية؟ طلب رؤيتى أنا؟

- وما الغريب فى ذلك؟ لم أجلس معه منذ حوالى عشرين عاما، وحين فعلت.. تحدّث عنك.. ماذا؟ لم تصدقيننى حين أخبرتك بذلك؟
- بدت فرحة، وهى تشرح:
- حسنا.. أحبُّه جدا لكننى لم أعتقد أن يرانى أكثر من موظفة ثرثارة.. ربما مسئّية فى بعض الأحيان.
- إنه يراك أكبر من ذلك بكثير.
- نظر إليها بعمق، ثم استهجن ما قالته:
- موظفة ثرثارة! إما أنك تبخسين نفسك حقها، أو أن هذه العائلة تجيد إخفاء مكنوناتها تماما.
- وقف مع ختام عبارته ليضع الصحن والقدرح بالحوض متسائلا:
- فى أى الأحوال.. أنا ذاهب إليه غدا.. يمكنك مرافقتى إن كنت تودين رؤيته.
- اصطنع قراءة شئ على مغلف عبوة رقائق ذرة.. كان يخفى مكنوناته هو الآخر.. لا يريدُها أن تلمس رغبته الشديدة فى أن ترافقه غدا إلى (الإسماعيلية).
- ولكن
- توقع عقبة مُحبّطة، أو سؤالاً عميقا.. لكن..
- ماذا سنفعل بـ (بلانكى)، و(مانجوا)، و.. (منص)؟
- التفت إليها بدهشة، ثم ضحك.. لم تكن تمزح بأى حال.. بل بدت بائسة يتنازعاها الشعور بالمسئولية.
- تقدم منها باسمها، وقاوم بضراوة رغباته تجاهها.. مال رافعا (منص) الذى أنزلته أرضا.. ممسكا به من مؤخرة عنقه، ووضعها بجوار اختيه..
- سنأخذهم معنا، ونوصيهم بقضاء الحاجة فى كل مكان كى نثير جنون (نوال).

ضحكت بخفوت، وسارعت بالتقاط الهر، ومداعبة مؤخرة عنقه برفق، وكأنها تعتذر له عما فعله به (أحمد).. الذى راقبها لثوانى، ثم قال:

- فكرت، وأنا فى طريقى إلى هنا أنك قد ترفضين استبقائهم.
لم تعقب على قوله.. كان هناك ألف سبب يدفعها لقبول هديته.. بل وحبها أيضا.

سألها قبل انصرافه، وهو لا يقاوم استراق النظر إلى صورتها مع قطها القديم قرب الباب:

- هل إتفقنا؟ سأمر بك فى التاسعة.
 - هل كلفت أحدا بإنهاء قصة مناقصة الوزارة تلك؟
 - بلى.. (سليمان) سيقوم باللازم.
 - حسنا.. سأتصل بـ (مامى) الليلة، وأتفق معها أن نترك لها الهررة فى الصباح، ويجب أن نأخذ معنا باقة من الورود.
 - فليكن.. يسهل تدبير هذا.. اسمعى.. أنت لا تريدين هذه الصورة الآن.. أليس كذلك؟
 - بل أريدها، وتوقف عن التحديق بها كلما مررت من هنا.
 - أنا أنظر إلى (تايجر).. إنه جميل جدا.
 - سأحضر لك صورة له وحده إذن.
- ضحك..

- أريد مشاهدة صورك وأنت طفلة.. ليس الآن.. أيام المدرسة مثلا.
تمتت بجملة خافتة معترضة على وصفه لها بالطفلة.. ظل ينظر إليها بابتسامة واسعة.. أراد أن يراها تضحك قبل انصرافه.. لكنها لم تفعل.

- هل أوقظك فى الصباح؟
كان سؤالا غبيا منه لأنه ذكرهما بالليالى السابقة، فألقاهما فى دوامة شجن غير مرئية.

شكرته، فhez رأسه، وتمنى لها ليلة طيبة، وانصرف مغلقا الباب خلفه.

لم يعد للفندق مباشرة.. توجه إلى (كورنيش النيل).. نقطة كان يزورها قديما.. استأجر زورقا صغيرا، واعتلى سطحه وجلس صامتا.. المراكبي كان ينظر إليه بلامبالاة من حين لآخر.. تعجّب فقط أنه لا يدخن السجائر حتى.. لا يتحرك كثيرا.. ويبتسم وجهه، أو يعبس كل بضع دقائق.

عاد (أحمد) إلى الفندق بعد الثانية، ورغم ذلك كان أمام باب (نورا) فى التاسعة بالضبط.

كانت مستعدة.. أنيقة.. جميلة، ولكن شيئا ما ينقص ابتسامتها.

أخذا الهرة إلى (رغدة).. تغيب (نورا) عندها قليلا، وعادت بحقيبة بلاستيكية كبيرة..

- أخبرتها أمس بطبيعة الرحلة.. لا أعلم ما الذى صور لها أنها رحلة مدرسية!!!

كانت (رغدة) قد أصرت على إعطاء صغيرتها شطائر، وترموس قهوة، وعلبة من عصير المانجو، وأكواب بلاستيكية.. بالإضافة إلى أنه يمكنك إيجاد بعض ثمار الفواكه داخل الحقيبة.. تفاح، وخوخ.

تملكت (أحمد) نوبة من الضحك مع وضوح تدمر (نورا) لعدم رغبتها فى الظهور كطفلة.. قدمت له القهوة رغم ذلك، وانتظرت حتى أنهاها، وناولته شطيرة.. رفض قائلا أن الإفطار ينتظرهم هناك.

- إفطار!! أليست زيارة سريعة؟ يُفترض أن نطمئن على والدك، وننصرف.

- نعم.. نعم.. لكن (دعاء) علمت أنك قادمة معي، وستعد إفطارا بالتأكيد.

حين تجاوزت (المرسيدس) بوابة المزرعة أعلنت (نورا) له عن رأيها فى قيادته.. ضحك، وحاول الدفاع عن نفسه، ثم صمت لثوانى قبل أن يوقف السيارة قبل بلوغ المنزل.

التفتت إليه فقال ناظرا فى عينيها مباشرة:

- لن تبكى.. ستسيطرى على ذلك تماما مهما حدث، ومهما كانت التغييرات التى طرأت على الرجل.
- استغرقت ثوانى للإلامام بالأمر، واستنشاق نفسا عميقا قبل أن تعده بإيماءة.. لكنه أوصاها مؤكدا:
- (نورا).. نحن هنا لإضفاء بعض البهجة.
- حسنا.. (أحمد).. أنت تزيد من توترى هكذا.
- عاود التحرك بالسيارة حتى أوقفها أمام المنزل.. بجوار سيارات أخواته الثلاث.
- قال قبل أن يغادر السيارة:
- لا تنزعجى إذا ما عاملتك بشكل مختلف بالداخل.
- استوعبت معنى الجملة خلال الثوانى التى دار فيها حول السيارة ليفتح لها الباب..
- غادرت السيارة قائلة، وكأنها تراجع معلوماتها قبل الامتحان:
- حسنا.. لسنا أصدقاء.. المدير، والموظف.. لا.. لا.. أنا الموظفة.. أنت المدير.
- ابتسم بمنتهى الراحة بينما كانت هى متوترة.
- انحنى وجذب مقعدها كى يحضر باقة زهور كانت على الأريكة الخلفية.
- لم أفهم ابتسامتك تلك.. أما قلته صحيحا؟ سنتعامل بشكل رسمى بالداخل!!
- لا.. سنتعامل كحبيين.
- عادت برأسها للخلف..
- عذرا.. ماذا؟
- عدل من وضع سترته، وسألها:
- هل تلائم هذه السترة سروال (الچينز)؟
- جميلة.. هل قلت حبيين!؟
- بلى.. هيا بنا.

ثوانى قليلة، وصرخ (رفيق) باسم (أحمد) فاتحا ذراعيه، ف جذب به (أحمد) يحتضنه بقوة، ويقبل جبينه متمتما بأشياء لم تميزها أى من الشابتين.. لكنه كان لقاء حارا أخذ يهز المقعد المدولب.

شاركت (دعاء) (نورا) الدموع الصامتة حين انتهى العناق ب (أحمد) واقفا، وعلى ظهره (رفيق) الذى تصايح بهستيرية غير قابلة للسيطرة.

سار (أحمد) به فى الإتجاه الآخر من الردهة، ولكن (نورا) كانت واثقة من رؤية التماعه دموع فى عيني (أحمد) ما ضاعف من تأثير الموقف عليها بشكل بالغ.

- **معلش أصله كان بيبيشه كده وإحنا صغرين.**

قالت (دعاء) ذلك ماسحة دموعها، ثم دعت (نورا) للجلوس مرحبة.

"ما هذا الصراخ يا (دعاء)؟"

جاء السؤال من الطابق العلوى، فأجابت (دعاء):

- هذا (رفيق) يا امى سعيد برؤية (أحمد).

كان (أحمد) قد خرج بحمله إلى شرفة يتراقص الستار عند بابها، وهبطت (نوال) الدرج الداخلى للمنزل لتحية (نورا) التى تفادت (دعاء) تقديمها تحت أى صفة، وقالت بود:

- (نورا) التى حكيت لك عنها.

- أهلا يا حبيبتي.. تفضلى.

قالت "حبيبتي"، وكأنها اسما.. وكانت (نورا) تكرهها مسبقا، ولكنها راعت التهذيب لأقصى درجة.. ظل نظرها معلقا بالستار، وما لبثت وأن سألت (دعاء) عن إمكانية خروجها إليه، فكررت لها الشابة أنها محل ترحاب كامل ها هنا. حين أزاحت الستار، وخطت خطوة واحدة فقط إلى الشرفة سمعت (أحمد) يصبح أمرا:

- فضلا يا من جئت.. أتركنا وحدنا قليلا.

- هذه أنا يا (أحمد).

صمت لثانية، ثم قال:

- امنحينا دقائق يا (نورا).

لم يلتفت.. حمله لا يزال على ظهره.. صرامته الشديدة توارى التأثير فى نبراته.

- حسنا.. أنا آسفة.

عاودت الدخول إلى الردهة، ولم تظهر (دعاء) مجددا سوى بعد قليل.. جلستا تتحدثان، وراق لـ (دعاء) سؤال (نورا) عن (حسن)، وإشادتها بشخصه.. فصارحت ابنة (منصور) ضيفتها بأنها تجدها ناعمة بقدر صار نادرا جدا فى هذه الأيام.

بعد قليل جاء نداء باسمها من جهة الشرفة، فوقفت (نورا) تجيبه.. كان (رفيق) هو من نادى باسمها، ولكن (أحمد) هو من طالبها بالمجئ إليهما، وكأنه يصالحها لصراخه بها منذ قليل.

تبعثها (دعاء) باسمة.

عرّف (أحمد) (رفيق) بـ (نورا)، وسأله عن رأيه فيها، فأعرب هذا عن إعجابه الشديد بها.

وقف الأربعة - أو الثلاثة - فى الشرفة لبعض الوقت، ثم دخلوا إلى المنزل، وأعاد (أحمد) اخيه إلى المقعد المعدنى.

قادت (دعاء) (نورا) إلى غرفة بالطابق الأرضى.. بها فراش، وخزانة ملابس، ومرآة، ودورة مياه ملحقة، وأعطت ضيفتها المفتاح من الباب، وقالت أن الغرفة لها، ويمكنها الراحة فيها، وإغلاق بابها فى أى وقت.

برز (أحمد) من خلفهما بغتة..

- وأنا؟ أين يمكننى الحصول على بعض الراحة؟

ضحكت (دعاء)..

- فى أى مكان بعيد عن هنا.. هذه غرفة (نورا).

- أريد نسخة من المفتاح.

ضحكت (دعاء) مجددا، بينما سبب الحرج لـ (نورا) التى ابتسمت بارتباك.

حين تركاها وحيدة بالغرفة خرجت إلى الشرفة الصغيرة، ووقفت فيها واجمة حتى جائتها (دعاء) تخبرها أن (منصور) يريد رؤيتها.. كان (أحمد) يجلس مع (شذى) بالردهة، وقام ليصعد مع (نورا) لرؤية والده.. لم تكن تنظر نحوه.. بدت وكأنها فى طريقها لاختبار شديد الصعوبة.

حين طرقت (دعاء) الباب، ودفعتة أوصتهما بعدم المكوث طويلا كى يتناولوا الإفطار معا.

إتخذت (نورا) خطاها بجوار (أحمد)، وانتفض قلبها حين وقع بصرها على رئيسها طريح الفراش، والذي بدا وكأن المرض اللعين قد أبلاه، وأصابه بكثير من الأعطاب، فلم يعد هو نفس الشخص الذى تعرفه.

بادره (أحمد):

- إيه يا حاج (منصور).. و(اللهم) واحشنى.

وإنكب على الفراش يقبل رأس والده الذى بدت السعادة فى عينيه مختلطة بحماس قلما راوده مؤخرا.. أراد التأكد أن تلك الجميلة جاءت برفقة ابنه حقا، وهو يردد:

- أهلا يا حبابج.. أهلا يا حبابج.

- بومن بقى حبابج لك مين معايا.

ظل الرجل يردد جملته شاعرا براحة شديدة لاجتماع الشمل الذى حلم به طويلا.

كانت (نورا) عاجزة عن الكلام.. متحجرة للسيطرة على مشاعرها، والوفاء بعهد يفوق قدراتها.

ضغط (أحمد) ذراعها بأصابعه مشجعا، وهو يديها من الفراش.

- إزبك.. يا.. فندم.. ألف سلامة على حضرتك.

فتح الكهل ذراعيه..

- تعالى فى حضنى يا بنتج.

ارتجفت وهى تضع ركبتيها على طرف الفراش بحرص.

وكان الوعد الذى بذلته لـ (أحمد) بعدم البكاء مسحوقا بمجرد استقرارها بين ذراعى العجوز المتهالك الذى أضاف:

- قُولِي لِي يَا بَابَا.

حين عاودت الوقوف أولت الفراش ظهرها، واستقبلها (أحمد) بكومة من المحارم الورقية، ونظرة تعاطف مشجعة.

- تَعَالُوا أَقْعِدُوا جَنِينِي، وَإِحْلُوا لِي عَنَقَكُمْ.

طالبهما (منصور) بذلك، فربت (أحمد) على قمة رأس (نورا) بحنان، ثم تحرك ليجلس على الفراش قرب قدمي أبيه كي لا يجعله يدير عنقه ليراه.

- كَانَ عِنْدَكَ حَوْجٌ يَا حَاجٌ مَا قَلْتِ إِنَّ (نورا) أَجْمَلٌ وَأَرْوَقُ إِنْسَانَةٌ مَمْلَأَةٌ الْوَاحِدِ بِغَابِلِهَا فِي حَيَاتِهِ.

جلست هى بجوار (أحمد).. أقرب للعجوز، وفوجئت بالابن يطوقها بذراعه، ويضمها إليه نوعا.

تسائل (منصور):

- إِزَائِي حَبِيبَتِي بَعْضٌ فِي مَدَّةِ قَصِيرَةٍ كَرَّةٌ؟

- لِأَيِّ حَاجٍ.. اللَّيْلِ إِنَّتِ مَا تَعْرِفُوشِ إِنَّ (نورا) حَبِيبَتِي مِنْ أَوَّلِ نَظَرَةٍ.. مِنْ سَاعَةِ مَا شَافْتِنِي بَعْدَ مَا رَجَعْتِ يَوْمِي.

كانت (نورا) متشنجة بتأثير يده على خصرها.. التفتت إليه وحدقت فى وجهه بنظرة "هل تمزح؟".. لكنه أوما لها برأسه، وكأنه يتبع خطة بحذافيرها، وواصل:

- وَإِنَّتِ أَكْبَدِ عَارِفِ بَقِيَّ يَا حَاجٍ شَغْلُ السَّنَاتِ.. وَقَعْتِنِي فِي كَامِ يَوْمٍ.

إتسعنا عيناها، وهى تحدجة بنظرة "وحياة امك!"، ثم جرت على أسنانها رافعة حاجبها بشئ من الوعيد، وهى تهمس له من بين أسنانها:

- شَغْلُ السَّنَاتِ!! لَيْسَ مَا قَلْتِشِ شَغْلُ الْحَرَمِ؟

ضغطها بيده نحوه قليلا متسائلا بصوت مرتفع:

- فُشْنُ كَرَّةٍ يَا حَبِيبَتِي؟

التفتت لـ (منصور) بابتسامة مصطنعة كانت لتضحك (أحمد) لو رآها..
- أه.. هو مشن بالطبط.. كان تعاملنا صعب في الأول أومي.. بسن أهو.
تزامن قولها مع وكزة بمرققها لـ (أحمد) فسحب يده، وتأثرت نبرته قليلا وهو يقول:

- لأ بسن مشاكل التعارف العادية في الأول بين أومي إتبن.
فجأته (نورا) بأن قالت وكأن تحررها من يده أطلق لسانها:
- برضو مشن بالطبط.. (أحمد) أصله مغرور، وتنك أومي.. فكان محتاج شوية...
ترويض كره زيم ما يقولوا غلشان بيبن شخصيته الحقيقية.
ألقت نحو (أحمد) نظرة مع ختام عبارتها، فوجدته يحدق فيها وكأنه يفعل من فوق نظارة.. فمه مفعور، ولسانه يدفع إحدى أسنانه بقوة.. بينما بدا (منصور) نفسه سعيدا..

- مشن عابز أنقل عليكو باولاد.. فضنوا يوم جنبك بسن تعالوا لي نانج.
نهض (أحمد) واقفا بينما تحركت (نورا) لتربت ذراع العجوز بحنان، فاستحثها (أحمد):

- بلأ يا (نورا).
- ح أقعد مع بابا (منصور) شويه.
- إفطر زيم، وتعالني نعد معاه زيم ما إني عابزه.
وافق (منصور) على الاقتراح، وأيدّه.. فنهضت (نورا) صاغرة لتغادر الغرفة مع (أحمد) الذي أدارها إليه من ذراعها فور تجاوزهما الباب..

- ترويض.. أه!! أنا ح ترويض عيلة صغيرة زيك!!
- مكن ما تتكلمش معايا لو سحت، وخلي إيدك جنبك شوية.
حاولت تركه بعد قولها الخافت المشحون لكن يده أدركت كفها فاستوقفها..

- إني إيه اللي مضايك بالطبط?
- اطفروض إن عندك عقل، وتقدر تقيس بينه تصرفاتك، وتأثيرها على اللي حوالبك.. ده لو إنت شايغهم بنج آدمين زيك أصلا.
وهذه المرة أفلتت منه، وهبطت الدرج، فتبعها مقطب الجبين.

لولا إلحاح (دعاء) لما جلست (نورا) إلى مائدة الإفطار الذى كان أقرب لمأدبة رغم بساطة الأطعمة الرئيسية.

كانت (رانيا) – الاخت الكبرى – قد ظهرت أخيرا، وانهمكت فى حديث جانبي مع (أحمد) بجوارها.. بينما كان (رفيق)، وشقيقته (فاطمة) يأكلان بصمت، ويتفحصان الوجوه حولهما بفضول حتى إن (نورا) ابتسمت لهما أكثر من خمس مرات.

(رانيا) جميلة، وهى أكثر أخواتها شبها بأبها.. لكن الروح، والقبول كانا يجعلان (دعاء) هى الأجل فى نظر (نورا).. تبادلتا الابتسام فى هذه اللحظة.. كانت (دعاء) قادمة من المطبخ، ويدها قدحا من عصير المانجو وضعت أمام الضيفة، ومالت لتخبرها:

- (أحمد) اللى عمله، وحظيته شويه فى (الفريزر).

كان (أحمد) لا ينظر نحوها.. أرادت أن تشكره بابتسامة وإيماءة.. ناداها بعد قليل، ووقف يناولها هاتفه الخاص، وعاود الجلوس مواصلا التحدث إلى (رانيا).

نظرت إلى شاشة الهاتف.. نص رسالة من (سليمان)..

"كله تمام يا باشا.. الغلوس فى حساب سعادتك، ولست ساحب العرض حالا"

رفعت عينيها إليه، وهزت له رأسها بابتسامة خافتة، ورد هو بإيماءة سريعة. أخذت تسترق النظر إليه، وهى تلوك قطعة من الخبز المحمص.. لم تكن قادرة على أن تكرهه.. فهو لا يشبه أى خبز تناولته من قبل..!!

(أحمد).. لم تكن قادرة على أن تكرهه رغم شعورها بالضيق منه.. هناك معادلة صعبة جدا بشأنه.. فهو أول شخص تتقبل أن يعاملها بشئ من التملك.. بل إن جزءا بداخلها يحب ذلك، ولكنه اليوم يعبث بها.. ورغم هذا فعقلها السخيف أخذ فى التماس الأعذار للرجل، وكأنه لم يخطئ فى شئ.. أرادك معه، وأراد أن يسعد والده بتحقيق أمنية قد تكون الأخيرة للعجوز

المتهاك.. هل لاحظت كيف ربت على رأسك وأنت تبكين منذ قليل؟ لا تضعطيه أكثر، وقد شهدت كيف تأثر عند رؤية أخيه.. إنه رجلك.. سانديه. شعرت أن عليها التحرر من أفكارها التي بدأت تتسامح تماما مع حبيبها رغم كل ما يشوبها من فقدان للتوازن.. نهضت واقفة فالتفتت الأعين نحوها.. شكرت الجميع، وأشادت بالطعام، وتملصت من عرض (دعاء) بتذوق الفطائر بالعسل، ولاذت إلى الغرفة التي تملك مفتاحها.

لم تغلق الباب لأن كل ما ستفعله أن تجلس على الفراش قليلا.

- لسه نايمة.

- طب ما تصبّيها.

- لأ.. صبّيها إنت، وإعتذر لها، وحسّسها بأهميتها.

كان (أحمد) و(دعاء) يتهامسان عند باب الغرفة، وقد قضيا فى التمشية والتحدث أكثر من ساعتين!

- وإنتى ليه ما تصبّيهاش بعنى؟

- ما تبغاش رخم بعنى.. و(اللّ) حرام عليك! حد يلاقى واحدة بالبراءة دى.

وبزغلها؟

لوى فمه معترضا على اللاشئ.. ربما ليخفى افتتاحه بالشابة النائمة كطفلة، وتبدو باعثة على الارتياح.

دفعته (دعاء)، فتراجع مسرعا، وكأنهما عادا صغارا.

- بابنى صبّيها (اللّ) بهديك.

- ما ترقّيشن طبيب.

- طب أنا ع أروح أشوف (شذى) كده.. بجدن أعرف منها حاجة جديدة.

- ماشى.. بس ما تفعليش الباب.

كتمت ضحكاتها، وانصرفت شاعرة أن (أحمد) لم يكن محببا إليها يوما مثلما هو الآن.

تسمّر هو بجوار الفراش.. عائدا لتوه من نقاش من النوع المزعج.. الذى لا يأتى على هوى المرء أبدا.. أراد أن يسمع ما يؤيد مخاوفه، ويعززها.. وإذا ب (دعاء) تسكب فى أذنيه ما يمكنه أن يعده مجرد حماقات، أو تفاهات لو لم تكن تلك الجميلة النائمة تملك عليه هذا التأثير اللعين.

سؤالان لم يتطرق إليهما - ولو من بعيد - أمام (دعاء).. أولهما.. هل نجحت (نورا) فى ترويضه حقا كما زعمت منذ قليل؟ ما يعنى أن (أحمد) الجديد هذا من صنعها بالكامل.

وثانيهما.. لماذا لا يشتهيها من الناحية الجسدية؟ وهذا رغم أنها بمقاييسه تعد مغرية بشكل صارخ! لا علاقة للأمر بنظم حماية.. لقد ظهرت فى حياته لتعيده إلى أنقى حالاته، وتجعله يجرب الحب الأفلاطونى، وهو فى منتصف الثلاثينات.. مهلا.. يكاد يجن ويحتضنها.. لكن هذا أقصى طموحه حقا. دنا منها، ومال برأسه يطالع وجهها..

"تعلمين أننى أحبك.. أليس كذلك؟! لدى نحوك من المشاعر ما لن يصلح للمصارحة أبدا.. لأن ما من كلمات فى كل لغات الأرض يمكنها التعبير عن شئ كهذا.. أنت أيتها العذراء الناعمة.. تمكنت من تحويلى لراهب.. وأين؟ فى محرابك!"

فتحت عينيها بغتة، فاعتدل قائلا:

- إيه يا بنتى ح تنامى طول النهار ولأ إيه؟! اعتدلت بدهشة، ثم اعترأها الخجل بوضوح..

- أنا أصلا ما كنتش ناوية أناام! مش عارفة إيه اللي حصل لى! هز كتفيه..

- إيه المشكله بعنى؟ الجو حلو، وإنتى ما تخبشش كوبس الأسبوع اللي فات. نهضت تعدل هندامها ببعض الارتباك، فقال:

- الموضوع مش مسأله خدودك حمر كده!

خرج قوله ساخرا.. بالرغم من أن هذا الأمر كان يعجبه لحد الخبال.

رمقته بنظرة جانبية قبل أن تنظر إلى النافذة..

- منتهيا إلى كان ح يبعي عادي لو كنت صبحت ما لقيتشن حد معايا في الأوضه.
- فكر في جملتها لثواني، ثم أعلن بصوت خرج أجشًا:
- كنت بغير أفاجنك لجاحه تحبكي تعديي نظر في موضوع الترويض ده.
- آاه.. طيب بيه.. الجملة شكلها مضايك أو.. أنا ما روضتلكش ولا حاجه.. دي جملة عبيطه فلتها علسان أستغرك.. وما تعلقشن بعني.. إنت لسه أغلس واحد شفته في حياتي.

تابعها وهي تتوجه للحمام، ثم استدار، وخرج للشرفة الصغيرة التي تطل على حقول المانجو الممتدة على مدى النظر.

حين جاءت (نورا) إلى الشرفة سألته:

- مش ح نعد مع باباك شويه؟

اصطنع عدم سماعها لثواني، ثم مط شفتيه واستدار، وأوما برأسه إيجابا. بدا فراش (منصور) الآن كالميدان.. المقاعد متراصة حوله، وبرفقته زوجته، وبناته الأربع، و (رفيق).. لكن وجه العجوز أشرق مع دخول (أحمد) و(نورا)، ورحب بهما بنفس العبارة التي أخذ يرددها في زيارتهما المبكرة له، ثم قرنها بمطالبتهما أن يجلسا بجواره.

- لأ حضرتك خلكي قاعدة.. ماينفعش و(الله) يا (طنط)!

حاول (أحمد) إثناء (نوال) عن ترك مقعدها لكنها أشارت لمقعد خالي في مواجهة الفراش، وجلست عليه صامتة، فإتخذ (أحمد) و(نورا) مجلسيهما، وفور أن فعلا تحدث (منصور):

- ما تتصووروشن سعادتي النهارده بلمنكم يا ولاد.

لم يهتم بسماع ردودهم.. واصل بصوته الذي لاحظت (نورا) تغيره كثيرا:

- كل اللي عايزه منكم إنكم تتجمعوا دائما من بعدي.

كان هناك المزيد من التعليقات، ولكن العجوز استطرده بعدما سعل مخفيا فمه بمنديل:

- كان نفسي أشوف أحفاد.. أبوه.. كان نفسي.. اللهم لا اعتراض.. لو سحبت اسمعوني.. وجودكم كلّم جنبى هنا بعوضنى عن أُمى حابه.. عابزكم تكونوا إخوات بجد.. إوعوا تتفرقوا وأنا مش موجود.. (رانيا).. (دعاء).. (شذى).. كلامى ليكو يا بنات.. إنتو اللى نورّتوا حياتى سنين طويلة، وحيلة.. عشت مش عابز حابه غير إني أشوقكم متلهنين وسعدا.. ما عرفتش أفسى على واحدة منكم فى يوم.. ولا حتى علشان مصلحتها.. واللبالج اللى فاتت فضلت أفكر كثير.. إنتو ليه كل واحدة فيكم مش مع راجل بسعدها، و يحافظ عليها! الطوضوع ده فعلا تعبنى أوى الفترة الأخيرة.. ع أسبيلكم كره فى الدنيا!! مش ع أسلم ولا واحدة فيكم لعربسها ليلة فرحها!! ربنا بجلي لكم أكم (نوان).. الست الأصيلت اللى استخملتني طول عمرها، وشالتي فى مرضى كمان.. بس أنا كنت بفكر فى راجل بلون سنڊ.. حايه.. ضهر تنسندو عليه من بعدى.. راجل الحياه طختته، وعاندته كثير أوى.. وفضل طول عمره أقوى منها.. حرمته من كل حابه خلوه.. كل حابه.. بس فضل واقفه لها زى الأسد.. واجه وإحمّل كثير.. عاش بعيد عني سنين طويلة، وفي ليلة كلمنى.. كره فى عز ما أنا قلغان وخائف.. كلمنى وكان ربنا يقول لى ما تخافش.. إطمئن.. مش عارف إيه اللى خلّاه بلكمنى ويبنى لى.. أنا الحقيقة ما قدّمتوش أُمى حابه تخليته حتى يعوز يبقى حين معايا.. بس لما احتجت له.. جالى من آخر الدنيا.. ما إنأخرش.. اظهم.. طا زارنى.. حسيت براحة عجيبة، وبقيت بأنام أحسن.. أنشاهد، وأبصن على صوركم اللى فى الدرج جنبى، وأنام.. مش فارغ معايا لو ما صحبتش تانى.

كان يدير عينيه فى الوجوه المحيطة به.. التى يبكى معظمها بصمت متأثر.

ثم تابع مشيرا بكف نحيل مرتجف.. وكأن الأمر يحتاج توضيحا:

- الراجل اللى بتلكم عنه هو (أحمد).. ابنى.

نطق الكلمة الأخيرة بإعتزاز واضح.. فاستقرت الأعين على وجه (أحمد) الذى أضفى تجلده لمحة صرامة على فكه، وعينيه.

(نوال) و(شذى) فقط هما من لم تذرفا الدمع.. حتى (رفيق) و(فاطمة) كانا يبكيان بتجاوب تام مع ما يقوله من يمثل لهما كل شئ فى الحياة، والذى أردف:

- الحمد لله اللج جمع شملنا قبل ما أفارقكم.. وعلشان كده عايز أنتهز الفرصة، وأوصيكم على بعضكم.. إياكم تتفرقوا تانى.. وإنت يا (أحمد).. وصبيح ليك كلها رجاء يا بنج.. إنت ساحتني أنا.. رغم كل حاجة.. إخوانك يا حبيب أمانت سايبها لك.. إنت عارف (رفيق) و(فاطمة) بيحبوك قد إيه من وإنت صغير، والنهارده جه الوقت اللج لازم تنتهج فيه كل الحدود والمسافات اللج بينك وبين البنات.. إنتم والكوش غير بعض يا حبايب.

صمت الرجل مستعيدا أنفاسه نوعا قبل أن تظهر ابتسامة واهنة على محياه وهو ينظر إلى (نورا)، ويتابع:

- بقية وصبيح ليك بقى.. القمر ايه دى.. أنا عارف إنه مش عدل ولا إنصاف إني أقول لها بعد ٨ سنين إني حبيتها زى بناتي، وإني كان نفسي تدخل عيلتنا بأى طريقة، وطأ طلبها مني (معتز) - ابن عمك (رفعت) - فعلت الموضوع ساعتها وقلت له يشيلها من دماغه.. لأني عرفت وقتها إني عايزها ل (أحمد) مش لأى حد تانى.. فعلشان خاطر ي يا (أحمد) تراعى ربنا فيها.. خليلك أمير معاه، وحافظ عليها.. بجد كان الصبح إني أقول الكلام ده وهي مش موجودة.. بس الظاهر كده إن الإحساس بعرج الطوت بيزود المشاعر حبيبتين.

كانت (نورا) تتهانف، وتنتفض من محاولات جهيدة لئلا تنتحب.

ونفضت (دعاء) من مكانها، وأوقفت الضيفة لتحضنها، وتبكيان معا.

- ربنا جليلكم لبعض يا ولاد.. و(الله) العظيم أنا مبسوط.. ما كنتش عايز أنكلك عليكم.

- إنت كده مبسوط يا حاج؟ أمان لو كنت زعلان كنت عملت فينا إيه؟!!

سأل (أحمد) أباه، وعلى وجهه شبح ابتسامة، وبدا السؤال مفاجئا فاتفجر الرجل المريض مقهقهقا، وسرت ضحكته فى الجميع ترطب القلوب الحزينة..

(نوال) نفسها ابتسمت رغما عنها، والفتاتين الواقفتين ضحكتا من بين دموعهما.

ربت (أحمد) ظهر اخته، ثم قَبَّلَ رأسها فقَبَّلَت كتفه غريزيا، وتراجعت منسحبة.

تحرك هو مقتربا من (نورا)، ومسح دموعها بأصابعه رافعا وجهها ناظرا فى عينها بعمق.

تسمرت حين مال نحوها.. قَبَّلها قَبلة غريبة نوعا.. بين عينها تقريبا.. بدفاء مذهل.. ما من أثر لذرة من الرغبة حتى، ولم تكن حاجتها للارتماء فى حضنه قابلة للمقارنة بأى وقت مضى.

كان هذا دوره ليتسمر حين أسندت رأسها، وأحد كفيها إلى صدره. ومجددا أثبت لنفسه أنه رجل قوى.. بعدا جديدا لم يكن يدركه من إمكاناته كرجل.. لم يستغل الموقف ويحيط الشابة بذراعيه، ويضمها إليه بقوة كانت لتؤلمها.. وضع يده على رأسها فقط.. بينما كانت اليد الأخرى تختلج تقريبا، وكأنها أصيبت بشلل مؤقت.

قادها لمعاودة الجلوس بعد قليل لكنها فارقت المقعد سريعا لتحتضن (منصور)، وتقبَّل جبينه وخديه بحب واضح.

حين هدأت الأمور تحدث (أحمد).. تحدث داعيا لـ (منصور) بالعفو، والعافية، ثم وعد صادقا بأن يكون موجودا حين يحتاجه أحد من إخوته فى أى وقت ما ظل حيا.

- هناك أمر كنت أريد مناقشته معك يا حاج، وأجد أن اجتماعنا هذا فرصة مناسبة لذلك.

ذكر بغتة شأن (دعاء)، و(حسن) فامتقعت الأولى.. بينما تحفزت أمها بشدة.

- كل ما حدث أننى التقيت (دعاء) الجمعة الماضية، وكان برفقتها شاب مهذب يمكنك الارتياح إليه من النظرة الأولى، وإدراك أنه محمّل بالمشاعر نحوها أيضا.. تحدّثت معه قليلا، ومعذرة يا (دعاء) فقد قمت

ببضعة تحريات عنه، والتقيت والده أيضا.. وكيل أسبق لوزارة المالية.. يعيش عشق الحيوانات الأليفة، وافتتح بعد إحالته للمعاش متجرا أنيقا لبيع الحيوانات الأليفة، والطيور.. أسفل منزله بـ (حدائق القبة).. المنزل ملكه، وليس لديه أبناء سوى (حسن)، والذي يحلم بافتتاح مكتبه الهندسى الخاص فى أحد طوابق البناية نفسها.

قالت (نوال) دون أن تخفى ضيقها الشديد:

- ولم يفتحه لأنه لا يملك المال.. أليس كذلك؟

رد (أحمد) بسرعة:

- بل لأن (حسن) يرفض أن يتكفل والده بتأسيس المكتب مع وجود خطر الفشل والإغلاق.. يعمل حاليا فى مكتب آخر شهير حتى يتمكن من الاعتماد على نفسه، ومنتظر تحسن ظروف البلد ليبدأ مشروعه الخاص.

كانت (دعاء) تعرف كل ذلك بالطبع، ولكن ذهولها كان لإلمام (أحمد) به، وإن كانت تعرف أيضا أن والد (حسن) رجل على سجيته وثرثار بشكل كبير.

- لقد أحب (دعاء) كثيرين، وكانت ظروفهم أفضل.

- نعم.. ولكن من الذى أحبته (دعاء)، وبادلته المشاعر.

رمت (نوال) ابنتها بنظرة نارية.. لكن (أحمد) تابع:

- يمكننا تزويج (دعاء) و(شذى) من الرجل الأكثر ثراء، وربما نفودا..

مثلهما كـ (رانيا).. سامحيني يا (رانيا).. لكن هل سنكون سعداء إن لم يشعروا هن بالسعادة؟ أو - لا قدر (الله) - لم تستطعن مواصلة الحياة

مع أزواج لا يشعروا معهن بالحد الأدنى لدفع المشاعر!

- أنت لن تلقننى دروسا، أو تخبرنى كيف أزوج بناتى.

- من المستحيل يا سيدتى أن أفكر فى إعطائك دروسا.. حاش لله.. الأم

التي أنشأت هؤلاء الجميلات الثلاث، وساندت أبى فى طريق نجاح طويل لا تحتاج دروسا من أحد على الإطلاق.. أنا أعرض الأمر فقط..

القرار لابی ولك بعدما تريان الشاب، وإن لم تشعرا بارتياح نحوه.. فقد منحتماه الفرصة على الأقل.

قال (منصور) بحسم:

- طالما أن (دعاء) تقبله، وتريده.. فليات ليطلبها.
شهمت (دعاء) من فرحة زاهلة.. بينما طعن الحزن قلبا قريبا منها للغاية، والأب يضيف:

- يطلبها من أبيها - إن كان موجودا، أو أخيها الأكبر.
أدارت (نوال) نظرها فى الوجوه حولها، ثم انتفضت واقفة، وغادرت الغرفة معلنة عدم رضاها عما دار هنا للتو.
(دعاء) التى لم تكن لتحلم بأن يُدار حديثا كهذا فى بيتها ذات يوم وثبت على الفراش تنهال بالقبلات على والدها الذى ضحك وداعبها مازحا.
أظهر (رفيق) حماسه الشديد بالتصفيق فرحا، فشاركته (فاطمة) فى ذلك.
أختت (شذى) ابتسامتها، وخفضت حاجبها، وهى تشيح بنظرها عن (أحمد)..
الذى وثبت (دعاء) تعانقه هو هذا المرة، وتشكره بإمتنان شديد.
همس لها:

- إجري كليمه، وقولي له ياخذ الأمور فى هونها لو شاربيج.

وأمأت له طائعة بحماس منقطع النظير، ثم اندفعت مغادرة الغرفة.
نهضت (رانيا) بهدوء، وسارت فى طريقها لتغادر بدورها، وتابعها (أحمد) بنظره حين لفتت (نورا) انتباهه إليها بنظرة منزعة.
استأذن (أحمد) أباه، وسار بخطى عادية تحولت لسريعة فى إثر أخته التى لم ترد نداءاته مباشرة.. لحق بها قرب باب غرفة بنهاية الممر تقريبا.
التفتت إليه، ووجهها غارق بالدموع، وسألته لائمة:

- إنت ما جتن بدرج شويه ليه؟

قالتها ممزقة.. تنعى قصة حبها الحقيقية الوحيدة، واستدارت تلج الغرفة القريبة وتغلق بابها دون أن تضيف.

قضى (أحمد) بقية النهار فى غرفة المعيشة يلعب لعبة إلكترونية مع (رفيق) على شاشة (LCD) ضخمة.. يجلس أرضاً، ويداعب أخاه ويضحكه حتى الثمالة من حين لآخر.. بينما على الأريكة خلفهم تجلس (نورا) مع (فاطمة) و(شذى).. الأخيرة شبه منعزلة.. تولى هاتفها إهتماماً زائداً.

(دعاء) ظهرت بعد الرابعة بقليل، وفهم (أحمد) من نظرة أنها كانت تحاول انتزاع (رانيا) من حالة الإحباط التى أصابتها.. جلست قبل أن تقترح عليهم تناول الغداء، ثم الخروج للتمشية ومشاهدة الغروب.

لم تتناول (رانيا) الغداء معهم لكنهم جميعاً وقفوا بباب غرفتها بعد قليل.. حتى (رفيق) كان يعتلى ظهر (أحمد) الذى أثبت أن بإمكانه التحول لمهرج باقتدار حين بدأ يقرع باب الغرفة بيده، وانطلق فى الغناء بصوت بشع أضحك الجميع، ولكن هذا لم يؤثر على حماسه أبداً.. الأغنية لا نعمة لها، والكلمات من تأليفه.. تدعو (رانيا) للخروج.

حين فتحت (رانيا) الباب هُلل الجميع، وسارعت (دعاء) باحتضان اختها التى ظهرت بسمه صغيرة على محياها، وقالت، وهى تربت ظهر (دعاء) ناظرة لـ (أحمد):

- خلاص أنا ح أجى معاكم.. بس وحياة ابوك ما نغنى تانى.

عند باب المنزل.. انتبهت (دعاء) إلى أن الطقس سيكون بارداً بعد قليل، وقالت أن على الجميع إحضار سترات.. (شذى) و(رانيا) و(فاطمة) تحركن لجلب المطلوب، وطالب (أحمد) الأخيرة بإحضار سترة لتوأهما بينما أشارت (دعاء) لـ (نورا)..

- ح أجيب لك (چاكت) معاً يا .

سارع (أحمد) بخلع سترته قائلاً لاخته:

- هاتى لى أنا يا (دعاء).

نظرت إليه باستنكار، وهو يضع سترته على ظهر معشوقته..

- أجيب لك إيه بقى إن شاء (الله)؟

- (چاكت).
 - أه.. ودمي ح تلبسها في دراعك بس وأنا إيه!
 - أُمي حابه.. عشن عليهم.. بس أصل البنيت دمي بتكلمني ريجة الهدوم تُخفني.
- ضحكت (دعاء) ناقلة بصرها بين الاثنين تهز رأسها بعجب، ثم دعت لـ (نورا) التي اعترى الخجل ملامحها:
- و(اللهم) يا (نورا) ربنا بقدرك.
- تركتهما، و(رفيق) الجالس في مقعده، وأسرت بصعود الدرج.
- كانت (نورا) تنظر إلى (أحمد) بابتسامة مشرقة.. بدا لها فاتنا على نحو مدمر، وهو يتصرف على سجيته ناجحا في تجميع اخوته حوله كالساحر.
- خلاص خد (الچاكت).. مرسج.
- فاوضها لتبقيها حتى تأتي (دعاء).. فضحكت، وشكرته.
- في الخارج.. استمتعوا كلهم بالطقس والخُصرة.. كان (أحمد) يدفع مقعد (رفيق).. قص القليل عن غُربته، وأضحكهم ببضع تفاهات، ولكن حين طاردهم النحل عند أشجار الموالح انتهى بهم الأمر على الأرض لا يسيطرون على نوبة ضحك هستيري اجتاحتهم، و(رفيق) يُصدر صخبا هائلا بعدما سقط عن مقعده أرضا بجوار (أحمد)، وإتسخت ملابسه.
- حين عادوا للمنزل قالت (شذى) أنها ستعود إلى (القاهرة) لأن لديها موعد عمل في الصباح الباكر، وعرض عليها (أحمد) أن تعود معهما - هو و(نورا) - في سيارته، وقالت الأخيرة:
- تعال معانا.. ح تبسطي جرد.. (أحمد) يبسوق خلو أومي.
- ضحك هو لقولها مستمتعا بشكل غير مسبوق بظهورهما - هو وحبيبته - كثنائي متناغم.. بالإضافة إلى أنها لم تعد تبد غاضبة منه.
- اقترح على (شذى) أن تنتظر حتى صلاة العشاء، ويبدأ الطريق معا.
- صلّى المغرب في الردهة، ثم رافق (نورا)، و(دعاء)، و(رانيا) إلى غرفة أبيه لإلقاء التحية على الرجل.

وقفوا أمام فراشه، وبدا كأن العجوز يُشبع عينيه منهم جميعا قبل أن يحاول التحلى بابتسامة، ويقول:

- إذا ما كان فى العمر بقية.. أريد رؤيتكم معا مرة أخرى.
قال (أحمد):

- مرات، ومرات بإذن (الله) يا حاج.

أعلنت (نورا) مدى حبهم للرجل، وهى تحاول مواراة الحزن على محيائها، والتفتت إلى (أحمد) حين تسللت يده إلى وسطها وجذبها إليه قليلا.. رفعت يmanها لتزيح يده لكنها أطبقت على مقدمة أصابعه فقط بعدما ضغطها بغطاة وكأنه يحذرهما من مقاومته.. لم ينتبه لمدى تملكه، وتحدث بشكل عادى واعدأ أباه بزيارة أخرى خلال أيام.

حين التفتت إلى (نورا) بدت له نظرتها أكبر من الموقف كله.. ما إضطره لسحب يده مباشرة فأشاحت عنه وجه متجهم جدا، ثم تحركت لتقبّل (منصور)، وتشعر بحنان الاب الذى حُرمت منه طويلا فى عناق قد لا تحصل عليه مرة أخرى.. لقد دعت فى صلاتها منذ قليل ألأ ينتزع الموت (منصور) من بينهم.. لقد جرّبت اليتيم، وهى صغيرة، ولا تريد تكرار التجربة الآن، أو فى أى وقت آخر.

غادرت الغرفة مباشرة، وبقي (أحمد) قليلا حيث احتضن والده لينقل له بعض أحاسيسه دون كلمات لا يجيد صياغتها، وحين طرق باب الغرفة فى الطابق الأرضى لم يتلق جوابا فدخل بحذر.. باب الشُرفة مفتوح، وهواء قوى يأتى منه.. رأى الجميلة تولى الغرفة ظهرها.. تقف مستندة إلى سور الشرفة.. خفق قلبه بارتباك، ولم يعره هو إهتماما.. خلع سترته، واقترب من (نورا).
تنحى بخفوت ليصدر صوتا كى لا يفزعها.. لكنها لم تلتفت.. وضع السترة على كتفها، ولم يسيطر على مشاعره هذه المرة.. أمال رأسها بيده، وقبّل جانب جبهتها فقط.. لم يقترب من خدها الناعم الذى حين تندفع فيه الحمرة يتمنى أن يطبع عليه ألف قبلة.

لكنها حررت رأسها منه، واستدارت بحدة فور القبلة، وصفعته.
لم تكن صفعه بالمعنى المُتعارف عليه.. لكن أطراف أصابعها الدقيقة ضربت
جانب وجهه دون سرعة حتى.. سقطت السترة أرضا عن كتفها، وتسمَّر
الموقف تماما.

كانت باكية، ولم تجف دموعها.. فعلت ما فعلته دون تفكير بينما اكتسى وجه
(أحمد) الجامد بطبقة مبالغته من الصرامة، وأطلت من عينيه نظرة كفيفة
بإفزاز رجل مفتول العضلات.. خصوصا مع ذلك الاختلاج العجيب فى جانب
فكه.

قالت بصوت باكى النبرات:

- **إِنَّكَ بِنَعْمَتِي كَأَنِّي لِعَبْتِكَ.. حَرَامٌ عَلَيْكَ.**

ظل صامتا.. ينظر فى عينها كأنه يستعد لالتهامها.
لم يفهم مدى عذابها.. لم يدرك أنها تلومه على كلمات لم يقلها حتى الآن..
لم يستوعب ما يثيره بداخلها من مشاعر بلمساته، وكل ما يفعله.
أخيرا.. استدار منصرفا دون كلمة، وانفجرت هى فى البكاء باضطراب بلغ
مبلغه.

انحنى تلتقط السترة بعد قليل، واحتضنتها وهى تتهانف.. بل وقبَّلتها بلا
وعى أيضا.

قالت (دعاء) لـ (أحمد) بلهجة خطيرة بعد قرابة ربع الساعة فى الردهة:

- **(شذى) ع تَجْنَنِ بَابِي وَاللَّهِ.. الظَّاهِرُ وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَرُدُّ عَلَيْهَا.**

- **وَهِيَ بِنَعْمَلِ إِيَّاهِ دَلُوقَةٍ؟**

- **سَابِيَاهَا بِنَعْمَلِ حَاجَتِهَا عَلَّشَانِ تَرَجِعُ عَلَيَّ (كأبرو).**

- **وَطَنُظْ (نوان)!**

- **فِي أَوْضَعِهَا.. هِيَ فَافْشَى.. بَسْ إِنْ شَاءَ (اللَّهُ) عِ أَصْحَابِهَا.**

كانت (نوال) قد صبّت جام غضبها على رأس ابنتها الوسطى، وقالت أن (أحمد) نجح فى السيطرة عليها بطاقم المجوهرات الذى أهدها إياها فى لقائه الأول بها فى (القاهرة) بعد عودته.

- على فكره.. (حسن) ع يتصلك بلك علشان بشكرك. وبسألك فى شوية حاجات.
- أهلا بيه فى أوى وقت.. تعالى.. أنا اللج عايز أسألك عن حاجه مهمّة.
تبعته إلى الخارج حيث وقفا قرب سيارته.. سألته عن سترته، وطالبها بالانتباه له.

بعد قليل ظهرت (شذى).. ترتدى (بيجاما)، وأعلنت بفتور:

- أنا ع أسافر بكره بقى.

سألها (أحمد) متصنعا الإهتمام:

- طب ومعاد الشغل الصبح؟

بدا وكأنها تتذكر الأمر..

- آه.. إنّا لجل.

هز رأسه على نحو أثار انتباه (شذى) بشدة.. ظلّت تسترق نظراتها إليه، وهى تقف قربه.

ظهرت (نورا) بعد دقائق.. وقفت مع الفتاتين ريثما يصلّى (أحمد) العشاء، وكانت لا تزال تحتضن سترته بذراعيها المعقودين.

حين فرغ من الصلاة توجه (أحمد) إلى غرفتى (رفيق)، و(فاطمة) بالطابق الأرضى.. ودّعهما، ثم صعد وطرق باب (رانيا).. حين دعتة للدخول بدا أنها قد استعادت كامل وجومها السابق.. لم يتحدث معها عن شئ.. لثم جبهتها قبل أن يسألها:

- أريد أن أشكر أمك، وأودّعها.. هل نطرق بابها، أم أعتمد عليك فى أن

تخبريها عن ذلك فحسب؟

أظهرت (رانيا) تصميمها مفاجئاً..

- بل سنطرق بابها.. تعال.

شعر (أحمد) بإمتنان نحو (رانيا) حين خرجت له بأمرها بعد دقائق من غرفة الأخرى، والتي لم يبد عليها ترحابا، ولكن لم تُبدِ عدائية أيضا. شكرها بحرارة ليرسخ لديها حقيقة أنها صاحبة المنزل، وأنه مجرد ضيف، وفاجأته بأن سألت عن (نورا)، بل وهبطت معه و(رانيا) إلى الطابق الأرضي حيث صافحت (نورا) بابتسامة مستوفية كل شروط كرم الضيافة. فى طريق العودة إلى (القاهرة) كان الصمت يطبق على (المرسيدس) التي يقودها (أحمد) بسرعة من دون تهور، أو مناورات مفزعة لا طائل منها. كلما تسللت دمعة من بين أهدابها.. كانت (نورا) تسارع بمسحها.. كانت فى أسوأ حالاتها حقا.. لو لم يلح عقلها عليها بالفكرة الدرامية الخاصة بتلاعب (أحمد) بها.. لسارت الأمور على نحو أفضل.. الكارثة فى حساسيتها الشديدة نحو لمساته.. بالتحديد فى غرفة والده.. كانت تختبر أحاسيسا جديدة عليها تماما حين تستقر يد (أحمد) على جسدها.. أحاسيس كفيلة بإرباكها تماما.. بينما تشعر أن (أحمد) يعاملها بتملك مجنون.. لا يتناسب مع عدم تصريحه لها بأى نوايا له بشأنها.

والآن.. هى لا تستطيع الاعتذار كما لا يمكنها التعامل وكأن شيئا لم يحدث.. ما حدث كان خارجا عن إرادتها، ولكن (أحمد) لن يقنع بأى مبررات فى هذا الشأن.. استرقت نظرة إلى جانب وجهه مستحضرة لحظة قبل جبينها فى الشرفة.. وبحركة غريزية رفعت أصابعها لتحسس موضع القبلة مفكرة أنها ربما تعانى من أثر حرق ما يتناسب مع انطباع شفثيه على بشرتها. كان أول ما قاله على مشارف (القاهرة):

- إتصلى بوالدتك لأننا صرنا قرييين منها.

إتصلت بأمها، ورددت وعداً للسيدة بأنها ستحاول، وسترى ما يمكنها فعله! حين توقفت السيارة أمام مسكن (رغدة).. لم تغادرها (نورا) مباشرة.. وحين فعلت عادت مرة أخرى، وفتحت بابها، ومالت لتسأل (أحمد):

- هل يمكنك الصعود معى؟

نظر إليها، ثم عاود النظر أمامه.. أردفت:

- منذ أمس، وهى توصينى بأن أعرفها بك.. فمئذ فترة الجامعة لم أتقرب من أصدقاء جدد، وهى تريد إرضاء نزعة أمومية بحتة.. لن يستغرق ذلك سوى دقائق.. كما لن يدفعك، أو يدفعنى لأى نوع من التظاهر.

التفت إليها مع جملتها الأخيرة.. لم تعرف إن كانت تحاول إقناعه، أم أنها تدفعه للرفض.

استطردت بصوت ضاع أكثر من نصف حماسه:

- أقصد أننا لن نتصنع وجود مشاعر بيننا أو شئ.

لم تجد تفسيراً لتلاعب عضلة جانب فكّه تلك الآن.. لكنه غادر السيارة صامتاً، وصفق الباب بعنف، وحين قدمت له سترته التى كانت ستصعد إلى أمها بها على الأرجح.. أخذها وألقاها داخل السيارة.

استرقت النظر إلى وجهه، وهما يدلغان إلى البناية.. كان يثبت لها خطأ نظريتها.. فهو سيضطر إضطراراً للتظاهر بأنه ليس غاضباً منها.

انغلق الباب الحديدى للمصعد بقوة مفرطة مع سحب (أحمد) له.. حدقت هى فى عضلات ذراع الرجل البارزة فى كم قميصه، واستعادت إخباره لها يوماً بأنه لا ينسى الإساءة إليه!

لو اختزن لها ما حدث منذ قليل، وقرر رد صفعتها، فسيحطّم فكها على أغلب الظن.

- ع نبات هنا ولا إيه؟!

انتزعها من أفكارها بسؤاله الذى اقترن بإظلام كابينة المصعد الذى لم تضغط هى زر رقم طابق سكن أمها فى لوحة مفاتيحه بجوار بابها. تحسست الأضرار معتذرة شاعرة بالحماسة.

وعند (رغدة).. بدأت (نورا) تشعر بالارتياح رويدا رويدا.. أمها لم تنطق بأى شئ سخيـف.. كما لم تورطها بأى أسئلة للضيف الذى تصرف بتهذيب بالغ، وتحلى بابتسامة هادئة.. ظاهريا على الأقل.

سألت الأم فى البداية عن (منصور)، وأكدت أنها تكن له مودة شديدة رغم أنها لم تره فى حياتها سوى مرة وحيدة.. أوضحت (نورا) لـ (أحمد) أن ذلك حدث فى إحدى الحفلات التى كان بعض موظفى الشركة يعدونها لـ (منصور) بمكتبه بمناسبة ذكرى مولده.

- (مامى).. أين الهر الثالث؟!

تسألت (نورا) وهى تجلس على ركبتيها قرب العلبة البلاستيكية الخاصة بالهرة.

- يا إلهى! لا تقولى أن الباب انفتح مرة أخرى.. لم أستطع إغلاقه جيدا، وبالتأكيد الهر الرمادى هو المختفى.

تفحصت (نورا) أسفل قطع الأثاث حولها بنظرها مصدرة نغمة الإيجاب، فواصلت (رغدة):

- ده فظيع.. مجرم.. اطمششى دى ربيع فى نفسها أوى، وده ما بطلش بعاكسها، وبغلس عليها طول اليوم.

التفتت (نورا) إلى (أحمد) بابتسامة صغيرة.. لكنه كان يضحك واضعا يده أمام وجهه، فضحكت بدورها، وهى تُصعق مجددا بمقدار حبها له.

ترك قدح المشروب الغازى الذى قدّمته (رغدة)، ونهض ليساعد ابنتها لإيجاد الهر المتغيب.. بينما واصلت الأم مصرة على رأيها:

- جرد شوفى لك حل فيه.. رجّعيه لصاحبه أو سرييه.

- لأ طبعاً.. ده بالزات بموت فيه، ومقدرش أستغنى عنه.

تخشّب (أحمد) نوعا حين سمع (نورا) ترد بذلك.. وحدث تفاعل ما بداخله أذاب بعضا من خلائاه أو مزجها بأخرى.. انحبست أنفاسه لثوانى رغما عنه، ولم يلتفت إلى (نورا).. ولو فعل لما وقعت عينيه على عينيها أبدا.. لقد امتلكت

الجرأة لنطق ما قالت.. لكنها لم تكن لترنو ببصرها نحو (أحمد) عقب تصريحها هذا.. بالإضافة إلى أن (منص) فى النهاية قطعها، ولا عيب فى إعلان حبها له على كل حال.

وجداه أخيراً.. متعلقاً بإحدى ستائر الردهة.. متجمداً لا يواصل الصعود، ولا يعرف كيف ينزل.. أحرق هو، ومنذفع.

حمل (أحمد) علبة الهررة عنها، وهما ينصرفان.. صافح (رغدة) وشكرها، وأبدت تلك ارتياحها إليه ببضعة تعليقات ودية.

ظلاً صامتتين بالمصعد وحتى تحرك هو بالسيارة، ثم أعلن أن أمها سيدة لطيفة، فشعرت (نورا) بعودة الحياة إليها لأن بإمكانها التحدث معه مجدداً.. رغم نبراته الخالية من المشاعر.

شكرته، ثم أخذت تشيد باخوته جميعاً، وبسلوكه هو معهم طوال اليوم.

- ربما يجدر بى أنا أن أشكرك.. فقد قبلت المشاركة فى تمثيلية سخيفة، ودون حتى أن أخبرك عنها مسبقاً.. كان هذا خطأ منى.. أقر به.

أعلن إقراره بالخطأ، ولم يعتذر عنه.. بينما كانت هى مستعدة لبذل الكثير فى سبيل أن يغفر لها هو..

- كان اليوم من أصعب أيام حياتى.. أقسم لك.

كان يعلم بذلك، وواثق منه.. لكنه اكتفى بإيماءة خافتة، ولم يعقب.

أضافت هى أنها لا تزال ذاهلة مما قاله (منصور) لها، وعنهما، ودعت للرجل بالصحة والعمر.

ألقى (أحمد) نظرة سريعة نحوها مُصارعاً رغبته فى التحدث إليها.. ربما فهم - ولأول مرة - معنى أن يفتقد المرء شخصاً بجواره.

سألها إن أرادت شراء شئ قبل العودة إلى المنزل.. شكرته، ولاحظت عند توقفهما أمام بناية سكنها أنه لم يغادر السيارة.. كان ينتظر نزولها ليناولها الهررة من على الأريكة الخلفية.

- **مَن أَطْلَبُ مِنْكَ طَلْبًا؟**

قاومت لمس يده التى يرخيها على ذراع السرعة.. من المستحيل ألاً تحب أنثى رجلا تعرف أنه سيسعى لتلبية طلباتها حتى لو كان يشتعل منها غضبا.

- **عاززة أحمى القبط.**

التفت إليها بشئ من الدهشة..

- **وأنا أعمل إيه؟ أجيب لهم خيارات؟!!**

ضحكت..

- **لأ.. بسن الموضوع محتاج إثنين.**

بدا غير مقتنعا..

- **دول صغيرين أوى.**

- **تمام.. بسن مشن بيحبو اطلبه، وأول مرة بتكون أصعب مرة.**

بدا وكأنه يفكر لثوانى، ثم فتح بابه وغادر السيارة.

لم تحاول (نورا) إخفاء سعادتها، وهو يصعد خلفها حاملا الهرة.. رغم أنه لم يبد لمحة من الرضا حيال المهمة المطلوبة منه.

رفض مئزر المطبخ الذى أحضرته له.. كان يستهين بالأمر، ويعتقد أنه سيكون فى طريقه إلى الفندق خلال بضع دقائق.. وقف بجوار حوض الحمام

يتابع تحضيرات (نورا).. منشفة صغيرة لكل قط، و(Shampoo) للأطفال.

هز رأسه مشمرا أكمامه، وغابت هى لثوانى، ثم عادت بـ (بلانكى).. ناولتها له بحرص فقلب يده بالهرة ينظر إليها ببعض الازدراء المصطنع.. ليس لها..

ولكن لمهمته غالبا.

لم تقاوم (نورا) الضحك، وهى تتأكد من درجة حرارة الماء، وشرحت له:

- **(أحمد).. إمسلكها كويس إوعى تغلغى منك، وخلى بالك علشان مشن تحربشك.**

لم يكن يتخيل صعوبة المهمة.. السيطرة على الكائن الضئيل المعذب الراغب فى الفرار.

بينما كانت (نورا) تضحك طوال الوقت تقريبا.. الفارق الهائل فى الحجم ما بين (أحمد) و(بلانكى) كان وحده كفيلا بإضحاكها، مع وضوح إيجاد الأول صعوبة فى السيطرة على الثانية.. إضافة إلى التعليقات التى كان يطلقها (أحمد) من حين لآخر، والسباب الغير مكتمل الذى يوجهه للهرة كلما نجحت فى إيصال الماء إلى قميصه.

- **هَى قَلْبِكَ بِسَخْلِيَةِ لَيْه كَرِه!**

البلبل جعل الشعر المنفوش يلتصق بجسم الهرة فحولها لفأر صغير. كانت (نورا) مستمتعة بجنون بما يدور لدرجة أنها أرادت ألا ينتهى. بدت كريمة جدا فى منحه ابتساماتها التى يعشقها.. صك غفران قدمته له، وقناع الجدية الذى يرتديه يبدأ فى الذوبان. راقبها وهى تجفف الهرة بعناية على الجزيرة الرخامية المحيطة بالحوض، ثم قال مشيرا للخارج:

- **أَنَا عَ أُجِيبُ الْكَلْبَ الرَّمَادِيِّ.. دَه عَ بَطَّلِعَ عَيْنِي اللِّي جَابُونَا.**

كان (منص) بالفعل عصيًّا على السيطرة.. ما إضطر (أحمد) أن يضغطه فى الحوض ليثبتته، وجعل ذلك (نورا) تتوقف، وتعاتبه.. قال مدافعا:

- **حَرَامٌ عَلَيَّ أَنَا!! دَه مَجْرَبَشْنِي مَرَّتَيْنِ أَهْو.**

بعد قليل صاحت (نورا) تستنجد بـ (أحمد)، أو تحذره حين نجح الهر فى الإفلات منه، ونفض نفسه يغرقهما بالماء والصابون.. أدركه (أحمد) عند حافة اللوح الرخامى قبل أن يقفز، أو ينتحر على الأرجح.

- **بِعْنِي بِنَسَخْمِي بـ (Shampoo) أَطْفَالَانِ بَابِنِ الْجُرْمِ، وَوَاحِدَةٌ زَمِي الْعَمْرُ بِتَحْمِيلِكِ، وَزَعْلَان!! أَنَا الْوَحِيدُ اللَّي حَمَانِي كَانَ جَدِّي، وَكَانَ اسْمُهُ (عَبْدُ الطَّيْفِ).**

أدارت (نورا) وجهها لتخفى ابتسامتها بحياء حقيقى.. اصطنعت مسح وجهها من آثار ما قام به الهر الثائر.. كان ذلك الوسيم يدغدغ أحاسيسها كلما غازلها بكلمة.. كان يُشعرها بجمالها من خلال إشعارها كم أنه يراها جميلة.

انتهيا من (منص) بعد معاناة حقيقية، واحتاج (أحمد) ضمادتين لجرحين بأصابعه، وهذا من وجهة نظر (نورا) طبعاً.

رفض أن يشرب شيئاً لكنها أحضرت له كوباً من عصير المانجو، وفى يدها الأخرى (مانجو).. الهرة، والتي قاومتها قليلاً، ثم استكانت.. وحتى (نورا) تجففها بدت وكأنها تريد النوم.. تضيق عينيها فى مظهر لطيف جعل (أحمد) يقف لمداعبة رأسها وعنقها بحنان.

- أنا ح أمشى.. عاوزة حاجه؟!

كانت تريد أن يبقى معها.. إلى آخر العمر.

شكرته، وقد انتقل وجومه المفاجئ إليها.. سارت خلفه، وبين يديها (مانجو) ملفوفة بالمنشفة، وعند باب الشقة استدار هو، وألقى عليهما نظرة، وانفرج فمه بشبه ابتسامة باهتة سريعة الانحسار.
تمنى لها ليلة طيبة، وانصرف مغلقاً الباب خلفه.

حين استقر فى سيارته صامتاً شاردا.. كان يؤمن بأن الأنثى المختلفة فى حياة المرء.. هى تلك التى تكون لحظاته الحميمة معها.. ليست بالضرورة داخل الفراش.

كانا يحممان هرة، ولكن دفاءً عجيب كان يسرى فى أوصاله بإحساس لا يريد له النهاية أبداً.

تلقى منها رسالة نصية قصيرة فى وقت متأخر من تلك الليلة.. تشكره فيها على كل ما يفعله من أجلها، وتخبره أنه صديق يندر وجود مثله فى الدنيا.. قرأها مرة واحدة، وألقى الهاتف على الفراش، ولم يرد برسالة أخرى.
فى الصباح التقيا بساحة الانتظار بالشركة.. رآها تغادر سيارتها، وشاب يرتدى حلة رسمية يسير بجوارها نحو مدخل مبنى الشركة.. استوقفها منادياً فالتفتت، وأشرقت.

أدركت فى تلك اللحظة أنه يملك شخصيتين بدوره، ولكن تفاوتهما هائل.. لو أخبرت أحداً أن ذلك الأنيق الذى اقترب منها ناظراً للسائر بجوارها، وكأنه يرى

حيوانا زاحفا.. كان بالأمس فقط يولد ضحكات المحيطين به كأنه مهرج السيرك.. لإتهمها بالعتة.

- مين ده؟!

شعرت بالحرج حين سألتها دون همس مشيرا للشباب، ولم تنجح في تحديجه بنظرة موبخة.. ردت:

- ده الأستاذ.. إيد..

صمتت لأنها كانت قد نست بالفعل بيانات الرجل الذى تدخل معلنا اسمه، فأضافت هى أنه مدير قسم التسويق بشركة دعاية وإعلان لم يسمع (أحمد) عنها من قبل.

قدمت (أحمد) باسمه ثنائيا يتوسطه لقب بك، فرحب به الرجل باحترام. استقل (أحمد) المصعد معهما - ربما لأول مرة ليصعد إلى مكتبه - وفوجئت به يقول للضيف مع توقف المصعد فى طابق مكتبها:

- ستضطر سيادتك للانتظار قليلا.. فأنا أحتاج الأنسة (نورا) لدقائق.

كانت (نورا) باسمه، وهو لا يندفع بخطاه الواسعة كعادته إلى مكتبه.. بل إنه فتح لها باب الغرفة، ودعاها للدخول قبله أمام أعين الجميع. سألتها وهو يتخذ مجلسه، ويفتح كمبيوتره:

- والأع ده جى معاك فى عربيتك؟

- مين ده؟ لا طبعا! أنا معرفوش.

- ما تعرف فيهوش بيغى ما شيش معاه بره الشركة.. الكلام فى الشغل جوه الطبق على الطلأج.

لم تكن تتصور أنها ستسعد يوما، وهو يعاملها بهذه الغطرسة.. سيطرت على ابتسامتها..

- طب أنا أسف.

رفع بصره إليها، ومط شفثيه وكأنه ممتعض منها حقاً.. ظل يطالع شاشة الحاسوب رغم أنها واثقة أن نظام تشغيل الأخير لا يزال فى طور التحميل للبدء.

- أنت ح تروح تقابل (مينا) و(وليد) النهارده؟
- مكن.. ليه؟

قالت بلهجة لا تخلو أبدا من مسحة دلال:

- لأ عادى معنى.. ساعات الناس بيخيو باخدو صحابهم الجراد بعرفوهم على صحابهم القدام، وكده معنى.
- نظر إليها مغالبا ابتسامه راودته..

- وكده معنى أه.. (نورا).. إنتى مجنون.. صح؟
- هزت كتفيها بابتسامه واسعة..

- مكن.. إنت عاقل؟

هز رأسه نفيا، فضحكت مضيفة:

- خلاص نبقى متفقين.

حين غادرت مكتبه لم يلتقيا فى هذا النهار مرة أخرى.. بقت هى حتى الخامسة، والربع خلف مكتبها.. إحساسها بافتقاده كان مخيفا لو توقفت عنده.. أرسلت له رسالة تستحثه على النزول، وحين فعل بدا لها مجهدا.. حتى وهو يرد تحية أفراد الأمن، وبعض الموظفين عند المدخل.

استقلت معه سيارته حيث أعلن أن لديه موعد هام يريد إنهاؤه قبل التوجه إلى منزل (مينا).

قاد السيارة إلى حى (المنيل)، وسأل هناك عن شارع بعينه كى يبلغ وجهته. لم تعلم أنها ستصعد معه إلا حين فتح لها باب السيارة.. بناية قديمة يزخر مدخلها بلافتات بيضاء لأطباء.. جزعت حين وجدته يدلف لإحدى العيادات فى الطابق الثانى.. عيادة لطبيب وجراح قلب.

تمسكت بذراعه، وأخذت تسأله عما به.. حين قال أنه ليس متعباً أو شىء، ولم يأت للكشف جعلته يقسم على ذلك.

- إهدئى قليلاً.. لقاء شخصى (والله).. أنا بخير يا (نورا).

سجل اسمه لدى شابة لا يعرف الابتسام لسحنتها طريقاً، ولم تكن الشقة مزدحمة.. جاء دوره بعد قليل، واستلزم إقناع مرافقته بانتظاره بالخارج جهداً كبيراً.. فقد رأته يدفع ثمن الكشف، وكانت متوترة جداً حتى إن كفها كانت باردة حين ضغطها بأصابعه.

نجح فى النهاية فى الدخول وحده إلى غرفة الطبيب الذى يماثله عمراً تقريباً، ونهض عن مقعده مرحباً.. طويل القامة.. حليق الوجه.. يرتدى عيونات طبية، ولديه طابع سجود فى منصف جبهته.

- شكلك رياضى يا أستاذ (أحمد).. طمئننى عليك.

صافحه (أحمد) بهدوء، وجلس أمام مكتبه قائلاً:

- فى الواقع يا دكتور.. أنا مشن بشتكى من حاجه.. بعنى لحد دلوقتى.. الحمد لله.

ثم وضع يده على صدره قائلاً:

- أنا (أحمد) أخو (رانيا منصور عبد الله).

أثر الاسم بدا واضحاً جداً على الرجل.. لم يكن (أحمد) غيباً.. تنازع الطبيب شعور حنين بقشعريرة صادمة، وجرح قديم فى كرامته أيضاً.

- أه.. أهلاً بيك.. حمداً لله على سلامتك.. كنت فى (أمريكا).. مشن كده؟

اكتفى (أحمد) بإيماءة إيجاب خفيفة ثم قال:

- تسمع لى أناديك بـ (باسم) من غير دكتور؟

- أه طبيعاً.. أكيد.. (رانيا) عامله إيه؟ يا رب تكون بخير.

- أنا هنا بخصوصها بسن هجى ما تعرفشن حاجه (والله).. أنا عرفنت عنوان

عبادتك من (دعاء)، وجى أشوفك فإكر (رانيا) ولأ اطووضوع خلصن خلاصن.

- أنا.. خطبت.

نهض (أحمد) واقفاً..

- في الحالة دى أنا مش ع أنطق بكلمة زيادة.. بس ما تبغاش نطلع دبتك وإنت بتشتغل يا دوك.. سلام عليكم.
- تحرك بالفعل نحو الباب لكن الطبيب استوقفه..
- أنا خطبت أسبوعين، وفسخت.. والكلام ده كان من ٣ شهور .
- تسمر (أحمد) لثوانى، ثم استدار ببطء..
- أقعد تانى طبيب، ولأ إيه؟
- أكيد.. إغصنك.
- أنا معاك فى نفس الغريوة على فكرة.. عايز أصلح غلطه إنتو الإثنين بندفعوا تحنوها.
- بس اللي أعرفه إنها مخطوبه خالبا.
- تجاوز (أحمد) بعض الحرج الذى شعر به..
- (ياسين).. إنت لسه بتخبئها؟ لسه عايز تتجوزها؟
- ارتبك (ياسين)، فضحك (أحمد) ملطفاً الأجواء..
- ما تغلغش.. هجى ما عملتشن حادثه ولا حاجه.
- عدل الطبيب من وضع عويناته على أنفه مغمغماً:
- بعد الشر عليها.
- خبيبي يا دوك.. تبغى لسه بتخبئها يا معلم.. يوم الخميس.. لأ الأربع بعون (اللهم) ع تكون خطوبتها مفسوخة.. مش ع أكلها نكلمك، ولا ع أجبب سيرتك إلا طاً الأمور تنتهى تمام.. واخد بالك يا دوك.. هجى.. (رانيا) اللي ع نكلمك، وح نقول لك إنها لسه بتخبك وعايزاك.. بعنى ما فيشن ساعتها جراح قد يحد، وكراحتي، والحاجات دى.. إنتو الإثنين إنجرتو، وأظن إنت فاهم ده كويس.. فياريت لو الطلع الأولانيه تكون دلح وحب كده.. مش عتاب، وغم بغي، والحاجات اللي ما تأكلش عيش دى.
- حدق (ياسين) فى وجه (أحمد) المائل نحوه..
- هو حضرتك بتشتغل إيه؟
- ضحك (أحمد) واعتدل..

- حضرتي حسب طريقة كلامي كره شعاع في فرن.. بس الحقيقة دعابة وإعلان.

مد يده يصافح الطبيب المضطرب معلنا سعادته باللقاء، وسأله هذا قبل أن انصرافه:

- طب ووالدتها؟ مدام (نوران)!

أجابه (أحمد) بثقة:

- الكلام اطره دى مع باباها.. الحاج (منصور عبد الله).

وأشار للطبيب بالتحية، وغادر الغرفة.

رفض (أحمد) أن يخبر (نورا) بهوية (ياسين).. لم ينجح فى تحديد سببا واضحا لذلك.. تحدت عن مناقصة وزارة الإتصالات، وأعلن أنها قد تم إرسالها على مؤسسة (الراسى)..

- تأخرت فى مكتبى كى لا ألقى جموع اليائسين.. (أحمد وجيه) زارنى وكأنه يقدم لى التعازى.

- لا تنس يا (أحمد) أنك حصلت منهم على مبلغ جيد نظير الانسحاب.. سينسى الأمر خلال أيام، وسيرزقنا (الله) بمكاسب أفضل، وبدون مخاطر، وألعاب دنيئة.

لم يناقش الأمر.. رفع الصوت الخفيض لمشغل الـ (MP3) بالسيارة، ولم يتحدثا لدقيقتين.. حتى قامت (نورا) بإطفاء الجهاز، وتساءلت عن شعور (أحمد) بلقاء (وليد) صانعة من الأمر حدثا مثيرا.

- فى البداية.. شعرت أن من المستحيل التصديق أن (وليد) قد تغير كليا، أو ربما لم أحب تصديق ذلك، ثم انتبهت لحقيقة أننى - شخصا - قد تحولت لرجل آخر فى أقل من شهرين، فما بالك بخمسة عشر عام!!

ابتسمت وهى تطالع جانب وجهه، ثم أعلنته سعادتها بمرافقتها له. رمقها بنظرة جانبية، ثم هز رأسه بلا أن يجيب، ولم تعلق هى على ذلك لأن ابتسامته الصغيرة بدت ذات مغزى.

توقف عند أحد فروع متجر حلوى شهير، وانتقت هى كعكة أضاف هو لها صنفا آخر، وطرقا باب شقة (ميना) بعد قليل.

فتحت (إليان) الباب مرحبة، ثم ظهر زوجها من خلفها.. احتضن (أحمد) وكأنه يلتقيه لأول مرة منذ سنوات الافتراق، وصافح (نورا) بفرحة واضحة.
- (وليد) بالداخل.

دلف (أحمد) إلى غرفة المعيشة فى مقدمتهم، وعلى وجهه ابتسامة. بدا أثر المفاجأة واضحا على الجالس على الأريكة، والذى نهض ناطقا اسم (أحمد) بذهول.

كان (وليد) قد قام بإطلاق شاربه، وازداد بدانة، وأصبح يقتنى كرشا من النوع البطيخى.

تعانقا، وخبطا ظهريهما كثيرا، و(وليد) يسأله عن حاله، ومتى عاد. جلس الجميع يتجادبون أطراف الحديث، وبدتا (نورا) و(إليان) أكثر ابتهاجا باللقاء من الأصدقاء الثلاثة أنفسهم.

ربما لأن (أحمد) كان ذكيا، وربما لأن صداقتهم القديمة كانت وطيدة.. فهم العائد من خارج البلاد أن تاريخ صلاحية صداقته ب (وليد) قد ولى.. حرارة لقاءهما خبت تدريجيا حتى تلاشت خلال دقائق.. إشادة ضابط الشرطة بتذكر (أحمد) له، و(ميना) بعد كل تلك السنين بدا انتقاصا من قدر صداقتهم.. كأن يقول لك أعز أصدقائك وهو يودعك "إبغى خلىنا نسمع صوتك".. فتشعر بارتباك ولده هو دون قصد ربما، وتفكر فى شئ على غرار "أنا كنت ناويع أكلك بكرة!".

المهم.. بجانب هذه الأفكار أدرك (أحمد) دون عناء أن (وليد) يتعالى على (مينا) بعض الشئ.. كان هذا مدفونا فى طريقة تحدث الضابط مع صاحب المنزل، وزوجته، وتذمره حين طالبه (مينا) بإطفاء سيجارته، ونظرته نحو (إليان)..

- يا عم ما هج مش حامل أهي!

لا أحد يقول ذلك بعجرفة عن امرأة تعاني من مشاكل فى الحمل، والإنجاب..
لا أحد مهذب على الأقل.

أطفأ سيجارته راطنا بشئ ما جاعلا (أحمد) يبدأ فى الجز على أسنانه.
كان (مينا) يتحدث إلى (نورا) معظم الوقت عن (أحمد)، ومغامراتهم القديمة..
ذاكرا شئ عن مشاجرة ما، أو ذكرى مضحكة، أو حقيقة عن (أحمد) كأنه كان
لاعب كرة ماهر، وكان يقود بسرعة، وبراعة منقطعة النظير.
(وليد) كان يتململ فى جلسته، ويكتفى حين يُسأل بردود مقتضبة، وأحيانا
بمجرد إيماءات.

سأله (أحمد) بنصف ابتسامة:

- فَاكْر يَا (وليد) يَوْمَ مَا كَلَّمْتَنِي، وَقَلْتِ لِي تَعَالَى عِنْدَ (اطول) اللّٰحِ فِي (مَدِينَةِ
نَصْر) عِلْشَانِ الْعِيَالِ اللّٰحِ غَلَسُوا عَلَيَّ (مينا)، وَجِئْتِ لَكَ لَعِينَتِ جَيْشِ شَعَامِينَ
كُلُونَا عِلْقَةَ مَوْتٍ لَيْلَتِهَا.
- بَعْنِي.. فَشَن فَاكْر أَوْيَّ يَا مَعْلَم.

كان متحفظا.. بعكس (مينا) الذى قهقه بصخب..

- بَقُولِ لَكَ إِيَّهَ يَا (أحمد).. طَاطَا فَاتَ أَكْثَرَ مِنْ ١٠ سَنِينَ عَلَى الْوَاقِعَةِ.. فَمَنْ
حَقَّكَ تَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ.. (وليد) كَانَ ضَارِبَ لَيْلَتِهَا مَا مَعْمَى.. مَا كَانَتْ شَايِعَةً
فَرَامَهُ أَصْلًا.

لم تعجب الذكري (وليد) بأى حال.. سأل عن الطعام فقالت (ليليان) أن كل شئ
جاهز.

كان أصحاب المنزل كرماء جدا.

وبعد العشاء الفاخر الذى بذلت (ليليان) الكثير من الجهد لتحضيره، واستنزف
الكثير من المال أيضا.. وقفوا جميعا فى الشرفة الواسعة.. مقسمين لفريقين
حسب النوع.

تابع (أحمد) حديثا هامسا بين صديقيه بدا فيه أن (مينا) يتلقى التقريع،
والتوبيخ، وحين واجه (وليد) عيني من تعلّم منه الكثير عن الحياة قال مفسرا:

- أنا دلوقتي يا صاحبي رئيس مباحث.. ما بنفعلش بقول ضارب، ومعنى، والكلام ده!
- وبروح أمك هو قال كده قدام مين بعني؟
- كان (أحمد) راغبا فى إفاقة من يبدو منتشيا أكثر من اللازم.
- لا يا (أحمد) ما بنفعلش برضو.. إنت معاك واحدة أول مرة تشوفنى.
- معايا واحدة! حد قال لك إنج جايدها من ع الناصبة؟
- تدخل (مينا) مدركا أن الأمور بدأت فى التعقّد..
- إيه يا جرعان! صلوا ع النبي.
- ونادى زوجته ليقدم الشاى فى غرفة المعيشة، وعاونت (نورا) (ليليان)، وأعدت قده (أحمد) الذى نهض، وأمرها بحسم أن تجلس ولا تواصل ذلك.. لم تفهم مقدار جديته لكنها أطاعته، ولاحظت فى عينيه نظرة متحفزة لبقية الجلسة.
- انتهت آمال إحياء صداقتها مجددا حين ضبط (أحمد) (وليد) وهو يحدث بـ (نورا) وهى منحنية لصب الشاى.. نظرة طويلة وقحة متفحصة.. دون محاولات تخفى حتى.
- حين قرر (أحمد) الانصراف.. نهض (وليد) بدوره، ورافق (مينا) ضيوفه إلى الشارع.
- رأت (نورا) الاثنين (أحمد) و(مينا) منمكين فى حديث جانبي انتهيا منه، وأقبلا نحو السيارة، وسمعت (مينا) يقول متأثرا:
- والعدرا (مريم) ما ع بنفع اللى إنت بتعمله ده!
- يا عم أسكت بقى.. غور فى دا هيت.
- صمت الشاب، وأطرق، وهز رأسه مرتين.. تجاهل (أحمد) (وليد) تماما سائلا (نورا) عن الهررة، ووجوب العودة إليهم سريعا.
- أنا سايبه لهم أكل كفايه.

انطلق رنين هاتف (أحمد) فأجابه، والتفت إليه الجميع لتصاعد طريقته فى الرد على محدثته..

- أبوه يا (دعاء).. إيه؟ (الكوربة) إمتح؟ أنا فى (مصر الجديدة) أصلا.. ح أجى لك حالا.. كلمينى أول ما تعرف فى المكان.
أنهى المحادثة صائحا فى (نورا) أن تستقل السيارة، ووثب هو فى مقعد القيادة منطلقا متجاهلا نداءات (مينا) عليه.

أن تأتى بشخص يمر فى الشارع، وتطالبه بترويض أسد غاضب.. كان هذا هو موقف (نورا) وهى تجاهد لتهدئة (أحمد)، وفهم الأمر منه.. أوضح بعدما طالبها بالصمت وهو يقود كالمجانين:

- (شذى) راجح شغف (الكوربة) تانى.. شغف الطراج.
لم يكن قد قص لها كلمة عن لقائه ب (باسم).. لكنها لم تسأل عن تفاصيل.. تمسكت بمقعدها محاولة كبح جماح غضبه لكن هذا كان شبه مستحيلا.
إتصل ب (دعاء) مجددا عند بلوغه (الكوربة)، والتقيها فى شارع جانبى أمام بناية قصيرة.

وكانت (نورا) مستعدة للموت كيلا يصعد (أحمد) إلى البناية، وبيده رافع سيارات فولاذى انتزعه من الحقيبة الخلفية لل (المرسيدس).

- و(الل) العظيم ما ح أسبلك تطلع بيه.
كانت تواجهه عند مدخل البناية.. تمنت لو كانت أطول، وأضخم.. لكنها كانت حاسمة كأم تخشى على صغيرها، ولا تخشاه أبدا.
طالبها بالابتعاد لكنها كانت عنيدة بدرجة مستفزة.. تطالبه بالهدوء، وهى تنهار داخليا من التوتر، وتكاد تبكى.

حين بلغتهما (دعاء) بعدما أحكمت إغلاق (المرسيدس) التى تركها (أحمد) مفتوحة ومُدارة.. كانت (نورا) ترجو الرجل الثائر بنبرة مؤثرة جدا:

- عشان خاطر حى يا (أحمد).

أطلق صيحة ملل، وألقى الرافعة الفولاذية أرضا بعنف مطالبا الفتاتين بتركه والخروج من البناية.

ظهر (مينا) بغتة مندفعا نحو الفتاتين من خلف (أحمد).. لا أحد يعرف كيف لحق بصديقه.. حتى هو ربما، لكنه لم يسأل عن شيء.. هرع صاعدا درج البناية فى إثر (أحمد)، وكأنه مبرمج على ذلك مسبقا!

صعدتا الشابتان خلف الرجلين بحذر.. موسيقى صاحبة تصدر من داخل شقة بالطابق الثانى هى ما استوقفت (أحمد) وجعلته يطرق الباب طرقا بوليسيا بحثا.

أزاح الشابة التى فتحت له الباب، واقتحم المكان كثور هائج حقا. الردهة خافتة الإضاءة الممتدة أمامه كانت تضم ما لا يقل عن عشرين من الشباب من الجنسين.. رائحة مخدّر (الحشيش) خانقة، والأجواء تبدو موبوءة إلى أقصى حد.. لمح (شذى) فازداد اندفاع الدماء فى عروقه.. أطلق سبابا، ومال يلتقط (جيتار) مسندا إلى الجدار بدأ يحطم به بعض المحتويات القليلة الموجودة بالمكان مثيرا نوبة ذعر عاتية فى الموجودين. ما فعله (مينا) كان جديرا بالإهتمام.. فقد اندفع نحو شاب قريب، وكال له لكمة بكل قوته صارخا:

- جريم إيه يا ولاد ال (...)!

ابتعد الشبان عنه بهلع.

لم يكن يفهم شيئا.. ربما اعتقد أن جميع المتواجدين بالشقة قد آذوا صديقه بشكل ما، وكان مستعدا للموت بالمكان إذا لزم الأمر.

تكلم (أحمد) بصوت جهورى:

- لو إنتو شوبه عيال زباله ما لعيتوش اللع برئيلكم.. ما تسحبوش معاكو اللع

أهلديهم تعبوا فى تربيتهم.

توقفت الموسيقى مع نهاية صرخة (أحمد).. السجائر كلها انطفأت، وقدر كبير من الملابس تم ارتداؤه على عجل.

ألقي الرجل (الجيتار) على إمتداد ذراعه، ثم نطق اسم اخته بصرامة مخيفة.
تقدمت (شذى) منه وسط حالة من الصمت لفت المكان بسكون مباغت.. حتى
إن خطوات (شذى) كانت تدق فى عقول الجميع.
حين دنت من (أحمد) فوجئ بأن غضبها قد انتصر على ذعرها.. تجاوزته
مندفعة إلى الخارج بينما كان هو يضمن أنها لن تكون محل ترحاب هنا بعد
ذلك.. أبدا.

استدار ليتبعها بينما بصق (مينا) نحو الموجودين، وسبهم مجددا قبل أن
يغادر الشقة!

شهد (أحمد) مشادة بين اختيه على الدرج، وأثار جنونه أن (شذى) دفعت (دعاء)
بغضب، وهى تهبط بنسق حركى ثائر.
تبعها حتى جذبها من ذراعها فى مدخل البناية تقريبا..

- إيه؟ صدمة عاطفية ع تخليكي تدمر مع نفسك، وتبيعي دعاغك؟
- إبعد عنى يا (أحمد)، وما لكشن دعوة بيا.
- ما ليشن دعوة بيلكى!! طب قسما ب (الله) لو حسيت بسن إنك قريت لسيجارة
تانى، وكا للشعة الزباله دى.. لأوربكى أيام سودا.

حاولت (شذى) تحرير ذراعها منه.. حاولت جاهدة، ثم صاحت فى ثورة:

- إنت صدمت نفسك؟! ع تعمل نضيف يا تربية الشوارع إنت!!
- بُهِت.. تلقى ركلة عنيفة تحت الحزام.
أفلت يدها، وهو يسحق أسنانه.
ارتعدت أصابعه، وعضلة فى فخذه من فرط الانفعال.
ازدرد لعابه، وتحرك أخيرا مغادرا البناية.
ومن خلفه.. تقدمت (دعاء) من (شذى).. وقفت أمامها لثانية ثم صفعتها على
وجهها بعنف.

أعادت (شذى) وجهها ذاهلا نحو اختها، ورفعت يدها ممسكة بموضع الصفعة،
فقال (دعاء) بتماسك مصطنع:

- ده اللي كان لازم أخوك بعمله.

ثم غادرت البناية مع (نورا)، و(مينا) الذى التقط رافع السيارات الأسود من المدخل.

أحاطوا بـ (أحمد) عند (المرسيدس)..

احتضنته (دعاء)، وهى تستحلفه ألا يغضب بينما كانت (نورا) تبكى بحرارة دون صوت.. تريد دعم حبيبها، ولكنها تتمزق داخليا لأجله.. تنظر فى وجهه المتجهم بحرقة حقيقية فى قلبها.

رفع يده أخيرا يربت ظهر (دعاء) قائلا أنه لم يحدث شيئا.. أزاحها برفق، واستند إلى السيارة، ولاحظت (نورا) أنه لم يلتفت نحوها.. نظر إلى (مينا) المُطرق برأسه، ثم تبادلَا بسمة باهتة قبل أن يجذبه (أحمد) أسفل ذراعه، ويربت كتفه بإمتنان..

- إنت لحقتنى إزاي؟

- مش عارف صدقنى.. أنا بفكر أدخل الـ (Auto Cross).

ضحك (أحمد)، ثم التفت ببطء نحو (نورا) التى دنت منه، واحتضنت كفه بأصابعها.. كانت تنظر إليه، ولا يهتمها ما تقوله عيناها له.. هز لها رأسه مشجعا، وظل ممسكا بيدها، والتفت إلى (مينا)..

- بس إنت لسانك بقى زفر أومى بلا يا (مينا)!

ابتسمت (نورا)، وضحكت (دعاء).. لاح على كليهما الحرج، وازدادت (نورا) احتراما للرجل - رغم الحقيقة التى ذكرها (أحمد) - حين قال:

- عصبونى يا صاحبى.

ضحك (أحمد) معاودا التريبت على كتف صديقه القديم.

بعد قليل دار (أحمد) مع حبيبته حول السيارة، ولم يترك يدها إلا بعدما لثم أعلى أصابعها.. فكّرت، وهو يدور حول السيارة أن من الأنسب أن تطالبه بإعادتها إلى منزلها فورا.. فتورة بركان مشاعرها تلك كانت عاتية.. فور أن استقر فى مقعد القيادة سألها:

- تاكلجى (آبسن كرمج)!

- بلأ بينا.

هكذا كانت تدير أمورها فيما يتعلق به.. إرادة فولاذية، وقدرة مدهشة على السيطرة.

فى المتجر القديم القريب شعرت بمتعها الطفولية، وهى تتذوق ما طلبه (أحمد)، وتطالبه بالمثل، ولاحظت أنها أحببت عامل المطعم العجوز حين ناداها بلفظة (Madame).

الجدير بالذكر أن (أحمد) حين تركها أمام منزلها كانت قد أزالته هممه كما لو كانت ساحرة.

وواصلت إبهاجه برسائلها على هاتفه، والتي تعلنه فيها كم تحترمه، وتكن له التقدير، والود!!

بعد قليل تحدثا تليفونيا لساعتين وهى تتمدد على أريكتها فى غرفة المعيشة، وهو يقف بشرفة غرفته بالفندق، وخلدا إلى النوم بعدما صليا الفجر.. استيقظ هو بعد دقائق معدودة لرنين هاتفه.. انزعج حين رأى اسم العقيد (إبراهيم) على شاشة الهاتف حتى إنه اعتدل من رقاذه قبل أن يجيب الإتصال بقلق.

- بلطجيت هجموا على الشركة، وولعوا فى الورشة.

ذاب أثر النعاس عن عقله وأطرافه مباشرة.. غادر الفراش شاعرا بألم لكمة ما بعد انتهاء المباراة..

- حد فانت؟

- لأ الحمد لله.. بسن ٣ من رجالتي فيهم كسور وحروق.

حين وصل (أحمد) إلى الشركة كانت سيارات الإطفاء تقف أمامها، ورجال الحماية المدنية، والشرطة يحيطون بالمدخل الذى طالته النيران بدوره، وأثار التفحم على الواجهة تنبؤ بحجم الخسائر الداخلى.

لم يسمحوا له بالدخول، ولكن أحد من شاركوا فى عملية الإطفاء تطوَّع بأن ينقل له الوضع.. الورشة احترقت عن آخرها، وطالت النيران ردهة الطابق الأرضى، والمصاعد، ولكنها بفضل (الله) لم تمتد لطوابق أخرى. وقف (أحمد) متجهما يدلى بأقواله لرجلى الشرطة الواقفين.. قال أن لا معلومات أو شكوك لديه، وكان يغلى داخلها كمرجل ضخم.. ليس لأن احتراق الورشة يكبده خسائر ضخمة، ولكن لشعوره بأنه تقاضى الثمن مقدما.. ثمن إحراق الشركة، وربما أشياء أخرى. الغصة فى حلقه جعلت كلماته معدودة، وبحساب.

لم يبتعد العقيد (إبراهيم) عنه، وكان الضابط السابق يدرك ما يمر به الشاب، ويلم بأبعاد الوضع الدقيق.. حين انصرف رجال الشرطة.. قال مسئول الأمن لمديره:

- **ولا بهمك يا ريس.. فافيش حاجة زى دى ح تتكرر نايه ياذن (الله)، وح نأمن نفسنا زيادة.**

هز (أحمد) رأسه، وطالب الرجل بأن يتكفل أفراد أمن النوبتجية الصباحية بإخبار جميع الموظفين بتوقف العمل بالمبنى مؤقتا، وحتى يتم إخطارهم باستئنافه.

فى طريق عودته إلى الفندق إتصل بسكرتيرته فأيقظها، وطالبها بالتواصل مع شركة التأمين، وطلب حضورهم للمعاينة، وتقدير الخسائر. فى العاشرة إلا الربع أجاب الطرقات المتوترة على باب غرفته.. فتح الباب ليواجه (نورا) الواقفة، ومشاعرها على وجهها بشفافية مذهلة.

- **حرام عليك يا (أحمد).. قافل موبالك ليه؟**

بدت رؤيتها مريحة، لكنه كان مُثَقَلًا بالهم.. استدار وعاد إلى نفس مكانه قبل أن يفتح.

دلغت هي إلى غرفته ملتاعة لرؤيته مهزوما.. بدا كأن هناك من ألقاه أرضا بجوار الفراش.. يسند ظهره إليه.. دون قميصه، ويتطلع من باب الشرفة المفتوح حتى نهايته.

جثت على ركبتيها بجواره، ومسّت ذقنه بيدها لينظر إليها.

- يا حبيب فذاك الدنيا كلها.. إوعى تزَعَن نفسك عِلشان خاطرِي.. مافيش حاجة تسألوك زعلك و(الله) العظيم.

قالت ما أردت قوله، وحدّق هو بوجهها الجميل.. بدا مبهوتا أمام شئ مختلف لم يشهده في عمره كله.. لو أراد علماء النفس صورة توضيحية لصدق المشاعر.. لاختاروا وجهها الآن.

كانت عيناها ملتفعتين بدموع الحب على الأرجح.. مالت نحوه، فتوقف قلبه عن النبض بغيّة، وهي تطبع قبلة حانية على وجنته.

وحين تراجعت برأسها.. تجلّت ابتسامة مذهلة من بين مشاعرها المتفجرة لتواسيه، وتشجّع، وتصارحه بعشق لن يجده في أية ابتسامة أخرى.. شعر أنه لن ينس تلك البسمة من بين كل ابتساماتها الفاتنة.. كانت مصحوبة بصوت همهمة رقيق، وأفلتت معها دمعة وثبت من بين أهداب الشابة على حين غره، وهي تترك كفيها الناعمتين على ذراع الرجل الذي تخبط لثوانى حرجة بين أمواج متلاطمة جرفته، أو كادت.. ازرد لعابه أخيرا، ثم تنحج..

- أنا كوَيَس يا (نورا) الحمد لله.

نهض واقفا ففعلت بدورها.. جلس على الفراش محاولا انتزاع نفسه من مجال سحرها الذي ينخر كيانه.

- طب إنكلم.. قول لي حاسس بإيه؟ بتغلّر في إيه؟

نطقت سؤالها، وهي تجلس بجواره.. اللعنة!! لماذا لا تلتزم بقانون المساحة الشخصية الخاص بها؟! ولماذا تبدو على هذا القدر من الدفء، والرقّة؟!!

- يا (نورا) أنا كوَيَس الحمد لله.

ربما بدا أحمقا فى تلك اللحظات.. لكنه أدرك فيها أن (نورا) تعنى له الكثير جدا بحق.. وأكثر مما تصوّر هو شخصيا.

وربما لو كان رجلا آخرًا، أو كانت هى أنثى أخرى.. لحصل منها الآن على كل شئ يمكن أن يريده هو، أو تقدمه هى.

لمسّه لفيض مشاعرها بهذا الوضوح جعل قلبه يعانى ضعيفين من العذاب.. أهو معقّد، وغبى إلى هذه الدرجة! ألا يزال فى حاجة لمزيد من الوقت للعين ليجزم بأنه يريد إكمال عمره بجوار هذه الحسنة!

عموما.. كان المهم الآن أن يفلت منها بأى ثمن.. رسم ابتسامه مزرية على محياه، وقال ببلاغة أديب محنك غنى المفردات لا يكرر نفس الجملة أبدا:

- الحمد لله يا (نورا) أنا كويس.

ثم وقف مرة أخرى، وانحنى يلتقط قميصه الملقى أرضا ملاحظا أن أنفاسه متسارعة..

- إيه رأيك تروحى نغظري؟ قصدي نغظري مع بعض بعنى؟

وواصل داخل عقله:

- خليلي قاعده بعنى أبوس إيدك.

- موافق طبعًا.

ظلت جالسة بفضل (الله)، ولم يحاول هو التأنق، أو ارتداء ساعته حتى.. تراجع عن فكرة أن يضرب وجهه ببعض الماء متخوفا من هجوم جديد منها! التقط سترته..

- بلّا بينا.

راقبها تنهض عن الفراش متوترا.. تقدّمت لتلتقط زجاجة عطر مماثلة للتي يضعها بمكتبه، ورشّت منها فى يدها ثم وضعتها، وفركت كفيها معا، واستنشقت أصابعها بعمق، وابتسمت بطفولية بها لمحة كأبة معلنة:

- جيبها أوى مجر.

ومرّت بجواره لتفتح الباب.. بينما تابعها هو بنظرة تتهمها بالمزاح.

رفع نظره إلى سقف الغرفة، وتنهّد بغم مفتوح، ثم تبع أثقل ضيفه زارته في حياته، وأكثر من أراد الخلاص منها سريعاً.

لم يتحدث كثيراً عن الحادث.. ذكرت (نورا) بضع حقائق.. منها أن الأمور كانت لتصبح أسوأ بكثير لو كانت المناقصة قد آلت لشركتهم، وأن خصومهم حاولوا تسديد ضربة انتقامية للاستفزات التي عانوا منها، وأن التأمين سيتكفل بإصلاح الكثير من الخسائر بالتأكيد.

قضايا اليوم معاً، وأنسته معاناته بخصوص أى شئ سوى مشاعره نحوها.. طلبت منه أن يصطحبها إلى النادي الذى قلّمها تذهب إليه رغم متلاكها بطاقة عضويته، وانقضى النهار وهما يسيران فى أنحاء المكان، وحتى حول الملاعب.. أكلا حلوى قطنية، وشربا عصير مانجو، ولعب (أحمد) كرة القدم فى ممشى العائلات.. مع ثلاثة أطفال، ووالدهم.

انتبه (أحمد) إلى أنه نسى هاتفه بالفندق حين تلقت (نورا) إتصالاً من (دعاء) بعد الظهر.. تحدّث إليها فأخبرته برقم هاتف خطيب (رانيا)، وبأن (حسن) سيزورهم بـ (الإسماعيلية) يوم الخميس.

وبعدما أنهى المحادثة مع اخته أجرى (أحمد) إتصالاً بالرقم الذى حصل عليه منها.. ابتعد عن (نورا) بضع خطوات، واستغرقته المحادثة أقل من دقيقتين.. تحدّث بتهديب، وطلب من الشاب أن يحضر لملاقاته غداً ظهراً بمزرعة (منصور) لأسباب سيعرفها بمجيئه.

سأل (نورا) عن رقم سكرتيرة مكتبه، فأخرجته له من الهاتف.. إتصل بالشابة ليلى بالمستجدات.. فقالت أن مندوب شركة التأمين سيزور مبنى الشركة اليوم فى الساعة مساءً، وطمأنت رئيسها أنها ستكون حاضرة فى الموعد.

حين دنت الساعة من الساعة كان (أحمد) يوقف (المرسيدس) عند طرف ساحة الانتظار الأبعد عن المدخل ملاحظاً استمرار تواجد بعض من رجال الحماية المدنية، ومدّمهم لشريط تحذيرى أصفر يقطع المدخل.. استرعاه تواجد عدد من عمال الشركة.. بعضهم يقف بالساحة، وبعضهم يفترش

الأرض قرب جدار المبنى.. رأى سكرتيرته تقف مع العقيد (إبراهيم)، وعدد كبير من أفراد أمن المبنى، وكأن رئيسهم استدعاهم جميعاً.. لكنهم لا يرددون الزى المخصص لهم.

لاحظت (نورا) تجهّمه، وأطاعته حين طالبها بانتظاره بالسيارة. رأت العمّال يهرعون نحوه، ويحيطون به حتى توارى عنها تماماً. فى الأيام الأخيرة بالشركة لمست حب الجميع تقريباً لـ (أحمد)، وأسعدها ذلك بشكل فائق، وبدت فخورة به جداً.

حين عاد إليها بعد نصف الساعة تقريباً كانت تقف قرب السيارة.. قال أن معاينة الخسائر تتم الآن، وأن بإمكانهما الانصراف بمجرد معرفتهما بأى تفاصيل عن فحوى التقرير الذى سيكتبه مندوب شركة التأمين.

فوجئ بـ (نورا) تصرخ محدّرة، وهى تجذبه من ذراعه بكل قوتها.. رآها تتلقى ضربة هراوة بكفها.. ضربة كانت لتشج رأسه.. رأى السائس القصير، ومعه رفيق له يهاجماه.. تفادى ضربة جديدة، وأمسك بالهراوة السوداء القاسية، وتلقى لكمة فى صدره سرعان ما ردّها فى أنف صاحبها، وهو يجذب الآخر من سلاحه ليُسقطه أرضاً.

"(أحمد) يبه بيتخانوق يا رجاله"

سرعة إنضمام العمّال لموقع المشاجرة كانت قياسية.. فتكوا بالرجلين بينما وثب (أحمد) كالمجنون نحو (نورا) التى أنزلت عينها عنه حين اطمأنت عليه فقط.. كانت تمسك بيدها اليمنى، ووجهها يجسّد الألم.. تعض شفتها السفلى بينما تسيل دموعها بصمت.. أسرع يضعها بالسيارة، ويثب فى مقعده لينطلق بـ (المرسيدس) التى أطلقت إطاراتها صريراً حاداً قبل أن تندفع مستجيبة لقائدها الذى قام بمناورات كانت لتسبّب حوادث لو كانت أبعاد السيارة تزيد بمقدار سنتمتر فحسب.

توقف أمام أقرب مركز طبى، وشعر بقلبه يتمزق، و(نورا) تنتحب بألم كطفلة بينما طبيب الطوارئ يغمر موضع إصابتها بـ (Spray) مسكّن للألم.

التشخيص الأولى كان بصوت خفيض احتراماً للقلق فى ملامح (أحمد):

- إن شاء (الله) ما فيش كسر فى صوابها.. ح نعمل أشعة ونظّم على حالة العضم.

- بسن إيدها وارمة أوى يا دكتور .

- أثر الخبطة.. مكن شرع.. مكن أربطة.. حضرتك إهدى بسن.. ح نعمل الأشعة، وإن شاء (الله) الألم ح يقل بعد شوية صغيرين.

لم يفارق (أحمد) الشابة التى تحاول التماسك إلا ليحضر لها زجاجة مياه حين أعلنته عطشها، وحاولت إحدى الممرضات تهدئة الرجل بجمل لطيفة.. فقد كان ولأول مرة فى حياته يبدو منهارة بشكل ما.

فى طريقهما لمنزل (نورا) كانت الأعصاب أهدأ.. ابتاع (أحمد) لها طعاما، وحلوى.. وحين صعدا فتح هو باب الشقة، وأضاء الأضواء.. لاحظ أن الهررة هرعوا نحو صاحبتهم، وأخذوا يدورون حول قدميها، وكأنهم يرحبون بها.

ترك الطعام والحلوى على الرف الرخامى للمطبخ، وأسرع ليفتح لـ (نورا) باب غرفة نومها، فشكرته قائلة أن ليس عليه هذا.. كان الألم قد خف بالفعل، ورباط أبيض يحيط بكف (نورا) محكما حول إصبعي الخنصر والبنصر.

توترت جدا حين تقدّم من الفراش ليضع حقيبتها عليه.. كانت هناك ملابس خاصة بها متناثرة على الفراش، وعلى مقعد قربه.. ملابس خاصة جدا فى الواقع.. جعلته رؤيتها يدرك أنه اخترق مجالا ليس من حقه.. ألقى حقيبتها

على الفراش، وقال:

- طيب.. غيرى هدول على ما أكل المتشردين دول، وأجيز لك أكلك.

- ما تشغلش بالك بيهم يا (أحمد)، وكمان أنا مكن أغسل وشى بسن.. أنا كويسه.

- ماشى.. إعتبرى نفسك فى بيتك.. بسن بقول لك إيه..

- ههم.

- ما تلبسش حاجة م اللج على السرير دول.. مكن بعد ما أمشى أنا بقى.

اندفعت الدماء فى وجهها، وإتسعت عيناها قليلا.. أشاحت عنه قائلة بجدية شديدة:

- الحاجات دى مش بتاعتى أصلا.

ضحك..

- لو سلغاهم قوليلج من مين. وعرفينج عليها.

- بلاش قلة أدب. وإطلع بره لو سمحت.

تحرك منصاعا للطرد ضاحكا بصخب..

- طب أساعدك طه.. يا بنتج عشان إيدك.. ح نَعْدَمِي نَعْلَمِي وتلبسى إزاي لوحدك كده؟

- طه!! بسن أسكت.. وبلا بره.. إنت إيه اللي دخلك هنا أساسا!!

لم تفارقه ابتسامته، وهو يضع الطعام للهرة التى تبعته إلى المطبخ.. حين لم يجد إحداها طرق باب غرفة (نورا)، ورفع عقيرته:

- هج (مانجو) عندك؟

- أبوه يا (أحمد).. ح أجيبها معايا دلوقج.

حين خرجت كان هو يقوم بتقطيع شرائح اللحم لها.. إنضمت إليه فى المطبخ، واصطنعت عدم رؤية ابتسامته العابثة.. عدلت من وضع طرحتها، وتركت (مانجو) أرضا لتأكل.. الهرة، وليس هى.. فتناولها هى للطعام لم يكن يتطلب منها جهودا تُذكر فى تلك الليلة.. أطعمها (أحمد) فى فمها معظم الوجبة تقريبا.. لن تنس له أبدا - أو هكذا ظنّت - أنه رغم كل مشاكله اعتنى بها كطفلة.. حين شبعت قام بتنظيف الطاولة، وجمع القمامة، ووضعها فى الصندوق الذى يعرف مكانه.

حين استقر بهما المقام بالردهة.. أخبرها أن عليه السفر إلى (الإسماعيلية) فى الصباح..

- بسن إن شاء (الل) بعد الضهر ح تلاقينج هنا.

- هجى مشن (دعاء) قالت لك أن (حسن) رايح لهم يوم الخميس إن شاء الله! إيه اللي ح يرجعك؟
- خيلكي في حالك.. وبعد بن إنتي ح تخلي حد غيري بأكلك ولأ إيه؟
- (أحمد).. لأ.. علشان خاطرهم ما ترجعش، وتسافر تاني.. وأنا ح أخلّي (عامي) تيجي تقعد معايا لحد ما ترجع.
- صمت لثواني، ثم ابتسم..
- عجبتي أومي الجملة الأخيرة دى.
- لم تفهم ما قصده..
- بتكلم بجد.. مشن ح تسافر وترجع يومين ورا بعضن! ليه بعني؟
- السكّه مشن ح تاخذ وقت.. إنتي عارفه سواقتي.
- ما هو علشان أنا عارفاها مشن موافقة ع اللي بتقوله ده.
- ضحك مسترخيا فى جلسته.. يكاد يقسم أنه سعيد بمطالعة وجه صاحبة المنزل فقط.. رغم ما يمر به من أزمات.
- يا عيبطة أنا بتسوق من قبلك ما تتولدى.
- يا سلام! ليه؟ بتسوق من وإنت عندك ٥ سنين؟ بتخسنى إنك جدو بجد!
- اطفروصن إني أكبر منك ب ٧ سنين.
- ماكملوشن ٧ على فكرة.. مشن إنت لسه عيد ميلادك ال ٣٥ أول الشهر الجي؟
- ماشي.
- طيب.. كنت بتسوق عجل بقى قبلك ما أنا أتولد.
- عايز أشوف صورك وإنتي صغيرة.
- وتفضل مع باباك لحد الجمعة!
- ماشي ح أفكر.
- لأ ما فيش حاجة إسهها تفكر.. بيووه بقى.
- طيب خلاص ح أفضل.. بس لو كلمتي (رغدة) وقالت لك إنها ح تقدر تيجي، وتقعد معاكي.

إضطرتُّ أمام إصراره أن تتصل بأماها.. قالت لها أن إصابتها بسبب سقطة، وأكدت (رغدة) أنها ستُنهي عملها غدا مبكرا، وتعرج على منزل ابنتها وتمكث معها حتى الخميس.

تم تسوية الأمر، وأحضر (أحمد) (Photo Album) أشارت نحوه (نورا) فى مكتبة غرفة المعيشة، وجلسا متجاورين على الأريكة يتفحصان صورها وهى صغيرة.. حاول السيطرة على حماسه، وسعادته.. كان مأخوذا.. مستمتعا جدا.. فتنه الطفلة، والصبية كما تفتنه النسخة الشابة، وترسخ لديه شعور بأنه يعرف (نورا) منذ زمن بعيد.

حين إشتد ألم يدها نهضت لابتلاع قرصى مسكّن.. (أحمد) هو من قدم لها كوب الماء، فابتسمت له.. قالت بعدما أخذ الكوب منها مرة أخرى داعيا لها بالشفاء:

- حاسّة إنى صعبانة عليك أوى!
- مشن قادر أوصف لك قد إيه.. يا ربنا كانت دماغى، ومشن إيدك.
- بعد الشر عليك.
- مع إن ليا تجربت مشن حلوة مع الإيد دى نفسها من يومين.
- توترت.. هل كان يعاتبها؟ هل تعتذر؟ هل تستغل الفرصة لتعلنه أنها كانت فى أقصى حالات اضطرابها؟ لكنه لم يبد غاضبا رغم إعلانه الذكرى السيئة.. ردت أخيرا:

- ربنا جاب لك حقاك.
- فشن عابزة.. و(الله) بجد مشن عابزة، وأنا اللي آسف كمان على فكرة.. أنا لو كنت مكانك اليوم ده كنت أجرت بلطجية بضر بونى.
- ظلاً متسمرين لثوانى.. يتحاوران بالنظرات.

لفت انتباههما (بلانكى)، و(منص) يتقافزان عند قدمى (نورا).. فانحنى (أحمد) يلتقطهما.. داعبت (نورا) رأس الرمادى بأصابع يسراها، ثم قالت:

- بسن مشن متكبلة الحفارة بناعتهم بجد.. ده سايسن عربيات أصلا الغصير ده.

بدا مندهشنا لثانية، ثم هز رأسه:

- بئكرهيه إنتج! صبح؟

- جرا.. ده حيوان.. بس مستغربه إنهم.... إنت عرفت مين إنج بكرهيه؟

- لأ عادى.. من طرفك كلامك بعنى فهمت.

بعد قليل.. تبعته إلى الردهة بحثا عن (مانجو).. وجدها راقدة على الأريكة

كما تركاها بعد مشاهدة الصور.. أقبل عليها (أحمد) بحب، وضحكت (نورا)

لطريقته فى ملاعبة الهرة، ثم قالت:

- لازم تنام كويس النهارده.

- آه.. أنا شام رجى طرد كره.. عموما ع اللعب مع (مانجو) شويى وأمشج.

دافعت عن نفسها..

- لأ (اللهم) حرام عليك.. بس لو فعنا نتكلم شويى ع تلاقى أدان الفجر،

والشمس طالعه، وإنت فاختش إمبراع أصلا.. إنت بتعمل فيها إيه؟

كانت الهرة مستسلمة له تماما فى البداية، ثم شعرت (نورا) أن (مانجو) بدأت

ترغب فى الفرار منه، وهو يلعب معها بشئ من العته!

انصرف بعد قليل.. بعد أن طالبها بالعناية بيدها، واستحلفته أن يقود بهدوء.

بلغ (أحمد) مزرعة والده قرابة العاشرة صباحا، ووجد (دعاء) و(رانيا) فى

استقباله.. على وجهيهما إياء بارتكابهما مصيبة.. الرجل نفسه لم يكن

يشعر بالهدوء الذى يبديه.

(نوال) لم تكن تعرف شيئا عما يدور.. (دعاء) شرحت لأختها بالأمس فقط أن

اليوم سيتم فسح خطبتها، وكانت تلك مضطربة ومتوترة.. تخشى عواقب

الأمر، ولكن تسانده وتباركه بوضوح تام.

(دعاء) التزمت تماما بما طلبه (أحمد) منها، ولم تخبر (رانيا) شيئا عن لقائه بـ

(ياسين)، وكذا نقلت لـ (منصور) نفسه كل شئ، والعجيب أن العجوز بارك

المخطط بحماس منقطع النظير.

لم يكن (أحمد) يلقي بالا لهوية الشاب القادم، أو اسم عائلته.. كان يشعر أنه يُنهي علاقة ربما بنى عليها الشاب نفسه آمالا، وأحلاما ستتهدم بعد قليل.
وجد (رانيا) تحضر لفاقتين قرب الحادية عشر موضحة أنهما هديتا الشاب لها طوال فترة الخطبة.

- يا بنتي إيه شغل الفلاحين ده! أكيد مش ع ياخدوهم بعنى.
- إنت بتتكلّم عن مين يا (أحمد)؟ ده مش بعيد بقولك أنا عزمتها على العشا مرتين عايز فلوسهم.
- لأ بتهرجى.
- لأ يا (أحمد) مش بتهرجى.. ده جرد.. همّا ناس أغنيا أوى بس فظاع فى مواضيع الغلوس.

خفف هذا من شعور (أحمد) بصعوبة مهمته.. فقد كان يخفى تعاطفا مع الشاب بقدر ما.

عندما إتصل (سليمان) ليخبرهم بوصول الضيف.. اختفت الفتاتان، وخرج (أحمد) ليستقبل الشاب الذى لم يحضر وحده.. برفقته سائق، وسكرتير ربما، وسيارة أخرى بها اثنين من الحرس الخاص.. لاقاه (أحمد) بوجه خالى من الانفعالات، وقاده إلى غرفة المعيشة بالطابق الأرضى، وأغلق بابها عليهما لقراءة الربع ساعة، ثم غادراها معا، وأحضر (أحمد) للشاب هديته التين طلبهما، واستغرق ثوانى ليستوثق من وجودهما داخل اللفاقتين، ثم أخذهما وانصرف بصمت.

ظل (أحمد) متمسرا لثوانى، وفور أن أغلق باب المنزل هرعتا إليه الشابتان تسألانه بفضول عن الحوار الذى دار داخل غرفة المعيشة.

- ولا أئى حاجة!! خلاص.. الموضوع خالص.

أجابهما، وهو لا يخفى دهشته شخصا لطبيعة سير الأمور.
نقل بصره بين وجهيهما، وهما تمطرانه بالأسئلة الخافتة.. ثم قال بلهجة خاوية:

- هو أنا بصراحة كنت حاسن إنني جئ أدفّر حياة واحد، وما كنتش مرتاح خالص.
- هز رأسه، ومط شفتيه.. استحثته (رانيا) بشئ من العصبية:
- طب ده في الأول.. ودلوقتي؟!
- دلوقتي.. مش عارف أقول لك إيه.. أنا مبسوط أقسم ب (اللهم)..
- ضحكت (دعاء)..
- هو أصلاً مش فريخ خالص.. شغفت بينحرك جراسه قال بعني بقى.
- طبيب خلاص بقى أهو راح لحاله.. مش عايزين نجيب سرته تاني خلاص..
- وإنني يا (رانيا) ولا تحاولي تكلّميه، ولا تبعني له رسالَة حتى.. هي القصة خلصت على كره الحمد لله.
- أومات الشابة برأسها، فاستطرد بخبث:
- بس في غيرُه بقى مسنّني مكاتات ورسايك على نار.
- إيه ده؟ قصديك مين بعني؟
- قصديك مين؟!! يا بنت!
- إيه يا (أحمد) قصديك مين جدي؟
- كانت (دعاء) تشعر بأختها، وتريد أن تكون هي من تنقل لها الأخبار المبهجة..
- فقال بحسم وعيناها تبرقان من السعادة:
- (ياسين) يا (رانيا).. (أحمد) راح له العيادة.
- ابتسم (أحمد) مُطالعا وجه (رانيا) الذاهل، وهي تنقل بصرها بينه، وبين أختها وتراجع نصف خطوة..
- إيه يا بنتي ح نفعي من طولك ولأ إيه؟ صلّي على رسول (اللهم)..
- تركهما ليصعد لوالده ضاحكا.. وكان العجوز ينتظره.. تحدّثا لنصف الساعة، وحتى ظهرت (نوال)، فغمز (أحمد) لوالده الذي هز رأسه بأن اعتمد على..
- نهض (أحمد) بعدما بادل السيدة التحية، وتركهما ليشرح (منصور) المستجدات لزوجته.

ألقت (رانيا) بنفسها بين ذراعى الرجل بالردهة فى الطابق الأرضى.. كانت ممتنة.. متأثرة.. عاجزة عن الكلام.. إنضمت (دعاء) إليهما لتحتضنهما معا.. ربت (أحمد) رأس (رانيا)..

- **إنّى بتعطّى ليه دلوقتى؟ زعلانة على الهدايا ولأ إيه؟**
ضحكت (دعاء)، وظلّت (رانيا) تبكى، وكان هو يلتمس مدى احتياجها لبقائه واقفا فلم يتركها إلا حين فعلت هى.

- **عندكو قهوة هنا، ولأ إيه نظالمو؟**
ردّت (دعاء) بحماس:

- **عندنا قهوة وفطار كمان.**

كان قد تناول إفطاره بالفندق.. لكنه جلس مع أختيه بالمطبخ.. طلبتا من خادمتين هناك أن تغادرا، وبدأتا تعدّان معا البيض المقلّى، والفول لثلاثتهم. تفاجئتا بعد قليل باقتحام (نوال) للمكان، وهجومها على (أحمد) بصراخ بدا هستيريا تتخلله إساءات بليغة إلى الشاب الذى نهض واقفا بصمت.. لم ينتو رد الهجوم أبدا.. الانسحاب كان أفضل خيار.
تفاجأ مثل المرأة نفسها بأن رد الهجوم جاء من ابنتيها.. بدأت تصرخان تقريبا بدوريهما، وانقبض قلبه هو بشدة.

- **لأ يا ماما حرام عليكى.. (أحمد) عمره ما كان كده.. حتى وإحنا صغيرين كان**

دأما فى ضهرنا، وعمل لنا حاجات كثير خلوه.. إننى اللى ما كنتيش بتعرفى.

- **مكّن (شذى) تصدقك لما تقولى لها كده.. لكن إحنا لأ، وعلى فكرة يا ماما حتى**

لو كان زمان وحش عشان ظروفه.. هو النهارده أحسن منّا.. إحنا قدّمنا

له إيه؟

- **إننى يا ماما بتشتميه ليه؟ عشان راجع يصلح غلطتك؟ وبتك الصغيرة**

اللى طلعت بتحسش تقول له يا تربية الشوارع!!!! (اللهم) لو تربية الشوارع

طلعت راجل وجدع كده.. ياربنا إحنا كمان كنا إترينا زيّه.

كانت (دعاء) منفعة جدا بينما كان (أحمد) نفسه يقف مبهورا، وكل أعصابه مشدودة.. لم يكن يريد لهذا الموقف أن يحدث أبدا.. كاد يقطع تطور الأمور لولا أن سبقته (نوال).

شهمت (دعاء) لتلقيها صفة مفاجئة من أمها..
انكمشت، وسالت دموعها مباشرة..

- أنتِ أول مرة تعمليها .

احتضنت (رانيا) شقيقتها، وهي تصيح بأمرها:

- أنتِ زعلانة ليه إن يكون لبنا أع كبير مجننا، وخجاف على مصلحتنا!!

- بسن بقى.. من فضلكو كلكو كفاية.. وإنتو بتخانقو مع مامتكو ليه؟ علشان أنا؟! ده أنا راجع وكل أملى أشبط بسن في إحساس عيلة.. خلاص أنا السبب في خناق بينكو؟! يا (دعاء) ما تخليش موقف تجليكي تنسى فضل حد عليكى.. أمك دى تعبت طول عمرها علشان تربيكو، وتحافظ عليكوا.. ست محترمة.. بنت أصول.. كفاية إننا طلعتم كره.. زى ما إنتو كره.. كفاية إننا بتخدم جوزها العبان، وعابشة علشان تاخد بارها منه، وبتراعى كمان عياله من واحدة تانية.. لازم تعرفوا إننا مشن عابزة غير إننا تشوفكو في أحسن حال، وعلى فكره حضرتك صبح في إنك كنتي عابزة تبعدينى عن بناتك وأنا صغبر.. أنا لو كنت في مكانك كنت عملت زيك.. وممكن علشان كره أنا رجعت وأنا إنسان مختلف.. كان نفسى أشوفك فرحانة، أو بسن راضية حتى برجوعى في التوقيت ده.. بسن حتى الفرصة ما إدبنيها الليش، وأنا غصب عنى من جوايا ع أموت عليها.. عابزها بأى مهن.. حتى طا أبويا قال إنى إنسان كويس.. ما حسسش إننا كفاية.. ممكن بدور على أم تفخر بيا.. ممكن رهي دى الحاجه اللى نقصان في حياتى.. طول عمرك محسسانى إني صغبر أوى.. بسن الغيبة إني ماعرفتش أكرهك أبدا.. كنت داجا شايغك أم تشرف الواحد كره.. ربنا تجليكي لبناتك، وبغفرحك بيهم.

كان (أحمد) يتحدث بصوت حشرجه الانفعال.. حاول التماسك كليا، وكان هذا عسيرا جدا.

- أنا ح أمشى.. بناتك مشن ح يتجوزا من غير موافقتك.. بسن فى الزمن ده..
دورى لهم ح الحب.. عشان ما يرجعوش خسرا نين، وعيالهم على إيدهم.. ما
تتازليش عن حقوقهم.. بسن اشتري رجالة برضو.. ما تبيعيش بنات.
نظر إلى أختيه بحب، وابتسم، أو حاول على الأقل، ثم انسحب من المكان..
صعد الدرج مسيطرا على مشاعره المضطربة، ودلف إلى والده الذى سأله
بقلق عما قالت له (نوال)، وما إذا كانت قد أهانتة بأى شكل.
- مطلقا يا حاج.. تناولت الإفطار مع (رانيا)، و(دعاء)، وعلى العودة إلى
(القاهرة).

- هل توجد مشاكل تخص العمل؟
- على الإطلاق.. كل شئ على ما يرام.
- سيحزن (رفيق) لو علم أنك انصرفت دون أن يراك.
حاول الابتسام.. محاولة شبه ناجحة هذه المرة..
- سأراه غدا بإذن (الله).

كانت (رغدة) قد وصلت إلى ابنتها بعد الحادية عشر بقليل.. جعلت حارس
العقار يصعد معها حاملا الكثير من المشتريات لصغيرتها.. لم تنس أن
تنسوق من أجلها مثل كل مرة تزورها فيها، وشعرت بشئ من الذنب حين
لاحظت مدى طول الفترة التى لم تجلسا فيها معا.. أدركت حجم افتقادها لـ
(نورا) حين استكانت تلك الأخيرة بين ذراعيها لبرهة.

دللتها، وأخذت تمسدها بيديها متطلعة لملامح ابنتها الجميلة..
- زى العمر يا ناس.. حبيبى و(الله).
أصدرت (نورا) صوتا مع ابتسامتها.. صوتا طفوليا كعادتها، ثم عاودت احتضان
أمها..

- مامى.. عايزة أكلى لك عن (أحمد).
- أكلى لى يا روحى.. تعالى أدهن لك إيدك، وإكلى لى.

وقد كان.. ظلنا جالستين بالردهة لساعات.. تقوم إحداهما، وتعود.. أعدت (رغدة) الشاي لنفسها، والقهوة لصغيرتها.. وضعت طعاما وحليبا للهررة، واستمعت طويلا.. لكل شئ تقريبا، وبالتفاصيل، وأدركت لماذا تبدو ابنتها مهمومة.

- أنا عارفة يا مامي إننا ما بقالناس شهرين نعرف بعض.. بسن و(الله) مش قادرة خلاص.. مش عابرة أضغطة أو أستعجله.. بسن لحد إمتي!! في أوقات يا مامي يبقى خلاص ح أموت.. إمبراح قلت له يا حبيبي.. ماعرفتش ما أقولهاش، وبتجنن طأ أفكر في إنه ممكن ما بقولش حاجة أصلا.. تحبلي.. يرجع أميركا، وإحنا كده زج ما إحنا.. Friends.. ده أنا كنت أموت بجد.

- أنا فاهمة إحساسك يا حبيبي، وأهمية الكلمة بالنسبة لك.

قالت (رغدة) ذلك وهى تبدو كما لو كانت تحلل كل المعطيات لديها.

- مش عارفة يا مامي.. خايعة أومي بجد.. أنا متأكدة إنه عرف سنات كثير أومي، واللى بيكون كده عمرة ما بيتغير.

- لأ مش قاعدة يا (نورا).. ولو قاعدة ليها استثناءات برضو.. اللي خلأه يعرب منك هو إنك محتلفة عن كل اللي شافهم وعرفهم.. ولو هو معاك طول الفترة اللي فاتت، وبيصلي، وملتفي بأنه يحسك إيدك، وما طلبش، ولا حاول حاجة زيادة.. فكل ده معناه إنه ما بيعملش حاجة غلط مع أومي واحدة.. هو حبك، ويوم ما بات معاك في (الشالية) رغم تحفظاتي على النقطة ديم بالذات.. طلب منك تصلي، وكلمك عن قربه من الدين.. كان يقول لك إطمني، وبيحاول يصلي تغلرك ناحيته بعد ما حسن إن ممكن تغهميه غلط بعد اللي حصل منه هنا.. وطأ نيجي لخط ده كله جنب خوفه، وخبينه عليكي.. بدبنا على طول نتيجة واحدة.. إنه بيحبك، ولازم ح بصارحك.

- طب إيه اللي مأخره طيب؟

- يا حبيبي لازم تبقى فاهمة إنه بيتغير.. من يوم ما عرفك وهو بيتغير.. بيتحول لشخص تاني، وأكيد قال لك حاجات باطعن ده.. واللى بيتغير في فترة

قصيرة كده ما ببغاش نفسينه منطبطه.. سيبى له فرصة.. حرام.. شهر
ونص، وتقولى لى إناخر.. ده باباكي - (الله) برحمه - فضيل مجبى سلبى من
قبل النكسه لحد ما رجع من الجبهه أواخر ٧٣.. قال لى كنت عايز أدخل
بينكو رافع راسى.

- إنتى متعاطفة معاه هو يا مامى!!
- أبوه.. أنا أصلى حباه أووى الولد ده.
- مجرد ؟
- و(الله) حباه أووى.. مش عارفة ليه.. من يوم ما شفته تحت البيت عندى..
وتعرفى كمان.. لا يوق عليكى كده.. أول مرة أحسن الإحساس ده ناخبة حد..
ع يقول يا (نورا) ما تخافيش.. ع يقول لك كل اللى عايزة تسمعيه، وع بطلبك
منى كمان.. بس أنا ساعتها مش ع أوافوق.
- حرام عليكى يا مامى.

ضحكت الام، وإنقضت على صغيرتها تحتضنها وتقبلها..

- اللى ناقصه حبيبه زى (أحمد) كده ربنا بيعوضه فى جوازه.. وإنتى كمان ربنا
إن شاء (الله) ع يعوضك عن كل اللى تعبك السنين اللى فاتت.. ع يعوضك
بيه.. بس أنهم حاجه ما تطعيش كل أحاسيسك دى ساعة ما يقول لك
جيبك.. مسلكى نفسك كده، وتغلى عليه.
- ع أسيبه وأمشى لو عايزة.. بس هو يقول بس.

ضحكت الأم منهالة بقبالاتها على وجنتى ابنتها:

- يا هووى! هو ع بحسك نفسه إزاي قدام القمر ده! لازم ع يقول.
- شعرت (نورا) فى ذلك اليوم أن علاقتها بأماها فى أفضل حال لها منذ أعوام
طويلة.. لا تذكر أن (رغدة) دللتها بهذا القدر منذ صارت واعية للعالم.
ظل هاتف (أحمد) مغلقا حتى الخامسة مساء.. كان قد طمأن (نورا) لوصوله
إلى (الإسماعيلية) برسالة فى الصباح.. ما جعلها تتقبل أنه نائم، ولم تشأ
الإتصال ب (دعاء) كى لا تُصبح متطفلة.

فى الخامسة وردھا إتصاله.. اختلاف صوته جعلها تجزع، وإدعاؤه أنه استيقظ لتوه جعلها تضع تركيزها كله مع نبراته، وهو يحكى لها لأول مرّة عن فسخ خطبة (رانيا).

- (أحمد).. هناك ما يضايقك.. كما إننى أسمع صوت بحر.. أنت لست فى المزرعة.

صمت قليلا فنأدته.

- حدث ما ضايقنى بالفعل.

- مع (نوال)؟

- بلى.. غادرت المزرعة، ولكن لازلت بـ (الإسماعيلية).

صمتت معذبة، فقال بعد ثوانى:

- أنا بخير.

- احك لى ما حدث إذن.

- سأحكى لك حين نلتقى بإذن (الله).. كما سأخبرك بأمر هام.

تضاعفت سرعة ضربات قلبها رغما عنها، وأردف هو متسائلا:

- أأأ تريدان الذهاب إلى الساحل الشمالى لاستغلال العطلة الإجبارية.

كان صوته يحمل حنينا.

ردت ببساطة أخافتها:

- إذا كنت تريد ذلك.. فهيا بنا.

صمتا لثوانى، ثم سألها عن (رغدة)، وأوصاها أن تبلى سلامه لأمها، ووعدھا

بأن يتصل بها بعد قليل.. سألتها (رغدة) فور انتهاء المحادثة:

- ما هذا الذى "لو كنت تريده.. فهيا بنا"؟!

شعرت (نورا) بحرج..

- يرسل إليك تحيته بالمناسبة.

- شكرا.. أجببى سؤالى يا (نورا).

- يا (مامى) صوته حزين جدا.. سألنى لو كنت أريد السفر إلى الساحل الشمالي، ووجدت نفسى أجيبه بذلك.
- لا يا (نورا).. هذا لن يفلح يا حبيبتى.. ما من فتاة عاقلة تفعل هذا.
- أعلنت (رغدة) رفضا قاطعا للأمر، وحذرت ابنتها من الانجراف وراء مشاعرها بشكل مُبالغ فيه، وألمتها جدا دون أن تقصد حين قالت:
- إذا طلب منك ذلك.. فكرى فى علاقتك به ألف مرة.. فهو يهينك إن فعل.

كان (أحمد) قد قام بتشغيل هاتفه ليتصل بها فحسب، ولكنه لم يشأ تجاهل إتصال (دعاء) به.. خاصة أنها قد حاولت كثيرا.. طوال النهار تقريبا. حين أجاب أخذت ترجوه أن يعود، لكنه كان حاسما فى الرفض، ووعدها بأن يكون موجودا فى الصباح حسب موعد حضور (حسن).

قضى الليل جالسا على مقهى قرب القنال.. كان الطقس رائعا.. احتسى الكثير من المشروبات الساخنة، وبدا كما لو صار هو وعاملى المقهى أصدقاء.. دلّوه على فندق توجه إليه متكاسلا فى الحادية عشر.. قام بحجز غرفة لليلة واحدة، وصعد إليها مباشرة.. لم يشعر بالجوع رغم عدم تناوله شيئا منذ الصباح.

استلقى على الفراش الوحيد بالغرفة، وتلقى إتصالا من (رانيا) التى كانت تخفى السعادة فى صوتها لتظهر تعاطفها مع أخيها.. حاول بث نبراته بعض الحياة، وسألها عمّا دار مع (ياسين).

- مشن ح تهرجى.. طا قلت له إن (حسن) جى بكرة.. قرر يجيب باباه، وييجى هو كمان.

اعتدل جالسا على الفراش..

- لأ.. بتهرجى!!

صاحت تقريبا، وبفرحة غامرة:

- و(اللهم) العظيم ح ييجى بطلب إيدى بكرة من بابا، ومَنك.

أذابت البهجة جمود نبراته تماما..

- دعي قصة حب عنيقة بغي.. لأ بصراحة ما توقعنن السرعة دعي.. ربنا يسعدك يا شيخنا فرحنتي و(اللهم).
- ويسعدك إنت كمان.. إنت مش بس فرحنتي.. إنت رجعتني عايشة، وهما قلت لك مش ح أوقى حقتك ع اللي عملته معايا، ومع إخواني.. (أحمد).. أنا عايزة أقول لك إن كلنا بنحبك، ومبسوطين أومي بوجودك، ومش ح نسبيك تبعد تاني.

عاود الاستلقاء متنهدا.. شكرها بخفوت، ثم تحدت عن استعدادات الفتاتين للغد، وحاول المزاح.. نجح بالكاد، ثم عاوده وجومه، وأنهى الإتصال.

"الشركه كلها تقريبا إتصلت بيا تسألني عليك.. ما بنفعش تفصل زعلان، والناس كلها بتحبك كده"

قرأ الرسالة النصية الواردة إليه من (نورا)، وابتسم.. رفع ساقا فوق أخرى، ورد برسالة:

- أهم حاجة (باسم) سألت عليا؟
- "آه يا أخويا لسه قافلة معايا من شوبه، وبابن عليها قلغانة عليك أومي"
- ضحك بغبطة كما لو كانت قد مارست سحرا ما لتبهجه.
- عينيها يا (نورا).. عينيها فطيرة.
- "أبوه عارفة ما شاء (الله) حلوة أومي.. طيب إيه؟ أنا مكن أظبطك معاها.. أنا أعرفها من أيام الجامعة.. كانت بتيجي الكلبة عندنا لناس صحابها"
- إيه ده! بس هي شكلها أصغر منك بيجي ١٠ سنين!
- ضغط زر الإرسال، وانفجر ضاحكا متقلبا في الفراش باستمتاع.
- "معلش ما أنا بافكر أطلع (پاريس) قريب أشد، وأظبط نفسي شوبه"
- تردد قليلا قبل أن يرسل إليها:
- عارف ح نقولي قليك الأدب.. بس إنتي مش محتاجة نظيب.. كل حاجة فيكي تحفه.

غاب ردها هذه المرة، وأدرك هو أنها تحرك بداخله حنانا لم يعرف يوما أنه يملكه.

"فامى بتسلم عليك على فكرة"

ظلاً يتراسلان حتى ناما، وكان (أحمد) جاهزا فى موعده صباحا.. لحيته نامية نوعا، ولكن حُلته تحتفظ بحالة جيدة.. تعمّد الوصول حسب موعد الشابين القادمين.. وجد (رانيا) و(دعاء) فى قمة التألق، وصعد إلى غرفة أبيه مباشرة.

- (أحمد).. (حسن) وصل.. ماذا تفعل بالضبط؟

كانت (رانيا) تحاول عدم رفع صوتها من خلف باب الغرفة.

- سأخرج بعد قليل يا (رانيا).

وبعد قليل كانت (دعاء) هى من تطرق الباب..

- (أحمد).. (ياسين) وصل.. ماذا تفعل بالضبط؟

- لحظة واحدة يا (دعاء).. أنا جاهز تقريبا.

أدار المفتاح فقط، فأدارت المقبض، ودفعت الباب، وتسمّرت من المفاجأة..

- **إيه ده! بابا! إنت زيم القمر.**

كان (منصور) يقف متأبطا ذراع ابنه.. ذقنه ناعمة تماما، ويرتدى حلة كاملة، وربطة عنق، ويمسك بعصاه الأبنوسية التى كان دائما ما يرى ممسكا بها فى الأعوام الأخيرة.

أذرفت (دعاء) دموع تأثر، وعانقت والدها الذى بدا صموتا نوعا، ولكن ابتسامه ضعيفة كانت تزيّن محياه.

تركه (أحمد) لتسانده (دعاء)، وأسرع لينادى (رانيا).

- **هات بقى العصاية دى يا حاج.. بيعق عندك بنات فُرز كده، وعاسك فى عصاية خشب!!**

كان ما يريده (أحمد) هو نزول (منصور) الدرج متوسطا ابنتيه.. وخلق بهذه الرغبة البسيطة هدفا للعجوز الذى أعياه المرض، وتوغل فى خلائه بشراسة.

حين استغاثت (رانيا) ب (أحمد) بعينها.. طمأنها مشجعا بعينه بدوره، وتجاوزهم ليهبط أمامهم كنوع من التأمين للأب الذي صنع مشهد نزوله أثرا كبيرا فى نفوس الضيوف الخمسة.. شابان، ورجلان، وسيدة.. وقفوا مبكرا جدا، وهرعوا ليصافحوه فور إنهاؤه الدرج.

قاد (أحمد) والده بيسر إلى مقعد يمثل رأسا للجلسة، ووضع بجواره علبة مناديل، وأسرعت (رانيا) بإحضار سلة مهملات أيضا وضعتها قرب مقعد والدها.

لقاء (أحمد) ب (حسن) و(ياسين) كان ممتازا.. اعترفا له بالفضل دون كلمات، وتعرفه والد (حسن)، وضحك، ثم سأله بروح رياضية عن الهرة الثلاث اللاتي ابتعهن منه.

والد (ياسين) احتاج بعض الدقائق ليبدو مرتاحا.. مثله كئى أب يعلم أن ابنه دخل منزل هذه العائلة من قبل ورُفض.. لكن ترحاب (أحمد) بابنه كان عاملا مساعدا له بالتأكد.

مازح (أحمد) (دعاء) بخفوت حين أخبرته أن (سليمان) تأخر جدا فى الوصول بما طلبت منه شراؤه من (القاهرة)، وأن لا شئ لديهم ليقدموه للضيوف.

- طب قومى أطبخى أمى حاجة.. حمرى بطاطس.. إرفعى كيسين مكرونه فى ميه..
إعملى لك أمى منظر.

- يا بنى بس.. إيه اللى بقوله ده؟ إنت جعان؟

- ميه.

- بتكلم جد؟

- ع أموت وأكل من الشيلولاته اللى (ياسين) جايها دى.. وإنتى إيه اللى (حسن) داخل بيه ده؟! وردا نعمل بيه إيه ده.. كان جاب كيسين بوزو.

استدارت نحوه.. نافذة الصبر.. ضاحكة.. تتحدث من بين أسنانها تقريبا بصوت خفيض:

- بوزو إيه يا بنى!! ده ورد علشان بابا، وجاب تورتة بس دخلتها التاجه.

- طب خدري.. راجح فين؟

استأذنت من الجميع، ثم طلبت منه مرافقتها.
فور نهوضه سمع الجميع دقات كعبي حذاء أنثوى على الدرج، والتفتوا لرؤية
(نوال)..

كانت المرأة ترتدي فستانا أنيقا جدا كابنتيها.. جميلة هي.. فى هامتها،
وأنفها شموخ.. لا أثر لعمرها فى مظهرها سوى عند عنقها.. بتجاعيد
خفيفة.. بدت وكأنها (رانيا) بعد عدة سنوات.

لم ينتبه (أحمد) إلى أنه تابع إقبالها على الجمع بابتسامة صغيرة.
نهض الجميع لمصافحتها باحترام، وراقب (أحمد) لقائها ب (ياسين)، وراقه
ابتسامها للطبيب، وترحيبها به بجملة لطيفة.
بلغته هو حين أنهت مصافحة الجميع.. نظرت إليه، وسألته عن وجهته هو
(ودعاء).

- أصل (أحمد) جعان يا ماما.

أسرع يقول زاجرا (دعاء) بنظرة:

- لا.. لا.. جعان إيه! وده وقت أكل بعنى! إيفضلج حضرتك.

سألته إن كان بإمكانه وضع مقعدا لها قرب (منصور)، فأسرع يفعل.
جلست، وهدد هو (دعاء) بالضرب، وهو يجلس بدوره، فضحكت وجلست
بجواره.

بدأ والد (ياسين) التحدث فى الأمر الذى جاء من أجله.. أراد أن ينقل بصره بين
(منصور) و(أحمد) فحسب، ولكن (نوال) كانت تملك التأثير الذى منعه من
ذلك.

شرح الرجل إمكانات ابنه، وتدخّل الشاب ليوضح بضع نقاط دون التطرّق إلى
أرقام.

تحدّث (منصور) بصوته الخفيض المبحوح.. واستمع إليه الجميع يعلن رضاه
عن (ياسين) مؤكدا أن عدم التوافق فى وجهات النظر هو ما أفسد الأمور

سابقا، وأكد أن كل ما يهيمه فى الدنيا هو سعادة بناته، وقال أن مناقشة التفاصيل المالية يمكن أن تنتظر لتتم فى خصوصية دون وجود ابنتيه.. (حسن) ووالده تحدث كلاهما قليلا، ومن الرائع أن الثانى لم يسهب فى الحديث.. لأنه لو فعل لما انتهى قبل مغيب الشمس.

حين ذكر (منصور) مدى روعة أشجار المانجو بمزرعته بدت كما لو كانت جملة سرية متفق عليها.. نهضتا الأختان، ودعت كل واحدة حبيبها لجولة فى الخارج.

لم يفهم (أحمد) ما الممتع فى مشاهدة مجموعة أشجار، ولكنه اكتشف أنه صار يحب كل ما له علاقة بالمانجو.. تم الإتفاق على الأمور المالية بشكل سريع بين الآباء الثلاثة، ولاحظ (أحمد) أن مطالب أبيه معقولة جدا، وأن (نوال) لم تعترض على كلمة قالها العجوز.

بعد قليل كان (أحمد) يجلس على الدرجات الرخامية المؤدية لمدخل المنزل.. يرى أختيه عن بعد.. لا يفكر فيهما بقدر تفكيره فيمن يشغل باله بضراوة.. (سليمان) الذى تأخر بالمأكولات.

مضت الدقائق حتى شعر بمن يغادر المنزل من خلفه فالتفت، ثم نهض واقفا.

كانت (نوال) تقدم له طبقا به شطيرتين.. مد يده ببطء ليمسك بالطبق. ملامحها لا تشى بالكثير.. لكن تبدو هادئة..

- باباك مبسوط أوى إنه خرج من الأوضة.. برافو عليك.

هز رأسه لها بابتسامة.. نظرت نحو ابنتيها، ومرافقيهما، ثم سألته إن ضايقه خطيب (رانيا) السابق بأى شى فى مقابلته به.. نفى ذلك، ثم قال:

- هو بسن حسسنى إنه عايز الهدايا علشان يروح بشوف عروسه جديدة.

نظرت (نوال) إليه طويلا، وهزّت رأسها بخفوت، ولم تعقب. سألته، وهو لا يزال ممسكا بالطبق كما هو..

- نَشْرَبْ شاي، وَاْ فَهْوَة، وَاْ أُجِيبْ لَكَ عَصْرَ مَا جِئْتِ؟

الشق الأخير من السؤال قالته بابتسامة خافتة، فارتسمت أخرى واسعة على وجه (أحمد)..

- (نورا) بتخب الطاجن أوي.

- طيب وإنت إيه؟

- أنا! أنا بشر بأمي حاجة.

كانت تنظر إليه، وكأنها تنعى مستواه العقلي، وهي تسأله:

- يا بنع قصدي إنت بتخب (نورا)؟

انتابته قشعيرة سرت فى أوصاله بتوغل..

- أه.. أنا إفتكرت حضرتك قصدي.. أبوه.. جبتها جدا.

بدا وكأنها تقيّم صدقه لثوانى، ثم هزّت رأسها، ودعته ليأكل بالداخل، ولم يكن ليرفض عرضا كهذا أبدا.

بعد وصول (سليمان)، وشعور الضيوف بكرم أهل البيت.. طلب (منصور) أن يلق نظرة على مزرعته، وعاونه (أحمد) و(ياسين) بينما حمل (حسن) أحد المقاعد، وأجلسوا العجوز أمام باب المنزل.

تلقى (منصور) نسيمات الهواء باستمتاع، وهو يسند راحتيه إلى عصاه مديرا بصره فى المساحات الخضراء، والأشجار.. بينما أحضر (أحمد) علبة المناديل، وجلس على الدرجات الرخامية أمام والده.. حذا (حسن) حذوه، ثم (دعاء)، و(رانيا) و(ياسين).. وشعر (أحمد) أن المكان قد صار مزدحما بوصول (فاطمة) تدفع مقعد (رفيق) المبتسم أمامها بصعوبة، وتوقفه بجوار (منصور) بالضبط.

- ما تنادى أمك، و(شذى)، وعم (سليمان)، وبتصوّر مع أبوك.

قالها (أحمد) لـ (دعاء) التى تحمست جدا..

- (اللهم.. حلوه أوي الفكرة دى.. وعم (سليمان) كمان ح بتصوّر معانا؟

- أه.. وإنتى اللي ح تصوّر بنا.

فهمت ببطء، ثم ضحكت ناهضة لتنفيذ الفكرة.

ابتسامة (منصور) كانت جميلة رغم آلامه.. وضعت زوجته يدها على كتفه، وبناته تشاجرن لتحديد من تحتضنه فى الصورة.. بينما جلس الشبان على أولى الدرجات الرخامية، و(رفيق) يتصايح بسعادة.

- **إِسْتَنْعِ يَا (سَلِيمَانَ).. (أَحْمَد).. نَعَالِجْ هُنَا جُنُبَنَا.**

قام (أحمد) من مكانه بعد ثوانى من المفاجأة السارة.. نظر إلى (نوال) فعنت له إيماؤها الكثير.. كانت وكأنها تمنحه بطاقة إنضمام لأسرتها.. أنت جزء من هذا الكيان.. ولم يكن هو يحلم بأكثر من ذلك.

تم التقاط العديد من الصور.. حتى (سليمان) أراد صورة له بجوار رئيسه الذى يختزن ذكريات معه أكثر من ذكرياته مع أسرته.

بدا وكأن اليوم انتهى حين طلب (منصور) العودة إلى فراشه، ولكن بعدما تحدث إلى الجميع لبعض الوقت.. كان الكبار قد أحضروا مقاعدا وتراصوا قرب مضيفهم عند مدخل منزله.. النبرة الختامية اللعينة التى كرهها (أحمد) فى صوت أبيه كما لم يكره شيئا فى الدنيا.. وكأنه يلقى خطابا توديعيا من دون كلمة وداع.

لم يعاود (أحمد) الابتسام إلا حين مد له (ياسين) يده بورقة مالية سأله (أحمد) عن كنهها، فأجاب الطبيب بابتسامة انتقلت لجميع من فهموا الأمر:

- **دِه مَحْنِ الْكَشْفِ اللّهِ دَفَعْتَهُ فِى الْعِبَادَةِ عِنْدِي.**

أخذ (أحمد) النقود، وغمز بعينه..

- **بِسْ إِنَّتْ دَكْتُور شَاطِرْ أَوْمِي عَلَى فِكْرِهِ.**

نظر (ياسين) بحب واضح إلى (رانيا) المبتسمة بسعادة، وأقر بصدق:

- **بِسْ إِنَّتْ اللّهِ عَالِجْتِنِي يَا (أَحْمَد) بَجِد.**

قبل انصراف (أحمد) فى تلك الليلة وجد قفصا ضخما ممتلئا بالمانجو بجوار سيارته، وابتسمتا له (رانيا)، و(دعاء)، وفسرت له الأولى:

- **مَامَا اللّهِ طَلَبْتِ بِحُضْرَتِهِ.. عِلْشَانْ (نُورَا).**

سعد بقفص الفاكهة هذا أيّما سعادة، وضحكتا الشابتان حين طلب منهما تصويره بجوار القفص، وهو يُمسك ثمرتي مانجو فى يديه.

طلب منهما شكر أمهما بشدة على اللقطة الطيّبة لأنها كانت قد ودّعه بالفعل، وصعدت إلى غرفتها، ثم طلب منهما أيضا معاونته فى تنفيذ مخطط خلال الأيام القادمة.. يقضى بسفر الجميع إلى (الإسكندرية).. كل الأسرة بالإضافة إلى (ياسين) و(حسن)، وقال أنه سيتولى أمر الحجز فى الصباح الباكر، وأن على الفتاتين الباقي.

تحمستا للفكرة بجنون، ووعدها بإعداد كل شئ، وإتخذ هو طريقه إلى (القاهرة).. وكان يتحدث إلى (نورا) تليفونيا فى معظمه.. صوتها يحمل إلى أذنيه دفئا ينساب فى كيانه على نحو عجيب.. لم يعتقد يوما أنه قد يفتقد أحدا بهذه الدرجة.

- (نورا).. وحشّنيني.

قالها بإحساس عميق، ودون مقدّمات، وجاء صمتها لثوانى مشحونا بالمشاعر التى يملك قدرة مذهلة على تحريكها فى قلب الشابة التى لم تحب قبله يوما..

- إنت كمان يا (أحمد) وحشّنيني أوي.

منعت اثنتين (أوي) إضافيتين من مغادرة فمها فى اللحظات الأخيرة. كانت (رغدة) قد تركتها منذ قليل بعدما قضت معها أكثر من أربع وعشرين ساعة لأول مرة منذ سنوات.

حين أنهيا الإتصال شعرت (نورا) برغبة ملحّة فى إزالة زحام ليلة الخميس من شوارع (القاهرة) كى يصل (أحمد) إليها سريعا.. لكنه طرق بابها بعد قرابة الثلاث ساعات!

كان يقف حاملا هدية (نوال) إلى حبيبته، وأراح مشاعره بالنظر إلى ملامح تلك الأخيرة حين فتحت الباب، وضحكت حين أنبأها بوصول المانجو بلهجة مزارع مصرى أصيل مغايرة تماما للهجته.

أفسحت له، وحملت (بلانكى) بيسراها كى لا يدهسها فى طريقه إلى المطبخ.. وحين استقر قفص الفاكهة أرضا استدار هو نحو (نورا)، ثم دنا منها، ومد يده يرفع يدها الممسكة بالهرة، وأخذ يداعب تلك بأصابعه بينما يميل لاثما يد صاحبته التى ارتعدت خلاياها، وهو يصل بقبلاته إلى معصمها.. نادته برقة، وسألته:

- إيه كل ده؟!

توقف لثوانى، وأجاب:

- دىع مانجا فرز أول من مزارع (منصور عبد الله).

ضحكت ضحكة مبتورة، وانكمشت على نفسها حين عاد لما كان يفعله..

- مش قصدى امانجا على فكرة.

كان يفهم، ولكنه اصطنع الغباء لثوانى إضافية قبل أن يعتدل ناظرا فى عينيها، ويده لا تزال تداعب رأس الهرة..

- آآه.. لأ أصل الغمراية دىع وحشيتى أوىع.. بسن.. دىع كل الحباية.

قالت مبتسمة بمزيج مبتكر من السعادة والحياء والعشق:

- بسن دىع مشن (مانجو) على فكرة.

- إيه ده؟ بتهرجى!! آه و(الله) مشن (مانجو).. طب هاتى (مانجو) أبوسها؟

ضحكت، وضمت الهرة إلى صدرها، ثم سألته بأسلوبها الطفولى:

- و(منصر).. مشن عاوز تبوسه؟

- لأ.. ما بيوسن رجالة.

بدا أن المرح الذى حاول خلقه انحسر سريعا أمام أمواج حب عاتية كان لأى طفل الشعور بها ولمسها فى نظراتهما.. سألتها عن يدها المصابة بصوت مبجوح، فأجابته أنها أفضل، ثم دعتة للجلوس لكنه بدأ يحاول نفض أحاسيسه، والسيطرة على ذلك الحنين العارم بداخله، فوقف يصنع القهوة لنفسه، وقام بغسل بعض ثمار المانجو لجميلته التى أبدت صعوبة أن تأكل منها كى لا تلوث الرباط الطبى على يدها.. لكنه تجاهل هذا، وأخذ يشق

الثمار، ويفرغ قلبها بملعقة فى صحن عميق نوعا بحيث صار تناولها سهلا جدا.

وردّه إتصال من (دعاء) بعد قليل، وأخبرته بنبرات محايدة أن (نوال) تريد التحدّث إليه، ولم تمنحه فرصة سؤالها عن شىء، فاعتدل فى جلسته، ورد تحية السيدة، وشكرها، ثم استمع لها تشرح له صعوبة سفر (منصور) فى تلك الأيام، وأن الرجل نفسه سيرفض ذلك..

أطرق (أحمد) برأسه مستسلما بضيق حقيقى.. اقتراحه الذى عوّل عليه الكثير فشل.. بل وبدا له سخيفا الآن.

- سبب لي (رفيع)، و(فاطمة) أنا باخذ بالي منهم، ومسكينى.. خذ إخوانك البنات معاك مكان ما بعجيك.

بدا له وكأنه لم يسمع جيدا.. نهض من مقعده، وتحرك نحو غرفة المعيشة..

- إيه يا (طنط)؟ حضرتك بتقولى إيه؟

- بقول لك خذ البنات معاك يا (أحمد).. ما فيش حد منهم جنبى دلوقتى.. همّا فى اكتباب بغاهم فترة.. خصوصا (شذى) اللي ما أخذتشن بالي إنها إعتبرت أوى فى الفترة الأخيرة.. خذهم معاك فى أيم مكان تروحوا تفصلوا شوبي من جو البيت والشغل.. أنا ع ابقى مطمّنة عليهم معاك.

بدا وجهه غير مصدقا، واجتاحت أعماقه قشعريرة.. والحقيقة أن جملا ثقيلًا انزاح عن صدره الآن فحسب.

- أنا مش عارف أقول لحضرتك إيه!

- ما تقولش حاجة يا (أحمد).. بس لو (حسن) و(ياسين) ع يكونوا موجودين.. فأنا مش عابزة مشاعر زيادة.. وخصوصا (رانيا) اللي ما سابتش التليفون من إمبراح إلّا و(ياسين) عندينا.

ضحك ليفرغ انفعاله، وطمأنها أنه سيكون متيقظا تماما، ثم شكرها بلهجة إمتنان فردت:

- أنا اللي اطغروض أشكرك يا إبنى.. خليك معايا.. ع أنا ديمى ل (دعاء) تكلّمك.

إتفقا هو و(دعاء) على السفر غدا إذا ما تمكن من الحجز مبكرا.. كان استغلال يوم الجمعة مهما بالنسبة لـ (ياسين) و(حسن).. تحدت مع الشابة لدقائق بصوت خافت، ثم تحركت إلى الردهة..

- خُذِي يَا (مانجا).. (دعاء) عايزاكي.

ابتسمت له (نورا) التي كانت في قمة استمتاعها تأكل قطع المانجو، وكأنها تشرب الحساء.

- يَا نَهَارَ أبيضن! إسنِّي يَا (دعاء) أوسع لها بقلها.. دعي قاعده جوه طويح
المانجا.

أخرج (نورا)، ولكنه التقط منديلين من علبة على الطاولة، ومسح بهما فمها بالفعل، و(دعاء) تضحك على الجانب الآخر.
التقطت (نورا) الهاتف منه، وكأنها غاضبة منه جدا..

- أبوه يا (دودو).

ابتسم يحتويها بنظره، ثم سار نحو (مانجو) و (بلانكي) الجالستين أرضا، وإنقض عليهما مهمهما بطلاسم غير مفهومة.
تذكرت (نورا) ما قالته أمها عن إهانة (أحمد) لها إن طلب منها السفر معه، وابتسمت.

جعل (دعاء) تعرض عليها الأمر، وتخبرها أنها رحلة عائلية، وأنها - (نورا) - ابنة لـ (منصور) كما أكد الأخير بنفسه.

حين قالت أن أمها لن توافق عرضت (دعاء) أن تتحدث (نوال) إلى (رغدة) لإقناعها إذا لزم الأمر.. المهم أن تكون (نورا) معهم.

دلقت (نورا) بعد قليل إلى غرفة نومها لتتصل بـ (رغدة)، وشيئها (أحمد) ببسمة حب.. شرحت لأمها كيف تم عرض الأمر عليها.. كانت الشابة مستقلة بالفعل، ولكنها لن تسافر إذا ما رفضت أمها ذلك.

كانت ترى احتمالات موافقة (رغدة) ضعيفة، ولذلك لم تفهم عبارة الأم التي قالت:

- قد ما مجّك، وخاف عليك.. قد ما عابزك ميسوطه.

هزت (نورا) رأسها، وهى تقف أمام المرأة:

- مش فالهم يا (عامي).

جاوبها الصمت لثوانى، ولم تنتبه لثمة ابتسامة بنبرات (رغدة) التى قالت:

- روحى يا (نورا).. ع جيلك اكتاب لو ما رُحيتش.

تفاجأت (نورا) من تلك الموافقة السريعة الغير متبوعة بسيل من التعليمات، والتحذيرات، والوصايا.. لكنها كادت تقفز فرحا.

حاولت السيطرة على سعادتها، وإبداء الهدوء وهى تخبر (أحمد) أنها سترافقه وعائلته إلى (الإسكندرية).

تم السفر فى اليوم التالى.. راق لـ (أحمد) أن (ياسين) و(حسن) أصراً - كل منهما - على السفر بسيارته الخاصة، وليس بسيارة من سيارات بنات (منصور).

كان التجمع عند بداية الطريق.. مجموعة المطاعم قبل اختراق الصحراوى الواصل بين العاصمتين المصريتين.. القديمة والجديدة.

(أحمد) و(نورا) كانا أول الواصلين، وجاءت (شذى) مع (دعاء) و(حسن) فى سيارة الأخير الذى كان بادى السعادة، ومختلف.. أكثر أريحية فى التعامل.. أكثر إظهارا لمودته نحو الجميع.. خصوصا (دعاء).

(أحمد منصور) بدوره بدى مختلفا.. سريع الابتسام لكن أقل مرحا، ولاحظت (نورا) منذ فتحت له الباب فى الواحدة ظهرا أنه يظهر وقورا نوعا.

(رانيا) و(ياسين) لم يغادرا سيارة الثانى.. كانا فى كوكب آخر.. ما يربو على عامين من الفراق القاسى على كليهما جعلهما يعودان بقوة، وقد ازدادا تمسكا ببعضهما.. تمسكا يتحدى الانقسام مجددا.

انتهت (نورا) إلى أن (أحمد) لا يتحدث إلى (شذى) بشكل طبيعى.. كان يعامل أخته الصغرى مثلما كان يعامل موظفيه، وحاولت الشابة كسر الحاجز اللامرئى، ثم شعرت بصعوبة الأمر فحادت عن محاولاتها شيئا فشيئا.

(حسن) كان يقود بسرعة جيدة، ولكن (ياسين) كان يثير جنون (أحمد).. توتر حقا مضطرا كل دقيقتين للإبطاء والنظر خلفه.. (دعاء) و(شذى) و(حسن) كانوا يضحكون كلما تبينوا مدى انزعاج (أحمد) من حركاته، وإيماءاته.. بينما (نورا) كانت باسمة، وتحاول تهدئته وتسليته.. أسطوانة الأغاني العربية التي أعدتها له حاولت فيها عدم التركيز فقط على ما ينقل أحاسيسها، ولكن إحدى أغنيات (مصطفى قمر) القديمة نوعا لفتت انتباه (أحمد)، وأزادت توتره لأنها كانت تنقل حاله هو بالضبط.. خائف من الاعتراف لحبيبته.. لا يعرف ما يخبئه المستقبل لهما معا!

الفندق كان داخل حدائق المنتزه.. (هلنان - فلسطين).. أنشئ خصيصا ليضم مؤتمر القمة العربية عام ١٩٦٤م فى مواجهة قصر المنتزه الملكى، ووسط ٣٧٠ فدان من الخضرة، والحدائق.. يُطل على خليج خاص هادئ من البحر المتوسط.

فى البهو أكد (أحمد) لـ (ياسين):

- **الذهارده بسن و(الله) فلهمت معنى "سيارة استعمال طيب".**

تم تسكين الجميع فى غرفهم بعد قليل.. الشُّبَّان الثلاثة، و(نورا).. كل منهم فى غرفة فردية.. بينما الشقيقات الثلاث فى جناح واحد. لم يشأ (أحمد) فرض عزلة على نفسه.. نزل مع الجميع لتناول الغداء بالمطعم، ثم رافقهم إلى الشاطئ.. لم تكن (نورا) تفهم سبب حالته العجيبة.. نهضت لتسير وحدها قليلا.. نظرت (دعاء) إلى (أحمد) طويلا قبل أن تتحرك لتجلس بجواره:

- **بذمّك.. إنت خايف تقول لها مجبّب.. أحسن تقول لك أنا مجبّبك زي أخويا مثلا!!!**

- **بقول لك إيه يا (دعاء).. مش ناقصك خالص.**

- **يا بنى طيب قول مالك.. بتفكّر فى إيه؟ مكن أفيدك.**

بعد قليل كانتا (دعاء) و(رانيا) تجلسان معه على الرمال الباردة.. استمعتا إليه يتحدث.. هو لا يجيد الأمر تماما.. يعيبه عدم ترتيب أفكاره لكنهما أنصتتا إليه.. فهمتا مشاعره.. خوفه ألا يتحمل مسؤولية ما سيُصرح به.. خوفه أن يتسبب في جرح الإنسانية الوحيدة التي عرف معنى العشق معها.. خوفه من المثل السخيف القائل أن "الطبع يغلب التطبُّع".

- أنا لو عايز أعيش اللحظة.. كنت صارحتها من زمان.. أنا دلوقتي عارفة إن عايزها للأخر.. بس في إحساس زفت كده جوايا.. رهبة كده.. زى ما أكون لو قلت لها ع تبوظ الحكاية.

أكدت له أن مجرد خوفه على مشاعر (نورا) يثبت أنه سيحافظ عليها إلى الأبد.. كان ينقل بصره بينهما.. خبراته الحياتية كلها قيد التعديل.

- (أحمد) يا (منصور).. بلا مع الغروب كده.. هي راحت على اللسان.. أظنه حواليلكو والجو رومانسي.. يعني وصيتك (ياسين) يكون حنين ورومانسي معايا، وإنك تطلع ضايع كده!!

حين اقترب منها كانت جالسة على طرف اللسان، وقربها شاب يتحدث إليها. ناداها، وكعادته لم ينجح في السيطرة على السؤال..

- مين ده؟

نفس الحرج على محياها.. قدمت الشاب الجالس بقربها باسمه، وصفة زميل دراسة قديم.

- طب قومي عايز أتلكم معاكى.

نهضت واقفة، ونفضت يديها ملقاة السلام على زميلها القديم، وسارت بجوار (أحمد).. ضحكت بينما وجهه يوحى بأنه في طريقه لمشاجرة حامية، وليس في طريقه للتصريح بمشاعره أبدا.

- بتضحكى على إي؟

- إنت خلاص! بعيت بلطجي؟! ما تعرفش تسمى أعرفك على الناس!

- أنا أصلا مش عايز أعرف حد.. وزميك في الجامعة بقدر جنبك ليه أصلا؟

- يا بنى هو كان معاه مرآة قبل ما إنت تيجى بثوانى.. لما عرفت انا بشتغل فىين قالت إنها تعرف (شذى)، وطأ قلت لها إن (شذى) هنا قامت عشان
- بقول لك ايه.. ممكن تبطلنى رضى؟
- صدمت، ثم تنحنت برقة..
- ايه الإحراج ده؟ طبب هو إحنا ليه ماشيين بسرعة كده؟ الرجيم فىين؟
- ح نغف فى اطيء.
- صمتت، وقلبها يخفق بسرعة مذهلة دون أن تعاني برودة الماء التى لم يبد عليه تأثيرا بها، وهو يسير فى المياه عديمة الأمواج، ويسحب (نورا) خلفه بعدما خلعا حذائيهما.
- لا إستنى.. اطيء سافعه أوى بجر.
- كانت ترتعد داخليا مما أنبأها إحساسها أنه سيحدث الآن.
- وقف ينتظرها تشمر (الجييز) قليلا، وحين عاودت السير معه كانت فى قمة التوتر.. لدرجة إنها فكرت جدياً فى أن تلقى سؤالاً عن إمكانية ذهابها إلى (التواليت) أو شئ من هذا القبيل.. فقط لتمنح قلبها فرصة راحة يبدو محتاجا إليها بشدة.
- استدار فجأة يواجهها فكادت تنكفى على وجهها فى الماء.
- (نورا).. أنا
- انكمشت غريزيا، وتوقف قلبها بغتة محدقة فى وجهه.. عيناه السوداوتان التى تعرف هى فقط ما يمكن أن تشعاه من حنان.. كانتا تنظران إلى عينيها بعمق.. من قال أن كان عليه التصريح بمكنوناته قبل ذلك؟ بدت تلك وكأنها اللحظة المثالية بالفعل.
- صوته كان متهدجا.. دافئا فى أذنيها بدرجة مذهلة.
- أنا.. لازم أقورها خلاص.. خلاص مش نافع تنسأل أكثر من كده.. (نورا)..
- أنا

إحدى تلك اللحظات فى عمر المرء التى يتوقف عندها الزمن، ويتلاشى الكون من حوله فيها.

قالها فانحسرت روحها، وكأنها ستثب من حلقها، وتفاجأ هو من دموع ملأت مقلتيها بغتة مع ما يشبه شهقة خافتة بلغت سمعه.. ثم أخيرا.. برزت أجمل ابتسامات الكون.. قادمة لتكتسح كل شئ أمامها ك (تسونامى) ساحق.

- **طب إيه معنى الروع دى؟**

بدا كرجل بدائى غادر كهفه، فوقع فى غرام أنثى أرق من مداركه.

لكن الجدير بالذكر أنه حين قال الكلمة.. شعر أنه يسترد روحه.. شعر أنها الكلمة الأنسب للمخلوقة الأروع.

أشارت له أن ينتظر، وولدت بداخله أحاسيسا جارفة حين أسرعتم مسح دموعها، وتسألته بنعومة، وكأنها تجاوزت مرحلة الخطر، وتريد البدء مرة أخرى.

- **مكّن نفوسها تانى؟**

التهمت الابتسامة وجهه، وبدا سعيدا بجنون..

- **بجيبك.**

- **وأنا بموت فيك.**

سكت.. هز رأسه فقط، وكأنها تعجزه عن الكلام.

- **إتاخرت أوى ليه كره؟ حرام عليك.**

عاود هز رأسه، وإمساك شفته السفلى بأسنانه.. حتى ردة فعلها لتصريحه أعجبتة حتى الثمالة.

قاوم احتضانها، وبدا له احتضان كفيها ليس على مستوى الحدث فظل ساكنا..

- **إنتج عارفه أنا بجيبك من إمتي؟!**

لو أنها كانت تملك ذرة شك فى أنه يعشقها فقد كانت تلك الذرة هى الشئ الوحيد الذى ينغص عليها حياتها.. والآن وقد تبددت أى شكوك.. بدت وكأنها

تتنفس السعادة الخالصة، وبدا لها هو ككل شيء.. بالمعنى الحرفى للكل شيء.. تأكدت الآن أنه رجلها الذى طالما كان مقدرًا لها أن تجده.
حتى عتابها له على التأخر لم يكن يحمل ذرة من عذاب ليالى مضت إلى غير رجعة.

- مشن مأكدة بالظبط.. بسن بملكن.. من يوم ما جيت لى، ووقفنا تحت البيت عندي.

كان هذا هو الجواب الذى وجدته الأنسب بالفعل.. لأن تلك الليلة بدت لها مبكرة جدا فى علاقتها.. كانت ساذجة بدرجة كبيرة.
هز رأسه نفيا متشربا الفرح من كل خلايا معشوقته التى رفعت كتفيها معلنة مدى استمتاعها بما يدور الآن، وسألت بدلال:

- ما هو مشن معقول من يوم (حسن لاشين) فى (مينا هاوس)؟! الأ.. شكلك كنت بتخبى من قبلها!

- من قبلها بكتير يا عبيط.. من قبل ما أشوفك.

- (أحمد).. قول لى من إمتى جدد؟

- و(اللهم) العظيم من قبل ما أشوفك.. عمليا مشن بسن إنى جلم بيلكى زى ما إنتى كره من سنين طويله أوى.. حبيبتك من صورة ليلكى كانت فى درج مكتب أبويا.. فآكره أول يوم شفنتنى.. طأ دخلتى المكتب على إنى (منصور) علشان تفاجئيه بجبابك؟ أنا ساعتها بقى كنت ماسك الصورة دى وببصن لها.. إنتى دخلتى على السبت، وأنا فعليا ججيك من الخميس.

قرن كلامه بإخراج صورة لها من جيبه.. تمسك بقبعة احتفالات على رأسها، وتمط شفتيها للأمام.. شعرها الفاحم معقوص خلف رأسها فى ذيل حصان، وترتدى قميصا أبيضاً، وحولها الكثير من الوجوه.. ناس.. أناس عاديون ممن يملئون الحياة اليومية لبعضهم.. لكنه لم ير غيرها.

عاودت الدموع ملء مقلتيها من دون كآبة.. دموع الفرح حقا، واستطرد هو ناظرا فى عينيها بلا ارتباك:

- كنت متغاضباً منك أوي.. إيه العيلة الصُغيرة دى اللي صورتها شغلتنى!!
رُحْت داخل فيكى دخله زفت.. إنتى عارفة إني أساساً معقد.. قلت لك
بومها يا مدام.. كان نفسى تَغشى، وتَقول لى "آنسة لو سمحت".. كنتى
ضُمَّه إيدكى مشن شايف فى صوابك دبله ولأ لأ.. وكنت قلغان من موضوع
الصورة فى الدرج ده.. رغم إن حوالىك ناس كتيرة.. بس قلت بملن الحاج
(منصن) بيحبك ولأ حاجة.

هزت هى رأسها الآن..

- إنت ورتتى أبام سودا.

- بومها عديت جنب مكتبك، وسألت "ده مكتب مين؟".. صلحولى موضوع مدام
ده.. مافيش كام ساعة، ورُحْت داخلت علماً مبهذلاًنى.. السحر إشتغل، ولقيت
نفسى بصالحك، وأهدىكى، وأنا عايز أفتح معاكى كلام بدل ما أكون مشن
طابقك، وبصراحة بومها بس.. قلت دى مستحيل تحب أبويا، أو تلعب عليه..
وفاكره بقى طأ لقيتك معيطه، وقلتى كلمة عن سايس خلأكى تعيطى.. مشن
عارف إيه اللى حصل لى!! أول ما مشيتى من عندى نزلت سألت سايس غلبان
كده "إنت اللى ضابقت الآنسة من شويه؟".. قال لى "الأ.. ده أكيد (عباس)..
رحت ل (عباس) ده.. لقيت شكله غلط أساساً، ولسه يقول لى "ما هى اللى
سابت العربية".. رُحْت فاسكه مبوظه.. إنتى متخيلة؟ هبل!! وأنا كل ده مشن
فاهم فى إيه.. حاسس إنى فى كامرا خفية، وح تيجى تقول لى أنا كنت بهزر
معاك.. طأ قلتى لى سلامتك على حذّ (Plaster) على إيدى.. كانت سنان
(عباس).. وطلبت بومها من (إبراهيم) بجليكى تركنى عربيتك فى (الجراج)..
مشن عارف كانت فايته (منصور) إزاي دى! وطبعاً طأ (عيس) جاب صاحبه من
كام يوم ما كانش ليه علاقة خالص بقصة المنافسة.. عايزة تعرفى إيه تانى؟
كانت فى عالم آخر حقاً.. عالم جميل مختلف عن الواقع.. ربما كانت تطير
الآن.. معنويا.

- فى حاجات فى النص كده المفروض إنتى عارفاها.. إني كنت ح أبوسك يوم ما
جيت خليت لك عن تعب أبويا، وإني كنت ح أحنن طأ قلتى إن لى حياها

عاطفية. واليوم ده و(اللهم) كنت عايز أرمي (سلمي) في النيك. وأفضلك أرمي فوقها حاجات لحد ما تعرف وما تَبَّش.. وإني كنت ح الجنن يوم السرقة اللي حصلت لك.. يا ربي! عذَّبْتَنِي عذاب ليلتها!

- حرام عليك يا (أحمد).. أنا عذبتك!! إنت اللي خلّنتي أحسن إنك مش ح تقول حاجه أبدا!

- إنتي اللي أكثريني.. بلك حاجه بتعملها، وتقولها.. بطريقتك، ونظراتك، وخدودك الفظيعة ده! يا بنّي.. يا بنّي أنا كنت مستكسرك فيا أقسم ب (اللهم).

أمسك رأسها بين يديه، وأزال بإبهاميه أى أثر لدموع عن وجنتيها لأنه أراد رؤيتها مبتهجة دون منغصات.. رفعت يسراها تمسك بيده اليمنى، وأحنت رأسها لتلثم باطن كفه بحركة عصفت بكيانه، وهى تنظر إليه قائلة:

- أنا بحبك أوى.

ازدرد لعابه، وابتسم، ثم جذب رأسها برفق ليضعه فى صدره ويحتضنه.. فانطلقت الصيحات من خلفها، ثم سربين من الألعاب النارية. استدارت (نورا)، ووقفت تنظر معه إلى (رانيا) و(دعاء) و(شذى) تتقافزن على الشاطئ، والأخيرتين تطلقان الصواريخ من عبوات لا يعلم أحد متى أحضرنها أو من أين!

الانفجارات المضيئة فى السماء كانت احتفالا بإعلان حبهما لكنهما لم يتحركا.. أشارا فقط للفتيات، وظلا مكانهما.

- أنا فاقومك كثير.. بس إنتي كنتي أقومى منى.

- أنا أقومى منك!! ده إنت جبار.. أنا كان فاضلك لى يوعين بالكثير، وأنا اللي

أقول لك.. أنا أصلا قلت لك فى أوضتك فى الغدوق.

- بصى أنا معترف لك إنك أحسن منى فى كل حاجه، وإستحملتني كثير.. إنتي

فعلا أقومى منى يا (نورا).. اعترفتي لنفسك بسهولة، وكنت لجسك مش

متعبلة الوضع بسن كلملة عشان.. أنا فعلا جرحتك كذا مرة، وما شغتنش

منك أمى حاجه وحشه.. بسن و(اللهم) أنا آسفة، وتوبه خلاص.

مقدار صدقه كان عاتيا.. تسائل:

- مَن أَعْتَرَفَ لَكَ بِحَاجَةِ كَمَا؟

- يَارَبِّ.. أَنَا نَفْسِي تَعْضَلُ تَعْتَرَفُ لِلصَّبْحِ.

- (نورا).. إِنَّتِي أَعْلَى حَاجَةٍ فِي دُنْيَتِي.

قالها بتلك النبرة التي طالما مستهتأ.. لكنها هذه المرة ارتجفت من قمة رأسها

إلى أخص قدميها، وهو ينظر في عينيها متابعا:

- مَشْنُ كَلَامِ بَقِي وَأَمِي إِتْبِنِي مَمَّنْ بَقُولُوهُ لِبَعْضِن. وَلَا عَمْرِنَا حَ نَلُون زَمِي أَمِي

قِصَّةَ حَبِ تَانِي.. أَنَا إِتْبَعْرَتَ عَلَي إِيدِيكِي لِدرجَةِ إِتْبِي بَقِيَتَ إِنْسَانِ جَدِيدِ..

بِسَ لَسَّ زَمِي مَا أَنَا فِي مَسْأَلَةٍ شَرَحَ اللّٰهِ جَوَابًا.. اللّٰهُ جَوَابًا لِيكِي صَعِبَ

بِوَصَالِكَ لَكَ، وَفَهْمَا قَلْتِ مَشْنُ حَ أَوْصَفْتِ رُبْعَ.. أَبُوه إِحْنَا مَا بَقَالِنَاشِ كَثِيرَ

نَعْرَفَ بَعْضِن.. مَمَّنْ دَه صَبِحَ نَظْرِيَا.. لَكِنِ إِتْبِي عَرَفْتِي عَنِّي حَاجَاتِ أَنَا نَفْسِي مَا

كُنْتِنِشِ أَعْرَفْنَاهَا.. طَلَعْتِنَاهَا مِنْ جَوَابًا، وَخَلَّيْتِنِي بَنِي آدَمِ أَحْسَنِ.. مِنْ سَاعَةِ مَا

فَرَبَّتْ مَنكِ وَأَنَا تَبَعْرِي.. جِيَتِ (مَصْر) وَأَنَا نَاوِي أَرْجِعَ أَمْرِيكَ تَانِي فِي أُسْبُوعِي

ثَلَاثَةِ بِالْكَثِيرِ.. حَاجَةُ زَمِي ال (تِرَانزِيَت) كَرِهَ.. وَلَا كُنْتِ نَاوِي أَرْوَحَ لِأَبُوبَا، وَلَا

كُنْتِ نَاوِي أَشُوفَ إِخْوَاتِي، وَلَا أَصْحَابِ قُدَامِ.. أَنَا فَرَحْتِ طَا (جَاك) قَالِ إِنَّهُ

حَ يِيحِي عِلْشَانِ بِسَلْبِي شُوبِي وَنَرَجِعَ مَعِ بَعْضِن! أَنَا حَ أَمُوتَ وَأَعْرَفَ إِتْبِي

بَتَبَّطِي لِيهِ دَلُوقْتِي؟

- بَعْدَ الشَّرِّ عَلَيْكَ.. إِنَّتِ أَصْلَكَ مَشْنُ فَاهِمَ حَاجَةٍ.

- طَبِّ فَرَهْمِي.

- أَسَلْتِ.. كَمَل.

- أَسَلْتِ وَنَا أَكَمَل؟

- كَمَلِ اللّٰهِ كُنْتِ بَقُولِي.

كانت دموعها تؤلم قلبه حقا.. مد يديه يمسحها مجددا، ثم قبل جبهة حبيبته

بحنان منقطع النظير..

- مَمَّنْ مَا تَبَّطِيشِ تَانِي؟

- اللّٰهُ بَقُولُوهُ دَه لِحَلِّي أَمِي حَدِ بَعَّطِ.

- مستحيل كان يتقال لغريك.. أنا جمد ربنا عليكى.. مش مصدق إنه - سبحانه
- رجعتى هنا علشان كل حياتى تتغير بيكى.. بادى النبلة السودا!! بابتى هو
أنا بضرى عليكى فنبال غاز!! إرهمينى بقى.

أدارت ظهرها إليه لأنها كانت تبكى دون قدرة على الكبح أو السيطرة..
"أنا جمد ربنا عليكى" تلك مسّت شغاف قلبها بشكل مذهل.

- خلاص ما تبصّش.. بس أنا كنت جلم بشوئيه بس من كلامك ده من وأنا
طفله.. فمّش عارفه أسعه كره عادى.

دار ليواجهها مرة أخرى، وأشار بيديه باسمها بشئ من البله..

- طب خضن وبوسه بقى!

ابتسمت برقة، وأتت نصف استدارة لتشيع عنه.

ظلاً واقفين هناك، وكأنهما لا يريدان مفارقة تلك البقعة التى شهدت
اعترافهما بالحب..

خرجا إلى الشاطئ وسارا عليه قليلا.. كان لديهما الكثير ليقولاه حقا.. إخباره
لها بأنه قام بشراء (المرسيدس) نهائيا أسعدها بجنون.. خصوصا أن أسبابه
كانت عاطفية بحتة..

اقترح (أحمد) أن يغادرا الفندق للتمشية فى حدائق المنتزه، وحين فعلا لم
يعودا إلا بعد منتصف الليل.. عندما أحسّت بحنانها الفائق يغمرها مجددا
اعترفت له أنها منذ رأته تلتقت حنانا أكثر مما حصلت عليه فى عمرها كله.

- طب عارفه بقى! أنا عشت معاكى أجمل أيام حياتى فى الشهرين اللج فاتوا
دول و(اللهم).. ولو عيطتى ح أضربك جدر.

حين عادا كانت (شذى) تسيرو وحدها تاركة فرصة بعض الخصوصية للثنائيات
المحيطة بها.. شاعرة أن الرحلة ستكون مزرية على هذا النحو.. لكن (أحمد)
اقترح أن يبدأوا فى اللعب والتسامر فأشركوها معهم.. لعبوا معظم الألعاب
التافهة المعروفة، والغير معروفة.. أداروا الزجاجة، وتسابقوا إلى المنديل،
وعصبوا أعينهم، وتحذّثوا طويلا.

(أحمد) لم يكن ينتوى إشعار أختيه أنهما تحت رقابته طوال الرحلة.. لذلك وفور وصولهم للفندق إتفق معهما على قواعد لا يُسمح بخرقها، والتزمنا بشكل رائع.. والجميل فى الأمر أن (دعاء) سألته قبل أن تسير مع (حسن) وحدهما فجرا بطول الشاطئ.. لم تكن شخصية أحد الشابين تقلقه.. على العكس، ولكنها المشاعر المتأججة التى ذكرتها (نوال).

حين دعاهم (أحمد) لصلاة الفجر فى جماعة لى الجميع، وعرضت (نورا) أن تذهب إلى غرفتها لتحضر للفتيات ما يصلح لتغطية شعورهن، وتعود للجناح حيث المتسع لصلاتهم جميعا معا.. رافقها (أحمد) بحجة مساعدتها.. سارا متجاوران إلى غرفتها، وحين دخلتها تسمّرت، ورفعت كفها تخفى فمها المفتوح محدّقة فى الفراش.

كان هناك الكثير من الورود، وعُلبتى هدايا.. كانت الورود الحمراء متراصة لتصنع جملة مقروءة بالإنجليزية.

اقتربت (نورا) من الفراش محاولة ألاً تبكى.. قرأت الجملة مرة أخرى، وكأنها تريد التأكيد منها.

"You're my own legend"

لم تلتفت إلى (أحمد) المستند إلى الجدار قرب الباب حتى لا يغضب من دموعها..

- إنت عملت كل ده إمتى؟

- يا بنى أنا مش سهل.

- إنت مش سهل خالص مجرد!

التفتت إليه، وهى تمسح وجنتيها بيدها..

- (أحمد).. أنا مجيك أوى.

- طبع من غير بوس عشان متوضى.

عقب الصلاة التى كان (ياسين) فيها إماما.. وقفت (رانيا) وقالت:

- معلش يا جماعة.. أنا عابزة أقول حاجة.. إحنا في وسطنا حد كلنا بنحبّه
أوى، وهو طيب أوى أوى.. وعابزة أطلب منه جَوِّ الصلاة اللي صليناها
إنه يسامح اللي هو زعلان منها علشان هي أخته الصغيرة، وماهاش غيره.
سحبت (دعاء) أختها الصغرى من يدها، ودفعتها نحو (أحمد).
قالت (شذى) بابتسامة مترقبة:

- أنا أسفّ أوى و(اللهم).
سكن المشهد لثواني قبل أن يهز (أحمد) رأسه فتقدمت الفتاة منه
واحتضنته.. ربت رأسها، ولم يقل شيئا.
حين افترقوا لينام الجميع فاجأ (أحمد) (نورا) بعد بضع خطوات فى إتجاه
غرفتها..

- إنتى راجحه فين؟
- إنت مش قلت كلنا ننام علشان نصبح على الفطار الساعة ١٠.
- همّا بناعوا.. إحنا لأ.
أضحكها أنه تحرك كمتسلل حين مرا من أمام غرفتى (ياسين) و(حسن)..
سألته فى بهو الاستقبال:

- هي دى مش تعرف؟
- لأ مش تعرف.. دى عبال بابطة.. إحنا مؤدين.
كان كل رواد الفندق تقريبا فى الغرف.. استمتعا وكأن المكان ملكا لهما..
حين تعبت من السير طالبتة بأن يجلسا على طرف اللسان الممتد داخل الماء.
القليل من العاملين كانوا ينجزون مهام وظائفهم بطول الشاطئ.. حين
أخبرته أن ساقياها يؤلمانها قال:

- لو ماكنتيش محببة.. كنت سلتك.
أحسّت الجملة غريبة، وسألته عنها حين جلسا أرضا متجاورين.. فأجاب:

- المجتمع هنا مظهرى أوى، والناس بتعمّ فى كل حاجة.. بصن المحببات يا
عم.. ولو واحدة ما يعلم بيها إلا ربنا بسن محببة شعرها بقول لك.. ما شاء
(اللهم) وشها منور.. واطلتيك برضو.. بركاتك يا شيخ، وهو مكن تكون أخلاقه

والعباذ ب (اللذ).. وعلشان كده كنت قلت لك مرّة لازم تختارنى.. يا تبغى
محجّبة.. يا تبغى فرّة.

كانت تحب آراؤه رغم بساطتها.. لكنها داعبته وكأنها ممتعضة من مفرداته:

- إيه فرّة دى!

- إيه ده! أنا قلت فرّة؟!

ابتسمت ففعل مثلها، وواصل:

- بس يا سّنى.. ده كان قصدى.. مع إن معاكى حتى لو ما كنتيش محجّبة.. كان

احتمال كبير ماشكّيش برضو.. اظلم إن الحجاب واللحية دول مسئولية من
وجهة نظرى، وكثير محجّبات وملتحين بيسينوا لدينهم فى نظر الناس التانية.

- يعنى حجابى عاجبك؟

- إناك محجّبة يعنى! جدا.. عاجبنى جدا.

كانت تسأله بإهتمام، ونظرة شديدة الفضولية..

- طيّب ليك تحفظات عليه؟

- بصراحة آه.. طأ لبستى بدلة كنتى أوفر أوى، وفي البنطلونات عموما لو مش
فوقها حاجة طويلة.

- أوفر إيه؟

- Over sexy

قالها ببساطة فاجأتها.

اعترفت له بعد ثوانى:

- إنت كنتى ع تحلّينى أفلع الحجاب.

اندهش جدا، وشرحت له الموقف فى بداية تعارفهما، وقال بعد انتهائها:

- إوعى تعملها، ولا حتى تغلّرى فيها.. لا علشانى ولا علشان غيرى.

بعد قليل تسللت يده إلى خصرها ليقربها منه.. ضحكت لتوارى خجلها
المتوتر..

- إنت متناقض أوى على فكرة.. وبعدين إيه بقى إحنا مؤدّين، وهما عيان

بأظها!!

سحب يده، ونظر إلى صفحة الماء..

- نفسي أحضنك بطريقه غريبه.

نظرت إليه بطرف عينها.. كان لديها نفس الأمنية.. بطريقة أغرب ربما.

تابع موضحا بلا داعي:

- أنا عارف إن ده مشن من حقي في اللحظه دي.. بس لازم تبقى فاهمه إن

عايز أحضنك حب.. مشن حاجه ثانيه.

نظرت بدورها إلى الماء، ثم قالت بعد ثواني:

- على فكره البنيت بتلون فاهمه إحساس اللي بتحبّه كويس.. وغالبا كمان

بتلون عارفة أي راجل عايز منها إيه.

هو من كان ينظر لجانب وجهها الآن..

- عمرك ما حسيت إن عايز منك حاجه ثانيه؟

- لو كنت حسيت بده كنت راجعت نفسي كتير قبل ما أحبك وأقرب منك كده.

صمت لبرهه، ثم سألها محاولا إخفاء فضوله:

- وليلة ما كنا في البيت عندك؟

- دي أكثر مره زعلت فيها من طباعك زمان.. علشان ليلتها كان باين عليك

أوى إنك حابيني، وإن ده اللي منعك عن أي حاجه تذبني.. بس إنت

ما كنتش شايه ساعتها غير (أحمد) بتاع (أمريكا).. ما رضتس تعرف حتى إن

جوالك إحساس جديد مختلف.

وجد نفسه يلتقط يدها، ويقبلها معذرا.. قالت له بابتسامه:

- هلن أطلب منك طلب؟ هلن دائما لما تعمل كده.. تعمل مرتين؟

مرتان!! حتى حين تخابثت أبدت سذاجة.

سألها بعد قليل بلهجة تقريرية حاسمة:

- يعني اطلخص يعني إنك مشن عايزه تتخضني؟

ابتسمت، ووكزته بمرفقها، وأسكتته.

حين اقتربت الساعة من العاشرة عادا إلى غرفتيهما.. أجرى هو بضعة

إتصالات لمتابعة أعمال تجديد مدخل الشركة، وإجراءات صرف التأمين،

وأجريت إتصالا دوليا بمنزله فى (سان دييجو) للاطمئنان على (كوپر)، ولم يتصل بشركته هناك لأنهم كانوا يوافقونه برسائل إلكترونية مؤخرا، وكلها غير مبشرة.

(نورا) صُغت من الهديتين على الفراش.. جلست تحديق بطاقتى حلى، وساعة مرصعة بالألماس شاعرة بأن (أحمد) يبالغ فى عطائه نحوها.. وفى أعماقها كان مؤشر سعادتها يتجاوز المعدلات الطبيعية بأفاق واسعة.

"بنت ناسن أوى، وطول عمرها شيك، وتلكه"

هذا ما قالتها عنها زميلتها فى الجامعة لـ (شذى)، والتي قالتها بدورها لـ (أحمد) همسا أثناء الإفطار.

- كتر أوى يا (أحمد) اللج جيتهلوى ده.. كتر أوى.. زيادة.
- هكمن نسلتى؟ وما تقوليشن كتر بس.
- لأ كتر طبعاً.. كفايه اللج بتعمله أصلا من غير حتى ورد.. أنا مش عارفه أقول لك إيه مجرد!!

كانت معترضة حقا.. مد يده، ودفعت بسبابته خصلة فاحمة تبرز من حجابها، فتنبهت رغم بساطة الحركة، وقاوم هو تمرير أصابعه على وجنتها البضة، وابتسم بخفوت.

فى منتصف النهار كانا يجلسان متجاورين، وحولهما الجميع.. يريدان النوم، ولكن تشابك أصابع يسراها مع يمانه كان كفيلا بإبقائهما فى مكانيهما.. الطقس ليس مناسباً للسباحة رغم أن بعض الأوروبيات مررن من أمامهم بأردية بحر.

- ليه مش بتفرج على الحاجات الحلوة اللج بتعدى؟
- نظر إليها بتكاسل..
- تصدقنى مش عارفنا لو حاجه جامده عدت قولى.
- جامده فى عينك.

تلاقت نظراتهما لثوانى.. توافقهما ربما، أو تمسكهما الشديد ببعضهما جعله يعرف ما تفكر فيه الآن.. أو من تحديدا.. حين هز رأسه لها نغيا كان ذلك بشكل غريزي.. ضغط أصابعها وكأنه يطمئننها، أو يقسم أنها تعنى له كل شئ.. فابتسمت، وبدأت تداعب إبهامه بإبهامها برقة.

تململ فى مقعده بعد قليل وكأنه يتقلب فى فراشه براحة، وأغمض عينيه. أصرت أن يصعد للنوم، وبدا طفلا وهو يطالبها بأن تقسم أنها ستنام هى الأخرى.

نهضا، وألقيا التحية على الجميع.. لم يفلت كفها سوى عند باب غرفتها، وقبل أن تغلق هذا خلفها ناداها (أحمد)، ثم قال بنبرة تأكيد عميقة، وهو يمرر يده أمام عينيه:

- **فُسن شايغه غرك.**

قالها وانصرف لا ينتوى شرحا.. لكنها فهمت، وتألقت عيناها، وأمسكت شفرتها السفلى بأسنانها بفرحة عارمة.. كان قول يتضمّن تعهدا، وتطمينا.. ظلّت تتابعه حتى بلغ غرفته.. أشار لها بيده ففعلت مثله، وهى تهز رأسها بعشق غير منقوص.

يوم وليلتان من بعد ذلك مروا سريعا جدا على الجميع.. وخصوصا (نورا) التى أعادها (أحمد) إلى منزلها ظهر الإثنين بعدما قضت برفقته أجمل ساعات عمرها على الإطلاق.

أمر وحيد جدير بالذكر حدث فى الرحلة، وهو إخبار (ياسين) (أحمد) أنه سيطلب من (رانيا) أن تنسّق مع والديها موعدا لإعلان خطبتها.

التقى (أحمد) ب (ميّنا) فى مقهى بلدى قريب من منطقة سكنهما منذ سنوات.. بعدما زار (أحمد) الشركة، وتفقد العمل.

(ميّنا) يدخنُ النرجيلة بشراهة بينما احتسى (أحمد) كوبي شاي، وهو يشعر باسترخاء تام.. تحدّثا طويلا.. كلاهما فعل.. على المقهى، ثم و(أحمد) يعتلى

خلفية (المرسيدس).. لا مجال للمقارنة ما بين التحدث إلى (مينا)، والتحدث إلى (چاك).. مع الأول.. كانت الأمور أكثر أريحية، وصدقا.

- بسن مشن شايغرا غريبه يا (منصر) إنتك ما تقولشن ل (وليد) على مشكلتك مع (الراسج)؟

- وإنت مشن شايغ إن (وليد) كله على بعضه كده غريب؟ يا عم كبر دعاك.

- لأ بسن إنت و (وليد) يا (أحمد) كنتو

- وإنت يا (مينا) كنت برضو.. سبيلك يا معلّم.. اللي كان كان.. إحنا ولاد النهارده.

- ماشي أنا معاك بسن إنت يا ما وقعت معاها، وشلتها في بلاوي.. خليه برد لك حاجه دلوقتج.

- بصر.. أنا (وليد) عملت له كتير، وعمل لي كتير.. زمان طأ كنا صحاب.. دلوقتج خلاص.

- وليه خلاص طيب؟!

- علسان النفوس إتغيرت يا صاحبي.

- إنت ما إتغيرشن يا (منصر).. إنت زيم ما إنت.. صدقج.

لم يناقشه (أحمد) طويلا.. قبل انصرافه قام بتذكير الصديق المخلص بموعدهما غدا على العشاء، وبصحبتهم (ليليان) و(نورا).

(وليد) رأى (أحمد) فى الليلة التالية.. يقف بجوار (المرسيدس) أمام منزل (مينا).

ترجل الضابط من سيارة الشرطة التى جاءت لتقله إلى عمله.

أشارت (نورا) ل (أحمد) المنحنى على نافذتها أن (وليد) خلفه.

بعدهما حيّهما، وواجه ملامح (أحمد) الباردة.. تسائل (وليد):

- ليه ما فلتيش إن عندك مشكله؟

- علسان إنت بقيت (....).

لفظة نابية محقّرة غادرت فم (أحمد) بتلقائية، وجفلت (نورا) حين سمعتها.

تلقى (وليد) الإهانة بصدمة، ولم يبد (أحمد) مباليا به بقدر ضيقه حين استوعب أن (نورا) سمعته.
هز (وليد) رأسه مرة واحدة، واستدار عائدا إلى السيارة التي انطلقت به مباشرة.

- (والله العظيم أنا متأسف جدا.. طلعت مني من غير تفكير.
- هو ينفع اللي إنت عملته ده؟
- هو ما كانش اطغروض يحصل قدامك.. بسن ينفع.. اللي ما ينفعش يا حبيبتي
إنه بشوفني في مشكلة.. وبلغ بطلع بيته.. حتى ما يجيشن مع (مينا) ولا بغير
بتصل بسأل ع اللي حصل!

كان يتحدث عن ليلة ضبط (شذى) بشقة (الكوربة).
وصل (مينا) و(ليليان)، وبعدهما تبادلوا جميعا التحية توجهوا معا إلى مطعم أنيق تناولوا فيه العشاء، وكان واضحا أن الصحبة لطيفة للجميع.. غادروا المكان بعد منتصف الليل بقليل.

عندما كان (أحمد) على وشك صعود كوبرى بسيارته مالت نحوه سيارة أخرى زرقاء اللون، وبشكل مباغت كاد معه أن يصطدم بحاجز الكوبرى بعنف، ولكن استجابة (أحمد) كانت رائعة حين أدار المقود بحدة لاطما السيارة الجانحة في جانبها متفاديا الحاجز الفولاذي.. لكن الإطار الخلفي الأيمن لـ (المرسيدس) وثب عن الإفريز الفاصل بين الكوبرى، والمستوى السطحي فارتطمت رؤوس الجميع داخل السيارة بالسقف، وأصوات إطارات معترضة تأتي من الخلف.. لم يكن لدى الإناث فرصة للصراخ حتى، ولكن (مينا) صاح بصديقه:

- هاته يا (أحمد).. هاته ابن ال (...). ده.
كان قائد السيارة الزرقاء قد واصل طريقه مبتعدا مؤكدا أن ما فعله كان متعمدا، وليس عرضيا أبدا.. ولم يكن (أحمد) ينتظر هتاف صديقه.. فقد اعتدلت (المرسيدس) في الحارة المرورية صاعدة الكوبرى بسرعة مفاجئة.

كانتا الفتاتان فى قمة الذعر الآن، وكل منهما تتمسك بما يمكنها التمسك به. عدم اصطدام (المرسيدس) كان خارج توقعات سائق السيارة الأخرى الذى اعتصر دواسة الوقود لديه بقدمه بفرع حقيقى، وصاح فى هاتفه:

- مالبسشن فى السور.. ما لبسشن وبيجرى ورايا.
- الهرب، وإوعى مجصلك.. لو توصلك العزبة، وبدخلك وراك تبغى نهايتك هو واللى معاه.

حين صار (أحمد) بجوار السيارة التى هاجمته لم يطلق سبابا أو يصرخ فى السائق المتوتر، وأمر (مينا) بالصمت حين بدأ هذا يكيل الشتائم عبر النافذة. المطاردة انتهت بعد أمتار قليلة من الكوبرى، وبعد أن تشوه الجانب الأيسر لـ (المرسيدس) تماما.

وثب (أحمد) من السيارة فور توقفها متجاهلا توسلات (نورا)، وانطلق يعدو خلف السائق الذى ترجل وأطلق ساقيه للريح على جزيرة الإفريز وسط الطريق.

حين بلغهما (مينا) كان (أحمد) مستمراً فى إفراغ كل طاقته فى رأس الرجل بلجمات لها دوى مكتوم.

أخذ (مينا) يجذب صديقه، ويدفعه لإبعاده عن الرجل الذى لا يصدر منه صوت، وإن بدا من خيط دماء يسيل من إحدى فتحتى أنف (أحمد) أن الرجل حاول مقاومته فى بادئ الأمر.

حين بدأ (أحمد) يهدأ سحب الرجل أرضا كالذبيحة حتى وضعه بسيارته.. تمدد على الأريكة لاهثا بينما انتزع (مينا) بطاقة هويته، ومفتاح السيارة.. فى حين جلس (أحمد) على الإفريز بغم مفتوح، ونظرات شاردة.. هرعت (نورا) إليه، وجثت على ركبتيها عنده.

أخذت الشابة العاشقة تمسح وجه حبيبها وجبهته براحتيها بعدما مسحت خيط الدماء الذى لا يعرف (أحمد) عنه شيئاً بطرف كمها الأيسر.. كانت ترتعد من

الانفعال بينما كان (ميناً) يجرى إتصاله بـ (وليد)، ويشكر سائقى السيارات الأخرى ممن يعرضون المساعدة معتقدين فى أن حادثاً عادياً قد وقع. حركُ (ميناً) (المرسيدس) ليووقفها خلف الزرقاء مباشرة، وأقبل مع زوجته على صديق عمره ليساهم فى تهدئته بدوره.

وصل (وليد) خلال عشرين دقيقة تقريباً.. وحده فى مقعد قيادة سيارة الشرطة المزودة بكابينة احتجاز الخارجين عن القانون.. أوقفها بحدة ووثب منها مندفعاً بجسده الضخم نحو (ميناً) الذى وقف بجوار السيارة الزرقاء مشيراً للرجل بداخلها.

لم ينتزع (وليد) مسدسه من غمده.. لكنه انهال بالصفع على وجهه، ورأس الرجل، وهو يقوده إلى سيارة الشرطة.. وبداخل قفصها الخلفى المدعوم بعوارض فولاذية حصل (وليد) على اعتراف الرجل فأغلق عليه السيارة، وقال حين وقف فى مواجهة صديقيه القديمين:

- أنا عارف ابن الـ (....) اللج الكلب ده شَعَال معاه.. ع أنزل أجيبه بكرة الصبح.. شوية مسجّلين ولاد (....) فى بعض.. ع بقر باللي دافعين له، وأنا مش ع أسبيلهم.. حتى لو كانت الطومس اللج اسهيا (نادية الصرغى) دى.

وتحرك إلى مقعد قيادة سيارة الشرطة لكنه لم يستقلها ويرحل.. أحضر منها شيئاً، وعاد يناوله لـ (أحمد)..

- خلى ده معاك لحد ما أخلص لك القصة دى، وأى حاجة تحصل كلمنى على طول.

ظل (أحمد) صامتا واجماً، وهو يتابع (وليد) الذى استقل السيارة الرسمية، وانطلق بها، وقد ترك لصديقه القديم صاعقا كهربياً.

شعر (أحمد) فى تلك الليلة كم أن (نورا) أنثى دافئة.. حتى لمستها لكفه بين مقعديهما بدت لطيفة، ومهمّة جداً، وحين أطفأ محرك السيارة أمام بيتها، والتفت إليها.. قالت له بنعومة مذهلة:

- أنا أهون على أموت، ولا إن حاجة تمسك أو تزعلك.. و(الله) العظيم.

وكان ولأول مرة فى حياته يصدّق ويؤمن بمعنى كهذا.. ودون الحاجة للحلف.. نقل لها خبرا كئيبا فى تلك الليلة، وهو أنه مضطر للسفر إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) خلال أيام، وأنه سيمكث هناك لعشرة أيام أو أسبوعين.. لم تنجح وعوده بإنجاز أموره هناك بسرعة فى أن تزيل ذلك الانقباض الذى اعترى صدر الشابة حيال سفره هذا.. لكنها لم تناقشه فى شئ.

سألته عن (جاك)، فقال أنه سيعود إلى (القاهرة) غدا من (الأقصر).. كان ما يشغلها هو أن ذكرى مولده ستحل فى غيابها عنها، وأن عليها الاحتفال به قبل السفر بأى ثمن.

بعد تركه لها مباشرة شرعت تعد العدة لحفل يبهجه.. إتصلت بـ (دعاء)، وإتفقتا على أن يكون الحفل يوم الجمعة، ولكن اختلفتا على المكان.. (نورا) أرادت فى مكان يمكنها فيه تولى إعداد كل شئ، و(دعاء) كانت أكثر منطقية ورأت وجوب أن يكون ذلك فى المزرعة بـ (الإسماعيلية) ليحضره (منصور).. ووافقت (نورا)، وإن إتخذت قرارا بإعداد حفل آخر لحبيبها.

راودتها بعد ثوانى فكرة أضافت حفلا ثالثا.. إتصلت بـ (نهى)، وأخبرتها عنه، وقالت زميلتها فى الشركة أنها ستخبر الجميع عبر (فيس بوك) وتطلب من أحد الشباب أن يقوم بحجز مقهى راقى لاستضافة الحفل الذى سيرغب الكثيرون فى حضوره بالتأكيد.

فى اليوم التالى إتصلت بها (نهى) ظهرا لتطمئنها أن (أحمد وجيه) قام مشكورا بحجز مقهى راقى جدا بمنطقة (المهندسين)، وبشكل كامل مساء الإثنين القادم.

- لقد قمت بحجز تذكرة السفر يا (نورا).. سأرحل فجر الإثنين بإذن (الله).

أخبرها (أحمد) بهذا أثناء تناولهما الغداء معا، فتلعثمت، وارتبكت، ونهضت لتجرى إتصالا بـ (نهى) من (التواليت) فى المطعم لتعديل موعد الاحتفال الذى تأكد حضور الكثيرين له بالفعل.

حصلت (نورا) فى ذلك اليوم على رقم هاتف (مينا) من (موبايل) (أحمد)، وإتصلت به مساءً ومنحته الاختيار ما بين مفاجأة (أحمد) فى الفندق مساء الغد، أو مفاجأته بالتواجد فى (الإسماعيلية) يوم الجمعة، واختار الجمعة. شعرت (نورا) أنها لن تجد من تدعوه لحفل الغد سوى (چاك) لكن هذا لم يثبط من عزيمتها كثيرا.. إتصلت بالفندق، وطلبت التحدُّث إلى الأمريكى فى غرفته.. شرحت له الأمر.. ستقوم بتنسيق كل شئ غدا.. طاولة مميزة، وكعكة وعشاء.. كل ما على (چاك) هو إحضار (أحمد) إلى مطعم الفندق فى تمام الثامنة مساءً.

فى صباح الخميس إتصل (منصور) بولده، وطلبه بالمجئ لزيارته فى اليوم التالى.

وإتصلت (نهى) بـ (نورا) تخبرها أن الحجز قد تغير تماما.. إلى مساء الأحد، وفى مكان آخر..

- (المحلاوى) هو من قام بالحجز هذه المرّة.. ما فهمته أن المكان ليس (كافيه).. مطعم و(كازينو) على النيل.. يقدّم الخمور، وبه (ستيدج) للرقص، ولم يحجزه بشكل كامل.. لو لم يحكمنا ضيق الوقت لطالبتة بالبحث عن مكان آخر.

أتمت (نورا) حجز الطاولة بمطعم (خان الخليلي) بـ (مينا هاوس) لتلك الليلة، وانتقت كعكة ليتم تقديمها لهم.. عندما إتصل بها (أحمد) كان فى الشركة، أخبرها أن العمل سيعود بالمبنى يوم السبت، ولكن بدون مصاعد، وسألها إن كانت قد أنهت ما أرادت الخروج من منزلها لأجله.. كانت قد كذبت، وإدعت أنها تريد استلام ملابس من المغسلة، وشراء كتب بينما كانت تحتاج لمزيد من الوقت لتمر بأمرها، ثم تبتاع المزيد من الهدايا لـ (أحمد)..

- فامى عامله عزومه النهارده لناس معارف جوزها، وعازبانى أساعدها فى الطبخ.. هو إنت تزعل لو ما إتقابلناش النهارده؟

- أزعل؟! أبوه طبعاً أزعل يا (نورا).. حبيبتي أنا مسافر كمان ٣ أيام.

- طَبِّحْ ح نَتَعَابِلْ مَأْخَرُ شَوْبِيَه.
 - طَبِّحْ هَاتِي بوسه طه.
 - لأ .. وبسن بقى بِلَا إِفْعَلْ عِلْشَانْ عِنْدِي طَبِّيح.
 - إِيه ده! هُو إِنْتِي مِشْن سَابِقَه دَلوقْتِي؟
 - أَيْوه سَابِقَه بسن عِنْدِي طَبِّيح بِرِضُو.
- ضحك...

- جَبَّحْ يَا بَت.
 - إِيه بَت دِي!! إِنْتِ لَازِم تَرْجِعْ (أَمْرِيكَا) فَعَلَا تَعْعِدْ لَكَ بِوَمِينْ هِنَاكَ.
 - أَنَا مِشْن عَارِفْ حْ أَعْمَلْ إِيه بَجْد .. إِنْتِي وَحْشَانِي وَأَنَا هِنَا أَصْلَا، وَبِصِرَاحِه مِشْن وَقْتِ عَزُومَاتِ (رَغْدَة) خَالِص.
- صممت قليلا تتشرب مشاعره من نبراته..

- طَبِّحْ بِلَا بَقِي إِفْعَلْ.
 - يَا بِنْتِ اللِّذِينِه!! طَبِّحْ مَا تَتَهَلِّسِنْ هِنَا تَانِي.
- ضحكت بدلالها الطفولي..
- إِنْتِ اللِّي مِتَّصَل.

أرادت إنهاء المكالمة لأنها كانت تقف أمام مقر عمل (رغدة).. تريد أن تلتقيها لتأخذ من أمها ما طلبته منها أمس لأول مرة منذ سنوات..

- مَامِي .. عَاوِزَة فِلُوسْ عِلْشَانْ أُجِيبْ هَدِيَه ل (أحمد).
- وتحمّست (رغدة) جدا، بل وبدت سعيدة بالطلب.
- "أنا رجعت الغدوق.. لو حد عاكسك من الناس اطعزومه دِي كَلْمِينِي عَلِي طُول"
- كانت تلك أولى رسائله لها أثناء تجولها بالمركز التجاري العملاق ب (مدينة نصر).. ردت بكلمة واحدة..

- جَبَّحْ.
- "طَبِّحْ إِنْجَزِي بَقِي عِلْشَانِ اللِّيلَة دِي ح تَلُونْ هِمَمَة .. لِيلَة تَارِيحِيَه مِ الآخِر كُرَة"
- لِيَه بِعْنِي؟ إِيَه اللِّي حْ جِصَلْ فِيهَا؟
- "قَرَرْتِ بَعْد تَعَكَّرِ طَوِيلِ إِنْتِي .. أَيْوَسْكَ النَّهَارَة"

- يا بنى ح تنصرب.

"مشن مريم.. ما يا ما إنصربنا.. إسنعدى إنى بسن"

كانت أحيانا تستغرق وقتا لترد عليه، وكانت تبتم حين تقرأ رسائله.

- أسنعد أعمال إيه بعنى؟

"لأ معرفش.. بسن لازم تسعدى.. أول بوسه دى بيكون فيها حالات إغماء،

وحاجات كده، وإنى أساسا ضابعة"

- يا سلام!! ماشى يا (أحمد).. ضابعة ضابعة، ومش ح يحصل برضو.

وصلت إلى منزلها قرابة السادسة شاعرة بالتأخر.. حالة الحب التي تكتنفها عاتية.. تظهر حتى في المرأة وهي تنظر إلى نفسها وهي ترتدى ملابسها، وتزين بقرطين، وطاغم الحلى الذي أهدها (أحمد) إليها.. ابتسمت مفكرة أنه واهم تماما إذا ما اعتقد أنه سيحصل على قبلة منها.. ولكن حبذا لو لم يسع لذلك أو يحاول إتيانه في لحظة دافئة.

قال (أحمد) أنه عاد إلى الفندق، وسيتناول الغداء، وأن عليها إخطاره فور أن تصبح حرة لأنه سيظل جاهزا للخروج وملاقاتها في أى وقت تحدده. هديتها له لم تكن شيئا واحدا، ولم يتم شرائها بالكامل اليوم.. ساعة، ونظارة داكنة، وقميصين، وحزامين من الجلد الطبيعي، وزجاجة من عطره المفضل.

غادرت المنزل في السابعة والنصف، وكان ذاك تأخيرا حقيقيا.. فشوارع (القاهرة) ليلة الخميس لن تعينها على اللحاق بموعدها.

إتصلت بها (رغدة) لتطمئن عليها، وعلى مخططاتها.. تلك المرأة ليست فقط أكثر إهتماما هذه الأيام.. بل صار صوتها يحمل حنواً، ونبرة مبهجة لم يكن يحملها مسبقا.

عندما وصلت (نورا) إلى الفندق تركت الهدايا في السيارة، وأسرعت إلى المطعم.. كانت الساعة تشير إلى الثامنة، وخمس وعشرين دقيقة، والطاولة التي حجزتها خالية.

فى الاستقبال أبدى شابان تعاونا كاملا معها.. كانا يعرفاها منذ أقامت بالفندق، وحوالا الوصول إلى (چاك أوبراين) فى كل مكان يمكن أن يتواجد فيه.

- هل أتصل بـ (مىستر) (أحمد) فى الغرفة؟!

فكرت لثوانى، ثم حسمت أمرها..

- لا.. سأمر أنا به.

كانت أنيقة جدا.. تنورة طويلة، و(بلوزة) حمراء فوقها سترة سوداء كالتنورة.. الحجاب يجمع لوني الملابس، والحذاء بكعب على.

طرقت باب غرفة (چاك) مرتين، ثم تحركت إلى غرفة (أحمد).

وهناك تجمدت أمام الباب مبهوتة.. لم يكن هذا مغلقا تماما.. لكن الأصوات القادمة من خلفه تؤكد أن بداخل الغرفة امرأة.. امرأة ورجل فى الواقع لأن الأولى لن تصدر مثل هذه الأصوات إن كانت وحدها!

أنصتت رغم رغبتها فى الابتعاد، وقد ولدت طبيعة الأصوات هلعاً شديداً أحاط بمشاعرها، وأرجف يدها التى دفعت الباب بخوف مزوج بالارتياح.. يصارعه أمل طموح أن ترى أى شئ فى الدنيا غير ما يبدو أنها ستراه الآن..

من يتابعها يظن أنها تدفع الباب لتطل على كائن كابوسى رهيب سيتحرر من الغرفة، ويفتك بالعالم أجمع.

اسم (أحمد) جاء وسط الصرخات الأنثوية المحمومة.

ورأت (نورا) مشهدا عبثيا ما كان يجب أن تراه أبدا.. شهقت مرتدة إلى الورا، وتدلّى فكها السفلى بذهول، وهى تتلفت حولها كطفلة مذعورة حقا.

ابتعدت فيما خنجر ما ضيا ينتهى من شق قلبها لنصفين.

لم تدر كيف بلغت سيارتها، وجلست فيها تحاول التقاط أنفاسا انحبست.. لا يريد صدرها المزيد منها.. فاقدت الرغبة فى مواصلة الحياة فى دنيا كتلك.

لولا لم تر بعينها لما صدقت أبدا.

ارتجافتها أثناء إدارة محرك السيارة كانت مرضية، وبدأ يصدر لشهيقها صوت.

أمسكت المقود بيديها بقوة.. جزء بداخلها يريدتها ألا تنهار.. يريدتها أن تتماسك، ويمنعها من ذرف دمعة واحدة.. فى ظاهرة جديدة بالملاحظة. بدأت تتأوه مع زفرتها.. آهات كانت لتزلزل كيان من يسمعا.. خصوصا إذا ما كان يملك ذرة من الحب نحو الشابة التى بدت فى حال يرثى لها حقا.

قادت السيارة، وهى متصلبة بشدة، وأوقفتها بشارع (الهرم) حين شعرت بعدم قدرتها على الرؤية.. غادرتها واستقلت سيارة أجرة إلى منزلها.. الذى دلفت إليه كآلى يعود إلى قاعدته.

ألقت حقيبتها أرضا فور أن أغلقت الباب خلفها.. لم تعر الهررة إهتماما، وهى تلخ حذائها، ثم حجابها، وسترتها.. تنبتهت إلى الحلى، والساعة وهى فى طريقها إلى الحمأم، فتحررت منهم، وألقتهم بعيدا كأن بهم فيروسا قاتلا.

استندت إلى الحوض، وأخذت تضرب وجهها بدفقات من الماء البارد.

رفعت عينيها لترى شخص ما فى المرأة، ولم تكثر لتعرفه.. هزت رأسها نفيا ثلاث مرات متقطعة، وشعرت بغتة أن ساقبها لا تقويان على حملها فجلست أرضا، وانخرطت فى بكاء حار ملتهب بينما ثلاثة أزواج من الأعين الصغيرة تنظر إليها بفضول.

انتفضت من مكانها بعد قليل لإفراغ ما بجوفها، وظلت ملقاة على أرضية الحمأم لساعتين كاملتين، وغادرته مترنحة تتنشق وتتأوه من حين لآخر.. استلقت فى فراشها ببطء شاعرة بإعياء شديد، وكأنها تعانى كل الآلام التى تعرفها فى حياتها.. السخونة الشديدة التى تكتنف رأسها كانت مزعجة.. خصوصا أن ثمة دوار لعين يبدو كما لو أنه يعطل حواسها مؤقتا.

حين قامت إلى حيث تركت حقيبتها، وأخرجت هاتفها منها لم تجد فيه مكالمات فائتة.

ارتمت على الأريكة هذه المرة، وعاودتها نوبة بكاء مفاجئة وهى منكمشة على نفسها بأسى رهيب.

استفاقت من حالة أشبه بغيبوبة على رنين هاتفها قرب منتصف الليل.. ظهر

اسم الخائن على الشاشة متصلا.. "7abeebi"

أجابت بصوت ليس صوتها، ولهجة ليست لها..

- أبوه.. تعالِ دلوقتي.. عايزاك في حاجة.

بينما كان صوته يحمل الكثير من الحذر.. بالتأكيد أخبره أحد بالفندق أنها

جائت، وبحثت عنه بينما كان هو يحصل على المتعة فى غرفته..

- إنتي في بيتك؟

- أبوه.. مستيبك.

أنهت الإتصال مع آخر حروف الكلمة الثانية، وهبَّت من مكانها نشيطة بتحفُّز.

كيس أسود ضخم خاص بالقمامة جمعت فيه قطع الحلوى، والساعة، والسوار

الذى أهداه لها فى بدايات حبهما.. من على الأرض بالردهة، ثم من غرفتها

أحضرت علبتين، وحقيبتي هدايا ألقتهم فى الكيس بدورهم.

أخذت الهررة تموء وهى تضعهن بعلبتهن البلاستيكية، وتغلقها عليهن.

ارتدت عباءة، وطرحة صلاة، وجلست قرب الباب تنتظر.

حين وصل بعد قليل كان مضطربا.. لم تنظر إلى وجهه، وهى تقول:

- بصر.. أنا مشن عايزه أتكلّم كثير.. خُد حاجتك دعي وامشي.

- إيه؟! إنتي بتقولو إيه؟

- بقول اللي سمعته.. خُد حاجاتك، وامشي.

بدا ذهوله ممزوجا بشئ من الأمل، وكأنه يعتقد أن ما يدور ينطوى على نوع

من المزاح ربما..

- أنا مشن عارفة إنتي شغفِي إيه.. بسن ال....

- لو سمحت.. أنا مارضيتش أرميهم لك على الباب علشان أنا محترمة وبنيت

ناس.. باريك ماتتلكمشن خالص، وماتورّ بنيشن وشك تاني.

جرّت الكيس الأسود أثناء جملتها الأخيرة، وتركته فور أن تجاوز حدود شقتها..

حين همّت بفعل المثل مع الهررة كان هو يقترب منها..

- (نورا).. و(اللَّهُ) العظيم....

انتصبت ملتفتة إليه بحركة أبدت مدى الغضب المكبوت بداخلها، وأكملت عنه:

- و(اللَّهُ) العظيم أنا ساكنة عرشان كرامتك ما تتلذذن.. إنت عايز كده؟

كان مصدوما حتى الثمالة.. يتنازعه رعب مخيف بدأ فى التأثير على نسقه الحركى.

- إنت يا (نورا) ع تلهينى كرامتى؟

نطقها بألم فائق، وكأنها آخر ما يمكنه تصديقه.

- هو إنت بنى آدم أصلا، وبتحس؟ إيه ده إنت رايح فى؟ إطلع بره.

- مش ع أمشى غير أأ أشرح لك.. عايز أفهم بس شفتى إيه؟

جذبتة من كم قميصه بشراسة..

- شفت اللى شفتة، والحمد لله إني شفت بعينى.. مش عايزاك تدخل بيتى.

كان صراخها به شبه هستيريا.. حدق فى وجهها بكل أمه، وذعره من فقدانها.

دفعته ليخرج لكنه أمسك بساعديها..

- أنا عايز دقيقت بس.. ثواني و(اللَّهُ).. إهدى.. الموضوع مش زى ما إنتى....

- مش زى إيه؟! مش زى إيه؟ مش زى ما أنا فاكرة!!! ده على أساس إني

سمعتة من حد، ولأ دخلت عليك لعينك بتنفخ لها عينها!! سبب إهدى.

حررت نفسها منه، أو هكذا اعتقدت.. فقد بدا غير موجودا للحظات تراجعت فيها خطوة، وواصلت بامتعاض وغضب:

- إنت قلت مرة إني عبيطة، وكان معاك حوق جبر.. عبيطة وهابطة إني صدقت

واحد زيك.. قال "مش شايغ غيرك"، وعامل متدب.. بزمتك إنت بتصلي ليه

أصلا؟!

كان فمه مفتوحا.. نسى على الأرجح ما يمكن أن يقال، والالام فى أعماقه تطل من عينيه.. وحقيقة أنه لم يتوقع أبدا عشر ما يسمعه ويواجهه الآن تسحقه سحقا.. لم يعان فى حياته هذا القدر من الضعف، والهوان.

- طيب خلاص أنا ح أمشي، وأسيبك تكلمى.. بس عشان خاطرى يا (نورا) ما
تحرقيننى اللي بيننا بذب ماعملتوش.
 - خاطرلك!! ياااااا.. كان فهم أوى عندى خاطرلك ده.. وذب إيه اللي
ماعملتوش!! بقول لك إيه.. إطلع بره.
- طرده بحسم غير قابل للنقاش بعدما انتزعت قلبه من صدره ودهسته
بقدميها.
- لم يجد ما يفعله.. الرجل القوى بدا مهزوما.. مدحورا.. سار ليغادر بالفعل، ثم
التفت إليها، وازدرد لعابه بصعوبة قبل أن يسأل:
- مايشن أوى رصيد عندك بخيلكى تصدقيني؟ أو حتى تسمعيني بس!
 - لأ والكش.. إمشى.
- هذا الرد خرج مع ألم حارق فى عيني الشابة لأن سيول من الدموع تجمعت
الآن تريد التسابق لمغادرة مقلتيها.. السبب الرئيسى فى ذلك هو أن عيني
(أحمد) كانتا ملتعتين جدا، وهو يسأل سؤاله الأخير.
- غادر الشقة بالفعل، ثم استدار مجددا، وخرج صوته متحشرا:
- و(الله) العظيم ما خنتك، ولا أعرف إيه اللي حصل.
- جاهدت كى لا تبكى، ولم تستطع النطق.. دفعت علبة الهرة إلى الخارج،
ووضع هو يده يمنعها من صفق الباب، ورفع سبابته قائلا بحرارة:
- أقسم ب (الله) ما عملت أى حاجة مع أوى واحدة من يوم ما عينى وقعت على
صورتك.. وربنا اللي جمعني بيلى، وقرّبي منك، وعارف كل حاجة بيننا، وكل
اللى نوبته ناحيتك.. شاهد عليا.
- بكت لأنه كان منهارا.. دفعت الباب، ولم يقاومها هو.
- ظل مستندا برأسه إلى الباب ريثما انبعثت موسيقى حزينة.. كئيبة من مكان
ما.. ربما من وجدانه هو.

سار متهدلا ليهبط الدرج، ثم تنبه مع مواء خفيض.. التفت ولمح (مانجو) تنظر إليه من خلف فتحات العلبة.. بينما كان هو يراها من خلف دموع لم يتوقع أبدا أن يذرفها من أجل أنثى. أغلق جفنيه فسالت دموعه بمرارة شديدة، وهو يعود ليحمل الهررة، وكيس الهدايا ويرحل.

بعد حوالى ساعتين توجه إلى مسكن (مينا)، واتصل به ليلاقيه، وخرج هذا من متجر (الپلاى ستيشن)، ورائحة السجائر تفوح منه بشكل مقيت. مقدار الإلحاح فى سؤال صديقه عما هنالك كان يعكس مدى إخلاصه.

- يا (أحمد) مشن ح أسبىك كده صدقنى.. لازم نغول فى إيه.
- معلش.. معلش.. خذ القطط بس ل (ليليان) وأنا ح أبقى تمام.. ح أكلّمك الصبح إن شاء (الله).

- مافيش الكلام ده.. ورحمة أمك ما ح أسبىك.. ح نودّى القطط حاضر.. إهدى إنت بس، وكلّ ح يبقى زى الغل.. إنزل وأنا ح أسوق.
استسلم (أحمد)، وعاد بالمقعد المجاور للقائد للخلف، ووضع راحته على وجهه بأسى شديد.. تمنى لو كان يعيش كابوسا.

بعدها ترك الهررة لزوجته.. تحرك (مينا) ب (المرسيدس) فى إتجاه النيل.. كان يذكر مدى حب صديقه للنهر، ولم يحاول التحدث إليه إلا بعدما صارا يجلسان فى زورق فى منتصف المياه، ويبد كل منهما قرح من الشاى الأحمر بالنعناع.

- إحلّى لى إيه اللى حصله يا صاحبى.
كانا جالسين على مقدمة الزورق.. منعزلين رغم الصخب والعشوائية على جانبى النهر.

صوت (أحمد) كان مشربا بالأسى..

- بصر يا (مينا).. أنا ح أحلّى لك اللى أنا فاهمه.. (نورا) جت لى الغدوق، وشافتنى مع واحدة فى أوضتى.
- إيه ده! واحدة مين دى؟

- أمريكانيه جنت مع (چاك) صاحبي اللج قرر بيخج بقعد شويه في (مصر).
- ماشي.. طب إزاي (نورا) دخلت الأوضه.
- تنهد (أحمد) مدركا مدى سوء الأمور وهو يرويها على هذا النحو.
- الباب كان مفتوح.
- طب وإنت يا (منصور) أهيك بعني سايب الباب مفتوح، وإنت لا مواخذة معاك ؟....
- لا مواخذة إيه يا متخلف إنت؟! يا بنج أنا كنت في الأوضه لوحدي.. إغديت في الططم الساعه ٥ كده، ورجعت أوضتي، والظاهر رخت في النوم.
- بعني إيه بعني؟ الحده الأمريكاني دج ماجتشن خبطت على الباب وإنت فتحت لها ؟
- تنهد (أحمد) عالما بما يصعب على (مينا) تفهمه..
- (مينا).. أنا لجب (نورا).
- وأنا مش مختلف معاك يا صاحبي.. بس كلنا بشر.. كلنا بنضعف برضو.
- يا بنج أقسم ب (اللہ) من يوم ما شغتها، وعش شايغ غيرها.. نصفت يا عم.. ح أقولها لك إزاي بس!!! ما بشتيهش حريم يا (مينا).. لجبها يا أجي.
- طب خلاص يا (منصن) مصدقك.. بس إيه التفسير طبي؟
- بصر أنا ما كنتش ناوي أنا.. بالعكس.. كنت فابوق ومسنني (نورا) تخلص حاجه وراها وتبجي علسان كنت ح أطلب منها الجواز النهارده.
- إيه؟ بتكلم جد وحياة أبوك؟
- إنت فرخان على إيه؟ يا بنج انا حاسس إن كل حاجه باظت.
- لا لأ.. ما فيش حاجه باظت.. ربنا ح يبارك لك في الطوضوع، ويخلص على خير.. طب كمل.. إنت تحت إزاي أقال؟
- بخدر.. لأنج تحت حوالي ٦ ساعات ما حستش بحاجه خالص.
- وعين اللج ح يعمل معاك كده؟
- هي.. هي (سوزان) دج.. بس عرفت فنين إن (نورا) جايه الغدوق بعني..
- إتصلت بيها بعني، وجو حبيب القلب بيخونك، وكده؟

سعل (مينا) بعدما كاد يختنق بشربة شاي ضلّت طريق بلعومه، واحتقن وجهه..

- إسنّي يا (أحمد) كده.. هي ليها مصلحه بعنى تبوّظ حاجه بينك، وبين (نورا)؟

- ليها مصلحه تبوّظ لى حياتى وخلاص.. صاحبيتها فترة، وسبتها، وباما قالت لى إنّها مُستعدّة تعمل أوى حاجه ونرجع.. دى قالت ل (نورا) من فترة إنى ناوى أجوزّها.. بهدلتها ورزعتها فلم يفوقها.. ليها مصلحه طبعاً.. بس جابت (نورا) إزاي؟ (نورا) ما إتصلتتش مثلاً وأنا ما ردّتش!

- لأ إسنّي يا ريس.

- يا بنى أسنّي إيه! ما أنا مرعى جنبك أهو.

- إسنّي علشان أنا عندي الحن.. لو اطوضوع كده.. ملعون أبو الطغاجات.. (نورا) كانت مجرّهزالك عيد ميلاد فى الغدوق يا معلّم.

- إيه؟! وإنت عرفت فنيح؟

- كلمتني يا (فصن) وخبرتنى بين الليله دى، أو تانى يوم فى (الإسعايليه).. أنا قلت أسبيلكم لو حاكمم وإخترت أجي مع اللّمه والعيلاه بكرة.. اللى هو الجمعة بعنى.. ما كنتش أعرف إن اطوضوع فيه صُحاب من أمريكا.. لو (نورا) قالت ل (چاك) ده.. تبغى اللى إسهها (سوزان) دى عرفت منه الطعاد، وظبّطت

القصة و

رغم سماعه، وفهمه لكل كلمة.. لم يتمالك (أحمد) أن يتسائل بذهول:

- إيه؟

كان يحدّق بوجه صديقه بعينين متسعيتين.

ازدرد لعباه، ووضع كوب الشاي على سطح الزورق.

كان الآن يدرك أن الفيلم الذى لعب فيه دور البطولة دون أن يدرى قد تم إخراجة بحرفية عالية.

أرسل نظراته إلى إحدى ضفاف النهر شاعرا بضيق فى شُعبه الهوائية.

تسائل (مينا) مفكراً بصوت عالى:

- يا (أحمد) إنت ما كنتش فابق أصلاً.. مشن حاجة تدهينك! أنا مكن أحكى لها.
- وحياة أمك!! ع تحكى لها إزاي بقى؟ ده أنا مشن عارف أصلاً ع أقول لها إيه!
- هو موضوع ابن جزمه بصراحه.
- (اللهم) ببارك لك.. إرفع معنوياتي كمان.
- مقصدش.. طيب.. هي كانت عامله معاك إزاي من شوي؟
- وحسن أفسم ب (اللهم).. مشن ع أضحك عليك.. بهد لتي.
- لم يسيطر (ميننا) على تمتمة غادرت شفتيه..
- معذورة برضو.
- ولا.. إنت يابني جابني تدوسن على نفسي!!
- لأ.. خلاص يا (منصن) إنت لازم تسيبها تهدرا شوي، ومشن إنت اللي تتكلم معاها أول واحد.. لازم وسيط.. شوف بقى (دعاء).. (لبليان).. اطلع حد يجليها مستعدة تسمعك.
- تنهد (أحمد) بعمق، ولان بصمت طويل.
- لا يرى سوى (نورا) أمامه.. ألمه إدراكه كم هي مجروحة.. جرح عمرها على الأرجح.. بسبب تمثيلية شيطانية نسجتها امرأة رخيصة..
- (چاك) السبب في وجود هذه العاهرة هنا.. كلا.. هو - (أحمد) - السبب في أنها جزء من ماضيه، وحياته السابقة.. شعر باحتقار ذاته، وبدا لنفسه ضئيلاً جداً بحق.
- داهمته ذكرى حوار مع حبيبته، وتأكيد لها أن نوع معين من الأمور يقززها، وتجده لا يُغتفر.. هذا النوع هو بالضبط ما شهدته فيه اليوم.
- ألمه أكثر استرجاعه لما دار بينهما منذ قليل على باب منزلها.. إهاناتها له، وإنكارها لكل ما هو جميل بينهما.
- حين عاد إلى الفندق قرب الفجر تباطأ في سيره من (الجراج) إلى مبنى الغرف، واعتصرته ذكريات الأماكن.. الليالي الدافئة.. البريئة.

كرة الشوك فى حلقه كانت أكبر من المعتاد.. حاول ابتلاعها وهو ينحرف فى طريقه إلى منطقة حمام السباحة، وجلس على المقعد الذى كانت (نورا) تعتليه حين كانت معه هنا.

أرسل إليها عدة رسائل متتالية:

"مافيشن واحد بياخد إعدام من غير ما حد بسمعه.. إدّى فرصة حرام عليكى"

"أنا مقدر إحساسك و(اللّه).. بسن كان نفسى ما أشوقكيشن بالقسوة دى"

"(نورا).. إوعى تنسى اللج بيننا.. دى حاجه مشن للنسيان"

"مافيشن كلمة قلتها لك كذب، ومستحيل ح أسبلك"

أراد التأكد من وصول الرسائل إليها لكن تقارير إفادة الوصول كانت كلّها تحمل كلمة وحيدة.. "Pending".

استيقظ فى العاشرة على رنين هاتفه.. كانت (دعاء) تسأله متى سيذهب إلى (الإسماعيلية) لأن والده ينتظره.. لم يخبرها إنه يعرف سر عيد الميلاد.. لكنه انتظر أن تسأله عن (نورا) أو شىء.

فعلتها بعد ثوانى، فسارع بإخبارها أنه أغضب (نورا)، ويريد نصف فرصة لمصالحتها.. سأل أخته أن تسعى لسفر (نورا) إلى (الإسماعيلية) اليوم.

- آه.. إحم.. أنا فكّرت فى ذلك فعلا، ولكنّها تغلق هاتفها.. فكّرت فى دعوتها لتأتى معك، أو إذا أردت أنت استغلال عم (سليمان)، وتأتیان معه.

- أهو هنا فى (القاهرة)؟

- بلى.

- جيد.. أريده أن يدق بابها فحسب.

صمتت (دعاء) لثوانى، ثم قالت:

- يا إلهى! كيف وصلت الأمور إلى أنها لن تفتح لك الباب؟ ماذا فعلت يا (أحمد)؟

- مجرد سوء تفاهم.. لم أفعل شيئا.

لم يكن سعيدا بما يتعرَّض له الآن.. كان يرى علاقته ب (نورا) شيئا أُسمى من ذلك، ولا يحق لأحد التدخل فيه، أو معرفة تفاصيله.. لذلك آثر إشعار (دعاء) بأن الأمر تافه.

إتصلت (دعاء) ب (سليمان) وأخبرته عن تغير المخطط، وإتصل أخلص رجال (منصور) ب (أحمد) مؤكداً أنه سيصل إلى منزل (نورا) بعد قليل.
فى الحادية عشر كان (سليمان) يطرق باب شقة (نورا).. فتحت له، ورحبت به نوعاً..

- أنا مشن ح آجى معاك يا عم (سليمان).. لو اشتريت الحاجات سافر إنت.
"لأ يا عم (سليمان).. استنى تحت و ح أكلك"

ظهر (أحمد) بغتة فتحفت بشدة، وإريد وجهها الشاحب البائس.
تحرك (سليمان) منسحباً، وقد أدّى دوره المطلوب.

- إنت جى ليه تانى؟

- جى أفهمك حقيقة اللي شغيبه.

- وأنا مشن عايزة أفهم حاجه.. واحده بتقول لك مشن عايزة أشوفك تانى..
هو بالعافية؟!

مرة أخرى.. صدم بتساعد غضبها إلى ذروته بهذه السرعة.. لكنه تجاوز صدمته سريعاً..

- يا حبيبتي و(الله) أنا ما عملت حاجه.

- بلا حبيبتي بلا عرف.. وكفاياك خلفانات بقى.. إنت إييه؟ ما عندكش دم؟!!

تجمد تماماً كتمثال.. لاحظ إحمرار عينيها، وسواد شعرها.

ثوانى سكونه تلك منحتها فرصة هجوم جديد.. هجوم غير منظم.. كاسح..

- بصر بقى علسان بقى فاهم.. أنا طول الليل بحمد ربنا إنهُ خلانى أشوف حقيقةك دى اللي لو الدنيا كلها كانت شافتها وحلت لى عنها ماكنش ح أصدفها.. إفتنرتك لما قلت لى مرة إن الرجل اللي يحب واحده ويعاشر غيرها بيكون حقير إزاي.. أظن إنت فاكِر كلمتك.. إنت اللي قلتها.. وكوبس

أوىء لحد كره.. أنا مشن عابزه أحنج بنج آدم كره.. بصر.. مشن إنت اللي أنا
كنت مستنياك.

جملتها الأخيرة كانت عالية النبرات كسابقاتها، ولكن بصوت متهدج.
توقفت لاسترداد أنفاسها، ثم أردفت:

- إنت مشن كنت جى (ترانزيت)؟ كمل سلتك بقى.. إرجع مطرح ما جيت.
هز رأسه بذهول حقيقى..

- إنتج جيت القسوة دى كلها منين؟ (نورا).. فوقى.. حرام عليك بقى..
عمالك تبهدي فىا. وأنا أصلا ما فيشن حاجه أعتذر عليها حتى.. اهدى بقى
واسمعى.

- أبوه أنا فاسبة أوىء. وإنت بريء يا عينى.. هو اللي كان نايم مع (سوزان)
بتاعتك دى إمبراح كان مين؟ أخوك التوأم!! غريبة إنه برضو اسمه (أحمد)..
كانت مبسوطه أوىء وهي معاه.

كاد يبهت مجددا.. لكنه تمالك نفسه سريعا..

- ما كنتش واعى أصلا.. إنتج شعيتنى بتحرك ولأ سمعتى صوتى؟
- يا حرام! كنت سكران! معلش.. اطرة اللي جايت ما تتغلش فى الشرب علشان
تتبسط إنت كمان.

أعاد رأسه للخلف قليلا، وكأنه يستوثق أنها نفس حبيبته.. لم يجد شيئا مما
راهن عليه.. سيخسر مجددا.. خسارة هى الأفدح.

- أنا مشن مبدق إن دى إنتج و(الل).. (نورا).. إنتج مستوعبة بتعملج إيه؟
إحنا يا (نورا).. إحنا.. أنا وإنتج.. بنته كره بالسهولة دى؟! إرجع مطرح
ما جيت!!

تقلصت ملامحها لحظيا.. آخر آمالها الواهية فى أن ما رأتها كان مجرد كابوس
انهارت الآن تماما.. بدا بريئا.. لكنه عائد لينطق بهراء.. لم يكن واعيا، ولم
يكن يتحرك!!

- إمشى.

قالت لها له بمرارة رهيبة، وأغلقت الباب بحركة بطيئة، وعاودت البكاء قبل أن تختفى عن نظر (أحمد) الذى ظل متمسرا برأس مائل، وفم مفتوح. غادر البناية بخطى لا تريد الابتعاد.. جراح حبيبته كلها نفذت إلى قلبه مباشرة.. لأنه لم يفكر أبدا فى تحصين نفسه منها. جلس بجوار (سليمان)، وبدأ الرحلة إلى (الإسماعيلية)، وظللاً صامتين حتى اقترح الرجل أن يصليا الجمعة فى مسجد على الطريق. فعلاً، وحين واصلا الرحلة واصلا صمتهما، وأخلص رجال (منصور) يشعر بالإشفاق نحو (أحمد).

فى (الإسماعيلية) كان كل إخوته موجودون، و(ياسين) و(حسن)، و(مينا)، و(إيليان) بالإضافة إلى (مانجو)، و(بلانكى)، و(منص). كلهم فيما عدا (دعاء) التى فتحت له الباب كانوا محتشدون فى غرفة (منصور).

جملة واحدة أجاب بها (دعاء) حين سألتها عما حدث بينه وبين (نورا)..
- خلاص سبنا بعض.

جملة بدت عسيرة التصديق للشابة التى تفجرت بداخلها نوبة شجن مباغته.. لازمتها طوال اليوم، وهى تحتضن أخيها وتربت على ظهره من حين لآخر.. أخاها الذى ارتدى قناعاً زائفاً، واصطنع السعادة كما تظاهر بالمفاجأة حين دلف إلى غرفة أبيه ووجد الجميع يصفرون ويتصايحون احتفالاً بذكرى مولده. ظل (مينا) أيضاً قريباً منه، وحين دلفت (نوال) إلى الغرفة تمنّت (دعاء) أن تبدى أمها بعض الحنان للشباب الذى تموت ابتساماته بسرعة ولادتها.

- تعاليج با ولد با (أحمد) طاً أبوسك.. إنت كنت مفعوص، وبشيلك وإنت صغبر.
استسلم لها (أحمد) منحنيا قليلاً مبتسماً بشحوب، وأمسكت هى رأسه، وقبلته على خديه..

- كل سنه وإنت طيب.

- وحضرتك طيبه.

تأثر رغما عنه وآلمته حنجرته حين سألته وهى تمسح أحمر الشفاه عن خديّ
بأصابعها:

- مالك كده شكلك مَلْتَنَبْ.. زعلان إنك كبرت سنه؟

اكتفت بابتسامته الباهتة كجواب، وتركته واثقة أنه ليس على مايرام.. كانت
(دعاء) قد أعلنت أن سبب تغيب (نورا) يعود إلى ظروف خاصة بأمرها لم يمكن
تغييرها.. فأراحت الشاب من التساؤلات عن حبيبته.

والده كان سعيدا جدا أن الأمور تبدو أفضل بينه و(نوال).

ابتسامه صاحب الحفل المتهالكة حاولت خداع الجميع وهو ينسحب من
الغرفة..

إيمائتى (ياسين) و(حسن) لـ (رانيا) و(دعاء) كانتا تؤكدان أن محاولة الابتسامه
قد بائت بفشل ذريع.. اندفعتا الشابتان خلف أخيهما بعد دقيقة.. هبطتا
الدرج، ووجدتا باب المنزل نصف مفتوح.

لم تتوقعا أبدا أن تشهدها يبكى بهذه الحرارة.. لم يكن يُصدر صوتا.. لكن
كتفاه كانا يختلجان.. احتضنتاه متألمتان، وحاولتا تهدئته.

انهار الرجل تحت ضغوط عاتية.. مرّفته.

لكنه بدأ يتمالك نفسه مع وجود الشابتين اللتين بكتا بدوريهما.. إحداهما دون
أن تفهم شيئا تقريبا.

- الظاهر مكتوب علينا دائما أن نحرم من حاجه.. طأ بقالى عيله.. (نورا) ضاعت
منى.

- لأ يا (أحمد).. ما ضاعتش ولا حاجه.. مستحيل.

- بنقول لى سافر.. مشن عايزه أشوفك تانى.

- كلام.. كلام يطلع لحظه زعل، وبروح لحاله.

ما من شك فى أن ظهور ضعفه هذا.. ضاعف من إحساسه بالظلم، وجعله
يتصلّب.. بل وأكسب نظرتة للأمر كله شئ من الحقد - إن جاز التعبير.

رفع ذراعيه يحيط بهما أكتاف أختيه.. ثم قال بعد قليل:

- تعرفوا إن دمج أول مرة بعمل لي عيد ميلاد .

- إن شاء (الله) كل سنة تكون مع بعض.

لم تراه يمد شفتيه للأمام، وكأنه غير قانع.

قضى (أحمد) في ذلك اليوم وقتا عصيبا.. كان يُفترض أن يكون مبهجا.

(نوال) كانت قد أمرت بإعداد غداء فاخر كعادتها.. بعده أعطى (ميना) هاتفه لـ

(أحمد) ناطقا بإسم (وليد).. هنا هذا الأخير (أحمد) بذكري مولده، ثم أخبره أنه

ترك (نادية الصرفى) لتوه..

- اطوِضوع ده إعتبره خالصان.. لو إعرَضُوا لك تانى بيَقُوا فتحوا على نفسهم

أبواب جهنم جرد .

- شكرا يا (وليد).

- يا عم شكرا على إيه! ما إنت يا ما خلصت لي مواضيع، وإحنا صغِيرين.

- بس إنت إتغيرت يا (وليد).

- عارف ما شتمتني تحت بيت (مينا).. قعدت طول النبطشبة لحد ما كلمني بفتكر

أيام زمان. وحسيت إنى فعلا زى ما إنت قلت ساعتها بالطبط.. ماتر علسن

منى يا (منصن) ور حاح أمك.

- لا يا عم ربنا واجيبش زعل.. بس إنت إبقى صالح عم (هلال) أحسن شايل

منك أوى.

ضحك (وليد)، وحكى أمرا.. ثم سب الحارس العجوز بمنطقة سكنه.

(حسن) كان أول المغادرين مع مغيب الشمس، وطلب (أحمد) من (مينا) أن

ينتظره ليعود معه ريثما يلقي التحية على والده.. صعد (أحمد) إلى غرفة

(منصور) وأخبره أنه سيسافر إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) لأسبوعين،

فبدا على الكهل وكأن أمر جلال قد وقع.. طالب إبنه على أثر ذلك أن يجالسه

لبعض الوقت، وعجل هذا برحيل (مينا) و(ليليان).

(دعاء) عرضت أن تعتنى بالهررة، ولاقى العرض رفضا شديدا لدى (ليليان)..

لأنهم يسألونها..

- رغم أن الرمادى سيصينى بالعتة قريبا جدا، ولكننى أحببتهم حقا.

كانت الهرة تُشعرها بأمومتها على الأرجح.
(منصور) كان لديه شعورا أنه لن يرى ابنه مجددا.. لم يعبر عنه لفظيا.. لكنه
فعل بكل السبل الأخرى.

لم يغادر (أحمد) الغرفة إلا بعدما غلب التعب العجوز، ونام.. وكان هذا فى
العاشرة والنصف مساء.

تفاجأ (أحمد) أن (ياسين) لا يزال موجودا..

- **بلكا بينا يا (أحمد).. أنا كنت مسنك.**

كتمت (شذى) ضحكاتهما لأن (أحمد) رفض العودة مع (ياسين) وكأن الأخير
مجذوما..

- **متشكرين أوى يا دكتور.. طريق السلامة إنت.**

جذب (أحمد) (شذى) عند مدخل المنزل، وفجر ضحكاتهما يبسر رغم أن الجدية
كانت تغلف ملامحه، والحزن يعتصر قلبه.

قال لها بعد قليل:

- **حاجتين عابزهم منك.. تاخدى بالك من نفسك، وأرجع الأقبلى متجوزة،
وتخلفه عيال خلوين زبك كره.**

- **فج إسبوعين!! ليه يا عم.. ده العطر ما بتعملش كره!**

التوى فمه بابتسامه فذابت ضحكة الشابة، وشعرت بوخزة فى قلبها رغما
عنها.

عندما إنضمت إليهما (دعاء) بعد قليل طالبت (أحمد) بالعودة قبل منتصف
الشهر الذى سيبدأ بعد أيام قليلة لأنها تريده أن يفتح مطعمها بنفسه.

كان يسألها عن التفاصيل مبديا أقصى حماس لديه دون أن يعد بشئ.

كان جزء بداخله يريد البقاء معهن.. يقضى ليلة مع عائلة حرم منها طويلا..
ولكنه رغم ذلك تمسك بالعودة مع (سليمان) إلى (القاهرة).

أبدى رغبته فى إلقاء التحية على (نوال) التى خرجت إليه فى رواق الطابق
العلوى، وعلى وجهها ابتسامه ودود.

- أنا مشن حابج أسافر وأنا مزعجٌ حضرتك في حاجه.. الواحد مشن ضامن
عمره.

- لا يا (أحمد) ما تقولش كده.. ربنا يدبج لك العمر يا حبيبي.. أنا مشن زعلانة
منك.. بالعكس.. ده أنا اللي عابزه أعتذر لك على اللي فات، وأقول لك إن
وجودك في الفترة اللي فاتت فروق معنا كُنا كثير.. ما تتأخرش علينا بقى.
لاقي ابتسامتها بسيول من الثلج دغدغت أحاسيسه.. آثار الانهيار بداخل كيانه
كانت مُفجعة.

هز رأسه بابتسامة باهتة..

- هو أنا ممكن أحضرن حضرتك؟

- طبعاً يا (أحمد).. إنت ابنى.. تعالى.

كان ضخماً مقارنة بالمرأة.. لكنه تضائل بين ذراعيها باحثاً عن حنان لم يذقه
طوال الخمسة وثلاثين عام الأخيرة.

هز رأسه لها حين تراجع بعينين ملتعتين..

- أشوف وش حضرتك نخرج.. سلام عليكم.

هزت رأسها له بدورها، وردت سلامه، ثم تقارب حاجباها، وهى تتابعه يهبط
الدرج.

حين وعدته (دعاء) بأن تسعى بكل جهودها للمصالحة بينه وبين (نورا)..
فاجأها بأن استحلفها ألا تفعل.

قبل أخواته الأربع، وربت رؤوسهن، ثم جثا على ركبتيه أمام مقعد (رفيق)،
واحتضنه طويلاً، وكان المسكين متشبثاً به بشكل عجيب، وكأن لديه نبوءة
ما فى ركن من خلايا عقله السليمة.

كان (سليمان) يقف بجوار السيارة منتظراً، وأدار (أحمد) بصره فى وجوه
الجميع، ثم رفع يده بتحية واهية، واستدار هابطاً الدرجات أمام الباب قبل أن
يلتفت إليهم مجدداً ناطقاً بشهادة المسلمين الأولى، فردوا جميعاً بالثانية..

ابتسم واستقل السيارة ولم يلتفت إليهم مرة أخرى (وسليمان) يتحرك
بالعربة مبتعدا، وشيئته (شذى) قائلة لإخوتها:

- على فكرة يا عمال.. (أحمد) مش راجع.

طلب (أحمد) من (سليمان) طلبا غريبا نوعا ما..

- إحلج لي عن أبويا شوبه.

وكان الرجل يملك من الحكايات عن رب عمله أكثر مما يملك عن أى شئ آخر،
فلم ينقطع حديثه إلا بعد التوقف أمام منزل (نورا) لنصف ساعة.. طالبه
(أحمد) بعدها بأن يتصل به صباح الأحد للضرورة، وحين غادر ابن (منصور)
السيارة استقل (المرسيدس)، وانطلق بها مباشرة.

قضى ثلاث ساعات من نهار السبت مجتمعا بـ (ياسمين عبيد)، و(سمير أبو
العزم)، ثم أنهى الكثير من الأمور، وأشرف على أخرى حتى غادر المبنى قرابة
الثامنة مساء.

فى طريق عودته إلى الفندق تلقى إتصالا من (نهى السهلى).. عرُفت له
نفسها، ثم طالبته:

- أنا أسفة لإزعاج سيادتك يا افندم، ولكن هل يمكن أن أطلب سيادتك
بتشريفنا غدا مساء فى حفل صغير أعدناه لسيادتك.

- ومن أنتم بالضبط؟

- نحن.. موظفو الشركة.. كلنا.

- عذرا.. سأسافر فجر الإثنين، ولن أجد وقتا لذلك.

تلعثمت الشابة بالتأكيد، ولم ينتبه هو إلى أنه قد بدأ يعود إلى طبيعته
باقتدار.

- يا افندم.. نصف ساعة فحسب.. نريد أن نظهر فقط بعض تقديرونا
لسيادتك.

- سأحاول.. ولكن لا أعدك بالحضور.

علم المكان منها، وأنهى الإتصال.

فى الفندق وقف لدى الاستقبال لينسّق بعض أموره، وحين صعد إلى غرفته بدأ يللم حاجياته، ويضعها فى حقائبه.

تلقى محادثة دولية بعد قليل من (چاك).. لم يكن مرحباً بها أو بصاحبها الذى أخذ يعتذر عما حدث وكأنه المسئول:

- لقد دبرت (سوزان) ذلك دون علمى.. أقسم لك.. لم تخبرنى بالتفاصيل إلا أثناء رحلة العودة.

أنهى (أحمد) المكالمة دون اكرثا، ونام بفعل الإجهاد فقط فى تلك الليلة. فى الصباح التالى قضى ساعتين فى البنك الذى يتعامل معه والده.. مدير الفرع كان مرحباً، ومتفهماً لمطالب الرجل، ووعده بأن يتم التنفيذ بدقة. لقاء (أحمد) ب (سليمان) بعد ذلك كان لتسليمه م ظروف طالبه بأن يسلمه بدوره إلى (نوال) خلال أسبوع واحد من اليوم.

مر بالشركة ملقياً نظرة على أعمال التجديدات فى المدخل، وعلى الواجهة.. لم يصعد إلى المبنى.. رحل سريعاً، وابتاع طعاماً توجه به إلى (الكورنيش) حيث استأجر زورقاً تناول طعامه على متنه، وهو لا ينفك ينظر إلى سطح الماء.

(ياسمين) هى من إتصلت به فى الثامنة مساءً.. كان يجلس مع (مينا) فى مقهى بمنطقة (هليوبوليس).. طالبته مديرة الشؤون القانونية بالمرور، ولو لدقائق بالحفل المُعد من أجله.. رضخ فقط بعدما شعر بسخافة عدم الذهاب. قام بتوديع (مينا) بعد قليل، واتخذ طريقه للمكان الذى حملت لافتته عبارة (Bar & Lounge).

وهناك صافح عدداً كبيراً من موظفى الشركة، ورد تهنئتهم بذكرى مولده مستحضراً ابتسامة كلّفته جهداً.

فكّر أثناء دخوله أن (نورا) هى من قامت بإعداد هذا الحفل أيضاً. تسمّر كالمصعوق حين رآها تجلس أمام المشرب.. انقطعت أنفاسه لثوانى، وحين عادت فعلت متسارعة بينما ترنح قلبه داخل صدره باضطراب.

كانت ترتدى رداءً أحمرًا قصيرا يكشف عن كتفها وذراعيها.. معلنا مدى بياض وصفاء بشرتها، ومدى خطورة حنايا قوامها، وثنايا جسدها.. تنتعل حذاءً شاهق الكعبين بنفس لون الرداء.. بينما حررت شعرها الفاحم الناعم ليكلل جمال وجهها الأخاذ.. حين التفتت للجالس بجوارها رأى (أحمد) فى يدها كأس شراب، وعلى وجهها (ماكياج) كثيف.

كانت سببا فى أن أنظار معظم المتواجدين بالمكان من رؤاده وموظفى الشركة مصوِّبة نحو (البار).

وشعر (أحمد) أن عليه زيارة (ياسين) للكشف حقا قبل سفره.. فقد ألمه قلبه، وكأن قبضة فولاذية تعتصره عصرا.

"يا جماعة قلت لكم م الأول ح تعلقه.. مش أمج واحده كده تلبس حجاب"

كان هذا هو (إسماعيل) - أو الشيخ (إسماعيل) - كما يدعونه فى الشركة.. يتحدث بفخر لاثنين من زملائه دون أن يحييدوا أعينهم عن (نورا).

لم يكن (أحمد) يعرف عن الرجل أكثر من إنه يعمل بالشركة.. لكنه لم يستطع تمالك نفسه.. تحدت بمرارة، وامتعض كبيرين:

- إنت عارف مشكلتك إيه.. إنت وأمثالك؟! إنتك مطبوع الدين فى مظهرك بس..
عمرك فكرت تنصحتها، ولأ حتى شجعتها طأ إحتجبت؟ ولأ تلاقبك كان نفسك
إنها ترجع تلبس فُصْبِرْ عشان تَعْد تَبصن على رجليها كره زى الكلب!
تعرف هى جواها إيه، ولأ عاشت إزأمج، ولأ حتى بتراعى ربنا قد إيه من
غير ما تبغى فأكره نفسها فوق البشر زيك!

لم يرد الرجل، ولم يكن (أحمد) ليستمع إليه.. كان يجد صعوبة حقيقية فى التقاط أنفاسه الآن.

لمح شابة تتحدت إلى (نورا)، وتبدو غير راضية أبدا.. بحث بنظره عن (ليلى عبد الحميد).. أراد كل ما يمكنه الحصول عليه من دعم ليووقف هذه المهزلة.

رأى نظرات ليست مصوّبة إلى (نورا).. رأى نظرات موجّهة إليه هو أيضا.. بعضها فضولية، وبعضها متعاطفة من أشخاص أحبّوه فى الفترة القصيرة الماضية.. ومنهم (أيمن)، و(ياسمين)، و(وجيه)، و(المحلّأوى)..

سمع (نورا) تصرخ فى الشابة التى تحدّثها.. علم أن تلك هى (نهى)..

تعلّت بغتة موسيقى صاخبة انقطعت ليأتى صوت شاب فى (الميكروفون) يهنّئ (أحمد) بعيد ميلاده، ثم عادت موسيقى الـ (House) للتعالى مرة أخرى..

"(ميسّتر) (أحمد).. أنا أسفّت.. هو حضرتك مكن تاخذ (نورا) تروّحها؟"

قالت له (نهى) ذلك.. رافعة صوتها ليصله سؤالها الأقرب للرجاء..

تلاعبت عضلة جانب فكه، وهو يتقدّم من (نورا) بينما بدأت الأضواء فى التلاعب للفت الأنظار إلى (Stage) الرقص فى قلب المكان.

- إنتى إيه اللج إنتى عامله فى نفسك ده؟
- ههههههههه.. كل سنة وإنك طيب.
- وشاربه كمان! إنتى إيه؟ إجنّتى؟
- وإنك مالك؟

سألته بازدرء، وهزت رأسها وكتفيها بعجب قبل أن تجرع الباقي فى كأسها دفعة واحدة.

راقب وجهها يتورّد بشدة، ثم حاولت استساعة جرعة الخمر المفاجئة قبل أن تتصنّع ابتسامة، وتهم بالنزول عن مقعدها بعدما أدارته نحو موقع الرقص. قبض على معصمها بأصابعه..

- (نورا).. تعالِ أروّحك.
 - سبب إيدى، وواللّله دعوة بيّا.
- لم يفلتها.. نظر فى عينيها مباشرة، وقال:
- ليا دعوة بيكى عشان كُنّا صحاب.. راعى صداقتنا على الأقل لو الحب بيننا بسهولة عندك.

بدأت تصارعه بجنون للإفلات.. على نحو كان كفيلا بإسقاطها بمقعدها.

كان واثقا أن أعين كثيرة تتابعهما.. تركها، وظل متسماً شاعرا بانكسار لم يشعر به من قبل قط.. كانت تحرق قلبه بوحشية حتى تمنى فى تلك اللحظات ألم يكن قد قابلها قط، أو حتى عاد إلى (مصر) يوما.

سارت بخيلاء، وبدت كوردة متفتحة تجتذب النحل.. دون الإسهاب لشرح تأثيرها.. كل رجل فى المكان كان مبهورا بها الآن.. هذا القوام.. هذه البشرة.. تلك الملابس.. أنوثة واعدة داعبت خيالات البعض فاندفعوا خلفها ككلاب صيد.

تركت كل من حاولوا الاقتراب منها.. سواء من داخل الشركة أو خارجها، وبدأت تبدى ترحابا لمن! لـ (سامح).. الشاب الذى تحدث بالسوء عنها يوما، وطلبها (أحمد) بعدم التحدث إليه.. اختارته دوناً عن جميع الموجودين، وبدأت تتمايل معه.

كانت الضربة موجّهة.. انقطعت على إثرها الموسيقى بغتة.. فى أذنى (أحمد) فقط.. غامت نظرتة، وبدا مستعداً للقتل.

تحرك نحو الـ (Stage)، وهو يخلع سترته.. جذب (نورا) نحوه، وأحاط كتفيها بسترته، وانتزعها من وسط كائنات رخوة معترضة.

التهديد كان قصيرا.. صادقا إلى أقصى حد..

- لو فتحتى بقلبك.. ع أضربك.

المباركة من بعض الموجودين لم تتوارى.. بل صارت مُعلنة جدا.. (نهى) نظرت للرجل مشجعة، و(فريدة) هرعت لإحضار حقيبة ووشاح يخصان (نورا).. بينما أسرع (وجيه) يفتح الباب ليمر رئيسه منه.

- مالكش دعوة يآ.. سبينج.

كانت تردد ذلك باكية بينما كان هو غير قابل للنقاش.. وضعها وأشيائها فى السيارة وأغلق الباب، ودار ليندس فى مقعد القيادة، وينطلق مباشرة.

- فلتك لك مالكش دعوة يآ.

- إخرسى.

- لا.. فافيش حاجة تدّج لك الحق إنك

كان نائرا بجنون..

- بس بقى.. قلت لك إخرسى.. بس.. خلاص عرفت إن فاليش دعوة بيلج،
وإني إنسان زفت، وزباله.. خلاص.. إنك بتقلعي الحجاب ليه بقى؟! وإيه
اللى إنتج لا بساه وعامله في نفسك!! هيبك وغباء.. بطّلي اندفاع بقى.
- أنا حرّة.

نطقها بخفوت، والدموع تسيل على وجنتيها بخطوط سوداء صنعتها
(الماسكارا).

- لأ عش حرّة.. سبتك حرّة تُحكّمى علينا نضيع.. ع تضيعى نفسك كمان؟!
ساد الصمت لثوانى، ثم سمعها تهمس تقريبا، وهى تنظر نحوه بعينين
باكيتين، وتسند رأسها المتثاقلة إلى المقعد..

- أنا اللى حكمت علينا نضيع!! يا حيوان!
بدت منهارة تماما الآن، وإن لم تتحرر من سترته.. أهانته بأسى رهيب وهى
تستحضر خيائنه التى رأتها حية أمامها، وهز هو رأسه بألم شديد مبتلعا
الإهانة.

أوقف السيّارة أمام منزلها، وأسرع ليعاونها..

- إمسكى نفسك، وحاولى حشى كويس.. عش عايزين حد يعرف إنك منبله
سكرانه.

- أنا عش سكرانه.

ساندها داعيا أُلّا يراها أحد من جيرانها، أو حارس العقار، وانتزع (وينى
الدبدوب) من حقيبتها.

حين كادت تسقط على الدرج انحنى وحملها على كتفه صاعدا بها بسرعة
بينما ضربته بحقيبتها على ظهره مرّتين.

لم ينزلها إلا داخل شقتها.. أنزلها واقفة برفق فتوازنت نازعة سترته عنها.

هز رأسه ملقيا مفاتيحها على الطاولة قرب الباب..

- حرام عليك.. ليه بعني؟ علشان إيه الناس تشوفك كده؟! علشان أنا؟! أنا خلاص راجع أمريكا زى ما طلبت مني.. ع اكمل سنتي يا (نورا).. بعيد عنك خالص.

ارتجفت داخليا بعنف.. سقطت حقيبتها من يدها أرضا فى حين هز هو رأسه مزدردا لعابا مريرا، وهم بالرحيل.

حين استوقفته منادية اسمه تسمراً لثانيتين ثم استدار إليها.

- بوسني.

لثواني.. اعتقد إنه لم يسمعها جيدا، ثم اقشعر بدنه كله. تنازعت مشاعر رهيبه.. له (الله) فيها.

هل كان يجب أن يفر منها كما فر مرة من قبل؟ هل كان ذلك ممكنا؟

لم تكن بالنسبه له مجرد فتنة تقف على قدمين.. بل كانت تمتلك قلبه، وروحه بين أصابعها.

التقط نفسا بتوحش، ولم يفره.

تقدم منها محذقا فى عينيها الزرقاوتين التين عشقهما.

احتضنها بين ذراعيه، ورفعها عن الأرض مندفعاً بها حتى ارتطم ظهرها بالجدار.. ضمها إليه بقوة عاتية، وكأنه سيسحقها على صدره.. جسدها

البض، والناضب بالأنوثة كان مستكينا جدا بين ذراعى الرجل الذى تراجع برأسه للخلف قليلا مطلقاً على وجه حبيبته بعاصفة مشاعر هوجاء، ثم دس

وجهه ما بين شاللين من الشعر الأسود، وإنقض بغمه على شفتى (نورا) الممتلئتين المطليتين فحبس أنفاسها معه هذه المرة، وجعل ذراعيها الذين

يطوقانه يتراخيا بوهن تام.

حين تراجع كان مبهوتا مثلها.. للحدث.. للعناق.. للإحساس.. لاستسلامها، وتملكه.

لا أحد يعلم سر قيامه ببعض الأمور مرتين متتاليتين! لكنه لم يتمالك منح
الفاطنة صفقة أولى بيسراه أصدرت لها آهة ذهول وألم، ثم تبعها بصفعة
ثانية قاسية بيمينه ألقت بها أرضاً.
ظل ينظر إليها لثوانى سالت فيها دموعه.
استدار مغادراً الشقة بعدما انتزع صورتها مع (تايجر) من الإطار على الطاولة
قرب الباب، وصفق هذا خلفه بعنف، ورحل.

* * *

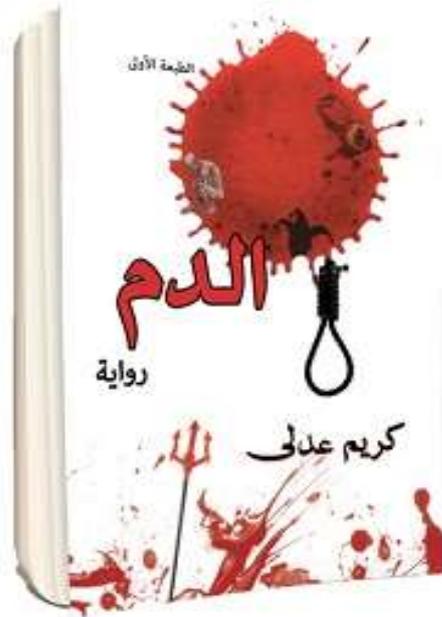
عزيزنا القارئ.. انتهاك حقوق الملكية الفكرية، وإتاحة أى
محتوى أدبى أو علمى (دون إذن كتابى من الجهة صاحبة
الحقوق) بحجة نشر الثقافة يمنع الناشر من مواصلة
الإنتاج، ويؤثر سلبا على الصناعة بالكامل.

نرجو منك إبلاغنا عن أى موقع طالبك بدفع أى مبالغ
مالية مقابل الحصول على هذه النسخة كما نرجو أيضا
عدم المشاركة فى إتاحة محتوى أى مصنف دون الرجوع
لأصحاب حقوق الملكية الفكرية.

شكر خاص:

الإدارة العامة لمباحث المصنفات وحماية حقوق الملكية الفكرية

بجمهورية مصر العربية. ت: ٠٢٢٥٧٥٩٠٤١



البدايات دائما أجمل! يتشدقون بهذا وكأنهم يعنونه حقا..
بينما يدركون أنه لا ينطبق سوى على قصص الحب ربما..
البدايات بإمكانها أن تكون قاسية، وأكثر إيلا ما مما تتخيل.



المخاتمة

(ناس واصلوا، وناس فاكرون انهم واصلوا، والباقي كله ترانزيت)

وقف صاحب متجر قطع غيار السيارات بتلك المنطقة المتواضعة، وصبيته يراقبون عمال التركيبات الذين أنزلوا لافطة كبيرة أنيقة للمتجر عن سيارة نقل تحمل شعار شركة دعاية، وإعلان، وبدأوا بالفعل فى إزالة اللافتة القديمة من واجهة المتجر باستعمال سلّما معدنيا. عيون جميع الموجودين بالشارع تقريبا كانت تتابع عملية تركيب اللافتة الجديدة.

سأله أقدم صبيته - ذو الشعر الطويل - متعجبا:

- أنا مش فاهم يا حاج.. مين اللي عمل لنا اليافتة ده؟

كان الرجل مستمتعا برؤية اسمه على اللافتة الجديدة.. لم يرد، وهو يرسم خطة عملية للارتقاء بمتجره، وشراء مقعد مدير (هيدروليكي) أراد شرائه منذ زمن.

تحرك بعد قليل مقتربا ممن بدا قائدا للعمال..

- أنا كنت عايز أعرف هو مين بسن علسان أشكره.

- و(اللّه) يا حاج (محمد) هو مش موجود فى (مصر) حاليا.. بسن الواضح كده إن هو اللي ببشرك على وقفت جدعت وقفتها معا.. وإنك شكلك راجل ابن بلد ومحترم.

هز الرجل رأسه شاكرا، وهو لا يبعد عينيه عن اللافتة الجديدة التى تم تثبيتها أعلى واجهة متجره بعد قليل.

لم يمثّل اسم الشركة الملتصق على سيارة النقل شيئا لصاحب المتجر دمث الأخلاق.. لكنه سأل قائد العمال قبل انطلاقتها:

- لا مؤاخذه يا ربّس.. هو الراجل ده راكب مرشيدس باج واحد؟!

*

"(أحمد) بك أعطاني هذا المظروف قبل سفره، وأمرني بتسليمه لسيادتك اليوم"

التقطت (نوال) المظروف الذي بدا وجوده غامضا ومفاجئا لها، وشكرت (سليمان)، ثم وضعت قعد الشاي على طاولة أمامها، وفضت المظروف. سحبت عدد من الأوراق، وبدأت تطلع على محتوى كل منها. خلف مستندات خاصة بالشركة كان هناك خطاب كتبه لها ابن زوجها بخط يده..

"السيدة الفاضلة/ نوال"

صعب أومي إن حضرتك تتخيلي إزاي فرق معايا وجودي في (مصر) خلال الفترة اللي فاتت.. أنا فعلا ماشي من هنا وأنا إنسان تاني خالص.. من الحاجات الطهمة إني اكتشفت إن طول عمري كنت محتاج لوجودي وسطكم جرد.. عموما مشن حاجب أطول.. أنا راجع أمريكا وعندني مشاكل كبيرة في شغلي، وبصراحة مشن عارف ممكن أرجع (مصر) تاني إمتي، والشركة اللي أوبيا تعب فيها طول عمرة لازم حد من صلبه بمسكها من بعده.. علشان كده (رانبا) هي أنسب واحدة، و(شذى) تكون معاها.. (ياسمين عبدي) و(نورا السويدي) ح يكونوا مصادر معلومات موثوق فيها.. (ياسمين) عندها كل التفاصيل القانونية، وخبرتها كبيرة، والشركة بفضل ربنا عافيش عليها مشاكل الفترة اللي جايه ماعدا مشكلة واحدة في طريقها للحل بإذن (الله).. (نورا) حضرتك عارفاها.. هي ممكن تكون سابت الشركة خالص لكن مستحيل ترفضن تساعد (رانبا) وتقول لها تفاصيل كثيرة جوة الشركة.. ممكن حضرتك تستغري حكايته معاها.. بس بإختصار هي سابتني علشان إفتكرتني خنتها.

كنت عايز من حضرتك تقول ل (دودو) ما تزعلش علشان مشن ح ينفع أحضر إفتتاح مطعمها.. أنا أودعت في حساباتهم في البنك فلوس جيت للشركة الأيام اللي فاتت.. بس مالفيتش حسابات ل (فاطمة) و(رفيق) ففتحت حساب بإسمي هناك، وعملت ل حضرتك توكيد بنكي واقف على الإضا بخلي حضرتك تتصرفي في الفلوس بالشكل اللي برئحك.

أنا وصَّيْتُ (سليمان) بيعت بوكيه ورد في افتتاح اطعمم.. لو ذوقه طلع وحسن باريت
حضرتك تدِّي له جزا أو تخصمي عليه.
أنا مجبِّلو كلِّم جدا و(الله)، ولو احتجتهم أُمِّي حابه.. أنا موبالجي مايتعفلش."

*

مرّت الأيام ببطء على (نورا).. انزوت وذوت.. لم تكن تأكل أو تنام بشكل جيّد.. تلقّت أربع زيارات فحسب..

أما.. وكانت الزيارة الأولى والأصعب لأن الزائرة أخبرتها فيها بأمر لم تكن تعرف عنها.. أن (أحمد) قام بزيارة (رغدة) بمنزلها مرّتين.. الأولى عشية عودته من (الإسماعيلية) قبيل رحلة (الإسكندرية)، وأخبر المرأة أنه يحب ابنتها بصدق، وأن نواياه نحوها تتجاوز إعلان الحب بكثير، والثانية صبيحة الخميس اللعين.. جاءها مبكرا قبل ذهابها إلى العمل ليخبرها بأنه سيطلب الزواج من ابنتها الليلة.

حاولت (رغدة) الدفاع عن (أحمد) في جريمة لم تخبرها (نورا) بتفاصيلها لكنها أخذت تردد أن خيانة الرجل غير منطقية في ظل نيته الجادة نحو ابنتها..

- يا حبيبتي ده جالى بومها علسان بتكلم فى وهرك.. مشن معقول يكون راج بالليل بخونك قبل ما تتقابلوا، ويعرض عليكى الجواز.. إوعى يا (نورا) تكون ظلمتيه.

لم تزد الحقائق الجديدة (نورا) سوى ألما وهماً.. لم تعد تدرك شيئاً سوى أن (أحمد) لم يعد موجوداً في حياتها.. وكان هذا مؤلماً بدرجة لا تُصدق.. كانت تبكي طويلاً حتى تكل.. كل يوم.. كل ليلة.. فقدت بضعة كيلوجرامات من وزنها، وصارت شاحبة بشكل دائم.

الزيارة الثانية كانت من (نهي السهلي)، ورحلت دون معرفة تفاصيل، وفشلت في مواسة صديقتها، وإن نجحت في إشعارها بقدر كبير من التعاطف والود. الزيارتان الثالثة والرابعة كانتا من (لمياء) - ابنة عمها - و(وائل) زوجها، وبرفقتهما رجل أشيب الشعر، واللحية يرتدى حلة قديمة الطراز، ويتحدث بلسان طليق عذب في أمور الدين.. ذو نبرات هادئة دافئة، ويكثر من الدعاء لها طوال حديثه بقصص ورفائق، وأحداث من سيرة النبي (مُحمّد) - صلّى الله عليه وسلّم - وتراجم أصحابه، وزوجاته، وبنيه.. ختم جلستيه معهم

بقراءة نذرا يسيرا من القرآن الكريم، ووجدت (نورا) نفسها تحبُّه، وتسمو بصحبته عن أمور اعتقدت أنَّها لن تتمكن من التفكير فى غيرها أبداً..

أبدت إمتنانا حقيقيا فائقا لـ (لمياء) و(وائل) أن يقوموا باصطحاب الرجل المسن - الذى هو جار لهما فى الواقع - ويأتيان به إليها فى محاولة صادقة لطردهم عنها، وجعل حياتها أفضل.

عندما تلقَّت إتصالا من (دعاء) تدعوها لافتتاح مطعمها اعتذرت (نورا) متعللة بمتاعب صحية، ولم تكن حالة الجفاء التى اجتاحت (دعاء) نحو الشابة بعد ما آلت إليه قصتها مع (أحمد) تحتمل المزيد من المنغصات.

- هل عرفت أن (أحمد) عاد إلى (كاليفورنيا) ليظل هناك؟

- أنا.. لا.. لم أعرف بذلك.

- ألم تطلبى منه أن يسافر؟ ألم تطلبى منه ألَّا ترينه مجدداً!؟

صمتت (نورا) لأنها لم تجد ما يُقال.. بدأت تتحضرُّ للبكاء الذى صار أسهل شئ يمكنها فعله.

- على كل حال.. كنت أتمنى أن تقبلى الدعوة لأننا أردناك جزءا من عائلتنا.. لكن يبدو أنك لا تريدين ذلك.

ظلَّت على صمتها.. كلمة واحدة كانت لتفتح الأبواب لنحيب حار.

ودعَّتها (دعاء) بعد صمت شاعرة بما يغالب محدثتها على الأرجح، وردَّت تلك بصوت خافت متحشرج.

ليلة افتتاح المطعم تلقت (نورا) زيارة هى الأغرَب..

- مساء الخير يا (نورا).. أنا آسفة لحضورى دون إتفاق مسبق.. توقَّعت

رؤيتك فى افتتاح المطعم الليلة، وطلبت من (سليمان) توصيلى إلى

هنا لأننى كنت أقرب من المعتاد إلى (القاهرة).

كانت تلك (نوال).. امرأة قويَّة ومؤثرة.. جلست على الأريكة الوثيرة بالردهة

متأثرة بشيئين.. ترحاب صاحبة المنزل بها، وما طرأ على مظهر ورونق تلك

الأخيرة من مستجدَّات.

- اسمعى يا ابنتى.. ربما يكون (أحمد) ليس ابنى، ولكن لىء إءساس ىرقى إلى منزلة الیقین فى برائته من ظنونك.. لا أعرء التفاصيل، ولكن يؤلمنى جدا أن كلیكما تتعذبان.. لم آت للءءء عن ذلك، ولكننى أرىء ءءدیم نصیءة صغیره لك.. إیاك والكبر.. لا ءصرى على شىء ءون ءءكیر والاسءماع.. لءء فعلء مءلك وأنا أصغر منك، وءى الیوم أسأل نفسى.. لماذا لم أمنء فرصة أخرى؟! لسننا ملائكة، وأكبر أءطائنا عادة ما یكون فى ءق أنفسنا.. كءء أن أكرر ءطأى مع بناتى لولا سءر ربنا، ووءوء (أءمء).. عنءما رأیء ءءیر الذى أصاب (رانيا)، وءى سعاءءها مع (یاسین) ءمءء (الله) أن (أءمء) ظهر فى هذا الموءع ءءءءا.
- ءى لو قبلء منءه فرصة أخرى.. هو لم یءء موءوءا.
- بءء (نوال) مءفهمة.. أكثر من المءوءع..
- یمكننا أن ننقل له أن هناك فرصة لا ءزال فى انءظاره.. إنه یءبك بءق.
- لیس بعء ما ءءء بیننا.. أنا فى الوءاع لا أرىء منءه فرصة ءانىة، ولكن فراقه صعب جدا.
- أنء قاسیة جدا.. ءى على نفسك.
- ءاولء أن أسامءه، ولم أسءءع.. أشياء عءیءة ءءع على لأؤمن ببراءءه، ولكن أو ان هذا قء فاء.
- لاءء (نوال) بالصمء قلیلا، ثم ءءءءء فىما ءاءء من أءله..
- یءب أن ءعوءى للءمل بالشركة.. أرىءك بءوار (رانيا) و(شذى) فى إءارءها.. أنء موءع ءءة مءلقة.
- لم یسءرق نقاش ذلك سوى ءقائق معءوءة.. رفضء (نورا) العوءة رسمیا فى الوءء ءالى، ولكنها وءءء أن ءءواءء فى مكءب (منصور) یومیا وبعءاء من الیوم ءالى لءنقل كل ما ءعرفه إلى ابنتى الرءل.

"البغاء للذ... بابا تعيش إنج"

رسالة قصيرة أوقظت (نورا) فى السابعة من صباح أحد الأيام.. تنقل لها نهاية حياة شخص أحبته، وأثر فى شخصيتها وحياتها.

عاش (منصور) اثنين وأربعين يوما بعد رحيل (أحمد)، ورأته (نورا) فيهم مرتين.. دعتها (رانيا) فيهما للذهاب معها إلى (الإسماعيلية) ورؤية (منصور) على أن يعيدها (سليمان) ليلا إلى (القاهرة).

لم يعرف العجوز شيئا عن فراق ابنه و(نورا)، ورحل معتقدا أن (نورا) تتعذب لغياب (أحمد)، وتنتظره ليعقدا قرانهما.

نهضت (نورا) من فورها تتحضر للسفر إلى (الإسماعيلية).. بكت وهى ترتدى ملابس سوداء، وبكت أثناء قيادتها لسيارتها من خلف نظارة سوداء.. بلغت المزرعة فى العاشرة والنصف صباحا، وبدون أن تسأل أحدا عن الطريق.. أوقفت سيارتها قرب سيارات بنات (منصور)، وخلف سيارة (حسن).

الأجواء كانت كئيبة داخل المنزل.. سكون شبه دائم يتخلله بعض النحيب من (رفيق) الذى يغيّر موقع مقعده من حين لآخر.. كأنه يريد الصعود لرؤية والده، وتمنعه ساقه المبتورة.

اثنان من عمال العجوز هما من قاما بتغسيه، وحضر (سليمان)، و(حسن) الغسل والتكفين.. (ياسين) وصل بعد الحادية عشر بقليل فى سيارة إسعاف تابعة للمستشفى الذى يعمل به.

التقت (نورا) ب (رانيا) أولا، ثم (دعاء).. وأزال الموقف ما بين الأخيرة، و(نورا) من حواجز فتعانقتا، وبكتا معا.

- (أحمد) عرف؟!

- أنا أول واحد عرف.. دخلت عليه الساعة ٥ كده أظن عليه.. وبعت (أحمد) رسالته، وكلمنى فى ساعتها.

(شذى) و(فاطمة) ظهرتا معا قادمتين من غرفة الثانية ترتديان السواد بدوريهما.

(ياسين) أخبر (رانيا) أن اللحاق بصلاة الظهر لتأدية صلاة الجنازة بعدها سيكون صعبا فبدأنا هي و(شذى) إجراء عدد من الإتصالات لتعديل الموعد.. ورغم هذا بدأ تهافت السيارات القادمة من (القاهرة) بعد انتصاف النهار بقليل.

(ياسين) و(حسن) غادرا المزرعة إلى مدفن آل (منصور) الذى إبتاعه الرجل نفسه ب (الإسماعيلية).

اصطحبا معهما بعض العمال لفتح المدفن، وتنظيفه بينما أنهى (سليمان) الإجراءات الرسمية، وعاد إلى المزرعة فى الثانية ومعه تصريح دفن رئيسه. ظهرت (نوال) عندما حان خروج الجثمان من غرفته إلى مثواه الأخير.. ظهرت متماسكة، ولكن صموت، ومحمرة العينين.. تخفى شعرها بوشاح أسود كبناتها، واستقلت السيارة التى كان زوجها يتنقل فيها يقودها (سليمان)، وبجوارها (فاطمة)، وفى الأمام (شذى).

عاد (حسن) من المدفن إلى المزرعة ليصطحب (دعاء) و(رانيا) و(نورا) اللاتى كن يواجهن موقفا دقيقا جدا.. يحاولن تهدئة ثورة (رفيق) العارمة، وإقناعه أن مرافقته للجنازة ستكون صعبة جدا.. كن يبكين معه، وهو يريد الاندفاع بمقعده نحو الدرجات الرخامية أمام باب المنزل.

صرخ ووجهه غارق بدموع حارة، واللعب يتناثر من فمه:

- أنا عاوز (أحمد).. (ها تولى) (أحمد).. أخويا اااااااا.. عاوز (أحمد).

ازدندن تهانفا، وأجابته (رانيا):

- ح بييجى.. (أحمد) ح بييجى إن شاء (الله).. بس دلوقتى أفعد هنا إدعى لبا، وإحنا مش ح نتأخر.

كان هناك خادمتان تراقبان الموقف بأسى، وربتت (نورا) رأس (رفيق) قائلة:

- (أحمد) أكيد ح بييجى يا (رفيق).. بس إنت لو جيت معنا دلوقتى ح نتعب أوى.

- لو كان (أحمد) موجود ما كانش ح بسببى هنا.

كان محققاً، ولم تجد (نورا) سوى أن استدارت، وطلبت من (حسن) أن يعاونها فى نقل (رفيق) إلى سيارتها.. عاونتهما (دعاء) بينما طوت (رانيا) المقعد المدولب، وحملته مع إحدى الخادمتين لوضعه فى سيارة (نورا) بدوره. غادرت الجنازة المزرعة إلى مسجد كبير بأشهر أحياء (الإسماعيلية).. عدد كبير جدا من السيارات تحمل أقارب، وموظفين، وعمال، وبعض ممن أحبوا الرجل، واستطاعوا الحضور، والمشاركة فى تشييعه، والصلاة عليه. لم يجادل (رفيق) عند المسجد حين طالبته (نورا) بالبقاء فى السيارة ريثما تعود إليه، وأوصت أحد رجال (منصور) أن يقف قربه. فى المقابر ساد صمت مهيب أثناء إيداع الرجل قبره.. وقفت (نورا) بجوار بنات (منصور) تقرأ فى المصحف الذى تضعه فى سيارتها، وبرز (ياسين) و(حسن) و(سليمان) من داخل المدفن بعد قليل، وبدأ الأول فى التحدث عن عظة الموت، ثم أخذ يدعو للمتوفى، والموجودون يؤمنون على دعائه. (نورا) و(دعاء) كانتا الأكثر بكاء، وتعانقتا طويلا، واحتضنتهما (رانيا) معا. مستقبلا العزاء كانوا ليصبحوا من الإناث فقط، ورجل قعيد.. لولا وجود (ياسين) و(حسن) الذى أثنى رجولة حقيقية فى ذلك اليوم، وكأنهما من نسل المتوفى أو كأنهما زوجين لابنتيه منذ سنوات. الشركة كلها تقريبا كانت متواجدة.. لم يتغيّب أحد.. حتى عم (على) فرأى مكتب (منصور) تواجد مع العمال الذين حضروا فى سيارتى نقل تابعتين للشركة. إنفض الجمع قرب الخامسة، وعادت خمس سيارات فقط إلى المزرعة بالإضافة لحافلتين تضمان عمال المزرعة المقيمين فيها. قوبلت (نورا) برفض قاطع حين أعلنت أنها ستعود إلى (القاهرة)، وأقسمت (دعاء) ألا تتركها تغادر الليلة بأى حال. أحضرت لها ملابس للنوم، وأغطية فى ذات الغرفة التى خُصت لها من قبل.. تعاونتا فى إعداد صينيتهى طعام.. واحدة لـ (نوال)، والثانية لـ (رفيق)

قدماها لهما فى غرفتى الأم، والأخ القعيد، ثم وضعتا بعض اللمسات على المائدة التى تم إعدادها لسبعة أفراد، ودعتا الجميع إليها.

وجدت (نورا) أن عليها الانسحاب لترك الفرصة لـ (دعاء) للتحدث مع (حسن) قليلا دون التقيّد بها.

دلّفت إلى الغرفة بالطابق الأرضى.. فتحت الشرفة، وحين وجدت الهواء باردا لمغيب الشمس عادت وفردت أحد الأغطية، ولفّت نفسها به.

رياح ذكريات عاتية عصفت بعقل الشابة.. ليست الذكريات المرتبطة بالموتوفى فحسب.. ذكرياتها منذ الطفولة، ووفاة والدها مرورا بأيام المدرسة، والجامعة، والعمل، ووصولاً لقصة حبها لـ (أحمد) وخيانتة وفراقهما.. فكّرت أن بكائها فى الشهور الأخيرة يكفى عمرها كله.

حين دفعت (دعاء) باب الغرفة برفق فى الحادية عشر مساءا وجدت الضيفة نائمة، فانسحبت لتنام بدورها.

استيقظت (نورا) فى الخامسة فجرا.. توضأت، وصلّت، ولم تغادر الغرفة إلا إلى الشرفة حيث ظلّت واقفة تنظر إلى أشجار المانجو التى تصنع رقعة خضراء بدت جميلة مع الأضواء الأولى للشمس .

بعد قليل تسمرت تحديق فى السيارة المندفعة على الطريق الممهّد فى إتجاه المنزل، وخفق قلبها بعنف.

(المرسيدس) الرياضية الفضية.. المعروف قائدها.

عبثا حاولت تهدئة قلبها، وهى تنظر إلى نفسها بمرآة فى الغرفة.

بلغت نبضاتها رقما قياسيا.. بالإضافة إلى أن معدتها انقبضت بشدة.

رغم كل شئ.. أرادت أن تراه.. وتقدم له تعازيها.. لقاؤهما الأخير ظل يلح على فكرها، ويلقى بظلاله على كيانها كله، ويسمر قدميها فى الأرض.

بللت وجهها بماء دافئ، ومسحته بمنشفة صغيرة، وإتخذت القرار بمغادرة الغرفة.

كان (أحمد) يجلس مع (دعاء) فقط.. رأته من جانبه.. حذاؤها الأسود لا كعب
عالي له، فلم يشعر الجالسين بقدمها.. لاحظت أن شعر الرجل قصير،
ولسبب ما بدا لها أضخم جسمانيا.

التفت إليها حين اقتربت جدا، وزوى ما بين حاجبيه ناظرا إليها كقائد
عسكري.. نظرته إليها حين كان يمارس طغيانه وتعاليه عليها.

- **إِزْنُكَ يَا (أحمد).. البَغِيَّةُ فِي حَيَاتِكَ.**

سكن لثوانى ثم نهض.. مدت يدها فصافحها ببرود..

- **سبخان من له الدوام.**

لم يكن شعورها بأنه أضخم مجرد وهم.. بدا وكأنه قد تجرع محلولا للنمو،
وسيوواجه صعوبة فى مواصلة ارتداء نفس مقاييس ملابسه.

عاود الجلوس بملامحه المتجهمه، وأشاح عنها.

ازدرت لعابها:

- **حمدًا لله على سلامتك.. أعمل لك فطار، وقهوة؟**

كان يبدو متعبا جدا.. لم يلتفت إليها..

- **لأشكركم.. مشه عايز حاجه.**

نهضت (دعاء) وقالت إنها ستعد القهوة لثلاثتهم، لكن (نورا) أصرت أن تقوم
بذلك.

فى النهاية دلفتا إلى المطبخ معا، وامتلكت (دعاء) الكياسة الكافية لئلا
تضغط على الضيفة المرتبكة للبقاء مع (أحمد).

حين عادتا للردهة لم تجدا (أحمد).. الهواء البارد الذى يتلاعب بستار الشرفة
دلَّهما على مكان الرجل.

كان بالخارج.. يجلس أرضا.. يثنى أحد ساقيه رافعا ركبته ليستند إليها
بذراعه.

ناولته (دعاء) قده قهوة وضعه بجواره شاكرا.

دعت (دعاء) (نورا) للجلوس، وأبدت نفاذ صبر حين حاولت الإلحاح فى الدعوة.

جلست (نورا) صامته على مقعد ليس قريبا جدا.

تحدث العائد بعد قليل.. صوت أجش، ونبرات واجمة، وإيقاع رتيب..

- إِتصلت بيه ليلتها.. إِتَلَّمنا ١٠ دقائق، وما حَسَّشْشْ إِنَّه تَعْبَان زَمِي قَبْلِك كَرِه..
- هَزَّرْتْ معاه، وكان بيضحك أومي، وما كانش بيكَلج جامد.. جت سِرَّة أومي،
- وقال لي دائما أدعيهم بالرحمة.. (الله) برحمهم.

جاوبه صمت تام من الفتاتين.. ثنى ساقه الأخرى، وعقد ساعديه معا فوق ركبتيه، وأسند ذقنه إليهما.. شرد ببصره في الأفق، ثم واصل:

- أنا كنت فاكِر إني ح أقدر ما أجيشن طأ أسمع الخبر.. بس كنت غلطان.. يا ريتي كنت موجود جنبكم، وكان الطغروض أكون واقف في العُسل.. أنا فصَّيت أصعب ساعات عمري في الرحلة دي.. خصوصا ٥ ساعات (ترانزيت) في (لندن).. حَسَّيت إني قريب جدا من الجنون.. جت لي حالة بأس غريبة..
- كرهت كلمة (ترانزيت)، وكرهت معناها، وكرهت (لندن) كمان.

نهضت (دعاء) من مقعدها، وجلست بجواره تطوقه بذراعها وتربت ظهره بحنان..

- أنت أصلا شكلك تعبان أومي.. ما حَسَّشْشْ في الرحلة خالص؟

هز رأسه نفيا.. لم يذق طعم النوم أو الطعام منذ علم بالخبر.. أي منذ ما يزيد عن أربع وعشرين ساعة.

- مين اللي نزل العبر؟ ولاد إخوانه؟

- لأ.. (باسين)، و(حسن)، وعم (سليمان)..

صمت الرجل لثواني، ثم التمعتا عيناه وضاقتا، وانقبض فمه نوعا، وهز رأسه بأسى.

- خلاص بقى يا (أحمد).. خَلَّينا دائما ندعي له بالرحمة والمغفرة.

- أنا ح أقوم أروح الطرفن دلوقت.. عابز أقرأ قرآن، وأدعي له شوي.

- دلوقت!! إسنئ عم (سليمان) يوديك.. هو اللي عارف السك.

"أنا عارفة السك.. مكن أوصلك."

التفتا إلى (نورا)، وانتبها إلى أنها باكية، والدموع تبلُّ وجهها.
ربما كانت (دعاء) أيضا رقيقة.. لكنها لم تكن تملك ذلك العشق المستعر فى
أعماق (نورا) نحو الرجل.. الرجل القوى المكسور.
بعد دقائق كانت سيارة (نورا) تغادر المزرعة متجهة إلى المقابر، و(أحمد)
يجلس صامتا بجوار قائدها.. لم يتبادلا كلمة طوال الساعتين التاليتين..
تمكنت هى من بلوغ الهدف بعد تركيز وتوتر.. بدا عليها فى وقت ما أنها قد
ضلَّت الطريق لكن مرافقها لم ينبس ببنت شفه.. غادر السيارة فى النهاية
أمام المدفن الذى يحمل اسم والده منقوشا على لوح من الرخام.. فتح بابا
حديديا أعطته (دعاء) مفتاحه، واختفى عن نظر (نورا) التى التقطت المصحف
من درج (التابلوه)، وظلَّت تقرأ فيه تاركة الفرصة لـ (أحمد) للاختلاء بنفسه،
والحصول على لحظات خاصة به.

بعد قليل وجدت دموعها تنهمر مجددا.. هكذا وهى تتلو الآيات بصوت
خفيض، ومن حولها صمت وسكون المقابر.. كانت تلك لحظة حقيقة
مفجعة.. اكتشفت فيها أنها لا زالت تحب (أحمد).. بقلبها، وعقلها، وجوارحها.
حين عاد بعد إغلاق الباب مجددا استقر فى المقعد المجاور لها مواصلا صمته
حتى صارا فى طريقهما ما بين بوابة المزرعة، والمنزل الكبير.

- شكرا.. شكرا على التوصل، وعلى وقوفك الغدرة اللج فانت مع (رانيا)
و(شذى) فى الشركة.. عش دائما ببقى كفايه البنى آدم بكون طيب.. ممكن
أوى بكون طيب. ويرتلك ذنوب كبيرة أوى فى حو ناس بيخبو، وفى حو
نفسه.

أوقفت السيارة فى نفس المكان الذى تحركت بها منه منذ حوالى مائة
وعشرين دقيقة.

بدت لها تلك مقدمة اعتذار جديد.. اعتذار مسبق باعتراف، ولأول مرة.
حين رفعت إليه عينين ذابلتين.. واجهت عينيه السوداوتين المجهدتين، ورأت
فيهما غضبا مكبوتا، وليس ندما.

فاجأها بأن واصل محدجا إياها بنظرة قاسية:

- اللي بيظلم بيظلم.. خديها مني.. قبك ما تشوفينها عملي في الحياة.
غادر السيارة، وسار نحو الدرجات الصاعدة إلى باب البيت.. تبعته، واستوقفته
بالباقى من آمالها..

- (أحمد).. قل لي أنا ظلمتك إزاي؟!

التفت إليها بحدة..

- ظلمتيني إزاي!! بقول لك إيه.. أنا شغفت ذك منك بكفيني عمري كله..
دلوقتي عندك استعداد تسمعي؟

تراجعت نصف خطوة مجفلة لأن صوته بدا كهزيم الرعد.
أشار لصدرة بإبهام مرتجف..

- أنا دلوقتي اللي مشن عايز أتلكم.. عايزة تسمعي يا (نورا)؟ روجي اسمعي
نفسك بس.. كملتي اندفاع وقسوة.. دوسى على كل حاجه خلوة، وإوعي
تفكرى لحظة أو تدعى فرصة.. وإستنى اللي إنتى مستنياة.. أوى واحد غيرى.
- أنا شغفت خيانتك بعيني.

كانت محطمة.. منذ تركها، ولم يعد موجودا.

سحب نفسا بأنفه، وتقلص فمه.. كانت تبكى أمامه مجددا.. تبحث الآن عن
دليل براءة.. بعد نفاذ الحكم بإعدام برئ..

- أنا مشن راجع أتذك قدرامك تاني.. مستحيل ح أنسى كل الحاجات الحلوة اللي
عملتيها ليأ، وفيأ.. مستحيل ح أهينك زى إنتى ما عملتى.. بس برضو
مستحيل أرجع لك.. مشن إنتى بسن اللي عندك كرامة يا (نورا).

انفتح باب المنزل مع كلماته الأخيرة، وبرزت منه (دعاء)..

- مكن تسكتوا إنتو الإثنين؟ إزاي بتحبو بعض وتلكمو بعض كده؟! إنتو إيه؟
فاكرين الحب ده حاجه سهلة؟ بنلاقيها كل يوم!! (نورا).. لأ.. إستنى
علشان خاطرى.

دار جدال قصير جدا بين الشابتين، و(نورا) فى سيارتها تبكى بمرارة تمزق القلوب، وانتهى بتحركها بالسيارة لترحل، فاستدارت (دعاء) لأخيها..

- حرام عليك يا (أحمد).. ده جزائها بعد كل اللي عملته!

حين رأت عذابه على ملامحه.. أردفت:

- إحفظها عشان خاطرى.

- تعالى طيب.

تحرك نحو سيارته، وانطلق بها فور أن لامست (دعاء) المقعد المجاور له. عادت العربة للخلف عدة أمتار، ثم دارت حول نفسها نصف دورة، و(دعاء) تتشبث بمقعدها.

بسرعة مذهلة لحقت (المرسيدس) بسيارة (نورا)، وأجبرتها على الإبطاء، ثم التوقف قبل بلوغ بوابة المزرعة بكثير.

لم يغادر (أحمد) سيارته.. ظل جالسا يجتر آلامه.. بينما أخته تحاول تهدئة (نورا) التى تنتحب كطفلة على نحو أجبر (دعاء) على البكاء معها، وهى تحاول تهدئتها.

عادتا معا فى سيارة (نورا)، ولم تتبادل الأخيرة كلمة إضافية مع (أحمد) الذى لاذ إلى غرفة أعدتها له (دعاء)، ولم يغادرها حتى رحلت (نورا) قرب الواحدة ظهرا، وحين فعل لاقى ترحاب الجميع فى لقاء دافئ حزين.

تناول طعامه، وإخوته يحيطون به، و(نوال) تجلس بجواره، وآيات القرآن الكريم تتردد فى الردهة بصوت (الحذيفى) الرحيم.

لم يغادر (أحمد) المنزل لثلاثة أيام وليالى.. أشعر عائلته خلالهم بالأمان والدعم دون أن يتعمد ذلك، واستمتع بالشعور بحبهم، وخصوصا (نوال) التى أدرك أنها كانت دائما تملك مكانة فى نفسه دون أن يدري.. اعتنت به، وتحديثت معه عن حياته، و(نورا).. بدا وكأنها تسانده دون قيد أو شرط، وعرضت عليه أن تقوم بزيارة ثانية للشابة لتصفية الأجواء.

تحدّث مع (رانيا) عن العمل فى اليوم الثانى، ومساءً أبدي إمتنانه الشديد لـ (ياسين) و(حسن) الذين جاءا معا وبرفقتهما أسرتيهما لتقديم العزاء. (رفيق) بدأ يستعيد بعضا من هدوئه مع الوقت.. لم يصرخ أو ينتحب منذ ظهر (أحمد)، وكأنه استعاد شعورا بالأمان كان قد افتقده برحيل (منصور). فى اليوم الثالث أعطته (نوال) وصية والده ليقراها.. بكى، ثم أعادها إليها دون تعقيب، وحين توسط أخواته مساء مطالعا الصورة الجماعية التى التقطها (سليمان) للأسرة منذ فترة زينة محياه بسمة شجن صغيرة.. تلاشت حين قالت (شذى):

- هذه الصورة تنقصها (نورا).
لم يعلّق، ولكن (رانيا) أكدت بصدق:

- نحن جميعا مستعدّات للذهاب إليها، ومصالحتكما.
قالت (فاطمة) ببراءة، وثقة:

- أنا أستطيع إقناعها.. إنها تحبك جدا.
ابتسم، وشكرهن متأثرا، وتأثر أكثر فى الليل حين كان عليه إقناع (رفيق) أنه ليس عائدا إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) فى الصباح، وأنه ذاهب إلى (القاهرة) فحسب.

انتزع (دعاء) من دائرة الحزن حين أخبرها أنه سيتناول غدائه بمطعمها فى ذلك اليوم.. كما طالب (رانيا) و(شذى) بالتواجد فى الشركة باكرا لأنه لا يريد زيارة المبنى دون تواجدهما.

كان يجب أن تعدن للحياة، وكان هو ذكيا فى التكفل بذلك.
زيارته للشركة أثارت فوضى بالمبنى.. الجميع تسابقوا لتعزيته، ولم يمانع أو يتذمر حين عانقه بعض الشبان من الموظفين رغم أن ذلك يخالف قواعده، والمثير فى الأمر أنه لم يشعر يومها بذرة من النفاق أو المهادنة.. كل الأعين بدت مواسية، وكل النبرات بدت صادقة.

استغرق وقتا ليصل إلى مكتب والده، وحين فعل.. رفض دعوة (رانيا) للجلوس خلف المكتب.

تحدّث مع أختيه عن بعض أمور العمل، ونهض مصافحا (على) العجوز الذى أحضر له قهوته دون أن يطلبها.

انصرف من الشركة فى الواحدة ظهرا بعدما اطمأن لبضعة أمور، وإتصل بـ (ميना) ودعاه وزوجته لتناول الغداء فى المطعم الذى تملكه، وتديره (دعاء).

مر بالبنك، وظل فيه حتى الثالثة، وغادره إلى حيث مسكن (حسن).. قاصدا متجر الحيوانات الأليفة الخاص بوالد الشاب.. وجد الرجل فجلس معه لنصف الساعة، وصلّى معه العصر، ثم انصرف من عنده ومعه صديق صغير لطيف.. جلس بجواره فى السيّارة هادئا لبرهة، ثم بدأ يستكشف (المرسيدس)، ووثب إلى أريكته الخلفية فتابعه (أحمد) مبتسما بخفوت.

التقى (مينا) و(ليليان) فى الرابعة بطريق (القاهرة - السويس)، وغادر السيّارة لتحيتهما وتلقى تعازيهما.

دلف إلى المطعم وهو يحمل جرو صيد ذهبى (Golden Retriever) عمره شهر.. أثار جنون الجميع لأنه بدا وديعا، ونظرته ودودا!

عبر (أحمد) عن إعجابه الشديد بالمطعم، وانبهاره بأن (دعاء) هى المسئولة عن كافة تفاصيله.. أدخلته إلى المطبخ، وقدمت له الطهارة، ومسئولى الصالة المتخصّصين، وحكت له عن بعض المتاعب التى واجهتها، وأصرّت على الحصول على صورة لها بجواره لتضعها فى مكتبها.

حين سألته (شذى) عن الجرو قال:

- أحضرته لـ (رفيق) فى الأصل.. لكن من الواضح أنه يحوز حب الجميع.. سألت أمك بالتأكيد قبل أن أحضره.

عندما رأى (رانيا) تجلس وحدها رغم وجود (ياسين) المنهمك فى حديث جانبي مع (حسن).. بادرها:

- إني شللك مغفوشه عليكى وفغشه طين.

استرقت نظرة إلى (ياسين)، ثم زمت شفيتها مومنة برأسها إيجابا.
سحب مقعدا، وجلس بجوارها، وأحب المشكلة التي أوقعت نفسها فيها.
كان (ياسين) غاضبا منها لأنه أرادها أن ترتدى الحجاب بشكل دائم عقب وفاة والدها، وأحنقه أن ذهبت إلى الشركة اليوم دون أن تبدى إهتماما لطلبه.

- اعتقدت أنه يقترح فقط.. ثم أننى سأحتاج وقتا لشراء ملابس جديدة..
لن أضغط زرا فأصير محجبة.. سوف ألبأ إلى (نورا) لتساعدنى فى هذا
الصدد.

هز رأسه، وانتابه الشرود لثوانى.

الطعام كان ممتازا، واستحضر (أحمد) أدفا نبراته وهو يشكر (دعاء) ويهنئها
فى مكتبها وحدهما.

قدّم لها مظروفا صغيرا هو هدية الافتتاح ربما..

- لست أكبرنا عمرا.. لكنك أكثرنا حنانا.. تستطيعين جمع إخوتك حولك
بسهولة.. حتى (رفيق) أخبرنى أنه يحبك أكثر من الجميع.. أتمنى لك
السعادة والنجاح فى كل ما تفعلينه.

- أنت من عاد فأصلح الكثير من الأمور، وأبدل (سيناريوهات) كانت
لتمسى كئيبة.

ابتسم، وغادر الغرفة بعد أن وعدها بأن يلتقيا بالمنزل مساءا.

عند سيارته وقف قليلا مع (ميّنا) و(ليليان).. كانت الأخيرة تداعب الجرو عن
بعد فداعب (أحمد) رأسه، وسأل زوجة صديقه عن الهررة، وكانت الأخبار
سيئة:

- الرمادى هرب.. اختفى فجأة.. أختاه لاتزالا تبحثن عنه، وأصابهما
الاكتئاب.

حين عاد (أحمد) إلى المزرعة بـ (الإسماعيلية) فاجأ (رفيق) بالجرو.. سعادة
مفرطة تلك التى أبداها الرجل لمرأى الصديق الجديد.. أخذ يحتضن الكلب

الصغير حتى يضطر هذا لإصدار استغاثة خافتة.. تخلّى (أحمد) عن وقاره،
وانهمك فى اللعب مع أخيه، والجرو الذى سيشغل حياة الرجل الخاوية.
حين سأله (أحمد) عن اسم الكلب.. قال وكأنه قد إتخذ قراره منذ زمن..
- (بوتو).

- (بوتو)!! إيه (بوتو) ده؟ قصدك (بلوتو)؟

- لأ.. (بوتو) يا (أحمد).. (بوتو).

- طيّب يا سيدى خلاص.. (بوتو) (بوتو).. اظهّم تاخذ بالك منه، ومن أكله.
حين أقبلت عليهما (نوال) بدت خائفة من (بوتو) حتى حين أمسكه (أحمد)
ليعرّفها به.. لكنها ظلت مبتسمة أمام بهجة (رفيق) الواضحة.
ترك (أحمد) أخيه مع الجرو، وجلس بجوار (نوال)..

- كنت عايز أجيّب لحضرتك هديّة.. بس لسّه مش عارف أجيّب إيه.

- هديتك وصلان من فترة.. معاملتك لإخوانك، وخوفك عليهم.
ابتسم، وهو يتابع (رفيق) المندفح إلى غرفة (فاطمة) ليربها الجرو الرابض
على فخذه متوترا.
سألته (نوال):

- مش كنتغى لنفسك بقى، وتخلص موضوعك؟

لم يجب.. تنهد بعمق.

- لسّه بيخبيها؟

- مش حب عادى يا طنط، والل.. بس هى فاسية أوى.

- بصراحه كره البنيت فانتسا بشن.. أنا جبر يا (أحمد) عاوزاها ليك.. بعنى لو من
حقى أقول لك ده.

- طبعاً من حقا.. ورأيك بهمنى أوى كمان.

- طَبَّبَ لو كده بيقى روح لها .. إعتذر لها على اللي فات، وإبدأوا صفحة جديدة مع بعض.. الحياة يا (أحمد) مشن مستاهلة.. السنين بتجرى، والحب بييجى غالبا مرة واحدة في العمر.
- هز رأسه، وازدرد لعابه، وشرد.
- حين وصلت (دعاء) طلبت منه مرافقتها، وفور أن صارا وحدهما سألته مشيرة بالمظروف الذي قدّمه لها فى المطعم:
- هو إيه ده يا (أحمد)؟ إنت بتهرج؟
- لأ يا سَيِّى ما بهرجش.. نصيبى فى الطرائف كبير، ودى فلوس أبوكى (اللهم) برحمه.
- بتوزعها علينا ليه؟ هو سابج لنا حاجات بأسامينا، وفلوس برضوا!
- وإيه المشكله؟ أنا مش محتاج فلوس دلوقتى، ولو احتجت ح أطلب منكم.
- لأ يا (أحمد) أنا مشن
- (دعاء).. من فضلك ما تتكلميشن فى الموضوع ده تانى.
- فى الصباح استيقظ مبكرا، وقد فشل فى الحصول على نوم عميق مريح، ولكنه لم يغادر غرفته سوى ظهرا.. (شذى) هى من لاقته فى المطبخ يعد القهوة قبل خروجه.. أشادت بمعطفه، ثم قالت راجية:
- قول إنك رايح ل (نورا).
- أوما برأسه فصاحت وكأن يأسها يشهد انفراجة:
- يا ساتر!! أخيرا.. زهقنونا مجد.. هى خست النصن، وإنّ رحمت تاكل الحديد فى (الجيم) وكأ إيه مشن عارفه!!
- ورغم إحساسه العميق بأن قصتهما لم تنته.. ظل (أحمد) طوال الطريق إلى (القاهرة)، وإلى بيت (نورا) يرسم بعقله سيناريوهات فى منتهى الكآبة.

تردد قبل أن يضغط زر جرس باب شقتها، وحين لم يتلق جوابا هبط يسأل حارس العقار الذى يقوم بغسل سيارة أمام البناية.. قال أن الآنسة (نورا) ليست متواجدة، ولكنها لم تفصح عن وجهتها حين رحلت منذ يومين. شعور قوى راود (أحمد) بأن (نورا) هناك.. فى (الساحل الشمالى).. شعور اقترب من اليقين التام.

لم يمر بمسكن (رغدة) باحثا عن سيارة حبيبته مثلا.. لا.. زود سيارته بالوقود وانطلق إلى الطريق دون المزيد من التفكير.. ترافقه إذاعة القرآن الكريم. كان المطر يهطل بغزارة على جميع قرى (الساحل الشمالى) الشبه خاوية فى هذا الوقت من العام.. الظلام يكاد يكون دامسا، وما من بشر فى الجوار.

- أنا حاسس إنك مشن معدرة اللج عملتة علسان أشوفك يا (نورا).

لم تكن الشابة قادرة حتى على إبداء الشكر، والإمتنان.

تنهدت وهزّت رأسها، وهى تسيير تحت المطر ب (Training Suit) تدس كفيها فى جيبى سترته، وتُحكم غطاء الرأس الملحق به على حجابها.

- لأ معدرة طبعاً يا (أشرف).

كان يسير بجوارها، ويساوره الكثير من الضيق منذ لمس رفضها استقباله فى (الشاليه) مفضلة أن يسيرا تحت أمطار كان هو يرغب فى تفاديها بأى شكل.. بعد رحلة قطعها من (المملكة العربية السعودية) خصيصا لرؤية الشابة، والتحدث إليها.

- طيب إيه؟! واحد تانى فى حياتك؟

- مشن بالطبط كره.. مشن عارفه ح تفهمنى ولأ.. كان فى حد قريب، والتجربة كانت صعبة علماً شوبه.

- عادى.. إدبنيج فرصة بس.

لاذت بالصمت لثوانى.. مصابيح إنارة قليلة جدا هى ما بثت ضوءا شاحبا فى أنحاء القرية المهجورة بشكل شبه تام.

شعرت أنها يجب أن تقف الآن، وتنظر فى عيني الشاب مباشرة..

- مشن عابزه اظلمك.. كفايه اوج ظلمت نفسي.

أثار صدقها بدت على وجهه هو.. لم تفهم هي ما يمكن أن يجرح كبريائه فيما قالته.. فهي حتى لم تمنحه أملا بنظرة ذات يوم.. لكنه بدا وكأنه على وشك خلع قناع التهذيب، وربما توجيه سهامه إليها.

- أنا مشن عارف أقول لك إيه بعني!! أنا جى لك من قارة تانية.

شعرت بإشفاق حقيقى نحوه، فقالت معذرة:

- أنا آسفة.

بدت شاكرة أنه لاذ بالصمت، وسار بجوارها عائدين نحو (النشاليه).

حين اقتربا من وجهتهما قال:

- عابز أسألك سؤال بس.. إنتي شايغه إنك كرهه صبح بعني؟! تر فرضي ارباب

رسمي علشان تجربت عاطفيه فاشله! وأساسا شايغه إن يصبح واحده محترمة

تدخل تجارب عاطفيه من غير خطوبه على الأقل؟

لم ينجح فى تقبل الهزيمة.. لم ينجح فى قبول الاستسلام دون جرحها.

ربما لو كان المكان مأهولا نوعا.. لشجّعها ذلك على رده، أو وضع حد له..

لكن الأمر نفسه هو ما جعله يواصل:

- مشن ع تردى طبعاً.. علشان الإجابة ع تبقي وحشه فى حقل.. على فكره

الحجاب مشن إنك تغطى شعرك.. ناويه تعيش حياتك زى الأول.. لبستيه

ليه؟ كنتي بتيجي هنا والقربى كلها تتفرج على لبسك، وجسمك.. وكان

مستحيل ع أفكر فيكى.. للجواز بعني.

إحساسها بالظلم، والإهانة لم يكن قابلا للقياس.

أطبقت فمها، وواصلت طريقها نحو (النشاليه)، وذكرى (أحمد) تغزو كيائها.. لم

تحدد سببا لذلك.. هل لأنه لم يشعر براحة نحو (أشرف) حين رآه؟ أم لأنها

شعرت فى هذه اللحظة بحاجة ماسة للحماية!

ماذا لو تمادى السائر بجوارها؟ ماذا لو قرر إيذاؤها بأكثر من كلماته؟

- إستنى هنا.. أنا ما خلصتس كلامي.

- جذبها من ذراعها، فاجتاحها الذعر.. لكنّها احتفظت برباطة جأشها نوعاً..
- أنا كنتُ فأكراك مهذَّبٌ أومج.. مشن رجوله على فِكره إنك توجّه إهانات عارفة إنَّها مشن ح تترد لك.
- أنا أصلاً مشن مستنّى واحده زبك لحلم علياً.
- واحده زبج!!!
- آه.. واحده زبك.. مستغربه أومج ليه كره!
- لم ينتبها لظل رجل نهض واقفا من على الإفريز أمام (الشاليه) المملوك لـ (نورا)، وبدأ التحرك نحوهما.
- كان (أشرف) يشرح، وعيناه تحملان بريقاً ذئبياً:
- أنا أصلاً مستبّيع.. بقوله لك واخذ أجازة من شغلي، ودافع تذاكر طيران علسانك إنتي.
- عملاق هو.. ذلك الدخيل الذي يتحرك ببطء إثر إصابة فى ساقه أو ركبته اليسرى على الأرجح.
- كانت (نورا) تتسائل بتوتر بلغ ذروته:
- إيه مستبّيع يعنى؟! لو عايز فلوس التذاكر همكن أدفعها لك على فكره.
- جفل (أشرف) حين لمح القادم الذى تسائل بصوت يحمل رنة غضب:
- فى إيه يا (نورا)؟
- امتلكت الأخيرة الوقت الكافى للذهول بينما اجتاح الذعر مشاعر (أشرف) حين جذبته (أحمد منصور) من ملابسه بعنف، وبدا مستعداً للفتك به.
- نست (نورا) كل شئ حين تبيّنت هيئة (أحمد) المزرية.. كانت ضمادة طبية تغطى جزءاً من جبهته المتورمة.. بينما كان معطفه فى حال يرثى لها.
- (أحمد).. إيه اللج حصل؟
- بدا وكأنه لم يسمع سؤالها الملتاع.. كان يحدّج (أشرف) بنظرة نارية بينما هذا مبهوتا لا يعرف مصيره فى وجود هذا الضيف الغير متوقّع.

- يا (أحمد) سيبه. ورد علياً.. إنت عملت حادثه بالعريبه؟

استنزف الرجل ما وجده من طاقة فى عروقه ليدفع (أشرف) بعنف ويُسقطه فى قلب الطريق الموصل.

حين شعرت (نورا) أنه كاد يترنح بعدما دفع الوضع تمسكت بذراعه شاهقة بجزع.

- (أحمد).. إنت كويس؟

نظر إليها بصمت، وتبددت القسوة من عينيه.

كان يشعر ببرودة شديدة، ودوار عنيد يعاوده مع آلام أطرافه، وصداع ضارى يكتنف رأسه.

حدق فى ملامح حبيبته التى تعكس مدى خوفها عليه، وأكثر.

لم ينتبها إلى (أشرف) الذى نهض، وابتعد بسرعة.

تعالى لهاث (أحمد)، ووهن نظراته أصابا أعصاب (نورا) بصدمة كادت تعطل حواسها.. لكنها تماكنت نفسها بالدرجة التى سمحت لها بأن تحته على مرافقتها إلى (الشاليه).

كان وعيه يكاد يغيب كلياً.. حين ارتمى على الأريكة فى الردهة الدافئة كانت مرافقته قد أحست بارتعاده الشديد فهزعت لإحضار أغطية، ومنشفة مختبرة لوعة لم تعرفها فى عمرها كله.

بدأت فى البكاء حين تبينت الدماء التى تُغرق الساق اليسرى لسروال (أحمد) الممزق.. رأت ضمادة بيضاء كبيرة تحوط ركبة الرجل ما يؤكد أنه لاقى رعاية طبية بشكل ما.. لكن هذا لم يمنع انهيار كيائها، وهى تدثره بالأغطية، وتجفف شعره.

لم تمتلك أدنى دفاعات أمام نظراته الزائغة.

احتضنت رأسه فى صدرها، وقبلت قمة جبهته مرتين.. كانت بشرته باردة جداً.

أسرعت ترفع ساقيه على الأريكة، وتُحكم عليه الغطاء، ثم جثت على ركبتيها عند رأسه، وسألته محاولة تهدئة نبراتها، وهي تتحسس الضمادة التي أرخاها المطر عن جبهته:

- أنت حاسن بوجع جامد؟ إنك رُحمت مستشفى.. صبح؟
ابتسم بشحوب، وقال شيئاً لم تميّز فيه سوى كلمة (إسعاف).
فرت دمعة ساخنة من جفنيها..

- أنت جيت هنا في عريبة إسعاف؟
أوماً برأسه فى خفوت، وتضاعف فجأة ثقل جفنيه، فهوت هى جالسة أرضاً..
لم تكن قادرة على الوقوف بدورها.. كانت لاتزال تتنفس حبه، ورؤيته متأدياً
هكذا جعلت أعصابها كلها ترتجف.
مرت الدقائق ببطء حتى انتبهت لرنين هاتفها المحمول.
كان الإتصال من (سليمان):

- لا مواخذة يا ست الكلك.. هو سيادتك تعرف حاجه عن (أحمد) بيه؟!
- أبوه يا عم (سليمان).. هو عندي هنا في الساحل الشمالى.
- (اللهم) يبارك لك يا ست الكلك.. أنا كنت ح الجئن خلاص.. هو نجر طيب؟
- أنا مش عارفه يا عم (سليمان).. هو أصلاً مش قال حاجه.. عمل حادثه
بالعريبه، وأنا مش عارفه حاجه.. مش عارفه حاجه.
بكت لكن الرجل سألها بإصرار متوجس:

- بعني هو ماشى على رجليه؟
- أبوه.
- طب الحمد لله يا ست الكلك.. قدر ولطف.. أنا أصلى عند العريبه دلوقتى.. هو
طلب من حد على الطريق يتصل بيأ، وأنا وصلت هنا من ساعه، وإتصلت
بإسعاف الطريق فاعرفتش أحد منهم أيج معلومات.. العريبه معجنه فى
بعضها و(اللهم) يا ست الكلك.. الرجل اللي كان معاه التليفون بيخلف لى إن

خروج (أحمد) بيه من العرييه كان معجزة.. ده كرم ربنا علينا.. ربنا كبير
ولطف بنا.. الحمد لله.

كانت عيناها مفتوحتين، والدموع تتساقط منهما الآن بتتابع غزير.
تابع الرجل:

- خلاص يا هانم.. أنا بس ح أتصك بيكي تاني علشان أطمن.. أنا كده كده ح
أبات في إسكندريه.. الونش ببشيك العرييه أهو، وأنا تليفوني مشحون،
وسباتك طمّني (أحمد) بيه إن تليفونه، وبعض الحاجات اللي طلعت سليمة
من العرييه معايا.

أنهت الإتصال، والتفتت إلى (أحمد) بكل كيائها، وتهانفت بشدة.
حين لامست جبينه ألفتة ساخنا هذه المرة.

ظلت لساعات تمرّضه.. المناشف المبللة بماء بارد لخفض درجة حرارته.
لم تتمالك نفسها حين نطق ببعض الهلاوس، وميزت فيها كلمتين فقط..
(نورا)، و(بابا).

حين توقفت عن البكاء كانت تشعر أنها ام لذلك العملاق الراقد.. أمه التي
حُرّم منها منذ مولده.. امه المستعدة لأن تفيده بعمرها إذا لزم الأمر أو أمكنها
ذلك.

فتح عينيه قرب الفجر.. وكانت هي على ركبتيها بجواره.
ظل يحدق فيها وكأنه يراها لأول مرة.. داعبت شعره بحنان، وهزت رأسها
هامسة بحمد (الله) على سلامة حبيبها.. حبيبها الذي انمى مصطلح
"الخيانة" من دفاترها حين شعرت فقط أنها كادت تفقده إلى الأبد.

- عندك مسّون؟

خلال ثواني كانت تساعده على تجرّع قرصين من قاتل للألم سريع الفاعلية.
حين ترك لها قدح الماء أخبرها بما لا يقبل مجالاً للشك:

- أنا بحبك أوى.

كانت الكلمات الثلاث تحملن إحساسا لطم الشابة فأجهشت ببكاء حار على صدر الرجل الذى أسبل جفنيه مجددا، وفتحهما بعد سويغات. كانت الشمس قد أشرقت على استحياء، وبدا ضوءها وأهيا خلف غيوم ثقيلة. فور أن تحرك هبت (نورا) من مقعد وضعت بجواره، وانحنت عنده. كان أقدر على التحدُّث الآن.. نقلت له رسالة (سليمان)، وهى تبدأ محاولات يائسة للسيطرة على مشاعرها.

كان يرمقها بنظرات واعية الآن، وسرَّت أن بدأ أفضل حالا.

- الحمد لله إن في حد وقف ساعة الحادثة.

- حد !! حد مين؟! الطريق كله وقف.

- بجد؟

- و(الله) العظيم الشعب ده ما فيش ده أنصف منه.. بس مشن واحد حَقَّ.

هزت رأسها، ثم اعتدلت واقفة:

- ع أعمالك فطار خلو علسان مشن تتعب تانج.

- طيب خديني معاكى.

حرَّ ذراعيه، وأنزل ساقيه، ومد يده إلى مضيفته لتعينه على النهوض.

صرخت بخفوت حين جذبها بغتة ووجدت نفسها على الأريكة بجواره.

مال نحوها حتى صار وجهه فى مواجهتها مباشرة.

كانت بين ذراعيه تقريبا.. كتفاها منقبضين، وفمها مفتوح.

- مشن عارف أعيش وإنج مشن معايا.

ازدردت لعابها دون أن تنغلق انفراجة شفيتها.. لكن كتفاها تراخيا.

تابع مؤكدا:

- أنا مشن ناومى أضبع ثانية كمان بعيد عنك، وعابز أسألك سوال واحد.

كان ينظر فى عينيها مباشرة..

- مشن عابزه تشوفى (كوپر)؟

الابتساماة الإِعْصارية العاتية جاءت من كل مكان هذه المرة.. عينيها..
وجنتيها.. شففتيها، وحتى أحبالها الصوتية.
قبض بأسنانه على باطن شفته السفلى متأثراً بجنون.
لَفْهُما صمت بليغ لثوانى قبل أن يسألها دون إخفاء ليهجته بما أفصحت به
عيناها:

- تعيش في (أمريكا)؟

- إنت ح تعيشين فيين؟

- أنا ح أعيش هنا.

- وأنا كمان.

- ح تعيشين معايا؟

آمال حياته كلها تحققت مع نغمة الإيجاب الناعمة من حلق الشابة.

أشرق وجهه، وعلى نحو أقوى كثيرا من الشمس بالخارج.

- أنا ح أصغى نصيبى في الشركة هناك، وح أبعث أجيب (كويز).. كفايه
(ترانزيت) بقى.. أنا مكانى هنا معاكى.

مسها قوله، وتفكيره أن ما مضى من سنون عمره بدونها هو ما كان وضعها
مؤقتا، وليس وجوده هنا.

- خلاص فافيش (ترانزيت) تانى.

هى فعليا لم تكن تذكر فى هذه اللحظة شيئا عن الخيانة أو الغدر، وهو لم
يكن يتذكر أنه رأى قسوة فى هذه الملامح الناعمة ذات يوم.
قال بصوت بحته المشاعر:

- بس ح أسبب البيت هناك عشان نروح فيه أجازات.

لم تعقب.. كانا ساكنين تماما.

- فاكرة آخر طلب طلبتيه منى فى البيت عندك؟

تخضب وجهها، وشعت ابتسامتها أكثر..

- بسن.. لأ.
 - إيه بسن لأ دي؟
 - مشن عاوزة.
 - ليه؟
 - علشان إيدك تعيلة.
- حذق فيها لثوانى ، ثم ضحك بقوة.. معلنا بداية جديدة، وشروق جديد..
بشمس أقوى وأدفاً.

* * *

"تمت بحمد الله"

شكر خاص

م/ أيمن عدلى

أساتذة اللغة العربية

أ/ محمد الفاتح (رحمه الله)

أ/ أحمد شحاتة

أمجد عبد العزيز

هند يوسف الصديق

حسين محمد

مريم نبيل المنياوى

أحمد عبد العزيز

فريق عمل مكتبة العدل،

ولكل من قدّم الدعم الفنى والمعنوى للرواية والكاتب.

إذا كنت تحلم بنشر كتاباتك.. يمكنك قراءة مقال "كيف أنشر كتاباتي؟"
على صفحة الشركة "العدل للتوزيع الإعلامي" بموقع "فيسبوك"،
وكذلك صفحة الرواية.

عزيزى القارئ.. عند وجود (استفسارات - مقترحات - شكاوى).. لا
تتردد فى التواصل معنا

ADL for Media Distribution

إلى اللقاء فى إصدارة قادمة..



Always a friend

Ray Charles Robinson (September 23, 1930 – June 10, 2004)

You are always a friend...

Someone I can talk to.

Always a friend

Someone I can always turn to

Time and again...

when my whole world

Has caved in.

You are always a friend...

Someone I can believe in

Always a friend..

Someone I've been needing so

when it's all at an end

So I can lean on

Every now and then

We've been friends from the beginning

I loved the way you smiled at me

Oh can't you see.. I'm winning

Now my only wish

Is that someday...

I will be...

Always a friend

Someone who will always love you

Always a friend

Someone who'll be worthy of you

Right from the start

You and me together,

The two of us , forever

Seeing in you the love

I wish you'd see in me...

Let it be...

Always a friend...

Let me be...

Always your friend

مقتطف من:
"على الأريكة الجلدية"
مجموعة قصصية
كريم عدلى

ما من مصادر إضاءة فى الردهة الواسعة سوى مصباح مدلى من السقف بسلكين.. أبواب الغرف مغلقة ماعدا واحدة بابها نصف مفتوح.. ترك البراد على شعلة الموقد بينما وضع لى أنه يعد لى شاي معه فى قده زجاجى بدا نظيفا.. عاد هو للجلوس على مقعده، ورفع ساقا فوق أخرى.. لم يكن ذلك بنية الاستعلاء.. أراد إخراج لفافة تبغ مكتظة من جوربه.. أشعلها، ونفث دخانها إلى أعلى وهو يضم طرفى السترة (الچينز) التى يرتديها مؤكدا أنه أيضا يشعر بالبرد.

كان الصمت ثقيلًا.. حاولت إزاحته..

- وحضرتك بتقبض كا.....

- سبعميه وخمسين جنيه.

جاوب قبل أن أتم سؤالى.. حرت لثوانى فيما إذا كان معنى السؤال قد وصله مبكرا، أم أنه قرر التحدث فى نفس اللحظة التى قررت فيها أنا ذلك.. ومن نفس النقطة.

وشرد مع أدخنة سيجارته مكررا:

- سبعميه وخمسين جنيه.. باخدهم من الحاج صاحب الفرن أول

الشهر.. أديهم للحاج صاحب العمارة.

وصلتنى رائحة الحشيش قوية.. أردت أن أسأله:

- وبتاكل وتشرب وتحشش مينين؟

لكننى حذفنا الثالثة واكتفيت بالأولى والثانية فقط.

- ربك بيرزق.

راقبته وهو يدخن بتلذذ شاردا.. بدا وديعا أكثر مما تخيلت.. أصابعه النحيلة نظيفة الأظافر.. والعروق بارزة فى كفه بوضوح.. خاتم زواج مستقر فى يده اليسرى.

- إنت متجوز يا أستاذ (إبراهيم)؟

سألته بفضول كبير.. صديقى قال أن امرأة مثيرة القوام تزور الرجل بانتظام، ورآها تصعد إليه عدة مرات فى اليوم الواحد.

- كنت متجوز.. كنت متجوز ملاك.. بس إتوفت.. راحت للى خلقها..

أكد حيكون أرحم عليها من الناس.. و(الله) أنا فرحان لها.. فى الأول

كنت زعلان عليها أوى.. بس دلوقتى فرحان لها و(الله).

صدمنى مقدار صدقه.. حتى أننى لم أقدم له أى تعازى.

نهض لسكب الماء المغلى فى الكوبين، وقبَّهها بملعقة صغيرة ألقاها فى

البراد، وأمسك السيجارة بفمه، وعاد يجلس على مقعده، ثم مال يقدم لى

مشروبى.. قدح شاي داكن به الكثير من السكر.

أحطت الكوب بكفى، وملت للأمام قليلا تاركا جهاز التسجيل يتدلى كما لو

كان كرشا لا أملكه.

- إنت إيه حكايتك ياعم (إبراهيم)؟

- حكاية قديمة.. بس ما بتموتش.. مش راضية تموت.

- هى حكاية الجرح اللى فى وشك؟!

- هى.

أجاب وهو يبدو بائسا لأول مرة فى اللقاء.

سألته:

- إتحبست؟!

- ٣ سنين.. ٣ سنين غيرونى كثير.. خرجت واحد تانى.. حاولت أشتغل

بالقرشين اللى كانوا حيلتى بس خسرتهم.. (بطة) هى اللى وقفت

جنبى، ولحقتنى قبل ما أكفر.. الناس كلها مش شايفة فى غير

السابقة اللى فى ملفى عند الحكومة.. بس (بطة) كانت الوحيدة اللى شايفه (إبراهيم) من جوه.. عارف.. ناس كتير أوى فى السجن مش مجرمين.. الظروف ممكن تعمل منك مجرم فى لحظة.. قابلت جوه ناس غلابة.. يمكن أغلب من اللى بره بكتير.. على الأقل ما بيدوسوش ع الناس عشان بس شكلهم مش عاجبهم.

- أصحاب الشغل مش قابلينك عشان إتسجنت!؟

- مش أصحاب الشغل بس.. المجتمع كله.. اللى ما بيشفوش ملفى بيشف الجرح اللى فى وشى.. إنكتب علىّ أعيش مشبوه كده لآخر يوم فى عمرى.. الناس هنا فى المنطقة.. زعلانين إنى أكون جارهم.. حتى أهل العمارة.. أبو صاحبك نفسه راح للحاج صاحب البيت وقال له ما يجددليش الإيجار مهما حصل.

كان يعرف من أنا إذن.. رآنى من قبل مثلما رأيته.. لم أجد ما يدعونى لجداله أو نفى الأمر.. لكننى شعرت بحرج كبير حقا.
هز رأسه قبل أن يشرده ببصره قائلاً:

- تعرف.. أنا لو وحش ماكنتش جيت هنا علشان أعيش.. كنت فضلت فى مطرحى.. حتى.. والسكن ما بيكلفش حاجه.. بس أنا عايز أنضف.. عايز أعيش فى حالى.. الناس ليه مش عايزانى أعيش فى حالى!؟

كان سؤاله الأخير قد صدر مضطربا نوعا، وكأن الضيق قد استبد به فجأة.. شعرت بالإشفاق نحوه.. سألته:

- إשמعنى هنا؟.. ليه مارحتش مكان تبدأ فيه من جديد بس ما يكونش إيبىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىيىi

لم أعرف كيف أختتم السؤال.. لكن وجهه عاد لهوئه مجددا وهو يجيب وكأنه يفخر بشئ:

- أصل دى كانت أمنية (فاطمة) قبل ما تموت.

شعرت بالوجوم.. وبدا الأسى على وجهى حتما، وأنا أتطلع إلى الرجل..

غمغمت هذه المرة:

- (اللّهُ) يرحمها.

سمعنى، وبدا وكأنه يتنبه لوجودى.. وضع قدح الشاي الخاص به أرضا

بجواره، ثم نهض قائلا:

- ماتيجى أوريك حاجة.

يتبع،،

المزيد

(لمن يهتمُّه الأمر)

• كريم عدلى طاهر.. من مواليد (القاهرة).. كاتب، ومصمّم جرافيك.. أنهى دراسته الثانوية بمدرسة أمون، وحاصل على ليسانس آداب – علوم الإتصال والإعلام ٢٠٠٥.. يعمل مدير عام شركة العدل للتوزيع الإعلامى.

• "ترانزيت" هى أول عمل يصدر له، وقد تمت كتابة الرواية فى (القاهرة) صيف ٢٠١٤ ، والخاتمة فى (الإسكندرية) صيف ٢٠١٥.. وتصدرت الرواية قائمة الأكثر مبيعا فى عدة مكتبات بمعرض القاهرة للكتاب ٢٠١٦، وتوالت طبعاتها.. كما صدر له رواية "الدم" فى يناير ٢٠١٧.

• رواية ترانزيت – On Facebook: Transit Novel

• On Goodreads: ترانزيت

• عند وجود آراء أو مقترحات.. يمكنكم التواصل مع فريق العمل (الرواية) من خلال صفحة (Facebook).

• المقدمة الغير منشورة للطبعات ما بعد الأولى.. ستجدها على صفحة (Facebook).

جميع الحقوق محفوظة
العدل للتوزيع الإعلاني
٢٠١٧

© All rights reserved



٢٠١٥/٢٢٨٣١

تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٨٥٢٤٠-٠-٠-٠